

كتاب : السباق إلى العقول
المؤلف : الدكتور عبد الله قادري الأهدي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } . [آل عمران: ١٠٢]

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } [النساء: ١]

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا } { يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } . [الأحزاب: ٧٠-٧١]

ما يراد السباق به إلى العقول أما بعد: فإن

ما يراد السباق به إلى العقول

هو الحق أو الباطل، فأهل الحق يسابقون بالحق إلى العقول، وأهل الباطل يسابقون بالباطل إلى العقول.

خلق الله الكون كله بالحق

والحق جل وعلا خلق الكون كله: السماوات والأرض، وما بينهما وما فيهما وما فوق ذلك بالحق، وقوله تعالى هو الحق، كما قال تعالى: { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ } [الأنعام: ٧٣]

وقال تعالى: { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ } [إبراهيم: ١٩]

وقال تعالى: { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ } [الحجر: ٨٥]

وقال تعالى: { مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ } [الأحقاف: ٣]

وقال تعالى: { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } [الحل: ٣]

وقال تعالى: { خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ } [العنكبوت: ٤٤]

وقال تعالى: { أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ } [الروم: ٨]

وقال تعالى: { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ } [التغابن: ٣]

أرسل الله رسله وأنزل كتبه بالحق

وأرسل الحق جل وعلا رسله، وأنزل كتبه بالحق. كما قال تعالى: { إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا } [البقرة: 119]

وقال تعالى: { نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ } { مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ } [آل عمران: 3-4]
وقال تعالى: { إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا } [النساء: 105]

وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ } . [النساء: 170]
وقال تعالى: { وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ } [المائدة: 48]
وقال تعالى: { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ } [الفتح: 28، والصف: 9]

سعادة أهل الحق بقبول الحق وشقاوة أهل الباطل برفضه

وقد سعد قوم بهذه الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله بالحق لإيمانهم بها، كما سعدوا بأولئك الرسل الذين أرسلهم بالحق لطاعتهم لهم واتباع منهجهم، ففازوا بالفلاح في الدنيا والآخرة. كما قال تعالى: { الْم } { ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ } { الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ } { وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ } { أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [البقرة: 1-5]

وشقي آخرون بإنزال تلك الكتب وإرسال أولئك الرسل، لعدم إيمانهم بالحق الذي نزلت به تلك الكتب، وعدم طاعتهم لأولئك الرسل الذين جاءوهم بالحق من ربهم. كما قال تعالى: { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ } [سبأ: 43]

وقال تعالى: { وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيَجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا } [الكهف: 56]

وقال تعالى: { وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ } [القصص: 39]
وقال تعالى: { وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتَكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنفُسُكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [إبراهيم: 22]

والحق ضد الباطل والضلال. جاء الرسل بالحق ودعوا إليه وجاء الشيطان وأتباعه بالباطل والضلال ودعوا إليه، والحق تعالى يريد أن يحق الحق ويبطل الباطل.

كما قال تعالى: { فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ } [يونس: 32]

وقال تعالى: { لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ } [الأنفال: 8]

وقال تعالى: { بَلْ تَقْدِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ } [الأنبياء: 18]

ويعترف أهل الحق بالحق عندما ينالون رضا الله اعتراف شكر وغبطة وسرور في جنات عدن. كما قال تعالى: { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } { وَنَزَعْنَا مَا فِي صُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تَلَكُمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } [الأعراف: ٤٢ - ٤٣]

ويعترف أهل الباطل بالحق، عندما ينالون جزاء إنكارهم له في الدنيا، وهم في نار جهنم يتمنون أن يجلبوا شفيعا ينفعهم أو إذا لهم بالرجوع إلى الدنيا ليعملوا عملا يكون أساسه الحق وليس الباطل. كما قال تعالى: { يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ } [الأعراف: ٥٣]

والذي كانوا يفترونه، هو الباطل الذي آمنوا به في الدنيا، والكفر بالحق الذي أقروا به بعد دخولهم النار كما قال تعالى: { وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } [العنكبوت: ٥٢]

والباطل هو الضلال الذي يقابل الحق والهدى، وكل ما عدا الحق والهدى فهو باطل وضلال. كما قال تعالى: { فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ } [يونس: ٣٢]

وقال تعالى: { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [القصص: ٥٠]

وقال تعالى: { أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ } [البقرة: ١٦]

والحق يطلق على الثابت المستقر، والباطل يطلق على نقيض الحق، وهو ما لا ثبات له عند الفحص عنه [المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني. الطبعة الهندية ص ٥٠]

والضلال أيضا ضد الهداية، وهو العلول عن الصراط المستقيم والزائل المضمحل. [المرجع السابق، ص ٢٩٩، وكتب اللغة مادة (ض ل ل)]

وحيث إن الباطل هو ضد الحق - وكذلك الضلال - فإن بيان الحق يوضح معنى الباطل - وكذلك الضلال وقد فصل الإمام [العلامة الحسين بن محمد بن المفضل الملقب بالراغب الأصفهاني المفسر اللغوي، المتوفى سنة ٥٠٢ هـ - [رحمه الله معاني الحق في القرآن الكريم، فقال: (أصل الحق المطابقة والموافقة، كمطابقة رجل الباب في حقه للورانه على استقامة. والحق يقال على أوجه:

الأول: يقال لموجد الشيء، بسبب ما تقتضيه الحكمة، ولهذا قيل في الله تعالى: هو الحق، قال الله تعالى: { وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ } وقيل بعد ذلك: { فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ } [يونس: ٣٠-٣٢]

والثاني: يقال: للموجد، بحسب ما تقتضيه الحكمة، ولهذا يقال: فعل الله تعالى كله حق. وقال تعالى: { هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا } إلى قوله تعالى: { مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ } [يونس: ٥]

وقال في القيامة: { وَيَسْتَنْبِئُكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ } [يونس: ٥٣]

وقوله عز وجل: { الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ } [البقرة: ١٤٧، آل عمران: ٦٠] { وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ } [البقرة: ١٤٩]

والثالث: في الاعتقاد للشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في نفسه كقولنا: اعتقاد فلان في البعث والثراب والعقاب والجنة والنار حق، قال الله تعالى: { فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ } [البقرة: ٢١٣]

والرابع: للفعل والقول، بحسب ما يجب، ويقدر ما يجب وفي الوقت الذي يجب، كقولنا: فعلك حق، وقولك حق قال الله تعالى: { وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ } [غافر: ٦] { حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ } [السجدة: ١٣] وقوله عز وجل: { وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ } [المؤمنون: ٧١] يصح أن يكون المراد به الله تعالى، ويصح أن يراد به الحكم الذي هو بحسب مقتضى الحكمة ويقال: أحققت كذا، أي أثبتته حقا، أو حكمت بكونه حقا وقوله تعالى: { لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ } [الأنفال: ٨] فإحقاق الحق على ضربين: أحدهما يظهار الأدلة والآيات، كما قال تعالى: { وَأَوْلَيْنَاكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا } [النساء: ٩١] أي حجة قوية. والثاني: بإكمال الشريعة وبنها في الكافة، كقوله تعالى: { وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ } [الصف: ٨] { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ } [التوبة: ٣٣ ، الفتح: ٢٨ ، الصف: ٩] انتهى كلام الأصفهاني .

ومما ذكره الإمام الأصفهاني رحمه الله يتبين أن الله تعالى هو الحق، كما أطلق ذلك على نفسه في كتابه، وهو تعالى الموجد للكون كله بحسب ما تقتضيه الحكمة، أي جميع مخلوقاته تعالى قد أوجدها وفق الحكمة الكاملة التامة. وأن فعله تعالى حق لأن كل شيء أوجده إنما أوجده بالحق، وأن كل ما جاء به الرسل من عند الله تعالى حق، من عقيدة وشريعة وخلق... وأن قوله تعالى وكلماته كلها حق.

المعنى الشرعي للحق والمعنى الشرعي للباطل

فالمعنى الشرعي —وأقصد هنا: المعنى الشرعي العام للحق، كما يتضح مما مضى ومن الرسالة الربانية، منذ خلق الله تعالى الخلق وشرع لهم منهاجه الذي فرض عليهم السير عليه— هو الإيمان به وبكل ما أخبر به من الغيب، وطاعته المطلقة وعبادته واتباع رسله، وعدم معصيته، والكفر بكل من يخالف منهجه، وتطبيق شرعه، والاستسلام لذلك والرضا به أما الباطل، فمعناه الشرعي—وأقصد أيضا المعنى الشرعي العام الشامل لكل ما هو باطل عند الله— فهو الكفر بالله تعالى، أو بما أخبر به في وحيه المنزل المحفوظ، وما جاء به رسوله —صلى الله عليه وسلم— من عنده، والاستكبار عن طاعته وطاعة رسوله —صلى الله عليه وسلم— وعدم اتباعه ومحاربة شرعه، وعدم الاستسلام لحكمه وعدم الرضا به، فكل ذلك باطل وقد أجمل الحق عز وجل —المعنى الشرعي للحق والباطل في هذه السورة القصيرة، وهي: بسم الله الرحمن الرحيم { وَالْعَصْرِ } { إِنَّ الْإِنْسَانَ لَقِي خُسْرًا } { إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ } [رقم السورة في المصحف: ١٠٣]

فالإيمان والعمل الصالح يدخل تحتها كل مفردات الحق، وإنما أفرد التواصي بالحق والتواصي بالصبر لمزيد الاهتمام بهما؛ لأن الحق لا يثبت ويقوى إلا بهما، فهما من ذكر الخاص بعد العام —والعام هنا هو الإيمان الدال عليه الفعل "آمن" والعمل الصالح والباطل هو ما كان نقيض ذلك، ولهذا أثبت سبحانه وتعالى لمن لم يكن عنده هذا الحق الخسران المؤكد، وبهذا يعلم عظم هذه السورة القصيرة التي قال عنها الإمام الشافعي رحمه الله: "لو لم ينزل الله على خلقه إلا هذه السورة لكفنتهم" ومن الآيات التي أجمل فيها معنى الباطل قول الله تعالى: { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } [الأعراف: ٣٣] .

أيهما أسبق وجودا الحق أم الباطل

وما دام الله سبحانه وتعالى هو الحق - و { هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [الحديد: ٣] وهو الذي خلق الكون كله بالحق، ولم يعرف من يؤمن بالباطل ويصر عليه وعلى نشره إلا إبليس لعنه الله ثم من تبعه بعد ذلك - فإن الباطل أمر طارئ والحق هو الأصل الثابت، فالحق هو الكلمة الطيبة، والباطل هو الكلمة الخبيثة.

والكلمة الطيبة هي كلمة الله ومنها جرسه، والكلمة الخبيثة هي كلمة الشيطان وسبل أتباعه، كما قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ } { تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ إِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } { وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ } { يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ } [إبراهيم: ٢٥-٢٧]

تأمل هذه الآيات من سورة إبراهيم الواضحة غاية الوضوح، في ثبات الحق وطيبته ورسوخه وسموه وعلوه وامتداده ودوام آثاره التي لا يخلو زمان من قطوفها الدانية ومنحها السابغة، ومع ثبات الحق ثبات أهله في الدنيا والآخرة أما الباطل، فهو خبيث مقطوع الجذور لا ثبات له ولا قرار، وهكذا أهله مضمحلون { وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ } ...

وقبل هذه الآيات صور سبحانه وتعالى اضمحلال أهل الباطل وأعمالهم وباطلهم أبلغ تصوير، فقال تعالى: { مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَأَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلَاةُ الْبَعِيدُ } [إبراهيم: ١٨ - ١٩] ثم أتبعها بقوله تعالى مبينا أن الباطل وأهله في شدوذ عن الكون كله: { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ }

قلت: إنه لم يعرف من يؤمن بالباطل ويصر عليه وعلى نشره إلا إبليس لعنه الله، فالباطل إذا طارئ طرود إبليس وقبل أن يغري إبليس آدم - عليه السلام - وزوجه حواء بالأكل من الشجرة التي حرم الله عليهما الأكل منها، فهاهما الله تعالى عن الأكل منها وحذرهما منه، أي إن حفظ العقول من الباطل كان أسبق من إيصاله إليها، كما قال تعالى: { وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ } . [البقرة: ٣٥]

وكان آدم - عليه السلام - عندما أهبطه الله هو وزوجه وإبليس إلى الأرض، على الفطرة والدين والتوحيد الخالص، وكان قائما بالخلافة التي ناطها الله به وأخبر بما ملائكته، وكان إبليس وحده على الشرك والمعصية - كما سيأتي - وهذا يدل على بطلان ما يزعم المتخردون من المؤرخين الذين يفترون على الله بدون علم ولا برهان، أن الأصل كان عبادة غير الله وأن العقيدة قد تطورت من الشرك والوثنية حتى وصلت إلى التوحيد، فهذا افتراء وتقول على التاريخ وجهل بالله وبكتبه ورسله ووحيه الذي لا مستند سواه لأحد في هذا الباب، الذي هو من الغيب، ولا سبيل إليه إلا بوحي من الخالق، وقد أخبرنا الخالق سبحانه وتعالى أنه جعل آدم خليفة في الأرض، والخليفة الذي يمنحه الحق تبارك وتعالى الخلافة، لا بد أن يزوده الحق عز وجل - بالنهاج الحق الذي يقوم بالخلافة على أساسه { قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } { وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } . [البقرة: ٣٨-٣٩]

ومما يدل على أن آدم وذريته كانوا على هدى من عند الله، ما تضمنته قصة ابني آدم الذي قتل أحدهما أخاه، فقد دلت القصة على أنهم كانوا يتقربون إلى الله بقرايين، وأن الله يقبل من المتقي ولا يتقبل من الظالم، وأن المتقين كانوا يخافون الله ويورعون عن معصيته، وأنهم كانوا يؤمنون بالجنة والنار والجزاء، كما قال تعالى: { وَأَنْتُمْ عَلَيْهِمْ ثَبَاتٌ يَا آدَمُ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبْنَا قُورَيْبًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ } { لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ } { إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ } { فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ } إلى قوله تعالى: { فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ } . [المائدة: ٢٧-٣١]

فآدم وذريته كانوا على التوحيد والطاعة، وكان لهم منهج من عند الله يسرون عليه ويتقربون إليه، وكانوا يعرفون الحلال والحرام والجنة والنار والإثم والجزاء، وكان إبليس نفسه الذي أغوى آدم وزوجه في الجنة أولاً وأقسم على إضلال ذرية آدم بعد طرده من رحمة الله ثانياً، كان يعلم الحق والباطل، وارتكب الباطل وعصى أمر الله متعمداً متكبراً ولسنا في حاجة إلى مناقشة شبهات جهلة التاريخ الغابر، فلا توجد وثيقة أصدق من كتاب الله ولا أصح منه حتى نحتاج إلى مناقشتهم على ضوئها { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ } [الإسراء: ٩]

من هم أهل الحق

؟

تنبيهات ثلاثة مهمة:

الأول: يجب أن يعلم أن مرادي بأهل الحق في هذا الكتاب أن صاحب الحق -بل هو الحق-: الله جل جلاله، ثم أنبيأؤه ورسله وكل من تبعهم واهتدى بمذاهبهم، والمسلمون الذين يقرون ويعترفون بأن الإسلام حق ويدخلون فيه بشهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأنه يجب العمل به وتطبيقه في الأرض، وأنه لم يبق في الأرض بعد بعثة الرسول أي دين حق يقبله الله من أهله، ويدخل في زمرة أهل الحق من المسلمين الذين تلك صفتهم من حصل منهم نوع تقصير من ارتكاب بعض المعاصي أو ترك بعض الطاعات -ما عدا الشرك بالله- التي هي تحت مشيئة الله إن شاء غفرها لهم، وإن شاء عذبهم بها، ثم أدخلهم الجنة، وقد يكون عند بعض هؤلاء شيء من الباطل الذي يجب الرد عليه، ولكنهم لا يخرجون من صف أهل الحق إلا عند الخوارج ومن تبعهم في مذاهبهم عالماً أو جاهلاً وأن مرادي بأهل الباطل: كل من لم يدخل في الإسلام، أو انتسب إليه ولكنه ارتد عنه، أو زعم أنه مسلم وحارب تطبيق شريعة الله في حياة المسلمين وكل من دعا إلى ذلك التطبيق.

ولا يدخل في أهل الباطل من اجتهد من العلماء فأخطأ في نظر غيره من المجتهدين، فإن للمجتهد أجر إن أصاب وأجر إذا أخطأ، وقد يكون الخطأ عند من خطأه التنبيه الثاني: أي لم أقصد بأهل الحق فئة معينة من المسلمين، ولا أهل بلد معين، كما لا أقصد من أهل الباطل فئة معينة ولا أهل بلد معين، وإنما قصدت أهل الحق من حيث هم من أي فئة كانوا، وفي أي أرض حلوا، وقصدت أهل الباطل من حيث هم من أي فئة كانوا، وفي أي أرض حلوا التنبيه الثالث: أن قصدي بالحق هو الحق الرباني الذي كلف الله عباده التسليم له به، والهدي الإلهي الذي أنزل به وحيه وبعث به رسله ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور، والذي لا يقبل الله من أحد دينا سواه، وهو الإسلام وليس مرادي ما وصلت إليه الأمم من التجارب القانونية والإدارية والكونية التي قد يوجد فيها الحق

والباطل، وهي أمور تشترك فيها كل الأمم في كل الأزمان، فلست أنفي وجود حق ما عن أهل الباطل، وإنما أنفي عنهم الحق الإلهي الذي جحدوه وكفروا به وحاربوه.

وبناء على هذا فصاحب الحق الأول هو الحق جل جلاله، فمن أسمائه الحق، كما سبق وخلق السماوات والأرض وما بينهما بالحق وأنزل كتبه ووحيه بالحق، وبعث رسله بالحق، وكلماته كلها حق وأفعاله كلها حق ثم أنبياء الله ورسله الذين كلفهم تبليغ رسالاته إلى الناس، ومن استجاب لهم من أقوامهم فآمن بما جاءوا به وعمل به ودعا إليه، وبخاصة من ناصرهم وصار حواريا لهم، يظهر ذلك من قصص الأنبياء والرسل مع أقوامهم، وقد أمر الله تعالى نبيه ورسوله الخاتم أن يقتدي بمن سبقه من الرسل - بعد أن ذكر طائفة منهم بأسمائهم - فقال: { أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ } [الأنعام: ٩٠]

وهم أهل طاعته الذين أنعم عليهم، ذلك الموكب العظيم الذي قال الله تعالى فيهم: { وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا } [النساء: ٦٩]

وخير أمم الحق أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - التي شهد الله لها بالخيرية التي نالتها بما منحها الله تعالى من المؤهلات { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ } . [آل عمران: ١١٠]

وهم حزب الله وأولياؤه الذين يجاهدون في سبيله ويحبهم ويحونه، ولا يخافون لومة لائم ويتولونه ويتولون أولياءه، كما قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } { إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ } { وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ } . [المائدة: ٥٤-٥٦] { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } . [التوبة: ٧١]

أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } . [المجادلة: ٢٢] هؤلاء هم أهل الحق.

هل يعد متبع الباطل عاقلا

؟

خلق الله تعالى الإنسان مزودا بآلات حسية ظاهرة للعيان، أو خفية في داخل جسمه، لتقوم تلك الآلات بما هيأها الله سبحانه وتعالى من عمل: أسنان تطحن ولسان يخلط ويتلوق وينظف، وجلد يحس ويتألم، ويد تبطش وتأخذ، ورجل تمشي وتسير، وأذن تسمع، وعين تبصر، وأنف تشم وتستشق الهواء النافع للجسم من الخارج ويعبر منها الهواء الفاسد من الداخل، وحلق يدخل منه الطعام والماء والهواء، ومعدة تضمم الطعام، وقلب يضخ الدماء وينقيها، وهكذا: الرئة، والكلية، والجهاز الإخراجي والجهاز الدوري وغيرها، كل هذه الآلات وأجزائها تقوم بعمل قد

هياها الله له، فإذا فقد أي منها تعطل عملها الذي هيئت له فإذا فقد البصر قيل لصاحبه أعمى، وإذا فقد السمع قيل لصاحبه أصم، وإذا فقد النطق قيل لصاحبه أبكم، والبصر قد يفقد والعينان في ظاهرهما سليمتان، والسمع قد يفقد والأذنان في ظاهرهما كذلك وهكذا... وهناك آلة معنوية زود الله بها الإنسان، لا يستفيد من كثير من آلاته الحسية، إذا لم تكن هذه الآلة موجودة، وهي العقل الذي جعله الله سبحانه وتعالى ميزانا لإدراك الحق من الباطل، في حدود مجاله الذي خلقه الله للعمل فيه.

وكل هذه الآلات إذا لم يستعملها الإنسان فيما خلقت له، أو لم يستعملها في أهم ما خلقت له، فإنها تعتبر بمنزلة الآلة المفقودة، ولذلك يصح نفيها مع وجودها فيقال: فلان لا يسمع، إذا سمع صوتا بدون أن يصغي لذلك الصوت ليفهم معناه، ويقال: فلان لا يبصر، إذا رأى شيئا دون أن تحصل فائدة من رؤيته، كما يقال: فلان لا يعقل، إذا لم يستعمل عقله فيما يعود عليه بالفائدة ولهذا امتن الله تعالى على الإنسان بتزويده بهذه الآلات النافعة التي تستوجب من الإنسان شكر ربه تعالى عليها، فإذا لم يشكره بها وعليها فقد أصبح كفاقدتها، لأن شكر الله تعالى هو أهم ما خلقت من أجله قال تعالى: { وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَّا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } . [النحل: ٧٨]

ونفى سبحانه عن من لم يشكره بهذا الآلات منافعها، وهي: الإبصار والسمع والفقهاء أو العقل - فقال تعالى: { وَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَانُوا نَعَامًا بَلْ هُمْ أَصْلٌ أَوْ لَيْكٌ هُمُ الْغَافِلُونَ } . [الأنعام: ١٧٩]

وقال تعالى: { وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَّا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يُنظَرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَّا يُبْصِرُونَ } . [الأعراف: ١٩٨]

بل إن الذين لا ينتفعون بهذه الآلات في الدنيا ينفونها هم عن أنفسهم، عندما يعاينون جزاء الله لهم في الآخرة على غفلتهم وعدم استعمالهم لها فيما خلقت له، كما قال تعالى: { إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورٌ } { تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ } { قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ } { وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ } [الملك: ١٠-٧]

ولهذا خص من يعقل الانتفاع بآياته الكونية والشرعية، مع أن تلك الآيات قابلة لينتفع بها كل الناس، ولكن الذي لا ينتفع بعقله من تلك الآيات ينزل منزلة من لم تكن تلك الآيات قابلة لانتفاعه منها.

قال تعالى: { إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } . [البقرة: ١٦٤]

وليس المراد هنا مجرد وجود عقل هؤلاء القوم، وهو الذي يقابله الجنون، وإنما المراد عقل يهدي صاحبه إلى الانتفاع بتلك الآيات، بدليل نفي الله تعالى السمع والعقل عن المكلفين بتصديق الرسالة الذين أنكروها. كما قال تعالى: { أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا } { أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالنَّعَامِ بَلْ هُمْ أَصْلٌ سَبِيلًا } . [الفرقان: ٤٣-٤٤]

ومثله قوله تعالى: { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّلُورِ } . [الحج: ٤٦]

فكل من كلفَ خطابَ الله تعالى، فلم يستجب لذلك الخطاب الحق بل اتبع الباطل، يصح أن ينفي عنه العقل باعتبار أنه لم ينتفع بعقله في أهم ما خلق من أجله ولهذا نفى عن الكافرين بالحق المؤمنين بالباطل العقل، فقال جل وعلا: { وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بكم عمي فهم لا يعقلون } . [البقرة: ١٧١]

وقال عن أهل الكتاب الذين يستهزئون بدين الله: { وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ } [المائدة: ٥٨]

وقال فيمن افتري على الله الكذب، فأحل ما حرم الله أو حرم ما أحل الله من المشركين - وغيرهم مثلهم - { مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ } . [المائدة: ١٠٣]

وقال تعالى: { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ } { إِنَّ شَرَّ اللَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ } . [الأنفال: ٢١-٢٢]

وقال تعالى: { وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ } { وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْتَدِي الْعُمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ } . [يونس: ٤٢-٤٣]

وهكذا يصح نفي العلم عن من لم يعمل به وبهذا يعلم أن الذي يتبع الباطل ويترك الحق غير عاقل، وإن توقد عقله في كثير من مظاهر الحياة الدنيا. ولكنه - مع ذلك - مكلف بأمر الله ونهيه، محاسب على ذنبه، لأنه لم يستعمل عقله الذي منحه الله فيما خلق له.

وبهذا أيضا تعلم منزلة العقل المهتدي إلى الحق التارك للباطل عند الله تعالى.

منزلة العقل عند الله وأثره في الحياة

وظاهر من الآيات القرآنية - كما هو الواقع - أن الإنسان لو لم يمنحه الله العقل، لكان أضل من الحيوان، ولما كان خليفة وسيدا في الأرض ولو أن أهل العقول أعملوها وفكروا بها في المجالات التي وجدت من أجل إعماها والتفكير بعقولهم فيها، وعملوا بمقتضى النتائج التي توصل إليها على أساس سليم، لسعد الناس بذلك في الدنيا والآخرة ومن تلك الميادين: الكون الذي أبدعه الله في السموات والأرض وما بينهما، مما يمكن للعقل أن يتناوله بالتفكير فيه بعقله، وهو كتاب الله المفتوح الذي فيه من الدقة والإحكام والإتقان ما ينهل العقول ويجعلها تستسلم للحقائق وتستفيد من مخلوقاته في تسخيرها لصالح الأمم، بقوانينها ونواميسها التي أودعها الله تعالى فيها.

ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قول الله تعالى: { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ } { بُيْتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالرَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } { وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } { وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ } { وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا

وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ { وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ { أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذْكُرُونَ } وَإِنَّ

تُعَلِّمُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصِيهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ { . [النحل: ١٠-١٨] ولا تفكير، ولا تذكر، ولا شكر لمن لا عقل له!!!

فترى القرآن الكريم يجول بالعقل في السماء -شمسها وقمرها ونجومها وكواكبها- وفي الأرض -بخيراتها، من زروعها وأشجارها وبحارها وأنهارها وجبالها وسهولها- ويجعل ذلك كله مجالاً للعقل ليتفكر فيه ويتذكر ويهتدي ويشكر، ومن شكر ذلك استغلال هذا الكون في مصالح العباد على أساس هدي الله تعالى ومن تلك المبادئ: فقه نصوص القرآن والسنة، والتعمق في فهمها واستنباط ما تحتاج إليه البشرية منها، لتتقي ربها وتسير في تصرفاتها على منهجه، مع فهم أسرارها وحكمه حيث أمكن ذلك، وإلا فالتسليم المطلق لشرع الله تعالى، فإن التسليم لشرع الله هو عين الفقه والعقل، وعدم التسليم لذلك هو عين الجهل والخطأ.

قال تعالى: { قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } { وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذْكُرُونَ } { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } . [التقوى تكليف بدون عقل]

فهذه الوصايا العشر الجامعة، لو تأملها الناس وفكروا في مصالحتها التي لا سعادة لهم بدونها، وفهموا معانيها والآثار المترتبة على تطبيقها والعمل بها، لعاشوا عيشة هنيئة في ظلال شرع الله العظيم وقد حتم الله الخمس الأولى منها بقوله تعالى: { لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } إشارة إلى أن هذه الأمور لا بد أن يسلم العقل بضرورة مراعاتها، وأن من لم يفقه الحكمة من هذه التكاليف ولا يستسلم لشرع الله ويطبقه، ليس من العقلاء الأسوياء بل هو أضل من الحيوان وختم الوصايا الأربع الأخرى بقوله تعالى: { لَعَلَّكُمْ تَذْكُرُونَ } والتذكر لا يكون إلا من عاقل يفهم خطاب الله ويعلم أنه لا يأمر إلا بخير ولا ينهى إلا عن شر وختم الوصية العاشرة -وهي أشمل الوصايا وأعظمها- بقوله تعالى: { لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } والتقوى هي المقصودة؛ لأن صاحبها يتورع عن ترك الأمر وفعل النهي، تعظيماً لله ورغبةً فيما عنده وخشية من عذابه وقال تعالى: { فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ } . [التوبة: ١٢٢]

وقال تعالى: { وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ } . [النساء: ٨٣]

والاستنباط: الاستخراج والبحث والبحث والاستنباط هنا يعين الاجتهاد من أهله للوصول إلى الحكم الواجب تطبيقه العائد بالخير على الأمة، المرضي لله تعالى، وهذا لا يكون إلا من ذوي العقول النيرة التي صاغها شرع الله ولولا أن الله تعالى هياً للأمة الإسلامية أمثال هؤلاء العقلاء الذين يستنبطون لها أحكام الله من شريعته، لكان

الشیطان قاندهم إلى كل سوء، ولعل ذلك من حكمة هذا التعقيب الرباني في هذه الآية: { وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا } فالعقل السليم له أثره العظيم في حياة الناس؛ لأن أهل العقول السليمة يفكرون في مصالح الأمة ويدعونها إليها، كما يفكرون في المفساد التي يجب اجتنابها ويهونهم عنها.

ويجب التنبيه هنا على عبارة شائعة متداولة بين عامة الناس، وأصبحت لكثرة ترديدها وتكرارها كأنها قضية مسلمة، وأكثر من يرددها الرياضيون ومشجعوهم وهي: (العقل السليم في الجسم السليم). ولا شك أن في اجتماع سلامة الجسم وسلامة العقل نعمة عظيمة على صاحبهما، وإذا أريد بسلامة العقل السلامة من الآفات المعنوية والمادية فالنعمة بذلك أعظم. ولكن هذه العبارة غير مطردة، لوجود كثير من ذوي الآفات الجسمية - كالعشى، والصمم، والعرج، والشلل - ممن منحهم الله عقولا سليمة قوية مخترعة مبدعة في العلوم الإسلامية وما يخدمها كاللغة والأدب والبلاغة والتاريخ وغيرها من العلوم المسماة بـ(الإنسانية)، والعلوم الكونية المتعددة التي نفع الله بها العالم قديما وحديثا، ولوجود كثير من ذوي الأجسام السليمة القوية - كمصارعي الثيران والأقران من أبناء جنسهم، وبعض أفراد الفرق الرياضية الذين لم تتجاوز عقولهم التفكير في تقوية عضلاتهم وإشباع غرائزهم بما حل وحرم! وكفى بالعقل منزلة عند الله معرفة الأمور الثلاثة الآتية:

الأمر الأول: أنه مناط التكليف وأن غير العاقل لا ينال شرف التكليف من الله تعالى، ذلك أن التكليف لا يكون إلا لمن أمكنه علم الحق والعمل به ومعرفة الباطل وتركه، وهذا لا يمكن إلا من أهل العقول ولهذا تجد علماء الإسلام يذكرون في كتبهم -أصولا كانت أو فروعاً- أن من أهم شروط التكليف: العقل، فلا يكلف غير العاقل .. الأمر الثاني: أن العقل هو إحدى الضرورات الخمس التي لا تكون الحياة في الأرض مستقرة ولا قائمة بدون حفظها. وهي: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال [راجع كتابنا: الإسلام وضرورات الحياة ص ١٠٥ الطبعة الثانية. نشر وتوزيع دار المجتمع. جدة] الأمر الثالث: أن الله تعالى أرسل رسله وأنزل كتبه لإبلاغ الناس دينه الحق، مبينا لهم بحججه وبراهينه أن ذلك الدين حق وأن ما خالفه باطل، ملجئا تلك العقول بتلك الحجج والبراهين إلى التسليم الاختياري بأن دين الله حق وأنه الهدى والرشاد، وأنه جالب لمصالحهم في الدارين، وواق لهم من المفساد فيهما.

ومن هنا لم يأذن الله تعالى بإكراه الناس على الإيمان به، مكتفيا ببيان أن ذلك الإيمان حق، بيانا قائما على الحجة والبينة التي يقر بها عقل المخاطب - وإن كابر وعاند- ويتبين بها الرشد من الغي، كما قال تعالى في كتابه الكريم: { لَأِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْقِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [البقرة: ٢٥٦]

وقال تعالى: { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ } [يونس: ٩٩]

وقد امتلأ كتاب الله بالآيات الدالة على هذا المعنى العظيم الذي يبين عظم منزلة العقل عند الله تعالى، وحفزه على التأمل والتفكير الموصلين له إلى معرفة الحق والباطل وإن أي إنسان عاقل يستغل طاقته العقلية في تأمل بعض تلك الآيات لا بد أن يوقن بأن ما جاءت به رسل الله ونزلت به كتبه حق.

ولندكر بعضا من تلك الآيات بدون تعليق، ليتأملها طالب الحق، ثم يسأل عقله بعد ذلك: هل تبين له أن الله تعالى حق وأن عبادته حق، وأن الكون كله دال على ذلك، وأن الله تعالى قد أنزل عقله منزلة عظيمة يجب عليه أن

يشكرها ويصون ذلك العقل من عبث المتلاعبين به أو لا؟

من ذلك قوله تعالى: { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } [البقرة: ١٦٤]

وقوله تعالى: { لَمَّا تَلَّكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ } { اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ } { وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } { وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرُوعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لِبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } [الرعد]

ومنها قوله تعالى: { اتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } { يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ } { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } { خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ } { وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ } { وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْبِحُونَ وَحِينَ تُسْرَحُونَ } { وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ } { وَالنَّخِيلَ وَالْبَعَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ } { وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ } { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ } { يُنَبِّئُكُمْ بِهِ الزُّرْعَ

وَالرِّيِّثُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } { وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } { وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ } { وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } { وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } { وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ } { أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } [النحل]

وقوله تعالى: { وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ } { وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ } { وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } { وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ } { ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } { وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمَرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ } [النحل]

وقوله تعالى: { أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُون لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّلُورِ } [الحج]

وقوله تعالى: { وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ حَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } [الروم]

وقوله تعالى: { صَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } [الروم]

وقوله تعالى: { إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ } { وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ } { وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } [الجنانية]

وقوله تعالى: { أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَثَلَوْنَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } [البقرة]

وقوله تعالى: { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } [يوسف]

وقوله تعالى: { لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } [الأنبياء]

وقوله تعالى: { وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } [المؤمنون]

وقوله تعالى: { هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخَرِّجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلَتَبْلُغُوا أَجْلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } [غافر]

وقوله تعالى: { اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } [الحديد]

وبهذا يعلم إجماع قادة الباطل وجناباتهم على أنفسهم وعلى غيرهم، وتمسكهم بتقليد الآباء والمتبعين الذين عطلوا نعمة الله عليهم بتلك العقول، ليميزوا بها الحق ويتبعوه، ويعرفوا بها الباطل ويجتنبوه، فحرموا أنفسهم وأتباعهم من هدى الله الذي لا يُحرمه إلا من لا عقل له، بل عطلوا بذلك كل المنافذ المحسوسة، كالسمع والبصر التي تعرض على عقولهم ما تسمع وما تبصر من آيات الله في أنفسهم وفي الكون الكبير، وأنزلوا أنفسهم منزلة أخط من منزلة الحيوان!

قال تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ } [البقرة]

وقال تعالى: { وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكُمْ عَمًى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ } [البقرة]

وقال تعالى: { إِنَّ شَرَّ اللَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ } [الأنفال]

{ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ } [الأعراف]

وقال تعالى: { وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ } [يونس]

وقال تعالى: { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ } [العنكبوت]

وقال تعالى: { لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ } [الحشر]

ولما كانت العقول والفطر السليمة ترفض الباطل لفساده ومخالفاته للحجج والبراهين التي تسند الحق وتظاهره، لجأ أهل الباطل إلى إسناده وتأيدته بالقوة والإكراه والتضليل والاستخفاف وقد دلت على ذلك أدلة كثيرة، لا تحفى على من تأملها في جميع حقب التاريخ الممتدة منذ أوجد الله الخليفة إلى يومنا هذا، وستبقى كذلك إلى قيام الساعة. كما دلت على ذلك سير قادة الباطل وأساليبيهم، منذ أن خلق الله آدم -عليه السلام- وابتلاه بقائد قادة الباطل: إبليس -لعنه الله.

وبهذا يظهر السبب الذي جعل أهل الحق وأهل الباطل يتسابقون إلى العقول: أهل الحق بحقهم، وأهل الباطل بباطلهم، لأن من سبق إلى العقول بما عنده ملك زمام أصحابها، وقادهم إلى غايته بوسائله المتاحة واستثمرها وحظي بنتائجها، ومن كان أكثر سبقاً إلى العقول كان -في الغالب- أكثر أنصاراً وأعواناً، فإن أكثر أهل الحق وقويت شوكتهم أقاموا الحق في الأرض ونشروه وحموه من اعتداء أهل الباطل عليه، وإن أكثر أهل الباطل وقويت شوكتهم أقاموا الباطل في الأرض ونشروه وحموه وحاربوا به وبأعوانه الحق، وأحاطوا بباطلهم بجدرٍ من الحواجز الحسية والمعنوية ضد هجمات الحق عليه ودحضه وكشف عواره للناس.

أسباب تأليف هذا الكتاب

لتأليف هذا الكتاب ثلاثة أسباب:

السبب الأول: ما حكاه القرآن الكريم، من الصراع الذي دار بين أهل الحق من الأنبياء والرسل وأتباعهم، وبين أهل الباطل من الأمم السابقة إن المتأمل في ذلك الصراع يجد أن أهل الحق يسابقون أهل الباطل إلى عقول الناس بما عندهم من الحق، ويسابقونهم إلى تفريغ تلك العقول من الباطل الذي تمكن من الوصول إليها، ويسابقونهم إلى حمايتها من أن يصل إليها باطل جديد وأن أهل الباطل -كذلك- يسابقون أهل الحق إلى عقول الناس بما عندهم من الباطل، ويسابقونهم إلى تثبيت ما استقر منه في تلك العقول، ويسابقونهم إلى حمايتها من الحق الذي لم يصل إليها بعد وفي قصص الأنبياء مع أممهم بيان واضح لهذه المعاني، كما سيأتي في فصول الكتاب وفي سيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وما قام به من تبليغ رسالة الله، وموقف قادة الباطل من ذلك التبليغ أمثلة كثيرة على هذه المعاني لمن تأملها. وكذلك تاريخ أصحابه رضي الله عنهم وما قاموا به من دعوة إلى الله وجهاد في سبيله، وكل من تبعهم على ذلك من أهل الحق، ومواقف طغاة الباطل منهم في جميع العصور.

السبب الثاني: ما حصل في هذا العصر من الوسائل الكثيرة المؤثرة للسباق إلى العقول، ومن اهتمام أهل الباطل باختراع كثير منها واستغلالها في سبقهم بباطلهم إلى عقول الناس، وتفريغ تلك العقول من الحق الذي وصل إليها وحمايتها من أن يصل إليها الحق، وتفريط أهل الحق وتقصيرهم الشديدين في استغلال تلك الوسائل للسبق بحقهم إلى تلك العقول، وتفريغها من الباطل الذي وصل إليها وحمايتها مما لم يصل إليها منه السبب الثالث: خطاب وجهه إلى عميد شؤون الطلاب في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، طلب مني فيه إلقاء محاضرة في قاعة المحاضرات الكبرى في الموسم الثقافي المعتاد كل عام، وطلب ذكر عنوان المحاضرة، فلبيت الطلب، وذكرت له هذا العنوان: (السباق إلى العقول - الغايات - الوسائل والنتائج). [وقد بعث إلي بخطاب الموافقة على العنوان المذكور برقم: (١٠ / ٤١٣ /

١٩) وتاريخ: (٢٣ / ٤ / ١٤١٣هـ-). وألقيت المحاضرة بتاريخ: ١٠ / ٥ / ١٤١٣هـ بعد صلاة المغرب حضرها كثير من أعضاء هيئة التدريس والطلاب بالجامعة. وكانت المحاضرة لا تريد عن أربعين صفحة بخط اليد. وها هي اليوم كتاب بين يدي القارئ يزيد عن أربعمئة صفحة، وذلك من فضل الله وعونه].

غاية أهل الحق العليا في السباق إلى العقول هنالك غاية عليا لأهل الحق تنفر عنها كل الغايات التي يسابقون بها أهل الباطل إلى العقول، وهذه الغاية هي: رضا الله سبحانه وتعالى فهم -أي أهل الحق- يتحرون هذه الغاية العليا الشاملة لكل الغايات. أليس الله تعالى هو الحق؟ أليسوا يسابقون بالحق ومن أجل الحق؟ فماذا يريدون غير رضا الحق؟

فهذا نبي الله موسى -عليه السلام- يقول الله تعالى عنه: { وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى } { قَالَ هُمْ أَوْلَاءِ عَلَيَّ أَتْرَى وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى } . [طه: ٨٣-٨٤]

وقال تعالى عن سليمان بن داود عليهما السلام: { وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ } . [النمل: ١٩]

وختم تعالى حواراه مع عيسى -عليه السلام- بقوله: { هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } . [المائدة: ١١٩]

وقال تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ } . [البقرة: ٢٠٧]

وقال تعالى: { وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَنْبِيئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } . [البقرة: ٢٦٥]

وقال تعالى عن أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان: { وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } . [التوبة: ١٠٠]

وقال تعالى عنهم: { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا } [الفتح: ٢٩]

وقال عن أهل بيعة الشجرة منهم: { لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ } [الفتح: ١٨]

وقال تعالى بعد أن ذكر ما زين للناس من متاع الحياة الدنيا: { قُلْ أُوْبِتُّكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِلَّذِينَ آتَقُوا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ } [آل عمران: ١٥]

وقال تعالى: { أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ } [آل عمران: ١٦٢]

وقال تعالى: { فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ فَتَنَ اللَّهُ فَضْلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَأَتَّبِعُوا اللَّهَ وَاللَّهُ وَفَضْلَ اللَّهِ وَفَضْلَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ } [آل عمران: ١٧٤]

وقال تعالى عن حزبه: { رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [المجادلة: ٢٢]

وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي }

[المتحنة: ١]

وقال تعالى: { لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا } [النساء: ١١٤]

وقال تعالى: { يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ } [المائدة: ١٦]

فأهل الحق يرجون من كل أعمالهم الصالحة رضا الله سبحانه وتعالى ويتبعون رضوانه، ورضاه تعالى هو غاية كل غاية، وهو تعالى لا يرضى إلا عن أهل الحق ومن أجل أن رضا الله تعالى هو غاية أهل الحق، يأتي خطاب الله تعالى لهم -بعد أن يسكنهم جنته ويعطيهم فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر- مخبراً لهم بإحلاله هذه الغاية العظيمة عليهم، كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: « إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب فقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك؟ فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً. » [صحيح مسلم (٤ / ١٢٧٦)]

فهذا الحديث يفسر أن رضوان الله عن عباده هو غاية الغايات؛ لأنه أفضل ما يعطى أهل الجنة التي لا يدخلها إلا من رضي الله تعالى عنه.

حصول رضا النفس وطمأنيتها في الدنيا لمن رضي الله عنه ويجب أن يعلم أن هذه الغاية -رضا الله- التي جعلها أهل الحق نصب أعينهم -بل جعلوها أم الغايات- للسباق إلى العقول بالحق هي التي يتحقق بها الاطمئنان والسعادة والرضا لمن حققها، ويدل على ذلك أمران:

الأمر الأول: نصوص الكتاب والسنة، ما ذكر هنا منها وما لم يذكر، وبخاصة قوله تعالى: { رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ } . [المجادلة: ٢٢ والبيئنة: ٨]

وإن صاحب هذه الغاية ليجد الرضا في نفسه والطمأنينة والسعادة في أشد الظروف امتحاناً وابتلاءً، يتضح ذلك بتأمل قوله تعالى -مخاطباً نبيه -صلى الله عليه وسلم- ويدخل فيه من اقتدى به من أمته: { فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى } . [طه: ١٣٠] وفي معنى ذلك قوله تعالى: { اللَّهُ أَلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } . [الرعد: ٢٨]

الأمر الثاني: شهادة الواقع فما من أحد سعى للوصول إلى هذه الغاية -سواء كان فرداً أو أسرة أو أمة- إلا وجد في نفسه الرضا والطمأنينة والسعادة، وإن الذين يتأون بأنفسهم عن هذه الغاية ليحرمون أنفسهم من الرضا والطمأنينة والسعادة، مع كلهم واجتهادهم في الحصول على الرضا والطمأنينة والسعادة، عن غير هذه السبيل العظيم وبهذا يعلم أن أهل الحق عندما يسابقون بالحق إلى عقول الناس إنما يتبعون للناس الوصول إلى هذه الغاية ليتحقق لهم الرضا والاطمئنان والسعادة، إذ كلما كثرت أهل هذه الغاية زادت في الأرض هذه المعاني التي ينشدها كل الناس وإذا كان رضا الله هو الغاية العليا الشاملة لكل غايات أهل الحق من سباقهم إلى العقول، فما الغايات التي تنفر عن هذه الغاية وتعتبر وسائل لتحقيقها -إن كانت كل واحدة منها غاية بذاتها؟ [كون بعض الغايات تعتبر وسائل لغايات أخرى أمر معروف].

الغايات المتفرعة عن الغاية العليا:

من أهم الغايات المتفرعة عن تلك الغاية ما يأتي:

أولاً: تبليغ رسالات الله إلى الناس ثانياً: إقامة الحججة على الخلق ثالثاً: إخراج الناس من الظلمات إلى النور رابعاً: تحقيق توحيد الله في الأرض خامساً: غرس الإيمان بالغيب في النفوس سادساً: تحكيم شرع الله في حياة الناس سابعاً: تثبيت الولاء لله وللرسول وللمؤمنين والبراء من الكافرين ثامناً: غرس الأخلاق الفاضلة ومطاردة الأخلاق الفاسدة تاسعاً: طلب العزة من الله وحده. عاشراً: القيام بالخلافة في الأرض على أساس هدى الله أولاً: تبليغ رسالات الله إلى الناس والمراد إيصال تلك الرسالات ببراهينها وحججها، حتى تكون واضحة بينة تفهمها العقول فهما تقوم به الحججة على أصحابها، وهذا هو البلاغ المبين الذي هو وظيفة الرسل عليهم السلام ووظيفة أتباعهم قال تعالى: { الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا } . [الأحزاب: ٣٩] وقال تعالى: { لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ } . [الجن: ٢٨]

وكان الرسل عليهم الصلاة والسلام يعلنون لأقوامهم أنهم جاءوهم لتبليغهم رسالات الله إليهم قال تعالى عن نوح عليه السلام-: { أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ } . [الأعراف: ٦٢] وقال تعالى عن هود عليه السلام-: { أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ } . [الأعراف: ٦٨] وقال تعالى عن صالح عليه السلام-: { يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ } . [الأعراف: ٧٩] وقال تعالى عن شعيب عليه السلام-: { يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ } . [الأعراف: ٩٣] وقال تعالى: { فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } . [النحل: ٣٥] وقال تعالى: { وَمَا عَلَى الرُّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } [النور: ٥٤، والعنكبوت: ١٨]

وإذا كانت هذه الوظيفة هي -في الأصل- وظيفة الرسل، فإنها وظيفة أتباعهم بعلمهم، وبخاصة أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- الذين لم يبق دين حق في الأرض غير دينهم، قال تعالى: { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي } . [يوسف: ١٠٨] وإذا ما حصل تقصير أو توان في هذه الوظيفة ممن كلفهم الله القيام بها -وحاشا رسل الله أن يقصروا ويتوانوا في ذلك- فإن ذلك إخلال بالوظيفة، كما قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ } . [المائدة: ٦٧]

ثانياً: إقامة الحججة على الناس حتى لا يكون لهم عذر يحتجون به على ربهم، وهذه الغاية ملازمة لما قبلها، لأن في تبليغ الرسالات إقامة للحججة، ولكن كلا منهما غاية من غايات أهل الحق في السياق إلى العقول قال تعالى: { رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةً بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا } . [النساء: ١٦٥] وقال تعالى: { وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } { أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ } { أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ

بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بَيِّنَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْرِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا
سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ } . [الأنعام: ١٥٥ ، ١٥٧]

أمثلة حياة القوم - المتحضرين - في بعض المجالات:

المجال الأول: الحياة الإيمانية:

قلت في آخر الحلقة السابقة، إجابة على تساؤلات قد تلور في ذهن القارئ: كيف يكون الإنسان المتحضر في هذا العصر في ظلمات، يحتاج إلى من يخرجه من الظلمات إلى النور؟ والإجابة عن هذا السؤال تطول، ولكن تعال معي أيها القارئ لتتأمل قليلا في أحوال الناس في هذا العصر الذي وصف السؤال قلدا ضئيلا من تقدمه المادي، لرى إن كان أولئك الناس الذين هذه صفتهم في ظلمات محتاجين إلى من يخرجهم منها إلى نور أو لا؟! إن المتأمل في الحياة الإيمانية لأولئك المتحضرين يجدهم يؤمنون بكل شيء مادي يدخل في نطاق علمهم الدنيوي الظاهر، وكثير منهم لا يؤمنون الإيمان الحق، وهو الإيمان بالغيب، ومنه الإيمان بالخالق الإله المعبود.

فالذين يسمون بأهل الكتاب، من يدعي منهم أنه يؤمن بالله لا يؤمن به في الحقيقة، وإنما يؤمن بأله متعددة: الله، الابن، روح القدس، ويسمون الثلاثة إلهًا واحداً، مما جعل بعض الأطفال في مدارس الغرب يتساءلون: كيف يكون الثلاثة واحداً ونحن ندرس في الرياضيات أن ضرب الثلاثة في واحد يساوي ثلاثة؟! فلا يجدون من القسس والرهبان جواباً، فينصرفون عن الدين إلى الإلحاد، ولهذا تجد كثيراً ممن يسمون بالنصارى ملحدين لا يؤمنون بإله وتجد دولا كبيرة قامت في الأرض على الإلحاد الصريح الذي ينكر وجود الخالق -أصلا- مع أن كل ذرة في الكون تصرخ في جوههم وتحنج وتثبت أن الله الخالق موجود، بل وتدلل على أنه المعبود الحق سبحانه وتعالى وإن العقل الذي لا يقدر صاحبه بذلك إنما يشهد عليه بأنه أخط من أحقر الحيوانات وتجد وثنيين قد ملتوا جوانب كثيرة من الأرض يقدرسون كل مخلوق ويعبدونه من دون الله، كالبقرة والنار والشجر والحيوان والنهر، بل حتى الفرج، وتجد كبار فلاسفتهم يعيشون مع الكلاب والقطط والدجاج في الغابات يعبدون غير الله، ويُعبَدون هم من دون الله.

وكنت أظن أن هؤلاء الوثنيين مثل وثنيي العرب الذين كانوا يعبدون الأوثان لتقربهم إلى الله، ولكني وجدتهم ينكرون إنكارا شديدا أن يكون هناك رب خلق هذا الكون، وهم في ذلك كالشيوعيين الملحدين ولا يختلفون عنهم إلا بأنهم يعبدون المخلوقات عبادة صريحة واضحة بل إنك لتجد جمهرة من المسلمين يعبدون القبور ويطوفون بها ويتمسحون بترابها ويدعون أهلها من دون الله!

وتجد كثيرا من أبناء المسلمين ملحدين لا يؤمنون بالله ورسوله واليوم الآخر، متبعين في ذلك ماركس ولينين وغيرهما نعم انهارت الدول الإلحادية ولكن الإلحاد ما زال موجودا والذي لا يؤمن بالله لا يؤمن بالغيب الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب، فلا يؤمن بوحى ولا رسالة ولا كتب -وآخر تلك الكتب والمهيمن عليها القرآن الكريم- ولا برزخ ولا بعث ولا حشر ولا حساب ولا صراط ولا ميزان ولا جنة ولا نار ولا ملائكة، لا شيء غير عالم الشهود فهل ترى أمثال هؤلاء الذين هذه حيلهم في مجال الإيمان يعيشون في نور أو ظلمات؟! وفتقد الإيمان بالغيب يكفي وحده للدلالة على أن صاحبه في ظلمات، وكل خير مفقود هو أثر لفتقد هذا المجال المجال الثاني: الحياة الاجتماعية.

الحياة الأسرية هي نواة الحياة الاجتماعية في كل الأمم، فإذا ما قامت الحياة الأسرية على أساس متين في علاقات بعض أفرادها ببعض، ابتداء من الزوجين اللذين يكون الزواج سكنا لهما وراحة وطمأنينة، بحيث يختار كل منهما صاحبه على أساس الدين الذي لا تستقيم الحياة الزوجية، ولا يحصل السكن لكل من الزوجين وثقة كل منهما بصاحبه إلا به، وقد يكون في بعض الأديان الباطلة شيء من الوسايا والآداب الزوجية، ولكنها لا تقوم على تقوى الله والخوف منه والرغبة في ثوابه، ولا تكون بذلك مطبقة في الواقع، وبخاصة عندما يكون الهدف من الزواج لكل من الزوجين المتعة المادية فحسب أو الكسب المادي، كقطع كل منهما في مال الآخر ونحو ذلك -أي عندما تطغى الأنانية والأثرة وهذا ما هو حاصل اليوم في خضم الحضارة المادية لذلك نجد الصراع والشقاق بين الأزواج وكثرة الطلاق وتشرد الأولاد، وانتشار الأمراض النفسية، وتعاطي الكحول والمخدرات والإدمان عليها، وفقد كل من الزوجين ثقته في الآخر، وانبنى على ذلك ما لا يحصى من الآثار الخطيرة.

من ذلك العزوف عن الزواج للتخلص من الارتباطات القانونية وتحمل مشقات تربية الأولاد -ماديا- وأصبح الآدميون يعيشون كما تعيش البهائم بل إن الزوج يرى امرأته وهي ترافق غيره، والمرأة ترى زوجها وهو يرافق غيرها، وقد يتآمر أحد الزوجين وعشيقه على الآخر، فيقتلانه ليتخلصا منه ويعيشا عيشة الحيوان برهة من الزمن، ثم يستبدل كل منهما بقريبه قرينا آخر وقد تنجب هذه المرأة أولادا فينسبون إلى زوجها وهو يعلم أنهم ليسوا بأولاده، كما لا توجد ثقة عند الأبناء بأن هذا هو أبوهم.

ولهذا يحاول كل من الآباء والأبناء التخلص بعضهم من بعض إما بالقانون -إذا أمكن- أو بالاعتداء على الحياة فإذا ما بلغ الولد -ذكرا أو أنثى- السن القانونية وكان والده يكره حياته معه، طرده من بيته إلى غير رجعة وليصادف في حياته ما يصادف، وإذا كان الولد يكره الحياة مع والديه أو أحدهما غادر المنزل وقد لا يلتقيهم بعد ذلك في هذه الحياة، وقد يقتل أحدهما الآخر، وكم من شيخ فان مات في منزله فلم يعلم بموته أولاده، وهم في مدينته أو حارته أو عمارته أو في مكان آخر؟! فلا يُعرف موته إلا برائحة جثته عندما تتخلل شقوق الأبواب والنوافذ فتنبه الجيران ليستدعوا الشرطة لترجيحهم من تلك الرائحة ولعدم ثقة كل من الزوجين في صاحبه وعدم ثقة الآباء في نسبة الأولاد إليهم، وعدم ثقة الأبناء في أن أولئك آباؤهم، ترى الغني الثري يقف ماله بعد موته على حيوانات أو غيرها، فإرا من أن يجوزها من لا يتق بنسبته إليه هذه بعض أحوال الأسرة التي هي نواة المجتمع، فكيف يا ترى يكون المجتمع المكون من هذه الأسر؟

كيف تكون الروابط بين أسرة الزوج وأسرته الزوجية؟ وكيف تكون الروابط بين الجيران؟ وكيف تكون الروابط بين الإخوان والأعمام والعمات والأخوال والحالات والأقارب الآخرين، إذا كانت تلك هي الروابط بين الأزواج والأبناء؟

هذا في الأقارب فما شأن الأبعد؟

إنه الدمار الذي يحطم الروابط المادية التي لا أساس لها من دين أو خلق، فلا يرحم قوي ضعيفا ولا يحترم صغير كبيرا فهل ترى أمثال هؤلاء الذين هذه حياتهم في المجال الاجتماعي يعيشون في نور أو ظلمات؟!
المجال الثالث: الحياة الاقتصادية والاقتصاد عند المتحضرين هو محور التنافس وميدان الصراع، يحطم القوي فيه الضعيف، وتقف وراءه حفنة قليلة من البشر تمتص به عرق العالم ودماؤه: عصابة يقبع أفرادها في مكاتبهم ويقعدون

على كراسيهم، ويديرون الاقتصاد العالمي كله بمكالمات هاتفية أو رسائل توكس أو فاكس، أو بريد إلكتروني، يتلاعبون بأسعار النقد وأسعار السلع ويحطمون اقتصاد دول وشعوب، وتبتلع شركات كبرى شركات صغرى، سلاحهم الأساسي في كل ذلك الربا الذي دمر العالم وحطمه.

يبني على هذا الجشع والاستغلال والتلاعب، أن يكدح البشر في العالم ويذل غاية طاقته في العمل من أجل أن تقطف ثمار عمله تلك العصابة المرابية، فتكون الدول والشعوب أسيرة لتلك العصابة، تأخذ منها أقصى جهدها، وتعطيها ما لا يقيم ضرورتها من المعيشة ويتمكن تلك العصابة الشريرة من السيطرة الاقتصادية واحتوائها للمال ومرافقه، أصبحت تسيطر على مرافق العالم من الإعلام بكل وسائله من الصحيفة إلى القمر الصناعي وما يتصل به، تخدمها الوكالات الإعلامية الكبرى التي تشتتها أو تشتريها بالمال والجاه والمنصب وإشباع الغرائز وبذلك تحكر المعلومات وتسرب منها ما تريد وتحفظ بما تريد، وتأتي التحليلات والتحقيقات متمشية مع مقاصدها، وكثيرا ما تُقلب فيها الحقائق وتُضلل بذلك الأمم والشعوب، وتخدمها أجهزة الإعلام في الدول المستضعفة، لأنها تتلقى مادتها الإعلامية من وكالاتها، فتنتشر بين الناس معلومات مضللة في كل المجالات، ولا يتنبه لذلك إلا قلة من الناس لا حيلة عندهم في كشف ذلك وفضحه بدون وسيلة إعلامية أمام تيار الوكالات المسيرة بذلك الاقتصاد، وسيأتي الكلام على مجالات أخرى للاقتصاد ودوره الفعال في التأثير عليها.

ومع الثراء الفاحش الذي تجمع في أيدي تلك العصابة، تجد الفقر المدقع قد أهلك مجموعات من البشر في جميع الدول بما فيها الدول المتحضرة (ماديا) يفترون الأرض ويلتحفون السماء، يتسكعون في الشوارع، لا يجدون من يشفق عليهم أو يرحمهم من أولئك الأثرياء، لا بصدقة ولا بوظيفة ولا بقرض حسن، فكثرت بسبب ذلك البطالة، لتسريح أولئك الأثرياء أعدادا هائلة من العمال، وبخاصة بعد أن حلت الآلة محل البشر، والذي يبقى في عمله من الضعفاء لا ينال من أجره إلا ما يوجد عليه به الثري الذي يستغل أقصى جهده في العمل، ولا يعطيه من الأجر إلا أقل القليل مما يستحق وهنا يأتي دور نقابات العمال التي تقوم بالمظاهرات وتلجأ إلى الاعتصام، وتتوقف في بعض المؤسسات الأعمال، حتى يتم الفاهم مع رب العمل والعمال فيعود العمل لفترة زمنية، ويتكرر النزاع بعدها من جديد وحدث عن الجوع الذي يقتل شعوبا بأكملها، والكوارث التي تقضي على بلدان كثيرة، فلا تجد من عصابات الثراء عوناً ولا إسعافاً، وبخاصة إذا كانت تلك الشعوب غير مرضي عنها لأمر من الأمور.

واليوم ظهر خوف الشعوب ذات الحضارة المادية المتقدمة - وكيف بغيرها؟ مما سمي بالعولمة، التي حقيقتها سيطرة الأقوياء على الضعفاء في كل المجالات: الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، والثقافية، والعسكرية، والإعلامية، وجعل الشعوب الضعيفة أشد ضعفاً، تقضي فيها الدول القوية على كل مقوماتها، بل تقضي على سيادتها، وتصبح الدول القوية تتحكم في كل شأن من شؤون حياتها فهل ترى أمثال هؤلاء الذين هذه حيلهم في المجال الاقتصادي يعيشون في نور أو ظلمات؟!

وإنما أغفلت ذكر المعسكر الشيوعي والاشتراكي - وإن كان موجوداً في الصين الشعبية بصفة خاصة، ومحافظاً على فلسفته الشيوعية التي تجعل الشعب كله خادماً بلقمة عيشه ومسكنه الجماعي لا يملك لنفسه شيئاً - لأن هذا المعسكر قد قضى بنفسه على نفسه لمخالفة نهج الفطرة والناموس مخالفة واضحة، وهو في طريقه إلى الزوال كما

حصل لما كان يسمى بالاتحاد السوفيتي. وها هي الصين اليوم تعلن تخليها عن نهجها الاقتصادي الشيوعي، وتأخذ بالنهج الرأسمالي، وإن زعمت أنها لا تزال على شيوعيتها. المجال الرابع: الحياة السياسية.

الحياة السياسية في العالم الذي يقال عنه: إنه متحضر تقوم -كغيرها- على أساس إبعاد منحه الله تعالى عن تسيير حياة البشر، وإحلال المناهج البشرية محله، وهو ما اشتهر بالعلمانية، والعالم الغربي منطقي مع نفسه في ذلك، بالنسبة للديانة النصرانية المخرفة بالإنجيل الذي بأيديهم ليس فيه ما يمكن أن يستند عليه في التشريع والسياسة والاقتصاد والاجتماع والقضاء وغيرها، حتى يقال للنصارى: احكموا بالإنجيل في سياستكم وأمر الله أهل الإنجيل أن يحكموا بما فيه، وكذا أمر أهل التوراة أن يحكموا بما فيها، المراد منه الاعتراف والإقرار برسالة الرسول -صلى الله عليه وسلم- التي وردت في الكتابين، وأنكرها اليهود والنصارى وكتموها، وليس المراد الحكم بكل ما فيهما بعد نزول القرآن الذي هو المهيمن على جميع الكتب السماوية، وقد بين ذلك المقسرون.. وأهل الغرب ليس عندهم - وخاصة ساستهم - استعداد لقبول تحكيم الإسلام حتى يبنوا حيالهم السياسية على مبادئه -لا سيما أن المسلمين أنفسهم لا يحكمون الإسلام في أغلب بلدانهم، فكيف يرجي من غيرهم أن يحكم به وهم بعيدون منه؟!.

لذلك قامت الحياة السياسية في الغرب -أوروبا وأمريكا الشمالية وما دار في فلكها من البلدان، كأستراليا واليابان- على مبدأ الديمقراطية التي يقال عنها: إن الشعب يحكم نفسه بنفسه إما بصفة مباشرة -وهذه حلم لم يتحقق إلى الآن- أو عن طريق نوابه الذين يختارهم، والأسلوب الذي تدار به السياسة في الغرب أسلوب جذاب في ظاهره وبخاصة إذا قورن بالسياسة الاستبدادية "الدكتاتورية" التي اتبعها المعسكر الاشتراكي والدول المسماة بالعالم الثالث. فإن الشعب في الغرب يختار نوابه ويختار قاداته بدون شراء الأصوات مباشرة وبدون تزوير واضح، وبدون مضايقة شرطية "بوليسية" يتنافس الزعماء الذين يرشحون أنفسهم لقيادة بلدانهم، فإذا اختير أحدهم سلم السابق الحكم للاحق بدون أي عناء أو مشقة، وهكذا تتداول الأحزاب الحكم بطريقة سلمية -بخلاف الزعماء الاستبداديين وأحزابهم، فإنهم لا يسلمون الحكم لخصومهم إلا بالسلاح ولكن هل هذه الصورة الظاهرة المفضلة على الاستبداد كما يراها الناس في ظاهرها حرة ليس فيها إكراه، ونزبهة ليس فيها خداع؟

والجواب: لا، فحريتها ظاهرة سطحية، ونزاهتها وهمية، فالأحزاب الغربية المسماة بالديمقراطية تضلل عقول الشعوب التي تنتخب الزعماء، عن طريق أجهزة الإعلام بتخطيط وتنظيم وتنفيذ معدة إعدادا محكما، من قبل مختصين في كل شأن من الشؤون التي تم تلك الشعوب، وأجهزة الإعلام هي التي تُشترى بدلا من شراء الأصوات مباشرة، وهي تكذب وتجعل الكذب في صورة صدق، والزعماء يكذبون ويظهر كأنهم في صورة صدق، إضافة إلى القدرة الأخلاقية التي يتبعونها في اتهامهم لخصومهم بالحق والباطل، مع ما يعد به الزعيم الشعوب من الإنجازات التي يتبخر كثير منها بعد وصوله إلى كرسي الحكم وإذا علمنا أن أغلب جماهير الشعوب غوغائية، لا تفكر ولا تحلل ولا تشغل عقولها بمصالحها، وإنما تسمع وتستخف وتُقلد، وأن الذين يقودون تلك الشعوب هم أفراد قلائل، أدركنا أن تلك الجماهير شبه مكرهة على انتخاب أولئك الزعماء، بسبب التضليل الذي تفعله أجهزة الإعلام وشياطينها، وبسبب الأكاذيب والشتائم التي يكيلها كل مرشح لخصمه، والوعود التي يقطعها على نفسه.

ويترتب على ذلك أن الحزب الحاكم له مناهج وخطط وأهداف، كثير منها ليست هي التي يطمع فيها الشعب الذي انتخبه، فيمنى الشعب بخسائر لم تكن بحسابه، وبخاصة ما يتعلق بالاقتصاد الذي لا يكون الرفاه إلا بازدهاره

كما أن أولئك الزعماء تكون لهم طموحات استعمارية وسياسية وعسكرية، فيجمعون بين أمرين:
الأمر الأول: التعالي على الشعوب الضعيفة وقهرها وأخذ خيراتها وجعلها مصدرا رخيصا للخامات التي يصنعها
وسوقا يشعل فيه غلاء بضائعه وصناعاته، فيدمر بذلك اقتصادها، وقد يدمر جيشها وسلاحها الأمر الثاني: توريث
شعوبهم -ليحققوا طموحاتهم- في حروب وعجز ميزانيتها بسبب إففاق الأموال على وسائل تخفيف تلك
الطموحات: من إففاق مبالغ هائلة على السلاح وما يتبعه وعلى تنفيذ خطط إعلامية وسياسية وغيرها، وبذلك
ترتفع الضرائب التي ترهق شعوبهم، بدلا من الرفاهية التي وعدوها بها والسبب في ذلك كله أن أولئك الزعماء
يتصرفون بدون رقيب داخلي، والرقيب الداخلي لا يكون إلا بتقوى الله وهي معدومة عندهم.

نعم توجد رقابة من البرلمانات والأحزاب المعارضة، وتعلن فضائح ولكن بعد فوات الأوان، ثم إن الرقباء الذين
يعارضون الحرب الحاكم إذا تولوا الأمور فعلوا كما فعل من سبقهم وهكذا... فهل ترى أمثال هؤلاء الذين هذه
هي حياقتهم في المجال السياسي يعيشون في نور أم في ظلام؟!
وهذا مع اعترافنا أن أساليب سياسة الدول الغربية الديمقراطية أفضل بكثير من أساليب الحكم المستبدة في الدول
المسماة بدول الشمال، أو دول العالم الثالث المجال الخامس: حياة تطبيق حقوق الإنسان عندما يتابع المرء ما يصدر
عن زعماء الغرب ومفكرهم وأجهزة إعلامهم، عما يتعلق بحقوق الإنسان ينقذح في ذهنه -إذا كان خالي الذهن-
ثلاثة أمور رئيسة:

الأمر الأول: أن حقوق الإنسان هذه مصدرها الغرب، فهو الذي ابتكرها، وهو الذي صاغها ووضعها، وهو حامل
لوائها وناشرها والداعي إليها الأمر الثاني: أن المقصود بالإنسان جنسه، بصرف النظر عن لونه أو دينه أو نوعه أو
أرضه فكل إنسان في الأرض يجب أن يتمتع بهذه الحقوق المنصوص عليها "بصرف النظر عن موافقة بعضها للإسلام
أو مخالفتها.. فهذا أمر آخر له موضوعه.

الأمر الثالث: أن حقوق الإنسان التي يدعون إلى تطبيقها بلغت من الكمال والسمو والدوام ما يجعلها جديرة
وحدها بالاتباع، وكل ما عداها من التشريعات لا تدانيها!
إن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان أقرته الأمم المتحدة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية التي دمرت العالم في مشارق
الأرض ومغاربها، بسبب الأطماع الاستعمارية الغربية "المتحضرة!" وقد سبقتها الحرب العالمية الأولى وهذا الإعلان
يؤكد على احترام حريات الشعوب والجماعات والأفراد دون تمييز (بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو
الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر، أو الأصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر،
دون أي تفرقة بين الرجال والنساء..).

وكان صلور هذا الإعلان سنة ١٩٤٨م أي أن المدة التي مضت لصدور هذا القانون ٥٣ سنة فقط، وقد مضى
على نزول القرآن الكريم أكثر من ١٤٢٢هـ. والقرآن والسنة والفقهاء الإسلامي المستبطن منها قد تضمنت من
حقوق الإنسان ما لم يحظره أحد من الناس، بالتفصيل الوارد في الإسلام، ليس في الكليات فقط وإنما في أدق
الجزئيات، ابتداء من وجود الجنين في بطن أمه إلى أن يوفيه الأجل، الفرد والأسرة والشعب والدولة، وليس المقام
مقام استعراض لذلك، لا لكلياته ولا لجزئياته، وقد كتب بعض علماء العصر في هذا الموضوع [أي في حقوق
الإنسان، ومنهم الدكتور علي عبد الواحد وافي، والشيخ محمد الغزالي، وغيرهم] وهو مفتوح للكتابة فيه والمقارنة

التي تجعل تلك المواد غير الوافية في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، بتفاصيل حقوق الإنسان الواردة في الإسلام يضاف إلى ذلك أن حقوق الإنسان المفصلة الربانية التي لا يعترها النقص قد طبقت فترة طويلة من الزمن، فأسعدت العالم الذي استظل بظلها: مسلمه وكافره، ولا تزال تنتظر من يطبقها بصدق لتنعم الأمم بما كذلك ولكن ما مدى تطبيق الدول المتحضرة لحقوق الإنسان التي أقرتها وتعاقبت عليها؟

إن نظرة خاطفة إلى تصرفات الدول المتحضرة في هذا المجال تظهر للناظر الأمور الآتية:
الأمر الأول: أن الجنس الأبيض الغربي لا يرى أي جنس آخر يقترب من مرتبه، وأنه هو وحده الذي يجب أن يسود، يتضح هذا عمليا، فصاحب اللون الأسود مكث فترة من الزمن بعد إعلان حقوق الإنسان لا يحق له أن يختلط بالبيض في المدارس والجامعات والقنادق والمطاعم، ولم يخف هذا التمييز إلا بعد كفاح مرير من السود في أمريكا، وإذا ما وصل السود إلى وظيفة حاكم المدينة بسبب كثرة أنصاره من السود، أخذت أجهزة الإعلام تمن على السود بما وصلوا إليه، وقبل سنوات فازت امرأة سوداء في الانتخابات النيابية لتكون عضوا في الكونجرس الأمريكي، فأحدثت أجهزة الإعلام ضجة كبيرة لتمن على تلك المرأة السوداء التي هي أول امرأة سوداء تدخل البرلمان الأمريكي وقبل سنوات رشح القس الأسود " جاكسون " نفسه في أول الأمر، ليكون رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية، ولكنه شعر من أول وهلة أنه لا يساوي صفرا على اليسار فانسحب مبكرا.

ولا زال حي "هارلم" في نيويورك سبة في جبين الغرب، وهو حي يسكنه السود الذين يراهم الزائر كأنهم في كوكب غير كوكب الأرض، من البؤس والشقاء والحرمان، ويجوز أن يكونوا هم غير طامحين إلى مستوى معيشي أفضل، ولكن الإهمال المتعمد من قبل الحاكم الأبيض له دور كبير في ذلك الشقاء، وهم على بعد أمتار من مبنى هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الراعي لحقوق الإنسان!

وفي الدول الأوروبية "المتحضرة!" تفرقة واضحة بين الإنسان المسلم والإنسان اليهودي، فالمجموعة الصغيرة من اليهود معترف بدينها في البلدان وتنال كامل الحقوق التي يناها أهل البلد نفسه، والعدد الهائل من المسلمين لا تعترف أكثر تلك الدول بدينهم الإسلامي ولذلك حرم المسلمون من الحقوق التي حصلت عليها الطوائف اليهودية!

بل إن الهجمة الشرسة على المسلمين الآن في بعض الدول الأوروبية تنذر بالخطر، فالقتل والاعتقال اللذان يعرض لهما المسلمون في بعض الدول الأوروبية -كفرنسا وألمانيا- وكذلك الاعتداء على بعض المراكز الإسلامية والمساجد على مرأى ومسمع من الحكومات الأوروبية يدل على أن حقوق الإنسان المسلم في أوروبا غير مرغوب في حمايتها، والحملة العنصرية تتصاعد ضد المسلمين كل يوم هذا على مستوى كل دولة على حدة فإذا نظرنا بعد ذلك إلى حقوق الإنسان في خارج الدول المتحضرة، رأينا من التحيز والفرقة بين إنسان وآخر وشعب وآخر وجماعة وأخرى، ما يكذب دعوى الغربيين بأنهم حماة حقوق الإنسان.

دعاة حقوق الإنسان يكرهون الإنسان على التخلي عن عقيدته

!

من حقوق الإنسان لدى الدول الغربية -وبخاصة أمريكا التي تزعم أنها حاملة لواء هذه الحقوق وحمايتها- عدم

إكراه الإنسان على عقيدة معينة. فهل وفي حماة حقوق الإنسان بهذا الحق؟! هذه أمريكا اليوم تسعى -وهي زعيمة الغرب- لإكراه أي دولة أو أي جماعة أو أي حزب في أي مكان في العالم، لإقامة منهاجها ونظامها ونشاطها على أساس علماني -بمعنى وجوب إبعاد أي تشريع مبني على أساس ديني عن حياة الشعوب- ومعلوم أن حياة المسلمين كلها يجب أن تبنى على أساس دينهم الذي نزل به كتابهم وجاءت به سنة نبينهم -صلى الله عليه وسلم.

وهم -المسلمون- يعتقدون جازمين أن الله قد فرض تطبيق أحكام القرآن والسنة في حياتهم، وأنهم إن جحدوا هذا الفرض فقد خرجوا من ملة الإسلام، وأصبحوا أشد بعدا عن الله من جميع كفار الأرض، وإن خالفوا ذلك مع اعتقادهم بأنهم عاصون لرهبهم، فقد ارتكبوا كباير الذنوب، ومع ذلك أصبح تطبيق الشريعة الإسلامية لدى أمريكا وحزبها (الغرب) جريمة وتطرفا وإرهابا، وانتهاكا لحقوق الإنسان، تُحارب -أمريكا- أي دولة تتجه لتطبيق شرع الله الذي تعتقد أنه مفروض عليها وعلى شعبها، تحاربها سياسيا واقتصاديا وتعليميا وإعلاميا ودبلوماسيا وعسكريا ومعنى هذا أن أمريكا وحزبها يفرضون على المسلمين فرضا ويكرهونهم إكراهها أن يعتقدوا أن حقوق الإنسان -المبنية على الكفر بشريعة الله وكتابه وسنة رسوله- هي الحق الذي يجب الإيمان به وتطبيقه، وأن يعتقدوا أن شريعة الله التي جاء بها القرآن والسنة باطل، لا يجوز أن تكون أساسا لأنظمتهم وحكمهم.

والدولة التي تطبق بعض أحكام الشريعة الإسلامية، يسلطون عليها وسائل إعلامهم ومنظماهم الرسمية وغير الرسمية، فتوصف بأنها دولة وحشية وإرهابية ومنتهكة لحقوق الإنسان...! فأين تطبيقهم لمادة حقوق الإنسان التي تنص على حرية الاعتقاد؟ لماذا لا يتركون المسلمين -وهم أهل الدين الحق الذي لم يبق دين في الأرض محتفظا بمرجعه الإلهي الصادق غيره- أحرارا في اعتقادهم وإيمانهم وتطبيق أحكام قرآنهم وسنتهم وشريعتهم ونظامهم الذي يختارونه؟ أليس هذا إكراهها للول وشعوب؟! أليس إكراه الدول والشعوب أشد من إكراه الأفراد؟!

دعاة حقوق الإنسان يجرمون الإنسان من المساواة التي منحها الله

والفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا استمرت عشرات السنين، والأوروبيون يلبسون كرامة السود وهم أهل البلد: قتلوهم وعذبوهم وسجنوهم واعتقلوهم وشردوهم، ودعاة التحضر وحماة حقوق الإنسان ينكرون ذلك في أجهزة الإعلام، ويمدون أبناء جسهم الأوروبيين بكل ما يريدون من مال وسلاح وغيرهما، بطرق خبيثة ماهرة، وبخاصة عن طريق ربيبتهم المشابهة للولة جنوب أفريقيا: دولة اليهود، ولا زالت الأغلبية السوداء صاحبة البلد تناضل من أجل حقوقها إلى الآن ولم تنلها. [كانت كتابة هذه السطور قبل تحرر جنوب أفريقيا من حكم البيض] والفرقة العنصرية اليهودية في فلسطين لا زالت جاثمة على صدور أهل البلد من الفلسطينيين الذين تداوس كرامتهم في منازلهم وشوارعهم ومساجدهم ومعقلاهم ومحيماتهم بكل وحشية، والدول الغربية المتحضرة تمد اليهود بالسلاح والمال والاقتصاد والدعم الكامل، سياسيا وعسكريا إذا اقتضى الأمر ذلك، أي إن حقوق الإنسان الفلسطيني مهذرة كحقوق الإنسان الأفريقي.

وتلك الهند تحتل أرض المسلمين في كشمير ورغم قرارات "مجلس الأمن" التي أعطت الحق للكشميريين في تقرير مصيرهم باستفتاء يجري بينهم، تقتلهم الهند وتسجنهم وتشردهم، والدول الغربية المتحضرة الحامية لحقوق الإنسان

تسمع وترى وتهمز كنتفيها غير عابثة بما يجري والمسلمون في بورما يقتلون ويشردون ويعذبون ويموتون جوعا، ودول الغرب المتحضرة حامية حقوق الإنسان تتفرج وكأن الأمر لا يعينها والأغلبية المسلمة في الحبشة وإريتريا تحكمها أقلية تتصرف في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، والدول المتحضرة حامية حقوق الإنسان تتفرج ولا تحرك ساكنا والأغلبية المسلمة في جنوب الفلبين تطالب بحقوقها، والدولة الصليبية تلوس كرامتها وتقتل وتشرد المسلمين أمام أعين حماة حقوق الإنسان فلا تتحرك ضمائرهم والأغلبية المسلمة في جنوب تايلاند تضطهد وتحرم من حقوقها أمام أعين حماة حقوق الإنسان!

والأغلبية المسلمة في البوسنة والهرسك تستأصل في بلدها من قبل الصليبيين الصرب والدول الغربية تنذر وتتوعد ولا تحرك ساكنا والمسلمون في ليبيا يذبحون وتقطع السنة أمتهم وقدم مساجدهم وتنهك أعراضهم، وحماة حقوق الإنسان يشاهدون دون أن يفعلوا شيئا!

لماذا كل هذا السكوت ولماذا يغض حماة حقوق الإنسان الطرف عن هذه المآسي، ولماذا لا يتدخل مجلس الأمن الظالم لنصر حقوق الإنسان المسلم لا سبب أماننا نراه إلا شيء واحد، وهو أن هذا الإنسان مسلم، لا قيمة له لأن المسلمين أذلوا أنفسهم لغير الله فرادوهم ذلا لكن حماة حقوق الإنسان لا ينامون ولا يهدؤون إذا ما انتهكت حقوق إنسان آخر غير مسلم أو انتهكت حقوق مسلم ولهم في التدخل لحماية حقوقه -في الظاهر- مصلحة، ومصلحة حماة حقوق الإنسان هي الخور الأساس وإليك بعض الأمثلة:

عندما أعلنت كرواتيا في هذه الأيام -كان هذا وقت اشتداد الاعتداء على المسلمين في البوسنة والهرسك- استقلالها عن صربيا، وأعلن الصرب الحرب ضدها قامت دول المتحضر الحامية لحقوق الإنسان بمحملة سريعة ضد صربيا، وأعلن مجلس الأمن "اللعبة" بعث قوة تفصل بين الدولتين وتم ذلك، ولكنها لم تفعل ذلك مع البوسنة والهرسك، وكلاهما دولتان اعترف بهما، وهما من دول يوغوسلافيا السابقة ويجاور بعضهما بعضا، فلماذا!؟

أعلنت دول الغرب المتحضر الحامي لحقوق الإنسان حربا إعلامية ضد حكومة السودان، بسبب قتلها موظفين سودانيين لدى الإدارة الأمريكية، لأنهما نصرانيان والغالب أنهما جاسوسان لأمريكا؛ لأن الحكومة السودانية سوغت قتلها بالخيانة العظمى وأعلنت الحرب الإعلامية ضد ليبيا بتهمة أن اثنين من الرعايا الليبيين فجرأ طائرة لوكوربي، وهددوا ليبيا بحرب عسكرية ولا زالوا أعلنوا حمايتهم لحقوق الإنسان الشيعي -الذي يظهر كراهته- في جنوب العراق من أجل أغراض خاصة لهم في العراق أعلنوا حمايتهم لحقوق الإنسان الكردي في شمال العراق وأدخلوا قواتهم لأجله -في زعمهم- ولكنهم (يجمونه من العراق ويسمحون لتركيا أن تطارده وتقتله وتشرده وتتابعه حتى في الأرض العراقية) عجب والله لحماة حقوق الإنسان الكردي من صدام حسين، وإهدار حقوقه للأتراك ما هذا المكيال الذي يكيل به حماة حقوق الإنسان!؟

دعاة الديمقراطية يحرمون الإنسان من الديمقراطية

!

وحدث عن حقوق الإنسان المسلم السياسية والديمقراطية ولا حرج لو تتبععت أجهزة إعلام الغرب وأحصيت منها يوما واحدا كلمة الديمقراطية وحدها لمألت بما كرر اريس إن الديمقراطية أحد المحاور الرئيسة التي يدندن حولها

الغرب المتحضر، ويلح على دول ما يسمى بالعالم الثالث على أن تطبق المنهج الديمقراطي الذي أساسه إعطاء الشعوب حرية اختيار حكامها.

ويحترم الغرب المتحضر فوز أي حزب يختار في الانتخابات -حتى ولو كانت مزورة مع انقاده للتزوير- ولكن الغرب المتحضر يحظر حظرا باتا، بأساليبه الخاصة وصلاته بحكام الشعوب الإسلامية النابذين لشرع الله، قيام أي حزب على أساس الإسلام، وإذا ما سبق السيف العذل فقامت جماعة إسلامية واختارها الشعب، حاربوا تلك الديمقراطية التي أهلت الجماعة المسلمة إلى أن تكون هي الحاكمة، وفسروا الديمقراطية التي ينادون بها بأنها ليست الديمقراطية التي تكون وسيلة لوصول الأصوليين إلى الحكم؛ لأن وصول الأصوليين إلى الحكم يعود بالنقض على الديمقراطية، وأوعزوا إلى أذناهم بحماية الديمقراطية الأصلية، بالجيش وأجهزة الأمن وفتح المعتقلات والسجون لمن اختارهم الشعب [ولا يخفى ما قام به تلاميذ أتاتورك العسكريون والمدنيون الأتراك بضغط من حماة الديمقراطية وحقوق الإنسان من محاربة حزب الرفاه الإسلامي الذي وصل إلى الحكم عن طريق الانتخابات الديمقراطية] الشعب مسلم اختار من يحكمه بالإسلام، فأين وضعتم حق هذا الشعب في حرية اختياره لحكامه يا دعاة حقوق الإنسان!؟

لقد اتخذ الغرب المتحضر لافتة حقوق الإنسان والديمقراطية والحرية وغيرها سلاحا لحماية حقوق الإنسان الغربي أو من له مصلحة في حمايته وإذا كانت أمريكا هي الدولة التي تقود الغرب في هذه الفترة، وتدعي أنها دولة حقوق الإنسان، فإن بعض قادتها يصرحون بأن مصالحهم هي التي تحدد مواقفهم، فبمقدار المصلحة يكون الموقف قال الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية ريتشارد نيكسون: (وأول واجب علينا أن نفعله هو أن نفرق بين مصالحنا الحيوية، ومصالحنا الحساسة، ومصالحنا الهامشية، ولا توجد دولة في العالم تستطيع أن تدافع عن جميع هذه المصالح طوال الوقت... وتكون المصلحة حيوية إذا كان فقدانها يهدد أمن الولايات المتحدة، فاستمرار استقلال أوروبا الغربية واليابان وكندا والمكسيك ودول الخليج مسألة حيوية لأمن بلادنا وكذلك لدينا مصلحة حيوية في أن لا تحصل الدول المتخلفة على السلاح الذري، وليس للولايات المتحدة الخيار إلا القوة المسلحة لتمنع تهديد مصالحها.

والمصلحة الحساسة هي التي تشكل تهديدا مباشرا لإحدى النقاط الحيوية... ولذلك تعتبر أمريكا الوسطى وكوريا من المصالح الحساسة للولايات المتحدة، ومن الممكن أن تلجأ الولايات المتحدة أحيانا في معالجة المصالح الحساسة، وكأنها مصالح حيوية وكنوع من الإستراتيجية الدفاعية أما المصالح الهامشية فهي الأمور التي لو سيطرت عليها قوى معادية فإنها تشكل تهديدا غير قريب لمصلحة حيوية أو مصلحة حساسة وعلى سبيل المثال فإننا لا نحب أن تحتل إحدى الدول المعادية دولة مالي، ولكننا لا نعتقد أن احتلال مالي سوف يكون له تأثير على مصالح الولايات المتحدة المهمة، ومن هنا فلا نفكر في استعمال القوة العسكرية لرد هذا الاعتداء إن إستراتيجيتنا الأمنية يجب أن تقيّم كل ما يمكن عمله طبقا لمستوى الأهمية لمصالحنا وإمكاناتنا وما نواجهه من أخطار فعلى سبيل المثال لا نرسل الوحدة ٨٢ المحمولة جوا للدفاع عن إحدى مصالحنا الهامشية في موريتانيا، ولكننا نفعّل ذلك بدون تردد للدفاع عن مصالحتنا في الخليج...) [كتاب الفرصة السائحة. ترجمة أحمد صدقي . دار الهلال]. وقد فعلوا!.

من هذا النص تعرف السبب في عدم التدخل في البوسنة والهرسك، لأن هذا التدخل ليس لأمرىكا فيه مصلحة لا حيوية ولا حساسة ولا هامشية؛ لأن المظلوم مسلم والظالم نصراني. اللهم إلا أن يقال: إن لها مصلحة هامشية، وهي أن سكوتها عن هذا الظلم يشوه سمعتها أمام العالم الذي تعلن له أنها حامية حقوق الإنسان، ولهذا تستنكر في أجهزة إعلامها هذا الظلم وتهدد -كذباً وزوراً- صربيا، وتحت على إغاثة المسلمين، فمصلحة الغرب هي الأساس.

[تدخلت أمريكا وأوروبا بجيوشها في البوسنة والهرسك بعد أن قتل مئات الآلاف من المسلمين وشردوا من ديارهم، وامتصت غالب أراضيها الصرب، ولا زال الصرب يحظرون على المسلمين عودتهم إلى ملتهم وقراهم التي تم الاتفاق على عودتهم إليها بموجب اتفاقية "دايتون" أمام سمع وبصر أوروبا وأمريكا] هذه هي يا أخي إشارة عابرة إلى صورة مجال تطبيق حقوق الإنسان، فهل ترى أمثال هؤلاء المتحضرين الذين هذه صفتهم يعيشون في نور أم في ظلام؟!]

ولو أطلقت للبراع الزمام لأطال في هذا الباب، ليظهر للجاهل أن العالم المتحضر! -المتخلف في ميزان الله ومنهجه الرباني- يعيش في ظلمات، وأنه في أمس الضرورة إلى أهل الحق ليخرجوه من الظلمات إلى النور. وإخراج الناس من الظلمات إحدى غايات أهل الحق التي يسابقون بها أهل الباطل إلى العقول وأكتفي بهذه المجالات الخمسة للتدليل على أن العالم المتحضر محروم من النور الرباني تحيط به الظلمات الشيطانية من كل جانب، وأنه يجب على أهل الحق السعي الجاد لإخراجه من الظلمات إلى النور وكما أن الكفر كله ظلمات، فإن الإسلام كله نور، قال تعالى: أَوْ مَنْ كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [الأنعام: ١٢٢]

وقد قارن القرآن الكريم بين ذوي العقول التي صاغها النور الرباني وأشرفت عليها أنوار وحيه، وبين ذوي العقول المظلمة التي أحاطت بها الظلمات من كل جانب، فقال الله تعالى في الفريقين: { اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } إلى أن قال جل وعلا: { وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بَقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ } { أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ

يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ } . [النور: ٣٥، ٤٠]

لا حرية للإنسان إلا بتوحيد الله

وبتوحيد الله تعالى يتحرر الناس من عبودية الشيطان والنفس والهوى، ومن كل العبوديات (المُذَلَّة) لغير الله تعالى، سواء كانت تلك العبوديات لمال أو جاه أو منصب أو امرأة، أو لأشخاص -أحياء كانوا أو أمواتا- وتتمحض عبوديتهم لله تعالى وحده، وتلك هي الحرية الحقة التي يبحث عنها الأفراد والأسر والأمم في كل الأزمان، وبخاصة في هذا الزمن الذي أصبح غالب الناس فيه يدعون أنهم أحرار، وهم مستعبدون استعبادا مذلا لغير الله تعالى وهل

يكون حرا من تستعبده شهوات نفسه فتجعله أسيرا لها، ساجحا في مستنقع ملذاتها المادية العاجلة، التي تحطم السدود الحامية لحفظ الدين والعقل والنفس والنسل والعرض والمال؟!!

هل يكون حرا من يفقد دينه بالإلحاد والكفر الصريح والردة عن الإسلام؟ وهل يكون حرا من ينسى الله عند الشدائد ويلجأ إلى الموتى في قبورهم يدعوهم ويستغيث بهم؟ وهل يكون حرا من يُنهب عقله بتناول المسكرات والمخدرات؟ وهل يكون حرا من يعتدي على الأُنفس والدماء، ولا يأمن هو من أن يعتدي على نفسه ودمه غَيْرُهُ دون قصاص أو رَدْع؟ وهل يكون حرا من ينفق ماله فيما يعود عليه وعلى أمته بالضرر ومن لا يأمن من الاعتداء على ماله؟ وهل يكون حرا من يُهْلِك نسله ويُعْدى على عرضه؟ وهل يكون حرا من يضع له غَيْرُهُ من البشر مناهجَ متناقضة لحياته في الاعتقاد والتشريع والحكم والخُلق والاقتصاد والسياسة والإعلام والحرب والسلام ونظام الأسرة والأدب والفن والرياضة... فيخضع لذلك كله، دون أن يكون له اختيار أو انتقاد أو تظلم؟! إن الحرية الحقيقية هي أن يكون قلب الإنسان عبدا لله وحده، لا يتلقى أمره ونهيه إلا من الله فيتجه بنشاطه وجهة واحدة، من غير تناقض ولا قلق أو اضطراب، متحررا من عبودية كل من سواه، فلا يكون عبدا للشيطان ولا للنفس ولا للهوى، ولا تتنازعه آلهة الشهوات المتشاكسة تنازعا يجعله في حيرة وريب.

ولقد ضرب الله مثلا لمن هو حر حقيقة بعبوديته لله تعالى وحده، ومن استعبده غيره من الآلهة المتعددة، فقال تعالى: { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } . [الزمر: ٢٩]

إن الآية تصور لنا رجلين:

أحدهما عبد مشترك للمالكين متعددين بينهم خلاف ونزاع شديد، كل شريك منهم يأمر ذلك العبد بأمر يخالف أو امر شركائه الآخرين ويصر على أن يطيعه في أمره، وطاعته لأحدهم معصية لأمر كل واحد من شركائه الآخرين، فلا يستطيع أن يرضي كل واحد من هؤلاء الشركاء، بل سيكونون كلهم ساخطين عليه، وسيعيش في حيرة وضنك وشقاء وثنائهما: عبد لرجل واحد لا يأمره ولا ينهيه إلا هو فأى العبدین أقرب إلى الحرية: الأول الذي فيه شركاء متشاكسون، أم الثاني الذي هو عبد لرجل واحد؟! المثل الأول لمن استعبده غير الله -أيا كان هذا الغير- والمثل الثاني لمن تمحضت عبوديته لله وحده، والله المثل الأعلى.

وإنك لترى الرجل الضعيف المغلوب على أمره، الذي اعتُديَ على نفسه وماله وعرضه وحرم من التمتع بحقه في الحياة فسجن أو أسر، وقد تمحضت عبوديته لله وحده، ولكنه حر قلبه مطمئن باله، وهو واقف مثل الجبل الراسي أمام الطغاة المعتدين الأقوياء غير مبال، وعنده إرادة قوية على تحرير جسمه من الأسر كما تحرر قلبه، لأنه يأوي إلى ركن شديد وترى الرجل الغني ذا السلطة والجند والجبروت، قد خضعت له الرقاب، ودانت له الأمراء ووقف بأبوابه الحجاب، فإذا سبرت أمره واختبرت سره، وجدته عبدا ذليلا لنفسه وشهوته وهواه، بل وجدته مستعبدا لبعض من هم في الظاهر عبيده، وهم أعوانه الذين يستند في طغيانه على عونهم، ويستجد في ملماته بهم، فهو في ظاهره سيد، وفي حقيقته عبد كالعبيد.

وفي معنى الحرية الحققة والعبودية المذلة قال ابن تيمية رحمه الله: (. .) فإن أسر القلب أعظم من أسر البدن، واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن، فإن من استعبد بدنه واستُرق، لا يبالي إذا كان قلبه مستريحا من ذلك مطمئنا، بل

يمكنه الاحتيال في الخلاص، وأما إذا كان القلب -الذي هو الملك- رقيقاً مستعبداً لغير الله، فهذا هو الذل والأسر الخض.. فالحرية حرية القلب، والعبودية عبودية القلب... إلى أن قال -: وكذلك طالب الرئاسة والعلو في الأرض، قلبه رقيق لمن يعينه عليها، ولو كان في الظاهر مقدمهم والمطاع فيهم... فهو في الظاهر رئيس مطاع، وفي الحقيقة عبد مطيع لهم.. [مجموع الفتاوى: (١٠ / ١٨٦-١٨٩)].

وبهذا يعلم أن الحرية التي يزعم ساسة الغرب ومفكروه- ومن اتخذ بهم من ذراري المسلمين- أنهم أهلها وحماها والداعون إلى تطبيقها، ليست هي الحرية الصحيحة التي ينشدها العالم اليوم، بل هي في حقيقتها عبودية مذلة لآلهة شتى يصعب حصرها. فهي من إطلاق الأسماء على غير مسمياتها، كإطلاق (لشروبات الروحية) على (الخمر) التي تذهب العقول وتسلب الأرواح والقلوب حياتها، وإطلاق (الحجور) التي يُشَبَّه بها دعاة الخير وهداة العالم [كقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: « أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم » . على من مسخوا الفطر ونشروا المنكر والخنا من المغنين والمغنيات والراقصين والراقصات.. وإطلاق لفظ (الملهمين) و(الرواد) على رجال السياسة الخرقاء الذين باعوا العباد والبلاد لأعداء الأمة الإسلامية....

تنبيه مهم

:

ومع أن العبودية لله هي الحرية الحقة، وعبودية ما سواه عبودية مذلة، فإن الكافر بالله المتصف بالعبودية المذلة لا يُكره على الدخول في الإسلام ليتحرر من تلك العبودية المذلة، وإنما يبين له الحق وتقام عليه الحجة، ثم يترك له الخيار بين الحريتين، لأن إكراهه على الدخول في الإسلام -بل في أي دين من الأديان- غير ممكن في الواقع لأن أصل الإيمان في القلب، ولا سلطان لغير الخالق على قلوب العباد، والذي يظهر دخوله في أي دين تحت الإكراه لا يكون مؤمناً في الحقيقة بذلك الدين، ولهذا قال تعالى: { لَأِ كْرَاهَ فِي الدِّينِ } و(لا) هنا نافية للجنس أي لا إكراه مشروع ولا إكراه واقع، بمعنى أن الإكراه على اعتقاد الدين غير مشروع، ولو حصل إظهار المُكْرَه دخوله في الدين المكروه على الدخول فيه فدخوله غير واقع في حقيقة الأمر، لأن الاعتقاد يكون بالقلب، ومن ذا الذي يقدر على إدخال أي دين إلى قلب أي إنسان لا يريد؟. ولهذا يطلق بعض الكتاب عبارة: (إن حرية الاعتقاد هي أول حقوق الإنسان). ومرادهم بالحرية هنا أن الإنسان يدخل في الدين باختياره ولا يمكن إكراهه على ذلك وليس مرادهم أنه حر القلب والعقيدة بالمعنى الذي شرحناه، ولهذا عنبر

تعالى من أظهر الكفر مكرها وقلبه مطمئن بالإيمان، كما قال تعالى: { مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } .

خامساً: غرس الإيمان بالغيب في النفوس إن الإنسان الذي لا يؤمن إلا بما تدركه حواسه، مباشرة أو بالآلات التي يصنعها، لا فرق بينه وبين الحيوان إلا بسعة أفقه، لما ركبته الله فيه من عقل وتصرف بأدوات تعينه على ذلك. وسعة أفقه هذه التي فرقت بينه وبين الحيوان، هي التي أهلته لمعرفة ما ظهر له من الكون القريب والذي لا يؤمن بالغيب لا يمكن أن يعبد الله، لأن الله تعالى من الغيب، ولا يعرف تعالى إلا بآثار خلقه المشهودة ووحيه والذي لا يؤمن بالغيب

لا يمكن أن يؤمن بالوحي الإلهي والكتب المنزلة والرسالة، ولا باليوم الآخر، ولا بللافتة المقربين؛ لأن ذلك كله من الغيب وعدم الإيمان بالغيب يفضي إلى تسيب الإنسان وعدم التزامه بمنهج الله، واتباعه هوواه، فيتصرف في حياته كما يشاء لا يرد عنه هوواه إلا القوة المادية القاهرة، فإذا ظن أن تلك القوة -كالشرطة والقضاء والعقوبات الرادعة- لا تناله أتى على كل ما يقدر عليه دون مراعاة لحقوق غيره، لأنه لا يؤمن بالله حتى يطمع في ثوابه ويخاف من عقابه، وهكذا يدمر ويفسد ولا يبالي شيئا.

ولهذا كان من أهم غايات أهل الحق في سباقهم إلى العقول غرس الإيمان بالغيب في نفوس الناس لتكون عقولهم مؤمنة، فيستجيبون لمراد الله منهم، فيأتون ما يرضاه ويتروكون ما يسخطه، سائرين على منهج الوحي والرسالة والشريعة الربانية ولهذا كانت أول صفات المتقين الذين يهتدون بهذا الكتاب "القرآن الكريم" الإيمان بالغيب، ولا يهتدي به من لم يؤمن بالغيب، كما قال تعالى: {الم} {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَأَرْيَبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ} . [البقرة: ١-٣]

وقال تعالى: {لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} . [البقرة: ١٧٧]

وقال تعالى: {وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} . [النساء: ١٣٦]

سادسا: تحكيم شرع الله في حياة الناس ومن أهم غايات أهل الحق في سباقهم إلى العقول إقناعها أو إقامة الحجة عليها، بوجوب تحكيم شرع الله تعالى في حياتهم لحفظ دينهم، ونفوسهم، وعقولهم، ونسلهم، وعرضهم، ومالهم، لأنه لا تُحفظ هذه الضرورات التي لا حياة للأمم بدون حفظها، ولا يوقى الناس شر الاعتداء عليها، ولا ينفي عنهم الظلم ويقر العدل إلا بتحكيم شرع الله وكلما ابتعد الناس عن شرع الله اقتربوا من الاعتداء على هذه الضرورات، فضلا عن غيرها من الحاجيات والتكميليات، وهذا أمر مشاهد في حياة الناس في كل زمان ولهذا كان أهل الحق في سباق شديد مع أهل الباطل إلى عقول الناس بهذه الغاية، ليستقر في تلك العقول ضرورة تحكيم شرع الله، ونبذ حكم الطاغوت؛ لأن حكم الله لا يجاي أحدًا: الغني والفقير، والرجل والمرأة، والفرد والجماعة، والحاكم واخلوم، كلهم أمام شرع الله سواء، يُعطي الحق صاحبه ويقف صاحب الباطل ويمنعه من باطله ولهذا كان تحكيم شرع الله والرضا به من الإيمان بالله وتوحيده، وهو من صميم دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومن اعتقد غير ذلك لم يفقه معنى القرآن ولا السنة ولا دعوة الرسل.

والذي يزعم أنه يدعو إلى التوحيد ويهمل دعوة الناس إلى تحكيم شرع الله، أو يجعل ذلك من الموضوعات التي يمكن تأخيرها وتأخير بيان حكمها، لم يفهم معنى لا إله إلا الله، لأن تحكيم شرع الله من توحيد الألوهية، ومن جوهر لا إله إلا الله والأنبياء عندما يدعون الناس إلى التوحيد والإقرار بمعنى: "لا إله إلا الله" يعلمون ويعلم أقوامهم أن ذلك يعني تحكيم شرع الله والتسليم المطلق لحكمه، وأنه لا خيار لهم في ذلك أبدا، لأن معنى "لا إله إلا الله" لا يقر حاكما غير الله -إلا من حكم بحكم الله- فالحاكم المطلق الذي لا معقب لحكمه هو الله فهذه الكلمة: "لا إله إلا الله" تشمل الاستسلام لله في كل شيء: في الأفسس والعقول والأنسال والأعراض والأموال وغيرها، لا يحكم في ذلك

كله إلا الله، وأي حكم صدر من غير الله يخالف حكم الله فهو حكم طاغوت لا بد من الكفر به، ومن أطاع حكم غير الله ورضي به بدلا من حكم الله، لم يؤمن بمعنى لا إله إلا الله.

فالإيمان بحكم الله ولا بد من الرضا به، والعبادة بحكم الله ولا بد من الرضا بها، والمعاملات الإسلامية الثابتة بنص من الله أو من رسوله -صلى الله عليه وسلم- حكم الله ولا بد من الرضا بها، والأخلاق بحكم الله ولا بد من الرضا بها، والحدود بحكم الله ولا بد من الرضا بها، لا بد من التسليم المطلق لله تعالى في كل حكم يحكم به ومخطئ من يظن أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- لم يدع إلى تحكيم شرع الله في العهد المكي، ويخلط هذا المخطئ بين معنى الدعوة إلى تحكيم شرع الله الذي هو من صميم توحيد الله، وبين معنى إقامة دولة تحكم بشرع الله فالدعوة إلى تحكيم شرع الله والاستسلام له دعوة إلى الإيمان بالله وإلى الإقرار بمعنى "لا إله إلا الله" وقد قام بها الرسول -صلى الله عليه وسلم- عندما دعا الناس إلى الإقرار بلا إله إلا الله وأما إقامة الدولة التي تحكم بالإسلام وتنفذه على رعاياها، فقد أخرجها الرسول -صلى الله عليه وسلم- -وما كان له إلا أن يؤخرها- إلى العهد المدني، حيث قويت شوكة المسلمين، وأصبح الرسول -صلى الله عليه وسلم- هو إمامهم في الصلاة، وقائدهم في الجهاد، وقاضيهم في الخصومات، والامر النهي في الدولة.

وإنما لم يسع لإقامة الدولة الإسلامية في مكة لأن أهلها كانوا أهل القوة المادية والنفوذ، وكان المسلمون ضعافا -ماديا- مضطهدين، يفتنون ويعذبون، ولم يكونوا قادرين على رد العلوان بمثله -وإن كانوا يرغبون رغبة شديدة في ذلك- بل فهمم الله عن قتال المشركين وأمرهم بالكف عن القتال وإذا كان كثير من العبادات والمعاملات والحدود وغيرها من الأحكام الشرعية قد تأخر نزول الوحي بها إلى العهد المدني، وكان الاهتمام في العهد المكي بالنواحي الإيمانية والسلوكية وبعض العبادات كالصلاة ونحوها، فإن الدعوة في العهد المكي اهتمت بجانب الاستسلام لله في كل شيء وهو معنى الإسلام ومعنى كلمة التوحيد، وذلك أصل التشريع الإلهي ومع ذلك فإن بعض الآيات المكية قد نزلت تنعى على المشركين وتذكر عليهم ما شرعوه لأنفسهم من تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله.

كما قال تعالى: { فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ } { وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرُّرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنْ كَثِيرًا لِيُضِلُّوْنَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ } { وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ } { وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ } .
[الأنعام: ١١٨-١٢١]

يلور كلام المفسرين لهذا الآيات على أمرين:

الأمر الأول: أن ما ذكر اسم الله عليه، هو ما ذبحه المسلمون أو أهل الكتاب وما لم يذكر اسم الله عليه هو ما مات حتف نفسه.

وكان المشركون من قريش يجرمون ما ذبح بالسكين ويحلون الميتة، ويرون أن ما ذبح قتله الإنسان، وما مات قتله الله، وأكل ما قتله الله أولى مما قتله الإنسان، سيرا على قياسات الشيطان الذي عصا ربه بها الأمر الثاني: أن المراد بما ذكر اسم الله عليه ما سمي الله عليه حين ذبحه، وما لم يذكر اسم الله عليه ما ذُكر عليه اسم الوثن ونحوه، وفي ذلك تفاصيل لا يتسع لها المقام. [راجع كتب التفسير، ومنها: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢ / ١٨٨) وما بعدها،

طبع دار الخير، والجامع لأحكام القرآن (٧ / ٧٢) وما بعدها للقرطبي [والشاهد منها هو كونهم يملون ما يريدون ويجرمون ما يريدون من عند أنفسهم، بدون هدي ولا بينة من الله، وهو تشريع يعارض تشريع الله، وتحكيم هواهم الذي يخالف تحكيم شرع الله وإذا عرفنا أن سورة الأنعام من السور المكية، ومنها هذه الآيات تبين لنا أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- أمر بالدعوة إلى تحكيم شرع الله في العهد المكي، وأن تحكيم شرع الله من الإيمان الذي لا تصح شهادة أن لا إله إلا الله إلا به.

ومثل ذلك قوله تعالى: { وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حِجْرًا لَّا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بَزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ } { وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِلذَّكَورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى الْأَرْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مِيتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَّهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ } . [الأنعام: ١٣٨-١٣٩]

وقد بين الإمام الأصولي العلامة أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي، المشهور بالشاطبي، في كتابه العظيم "الموافقات" أن الأصول الكلية للشريعة قد تضمنها القرآن الكريم في العهد المكي، وأن ما نزل بعد ذلك في العهد المدني من التشريع إنما هو مكمل لتلك الأصول المكية، وأن ما قد يبدو من التشريع المدني كليا إذا ما تؤمل حق التأمل وجد جزئيا بالنسبة إلى ما هو أعم منه، أو تكميلا لأصل مكي.

قال رحمه الله: (المسألة الثامنة. فنقول: إذا رأيت في المدنيات أصلا كليا فتأمله تجده جزئيا [قال الأستاذ محمد عبد الله دراز في الحاشية: " كالجهد فهو جزئي من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما سيقدره قريبا...]. بالنسبة إلى ما هو أعم منه، أو تكميلا لأصل كلي. [قال دراز: " كالنهي عن شرب الخمر تكميلا لاجتناب الإثم والعدوان كما سيقول...]. وبيان ذلك أن الأصول الكلية التي جاءت الشريعة بحفظها خمسة وهي: الدين والنفس، والعقل، والنسل، والمال أما الدين فهو أصل ما دعا إليه القرآن والسنة وما نشأ عنهما، وهو أول ما نزل بمكة وأما النفس فظاهر إنزال حفظها بمكة، كقوله تعالى: { وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ } . [الأنعام: ١٥١] { وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ { بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ } . [التكوير: ٨ - ٩] { وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ } . [الأنعام: ١١٩] وأشبه ذلك.

وأما العقل فهو، وإن لم يرد تحريم ما يفسده وهو الخمر، فقد ورد في المكيات مجملا، إذ هو داخل في حفظ النفس، كسائر الأعضاء ومنافعها، من السمع والبصر وغيرهما، وكذلك منافعها فالعقل محفوظ شرعا في الأصول المكية عما يزيله كسائر الأعضاء ساعة أو لحظة [قال في الحاشية: " لعل الأصل: (لا ساعة أو لحظة) ومعناه أن ما يزيل العقل رأسا هو من الضروري الداخل في حفظ النفس إجمالا، وأما حفظه على أنه يزول ساعة ثم يعود فيكون من المكملات...]. ثم يعود كأنه غطي ثم كشف عنه، وأيضا فإن حفظه على هذا الوجه من المكملات، لأن شرب الخمر قد بين الله مثالبها في القرآن، حيث قال: { إِمَّا يَرِيذُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ } [المائدة: ٩١] فظهر أنها من العون على الإثم والعدوان وأما النسل، فقد ورد المكي من القرآن بتحريم الزنا والأمر بحفظ القروج إلا على الأزواج أو ملك اليمين وأما المال، فورد فيه تحريم الظلم وأكل مال اليتيم والإسراف والبغي وقص المكيال أو الميزان، والفساد في الأرض وما دار بهذا المعنى وأما العرض الملحق بها فداخل تحت النهي عن إذايات النفوس.

ولم ترد هذه الأمور في الحفظ من جانب العدم إلا وحفظها من جانب الوجود حاصل، ففي الأربعة الأواخر ظاهر وأما الدين فراجع إلى التصديق بالقلب، والالتقياد بالجوارح، والتصديق بالقلب آت بالمقصود في الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر، ليفرع على ذلك ما جاء مفصلاً في المدني فالأصل وارد في المكي. والالتقياد بالجوارح حاصل بوجه واحد [قال الأستاذ دراز: أي متى وجد تكليف واحد بدني فإنه يتحقق به معنى كلي الالتقياد بالجوارح الذي هو أحد ركني الدين]. ويكون ما زاد على ذلك تكميلاً، وقد جاء في المكي من ذلك النطق بالشهادتين والصلاة والزكاة، وذلك يحصل به معنى الالتقياد.

وأما الصوم والحج فمدنيان من باب التكميل، على أن الحج كان من فعل العرب أولاً، وورثة عن أبيهم إبراهيم، فجاء الإسلام فأصلح منه ما أفسدوا، وردد لهم فيه إلى مشارعهم، وكذلك الصيام أيضاً فقد كانت الجاهلية تصوم يوم عاشوراء، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يصومه أيضاً حين قدم المدينة صامه وأمر بصيامه حتى نسخته رمضان، وانظر حديث عائشة في صيام يوم عاشوراء [مسلم (٢ / ٧٩٢)]. فأحكمتها التشريع المدني، وأقرها على ما أقر الله تعالى من التمام الذي بينه في اليوم الذي هو أعظم أيامه حين قال تعالى: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ } الآية، فلهما أصل في المكي على الجملة والجهاد الذي شرع بالمدينة فرع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو مقرر في مكة، كقوله تعالى: { يَا بَنِي آدَمِ اصْلُوا الصَّلَاةَ وَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ } وما أشبه ذلك. [الموافقات (٣ / ٤٦-٥٠) بتحقيق الأستاذ عبد الله دراز، والآية في سورة لقمان].

وإذا علم أن أصول الشريعة الكلية قد نزلت في العهد المكي، وما نزل في العهد المدني فهو متمم أو مفصل لها، علم أن الدعوة إلى التشريع الإسلامي والدعوة إلى تحكيم شرع الله من صميم الرسالة وأنها من الإيمان بالله تعالى وأن من اعتقد أن تحكيم شرع الله ليس من صميم التوحيد والإيمان فهو ضال جاهل لا يعلم دين الله حق العلم ولا يفقه حق الفقه، وفيما مضى كفاية لطالب الحق وهكذا كان أنبياء الله السابقون يدعون أقوامهم إلى تحكيم شرع الله تعالى، تطبيقاً لمعنى لا إله إلا الله، فشعيب عليه السلام -دعا قومه إلى توحيد الله وإلى تحكيم شرعه الذي هو من التوحيد في الكيل والوزن وغير ذلك من الحقوق المالية، فأنكر عليه قومه تدخله في شؤون حياقتهم وبخاصة المالية -وهو نهج العلمانيين في كل زمان، لا يستقر لهم قرار بوجود من يدعو إلى تحكيم شرع الله في حياة البشر، لأن ذلك يجرهم من اتباع أهوائهم وتحقيق شهواتهم، عن طريق تشريعهم لأنفسهم ما يحقق لهم تلك الشهوات.

قال تعالى: { وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَقْسُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ } { وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاعَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ } { بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ } { قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ } . [هود: ٨٤-٨٧]

تأمل ما أمرهم به شعيب: { اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَقْسُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ } وتأمل رد قومه عليه: { أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ } .

أمرهم نبيهم بالاستسلام الكامل لله في الإيمان والتصرف في الأموال، وكانوا عند ذلك كفاراً، ولو كان التشريع من عند أنفسهم في الأموال لا يدخل في الإيمان بلا إله إلا الله، لأخر الدعوة إليه حتى يؤمنوا بالله وحده، ولكن التشريع

من الإيمان ولذلك جعله في دعوته قومه إلى الله من أولويات تلك الدعوة، وفهموا منها أن التسليم المطلق لله يقتضي ترك عبادة غير الله والتقيد بشرع الله في تصرفاتهم فالتسليم لشرع الله إيمان، ولا إيمان بدون تحكيم شرع الله وتأتي بعد ذلك الآيات المدنية، لوضح توضيحا وافيا شافيا قضايا عملية تقرر فيها أن أعداء الإسلام من المنافقين - وهم الذين يمثلهم اليوم العلمانيون الذين يجارون الإسلام - لما لم يرضوا بتحكيم شرع الله ورضوا بحكم الطاغوت، حكم الله عليهم بالضلال البعيد مع ادعائهم أنهم مؤمنون، ووصف الضلال بالبعيد يدل على أنه ليس ضلال مؤمن يغفره الله له، كما نص تعالى على أنهم منافقون، ونفى عنهم الإيمان نفيا مؤكدا حتى يستسلموا لشرعه ويرضوا به.

قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أَتَى مِنَ الْقَبْلِ يُرِيدُونَ أَن يُتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا } { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى اللَّهِ مَا نُزِّلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا } { فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ تَمَّ جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا } { أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ } إلى قوله تعالى { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِلُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } . [النساء: ٦٠-٦٥]

وهذه الآية الأخيرة ذكر بعض العلماء أنها نزلت في الزبير بن العوام وخصم له من الأنصار، اختصما إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - في بعض الأمر، ومعنى ذلك أنها نزلت في مسلمين، وبذلك يكون الإيمان المنفي هو كمال الإيمان الواجب، وليس أصل الإيمان وقال آخرون: إنما نزلت في المنافق واليهودي الذين نزلت فيهما الآية الأولى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ } الآية، وأن اليهودي أراد الاحتكام إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - والمنافق أراد الاحتكام إلى غيره ويرى ابن جرير رحمه الله أن الآية الأخيرة ينسجم معناها مع الآية الأولى، ولا مانع من أن يكون فيها بيان لقصة الزبير والأنصاري.

قال رحمه الله: (وهذا القول - أعني قول من قال: عني به المحتكمان إلى الطاغوت اللذان وصف الله شأنهما في قوله: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أَتَى مِنَ الْقَبْلِ يُرِيدُونَ أَن يُتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا } { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى اللَّهِ مَا نُزِّلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا } { فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ تَمَّ جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا } { أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ } إلى قوله تعالى { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِلُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } . [النساء: ٦٠-٦٥])

فإن ظن ظان أن في الذي روي عن الزبير وابن الزبير - من قصته وقصة الأنصاري - في شراج الحرة وقول من قال في خبرهما، فنزلت: { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ } ما ينبي عن انقطاع حكم هذه الآية من قصة الآيات التي قبلها، فإنه غير مستحيل أن تكون الآية نزلت في قصة المحتكمين إلى الطاغوت، ويكون فيها بيان ما احتكم فيه الزبير وصاحبه الأنصاري، إذا كانت الآية دالة على ذلك، وإذا كان ذلك غير مستحيل كان إلحاق معنى بعض ذلك ببعض أولى، ما دام الكلام متسقة معانيه على سياق واحد، إلا أن تأتي دلالة على انقطاع بعض ذلك من بعض فيعدل به عن معنى قبله. [جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٥ / ١٥٩-١٦٠)]. وعلى هذا القول الذي رجحه ابن جرير رحمه الله يكون التحاكم إلى الطاغوت والنفور عن التحاكم إلى شرع الله كفرا، وإن كانت دلالة الآية يدخل فيها ما حصل للزبير والأنصاري، فإن ذلك يكون بيانا لنفي الإيمان الواجب وليس

لأصل الإيمان. [لأن الأنصاري وإن حصل عنده شيء من الامتناع من حكم الرسول -صلى الله عليه وسلم- للزبير لم يكن يريد التحاكم إلى الطاغوت، بخلاف المنافق.]

وعلى هذين المعنيين يمكن تنزيل الآيات الآتية:

{ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ }

{ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }

{ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } . [المائدة: ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧]

فالذي يحكم بغير ما أنزل الله معتقدا جواز ذلك، ولو حكم بما أنزل الله مع هذا الاعتقاد، فكفره كفر أكبر، وظلمه ظلم أكبر، وفسقه فسق أكبر، أي إنه ليس مسلما بل هو خارج عن ملة الإسلام.

والذين فسروا الكفر والظلم والفسق بالكفر الأصغر والظلم الأصغر والفسق الأصغر من السلف، لا بد أن يكون مرادهم بذلك من حكم بغير ما أنزل الله في بعض القضايا -لهوى أو صداقة أو أخذ مال ونحو ذلك- وهو يعتقد أنه قد عصى ربه بما فعل، وليس من استحل الحكم بغير ما أنزل الله صراحة أو دلت القران الظاهرة أنه يفضل حكم الطاغوت على حكم الله، فهذا لا يمكن أن يقصده السلف بكفر دون كفر أو ظلم دون ظلم أو فسق دون فسق، لأنه مؤمن بالطاغوت كافر بالله. والله تعالى يقول: { وَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أُعْبُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } . [النحل: ٣٦]

قال القرطبي رحمه الله: (قوله تعالى: { وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ } و { الظَّالِمُونَ } و { الْفَاسِقُونَ } نزلت كلها في الكفار، ثبت ذلك في صحيح مسلم من حديث البراء، وقد تقدم، وعلى هذا المعظم.

فأما المسلم فلا يكفر وإن ارتكب كبيرة، وقيل فيه إضمار أي ومن لم يحكم بما أنزل الله ردا للقرآن، وجحدا لقول الرسول عليه الصلاة والسلام، فهو كافر، قاله ابن عباس ومجاهد . فالآية عامة على هذا. قال ابن مسعود والحسن : هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين واليهود والكفار أي معتقدا ذلك ومستحلا له، فأما من فعل ذلك وهو معتقد أنه ركب جرم فهو من فساق المسلمين، وأمره إلى الله تعالى، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له) [الجامع لأحكام القرآن (٦ / ١٩٠)] وقال ابن القيم ، رحمه الله: (والصحيح أن الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكافرين، الأصغر والأكبر بحسب حال الحاكم، فإنه إن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله في هذه الواقعة، وعدل عنه عصيانا، مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة، فهذا كفر أصغر، وإن اعتقد أنه غير واجب وأنه مخير فيه، مع تيقنه أنه حكم الله [كما يفعله من يسمون بالمشرعين في هذا العصر] فهذا كفر أكبر، وإن جهله وأخطأه، فهذا مخطئ له حكم المخطئين). [مدارج السالكين: (١ / ٣٣٦)] .

وإنما كان تحكيم شرع الله من غايات أهل الحق في السباق إلى العقول، لأن تحكيم شرع الله يعصم الأمم من الزلل والفساد والظلم والظغيان، ويقيم العدل ويعطي كل صاحب حق حقه ويساوي بين الناس، فلا يجابي أحدا على أحد، وبه تستقيم حياة البشر ويحفظ الدين والنفس والعقل والنسل والعرض والمال، كما قال تعالى في فيمن حَكَّمْ شرعه: { وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ } { الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ } . [الحج: ٤٠ ، ٤١]

يضاف إلى ذلك أن حكم الله عبادة، يكفر من جحدها وحاربها، ولا يكون الإنسان موحدا لله إلا بإيمانه بذلك وأما

تحكيم غير شرع الله فهو تحكيم للبشر، والبشر تتحكم في تشريعهم الأهواء والجهل وعدم الإحاطة بالمصالح والغفلة والحسد والحب والكره وغير ذلك.

وبذلك ينتشر الظلم والفساد والقواحش والتناحر بين الناس، لأن قوانين البشر تتعارض بتعارض مصالحهم وأهوائهم وجاهلهم ويتصارع الناس على كراسي الحكم، فإذا غلب فرد فردا أو حزب حزبا أو دولة دولة، شرع الغالب ما يريد من القوانين التي يحكم بها المغلوب، فيظلمه ويسلبه حقوقه ويعيث في الأرض فسادا، لعدم وجود ما يضبطه من شرع الله، وذلك هو حكم الجاهلية { أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ } . [المائدة: ٥٠]

{ وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ } { وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ } { وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمُهَادُّ } . [البقرة: ٢٠٤، ٢٠٦]

سابعاً: تثبيت الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين والبراء من الكافرين ويسابق أهل الحق أهل الباطل إلى عقول الناس، بغرس الولاء وتشبيته لله ولرسوله وللمؤمنين والبراء من كل من حاد الله ورسوله والمؤمنين، عملاً بقوله تعالى: { إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا } إلى قوله: { وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ } . [المائدة: ٥٥-٥٦]

وبقوله تعالى: { لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } . [المجادلة: ٢٢]

ولعلمهم بأن هذا الولاء يجعل صاحبه يلور مع الحق حيث دار ولو خالفه في ذلك أقرب المقربين إليه، كأبيه وابنه.. كما هو واضح من آية المجادلة السابقة ولأن المنهج الرباني الذي جاء به الرسول من عند ربه هو الحق وكل ما خالفه فهو الباطل، والأصل في المؤمنین بهذا المنهج أن يكونوا على الحق. فالولاء لله ولرسوله وللمؤمنين هو ولاء للحق ولأن الحق يقوى ويثبت في الأرض بكثرة الموالين له المتناصرين عليه. فإذا قوي الحق وثبت سعد به أهل الأرض واهتدوا وكثر فيهم الصلاح الذي أساسه اتباع الحق، كما قال تعالى: { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ } . [التوبة: ٣٣]

وقال تعالى: { كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } . [البقرة: ٢١٣]

وبينات الحق يضمنحل الفساد الذي أساسه اتباع الهوى، كما قال تعالى: { وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ } . [المؤمنون: ٧١]

ومن أمثال القرآن لنبات الحق وما يترتب عليه من صلاح، واضمحلال الباطل وما يترتب على وجوده من فساد قوله تعالى: { أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِلُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ

ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ { . [الرعد: ١٧]

وغني عن البيان أن أهل الحق -رعاة ورعية- لا يخشون من الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، اعتداءً من قوي على ضعيف أو خروجاً من رعية على راع، بل ولا يخشى أهل الباطل من ولاء المؤمنين لله ورسوله ظلماً ولا هضمًا ولا عدواناً، لأن الله بعث رسوله بالحق الذي يعطي كل ذي حق حقه. [وليس في جهاد قادة الباطل الذين يجارون الدعاة إلى الله وتبليغ الناس رسالة الله وصددهم عن سماع البلاغ المبين، ومنعهم عن الدخول في دين الله بعد أن يتبين لهم أنه الحق، ليس في ذلك اعتداء على أولئك القادة، بل فيه إخراج للبشر من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وإنقاذهم من النار إلى الدخول في جنات النعيم...]

فالمؤمنون يتعاونون على البر والتقوى وينصر قويمهم ضعيفهم: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ } . [الحجرات: ١٠] »
المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً . [اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان: (ص: ٧٠٣ رقم: ١٦٧٠) .]
ويقيمون العدل فيما بينهم وفيما بينهم وبين عدوهم، كما مضى في مثل قوله تعالى: { وَكَأَيُّ جَرْمِكُمْ شَنَّانٌ قَوْمٌ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ } . [المائدة: ٨]

نماذج من الأخلاق الفاضلة

ولنذكر شيئاً من الأخلاق الفاضلة التي يتصف بها أهل الحق، وقد يتصف ببعضها أهل الباطل، ولكن ليس كاتصاف أهل الحق بها، لأن أهل الحق يمتازون عن سواهم في الاتصاف بالأخلاق الفاضلة بميزات لا توجد في غيرهم، كما مضى. ومن تلك الأخلاق:

أولاً: الإخلاص في الأعمال أي إنهم يريدون بأعمالهم وجه الله وحده، فلا يتصفون بخلق ولا يعملون عملاً يريدون من ورائه مدحاً ولا ثناء من غير الله، ولا جاهاً أو منصباً أو مالا أو غير ذلك من المخلوقين، كما قال تعالى: { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } . [البينة: ٥]
والذي يعمل العمل مخلصاً لله لا يترك عمله من أجل هوى أو شهوة أو تقرب لأحدٍ من الخلق. [وقد فصلت القول في أهمية الإخلاص وصعوبته والأسباب المعينة على الاتصاف به في كتاب: الإيمان هو الأساس، في مبحث: الإيمان باليوم الآخر، فليراجع من شاء...]
ثانياً: الترام الصدق .

وخلق الصدق في الإنسان يجعله مستقيم السيرة مع ربه ومع الخلق: يصدق في إيمانه وفي عبادته، وفي معاملاته مع أسرته، ومع جيرانه ومع مجتمعه كله، وباستقامة الناس على هذه السيرة المبنية على الصدق تستقيم الحياة والصدق شرط أساسي في أهل الحق الذين يسابقون أهل الباطل إلى العقول بحقهم، فلا يقبل الحق الإلهي إلا الصادقون، ولا يحمله إلا الصادقون، ولا يدعو إليه ويتأثر في الدعوة إليه إلا الصادقون، ولا يصبر على البلاء في السباق إلى العقول بالحق إلا الصادقون فالصادقون هم أهل الحق الذين يَحْيُونَ صادقين، مهما كلفهم الصدق من تبعات، ويموتون على الصدق، لأنهم يعلمون أنه لا ينفع عند الله إلا الصدق، ولا يبقى الحق في الأرض إلا بالصدق، ولا حق بدون صدق، كما أنه لا صدق بدون حق ولما كان الله تعالى هو الحق، وهو مصدر الحق أسند إلى نفسه الصدق، ونفى أن يكون أحد أصدق منه كما قال تعالى: { قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } . [آل

عمران: ٩٥]

وقال تعالى: { وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا } . [النساء: ٨٧]

وقال تعالى: { وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا } . [النساء: ١٢٢]

والصدق من صفات أولي العزم من الرسل الذين يسألهم الله يوم القيامة عن صدقهم إقامة للحجة على من كذب بالصدق، ولا يكذب بالصدق إلا الكاذبون قال تعالى: { وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا } { لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا } . [الأحزاب: ٨]

وقال تعالى: { وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } . [الزمر: ٣٣]

وأهل الحق الصادقون ينفعهم صدقهم عند الله يوم يلقونه في الدار الآخرة، كما قال تعالى: { هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } . [المائدة: ١١٩]

وإنما كان للصدق هذه المنزلة العظيمة لما يترتب عليه من الآثار السامية، فإن صاحبه يصدق ربه في إيمانه وفي عبادته، فلا يكون منافقا يظهر خلاف ما يبطن، ولا مراثيا يعمل العمل الذي ظاهره الصلاح من أجل أن يراه الناس فيحملونه، فإذا خلا بنفسه بارز الله بخلاف ذلك، ويصدق الناس الذين يتعامل معهم في أي موقع كان، حاكما كان أو محكوما، خادما كان أو محدوما، أبا كان أو ولدا، يصدق فعله قوله، فتسري الثقة بين الناس بالصدق، ولا يتوجس أحد من آخر خيفة بسبب الكذب. إيمانه صادق وجهاده بأعز ما يملك: (ماله ونفسه)، صادق كما قال تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَلُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } [الحجرات: ١٥]

ويظهر هذه المنزلة العظيمة للصدق: الكذب الذي هو من أبرز صفات أعداء الله من الكافرين والمنافقين، وإمام الكاذبين هو إبليس الذي يعدهم ويمنيهم ويكذب عليهم ويغيرهم بالكذب، فيضلهم عن الحق حتى يكذبوا به ويصدقوا الباطل، فإذا جاء اليوم الذي لا ينفع فيه إلا الصدق وعابوا جزاء التكذيب بالصدق، بث حقه وأظهر ازدرائه لهم وأنزل الحسرة في قلوبهم وتبرأ منهم فعرفوه على حقيقته، كما قال تعالى: { وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ سَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ } { وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ وَوَعَدْتَكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا

أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [إبراهيم: ٢١ ، ٢٢] أصل الصراخ: الصوت الشديد، والصراخ: المستغيث. والمصرخ -على وزن المكرم- المغيث تأمل قول الله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ وَوَعَدْتُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ } أي إن الله الحق أمركم بالحق ووعدكم على الإيمان به وفعله وعدا حقا، وهو رضاه عن أمن بالحق وفعله، وصدق الله في وعده فأتاب أوليائه رضاه وجنته، كما قال تعالى بعد الآية السابقة: { وَأَدْخِلِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا يَذُنَ رَبُّهُمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ }

أما إبليس فقد صدّهم عن الحق وأغراهم بالباطل، ووعدهم في الدنيا بالسعادة إذا هم اتبعوه، وذلك كله كذب وافتراء، فلم يُعملوا عقولهم ويفكروا بما ليعرفوا صدق الرسول -صلى الله عليه وسلم- وكذب الشيطان، فاتبعوا خطوات الشيطان، فكانت تلك عاقبتهم في الآخرة: عذاب الله الذي لا يغني عنهم منه أحد من قادة الكفر والاستكبار الذين كان خطاب إبليس خيبة أمل لهم جميعا في ذلك الموقف الرهيب.

وهذا هو جزء كل من اتبع أهل الباطل من زعماء الضلال الخارئين لله ولرسوله، الذين دأبهم الكذب على أتباعهم في دينهم وديناهم يكفرون بالله ويحاربون شريعته، ويحلفون الأيمان المغلظة بأنهم هم المؤمنون: { إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ } { اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } . [المنافقون: ١-٢]

ويفسدون في الأرض بتأييد الكفر والكافرين وموالاتهم، ونشر الفسق والفجور وتيسير سبل ارتكاب الفواحش والمنكرات والمحرمات، ومناصرة الظلم والظالمين، وحجب العدل عن الضعفاء، والانغماس في الترف المهلك الذي يعينهم عليه السلطان والمال، ومحاربة أهل الحق والصالح الذين يدعون الناس إلى الحق والصالح، ويحذرونهم من المنكر والفساد، ويضلل أولئك المفسدون جماهير الناس المغفلين بقلب الحقائق، وبالكذب المتكرر منهم على تلك الجماهير مزينين لهم أعمالهم منفرين لهم من سماع ما يدعوهم إليه أهل الحق، ويدعون أن فسادهم صلاح وصلاح أهل الحق فساد، كما قال تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُ قَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَيْهِ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ } { وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ } { وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ } . [البقرة: ٢٠٤، ٢٠٦]

{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ } { أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ } . [البقرة: ١١-١٢]

وإذا كان يترتب على الكذب واتباع أهله ذلك الجزاء الأخروي، فإنه يترتب عليه في الدنيا أيضا الفوضى والاضطراب وسوء العاقبة والحن التي تنزل البشر زلزالا شديدا في كل شؤون حياتهم الأضرار الرئيسية المترتبة على الكذب ولو أردنا استعراض الأضرار المترتبة على الكذب لطال الكلام على ذلك ولذلك نكتفي بالأضرار الرئيسية الآتية:

الضرر الأول: القول على الله بالباطل بعلم أو بغير علم وهذه صفة علماء السوء من أهل الكتاب ومن اقتدى بهم من هذه الأمة، كما قال تعالى: { فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ } . [البقرة: ٧٩]

وصفة الجهلة من المشركين أيضا، كما قال تعالى: { قُلِ الَّذِينَ كَفَرُوا حَرَّمَ أَمْ الْآثِنِينَ أَمْ لَنْتَيْنِينَ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } . [الأنعام: ١٤٤]

الضرر الثاني: تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل وهو مترتب على القول على الله بعلم أو بلا علم، مع نسبة ذلك إلى الله تعالى كذبا وبهتاناً، فيجمعون بذلك بين الكذب والافتراء على الله -عن علم أو عن غير علم- وتحريم الحلال وتحليل الحرام، ويدخل في هذا كل حلال وحرام. أو محاربة دينه وشريعته بإنكارهما، وادعاء حق التشريع ادعاء

صريحاً، ويصدرون الأنظمة والقوانين التي تحرم ما أحل الله للناس وتضيق عليهم ما وسع الله لهم، أو تحلل ما حرم الله من المعاصي المتنوعة بحسب الأهواء في التحليل والتحرير مع الضرر الثالث: الكذب السياسي المدمر.

وهذا يحصل من الطغاة الخاربين للحق وأهله، عندما تعوزهم الحجة ويصرعهم برهان الحق، ومن الأمثلة الواضحة على هذا موقف فرعون من دعوة موسى وأخيه هارون عليهما السلام، فقد حاول محاوره موسى فغلبه موسى، و حاول الاستعانة عليه بالسحرة والحشود الجماهيرية فغلبه موسى، فليجأ إلى الكذب والافتراء مدعياً أن موسى إنما جاءهم بما جاء به ليستولي على الحكم ويخرج أهل مصر من بلادهم ويتكبر عليهم - كما يقول المثل: "رمتني بدائها وانسلت".

قال تعالى عن فرعون - بعد ذكره حواراً طويلاً معه: { قَالَ لِلْمَلِكِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ } { يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ } { قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ } { يَا تَوَكُّبْ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ } { فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ } { وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ } { لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْعَالِينَ } { فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَمَّا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْعَالِينَ } { قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ } { قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ } { فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالِيُونَ } { فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ } { فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ } { قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ } { رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ } { قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ }

إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأَصْلَبَنَكُمْ أَجْمَعِينَ } { قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ } { إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ } [الشعراء ٣٤ - ٥١] إلى قوله تعالى: { فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ } { وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ } [الشعراء: ٥٧ - ٥٨] و { وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ } { ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ } [الشعراء: ٦٥ - ٦٦]

تلك هي عاقبة أهل الباطل الكاذبين من الطغاة الذين يدمرون أمهم بكنهم عليهم، كما حصل لفرعون وقومه، وهذه هي عاقبة أهل الحق الصادقين الذين ينصحون لقومهم ويبلغونهم الحقائق، بدون زيف ولا افتراء كما حصل لموسى - عليه السلام - ومن معه.

وما أكثر صنف فرعون وقومه الذين يكذبون على أمهم في كل شيء ويستخفونهم فيطيعونهم، ويجاول أهل الحق إنقاذهم من سياسات أولئك الطغاة، فوضع أمام محاولاتهم العقبات، ثم لا يتبين القوم كذب سياساتهم إلا عندما ينزل بهم الدمار، فيندمون ولات ساعة مندم. وهذه الأمم اليوم تساق إلى دمارها وهلاكها بكذب طغاتها عليها وقلبيهم الحقائق لها، وهذه الشعوب في الأرض تُدمر في دينها ونفسها وعقلها ونسلها وعرضها ومالها، ولا تعتبر بما جرى ويجري من المصائب النازلة بها، ولا زالت تسير وراء طغاتها كالشياه وراء الراعي الأحمق، لم تستتب رسلها الذي دعاها إليه الصادقون من رجالها، على حد قول دريد بن الصمة:

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى ... فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد

أمثلة لكذب الطغاة المدمر للشعوب ولا بد من ذكر بعض الأمثلة الواقعة لتنبه العقول الغافلة بها، فقد عميت

بصائر الأمم عن الاعتبار بمن سبقها في الأمم الماضية، ولعل في التذكير بالواقع ما ينبه تلك العقول الغافلة:
المثال الأول: الثورة الكمالية التي خطط لها اليهود والنصارى، للإجهاد على ما بقي من رمز الخلافة الإسلامية التي حملها بنو عثمان.

فقد ضعفت هذه الخلافة، حتى أصبحت تسمى بالرجل المريض، واحتل أعداء الإسلام من الصليبيين الأوروبيين عاصمة الخلافة (الأستانة) وقد أخرجوا صنما أحاطوه بمالة من العظمة والانتصارات - وكان الخليفة سجينا في دار الخلافة- حتى انقضت آمال المسلمين الذين ظنوا ذلك الصنم مجددا لمعركة بدر، وجهاد صلاح الدين، وتحيلوا الملائكة وهي تحفه بالنصر في السماء وكتائب الجهاد ترفع رايته الأرض، فمدحه الشعراء وأثوا عليه ثناء عطرا، كما قال فيه شوقي :

الله أكبر كم في الفتح من عجب ... يا خالد الترك جدد خالد العرب
يوم كبر فخيّل الحق راقصة ... على الصعيد وخيل الله في السحب

وأخذت أجهزة الإعلام المتاحة في تلك الفترة تكيل المديح للقائد المنتصر، والقدهم والذم للخليفة المغلوب على أمره، الذي بقي يصارع المساومات اليهودية الصليبية إلى آخر لحظة من ولايته.

وبذلك سوغ الكذب والتضليل لقرعون الترك الصغير أن يقضي على رمز الخلافة ويفصل الدين عن الدولة - كما أراد ذلك اليهود والصليبيون- ويطرد الخليفة وأسرتة إلى خارج حدود تركيا، ويحارب الإسلام وأهله حربا بلا هوادة فيها. ولا زال أتباعه يحدون حذوه في محاربة الإسلام والمسلمين، ليضاعفوا له الوزر الذي سيتضاعف لهم كذلك. (١)

وعند ذلك استيقظ الغافلون عن المكر اليهودي الصليبي، وأخذوا يوحون على الخلافة والخليفة والإسلام ويحاولون محاولة فاشلة، أن يجلوا لعودتهما سيلا، وهيهات، وذاق المسلمون بعدها أقسى عقاب وأعظم ذل. فناحوا وبكوا، وهل يعيد الموتى النواح والبكاء؟!
وهنا قال شوقي في الخلافة التي أطاح بها خالد الترك!:

عادت أغاني العرس رجع نواحي ... وتُعيّت بين معالم الأرواح
كفنت في ليل الزفاف بثوبه ... ودُفنت عند تبلج الإصباح
ضجت عليك مآذن ومنابر ... وبكت عليك ممالك ونواح
الهند والهة ومصر حزينة ... تبكي عليك بمدمع سحاح
والشام تسأل والعراق وفارس ... أحما من الأرض الخلافة ما ح؟

[راجع هذا المعاني في: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر. (٢٢٥) طبع دار الإرشاد في بيروت، للدكتور محمد بن

محمد حسين] _____

(١) وما يفعله العسكر وحلفاؤهم في تركيا اليوم من حرب للقرآن ومدارسه، والمساجد وأئمتها، والدعاة إلى الله وأنصارهم، غير خاف على أحد.

وأما كيف خدع للمسلمين مصطفى كمال أتاتورك ، وكذب عليهم حتى صدقوه ودعموه، فيكفي نقل هذا المقطع من كتاب: تاريخ الدولة العثمانية (١) : (وكما أن الغربيين قد نجحوا في مخططهم وجعلوا العالم الإسلامي كله يسير فخورا بضع سنوات وراء الثورة الكمالية، فقد استغل مصطفى كمال عواطف المسلمين وأموالهم إلى أبعد حدود الاستغلال، وكسا ثورته لباسا إسلاميا، سواء بأحاديثه وتصريحاته وخطبه أو بمعاملته لزعماء المسلمين، فمن ذلك أنه استعان بالزعيم الليبي الشهير أحمد السنوسي وجعله مستشارا له، وكان يرق إليه، كما قال لي صديقي الأمير شكيب أرسلان ، إذا أراد شن هجوم على مكان ما قاتلا: إننا ننوي الهجوم غدا أو بعد غدٍ على مكان ما، فافروا البخاري الشريف على نية النجاح والتوفيق واستغل أيضا أعمال وأقوال جمعية الخلفاء الهندية التي قامت برعاية الأخوين شوكت علي ومحمد علي واستغل الشعراء فمدحوه، والأدباء فأنثوا عليه، ومشايخ الطرق فرفعوه إلى مقام الولاية [ولا زال بعضهم يؤيد علمانيته إلى اليوم. وهكذا يستغل الطغاة المحاربون للإسلام بعض المنتسبين إلى العلم والأدب للإشادة بهم حتى يغتر بهم عوام الناس فيؤيد الطواغيت] _____

(١) للأستاذ محمد فريد بك الحامي تحقيق الدكتور إحسان حقي دار النفائس ص ٧٥٤ وما بعدها.

كان مصطفى كمال يظن غير ما يظهر وينوي أن يفعل غير ما يقول، إذ إنه ما كاد ينتصر نهائيا ويطمئن إلى مصيره، حتى ألغى الخلافة وطرد الخليفة من البلاد وطرد السيد أحمد السنوسي ، وتكر لكل القيم الإسلامية وسار بسيرة ليس فيها أي مصلحة للإسلام ولا للمسلمين، لا بل ليس فيها أية مصلحة لتركيا نفسها، فهذا هو تركيا بعد مضي ستين سنة على هذه الثورة، ما زالت بلدا ناميا ضعيفا، لا حول له ولا طول، فالحركة العلمية فيها ضعيفة، والأمية سائدة، والحياة الاجتماعية متأخرة والحالة الاقتصادية في الحضيض، وكل ما فعلته هذه الثورة إنما شغلت الناس بأمور جانبية تافهة مثل إلغاء الطربوش، وسفور النساء، ولو كان هذان الأمران تركا للزمن لتكفل بتحقيقهما من غير ثورة كما حدث في كل البلاد الإسلامية...]. [ولا زال الكماليون مصرين على تطبيق العلمانية المعادية للإسلام والمخاربة لأهله في تركيا ويضايقون دعاة الحكم بالإسلام، بل بلغ بهم الأمر أن يغلقوا مدارس تحفيظ القرآن الكريم، ويتخذوا كل الوسائل للقضاء على تعليم الشباب المسلم العلوم الإسلامية، ومن ذلك إغلاقهم معاهد الأئمة والخطباء، وعدم اعترافهم بشهادات الجامعات الإسلامية في عواصم

الإسلام، كالأزهر والجامعة الإسلامية وغيرهما، ولكن الصحوة الإسلامية تشق طريقها إلى إعادة مجد الإسلام ورفع رايته وسينصرهم الله على أعدائهم].

المثال الثاني: الثورة الناصرية في مصر التي اتخذ زعماءها الإسلام واجهة لثورتهم، والقومية العربية شعارا لهم، وعلى رأسهم عبد الناصر الذي اخفى وراء كبار الضباط في أول الأمر، واغتر بهم دعاة الإسلام بسبب كذبهم ووعودهم التي قطعوها على أنفسهم، بل إن عبد الناصر بايع المرشد العام للإخوان المسلمين " حسن البنا "، ثم خدعهم وقلب لهم ظهر المنجن، وكان من أهم أسباب نجاح ثورته مناصرتهم له، اعتمادا على أن ولاءه وولاء الضباط الأحرار كان في الأصل للإسلام ودعائه، وكانت التسمية نفسها "الضباط الأحرار" قد أطلقها الإخوان الذين كانوا مسؤولين عن الضباط، ولكن عبد الناصر الذي بايع المرشد العام وصار تابعا للمسؤول الذي عينه الإخوان للإشراف على

الضباط الذين انضموا للحركة الإسلامية وارتبطوا بها، كان يخطط في الخفاء لسحب الولاء له شخصياً، بدلا من الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، وكافأ الإخوان الذين خدعهم وأقام الثورة على أكتافهم، بما يعرفه القاضي والداني من الاعتقال والسجن والتعذيب والقتل والتشريد والحظر لنشاطهم. [راجع كتاب: صفحات من التاريخ، لصالح شادي (١١٢٠) وما بعدها، وراجع كتاب: الإخوان المسلمون محمود عبد الحلیم (وهو

ثلاثة أجزاء)] كما أنه عندما تمكن من الحكم أسرف في عودته وتشيريه للشعب المصري والعالم العربي والشعوب الإسلامية، بأنه سيحقق لهم العزة والكرامة ضد البغي والعدوان الأجنبي، ويرفع عنهم الذنب الذي نزل بهم وغلا في رفع شعار القومية العربية مخففا من ذكر الإسلام، ثم تطور حكمه إلى أن وصل إلى الاشتراكية العربية، ثم الاشتراكية العلمية، وأحدث شقاقا ونزاعا شديدا بين الدول العربية، بل بين أحزاب قامت معتمدة على دعمه وتحريشه وبين الحكومات القائمة، وحكم مصر حكما عسكريا بغیضا، وسلب الأغنياء غناهم، وزاد الفقراء فقرا، حتى أصبحت مصر شبيهة بمقبرة يخيم عليها الصمت المطبق، لا ينطق من سكانها إلا من يسبح بحمد الطاغية.

وانقلبت العزة التي بشر بها الشعب والعرب والمسلمين إلى ذلة نالت كل عربي ومسلم، ولا زال المسلمون يسبحون في مستنقع تلك الذلة، فقد احتل اليهود مصر عمرو بن العاص ومرتفعات الجولان والقدس وما حولها وغزة، ولم تعد أرض مصر إلى المصريين إلا بعد أن سجد خَلْفَهُ أمام أقدم اليهود، ورفع العلم اليهودي على مصر، ولا زالت الأراضي الأخرى -إضافة إلى أرض فلسطين التي احتلها اليهود سنة ١٩٤٨م- في قبضة اليهود يعيشون فيها فسادا يعلمه الناس كلهم وهذا وغيره من المصائب والحن التي أنزلها بالأمة كانت عكس وعوده وتصريحاته، فقد كذب على الأمة كما كذب قبله مصطفى أتاتورك كذبا سياسيا مدمرا وليس من السهل الاستمرار في ضرب الأمثلة لطغاة الكذب السياسي المدمر للشعوب، فهو الأصل -وما عداه استثناء- في وعد طاغية العراق شعبه بإمبراطورية واسعة الأطراف، بالغزو المسلح الذي بدأه باحتلال الكويت وما آل إليه أمر العراق والشعوب الإسلامية، وبخاصة العربية منها ما فيه غناء عن الأمثلة للأكاذيب السياسية المدمرة.

ولم يعد يخفي على كثير من أبناء الشعوب كذب طغاتها الخاربين للإسلام، والذي تحتاجه تلك الشعوب الآن ليس كشف ذلك الكذب المدمر الذي لم يعد خافيا عليها، ولكنها تحتاج إلى معرفة السبيل التي تسلكها للتخلص من ذلك الدمار (١) ولكني أذكر مثلا واضحا من أمثلة كذب الطغاة المدمر لشعوبهم نراه رأي العين اليوم ويراه العالم كله، وهو كذب طاغية الصومال الذي استولى على الحكم -كغيره من حكام الشعوب الإسلامية- بالقوة العسكرية (٢) مدعيا أنه أراد بذلك تخليص الشعب الصومالي من محنته، واعد إياه بالعيش في جنة من الحياة، وهو الآن يعيش تعيشا جائعا، عاريا، عطشاناً، لم يبق من أفراده إلا الجلد والعظم تلهبه الشمس المحرقة، ويقتله البرد القارس، وتفتك به الأمراض المتنوعة، عدا المئات الذين يموتون كل يوم من الجوع والعطش والمرض وأممي الآن جريدة الشرق الأوسط [عدد (٥١١٠) ٣٠ / ٥ / ١٤١٣هـ - ٢٤ / ١١ / ١٩٩٢م. ص: ٨ بقلم اللواء عمر الحاج محمد مصلي .] وبها عنوان: (الصومال... أسوأ كارثة إنسانية) أقتطف من المقال الذي كتب تحته المقطع الآتي لأنه يناسب المقام:

(١) لعل شيئا من ذلك يأتي في مكانه المناسب من هذا الكتاب (٢) سنة ١٩٦٩م.

"النظام الذي استولى على الحكم في عام ١٩٦٩م تراجع عن المبادئ التي أعلنها بعد أعوام قليلة من استيلائه على الحكم وبعد أن أعلن حرباً على الفساد والمحسوبية واختلاس الأموال، والقبلية، تعثرت خطاه من تلقاء نفسه، مما أدى إلى اختلال ترتيب الأمور والتعاس في تحقيق الوعود. من تلك اللحظة بدأ كل شيء يخطو عكس ما خطط له سابقاً (١) فظهرت القبلية بقوة جبارة وفعالة، وسيطرت المحسوبية على الدوائر الحكومية، ونهبت الأموال العامة والخاصة، وعمت الفوضى ربوع البلاد هذه الظواهر السلبية مهدت الطريق إلى ظهور ديكتاتور ينفرد بحكم البلاد لا يشاركه أحد في اتخاذ القرارات، كما أن السلطات كلها أصبحت في قبضته وتمكن من التخلص من المسؤولين الذين كانوا يتقاسمون معه الحكم، وعين بدلاً منهم شخصيات انتهائية لا تعارضه في أبسط الأمور هذا الخلل الذي أصاب النظام وفرّ مناخاً ملائماً لتثييط القبلية، كما أعطى فرصة ثمينة لصيادي القبلية والمستفيدين منها، فزرعوا الفتن والشكوك بين القبائل، وكسبوا مراكز حكومية رفيعة في الدوائر الحكومية، وأداروا ظهورهم للمصلحة العامة

(١) هذا إذا أحسن الظن بمن الأصل فيهم الكذب فيقال: خططوا بأن يقضوا على الفساد، أما إذا جربنا على الأصل فهو أن أصل التخطيط كان الهدف منه الفساد المذكور وإن زعم صاحبه أنه أراد الإصلاح. والشك في ذي الكذب أصل ولو لم يكذب

ظهرت شخصيات كثيرة في قمة سلم الحكم، لا يهمها التاريخ وما يسجله من تصرفاتهم، فركزوا نفوذهم على الكسب غير المشروع...".
هذا النص من مقال اللواء عمر الحاج، وهو وزير الدفاع الصومالي السابق الذي كان مشاركاً في الحكم، وقد جرت العادة أن التاريخ الذي يكتب في عهد الطغاة وينشر يكون غالباً في صفهم مدحاً وثناء بالكذب والبهتان، وأن التاريخ الذي يكتب بعد ذهابهم قد يكون صادقا وقد يكون مبالغاً في ذمهم ونسبة السوء إليهم، ولكننا نعرف أن هذا الكاتب لم يذكر إلا قطرة من بحار تاريخ الزعيم الصومالي وكذبه السياسي المدمر كما أنه لم يذكر ما يتعلق بمحاربه الإسلام وعلماء الإسلام الذين أحرق مجموعة منهم [راجع مجلة المجتمع الكويتية. عدد (٢٣٤) ١٥ / ١١ / ١٣٩٥هـ - ٢٨ يناير سنة ١٩٧٥م ص: ٦ وما بعدها]. بسبب معارضتهم لقانون أصدره يساوي بين المرأة والرجل في الإرث الذي فرق الله فيه بينهما في نص كتابه.

والأمة التي تحارب عقيدتها ودينها وشريعتها ويحرق علماءها، ثم لا تحرك ساكناً في ردع المعتدي الآثم، لا بد أن تصل في النهاية إلى هذه المأساة التي يقول الله فيها وفي أمثالها: { وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } . [الأنفال: ٢٥]
ومن هنا نعلم أن أهل الحق الصادقين يسعدون البشرية بحقهم وصدقهم، وأن أهل الباطل الكاذبين يشقون البشرية بباطلهم وكذبهم.

ولعل الأمة الإسلامية تتنبه لخطر كذب قادتها الذين يحاربون الإسلام، وكنهم السياسي المدمر الذي تجند لترويجه كل طاقات الدولة، حتى ينطلي عليها ويستمر في تضليلها فترة طويلة، ولا تشعر بآثاره المدمرة إلا بعد أن يفوت الأوان وتتحطم الشعوب اقتصادياً وسياسياً وأمنياً وخلقياً وعسكرياً، حتى يصبح استعمارها من قبل أعداء الإسلام الذين يوفرون لها لقمة العيش وشيئاً من الأمن النسبي، أحب إليها من بقائها تحت مطارق الخوف والجوع والسلب

والنهب والقتل والتشريد [كما هو حاصل الآن في الصومال الذي سيطرت عليه القوات الأمريكية تحت مظلة مجلس الأمن والإغاثة الإنسانية مستترة بتأييد حلفائها الذين شاركوها بقوات رمزية شبيهة بالخلل في فقه الكاح!]]

الضرر الرابع للكذب: نشر الفاحشة بين المؤمنين ومن الأضرار المترتبة على الكذب: انتهاك أعراض الناس والولوغ فيها، ونشر الفاحشة بين المؤمنين، بقذف الحصنات المؤمنات الغافلات -والحصنين كذلك- وذلك مما يفقد الثقة بين الأسر والاجتماعات ويفككها، ويؤدي شرفاءها ويجري فساقها على ارتكاب الرذائل، والطمع في نيل المعصية والإثم من أهل الطاعة والزلفى عند الله تعالى.

وهذا الاعتداء الإثم على أعراض الشرفاء لا يقدم عليه إلا من أصبحت الرذيلة صفة معتادة لهم، والكذب والافتراء ديلنهم، وحب انتشار الفاحشة متأصلا في نفوسهم، يؤذيهم وجود الطهر والظاهرين، ويرضيهم وجود القدر والقدرين، فلا يهدأ لهم بال حتى يلطخوا سمعة الأبطال، وذلك ذاب المنافقين الذين تلازمهم الأخلاق السيئة وبخاصة الكذب ولقد نال أذاهم أظهر من وجد على الأرض رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في زوجته أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما، وكان الذي تولى كبر الإفك العظيم رئيس المنافقين آنذاك: عبد الله بن أبي ابن سلول، وجر معه بعض المسلمين الذين لم يحسنوا الظن ببيت النبوة والرسالة، فأنزلوا بذلك من الأذى والفتنة والغم ما يعجز عنه الوصف إلا أن يكون وصف المؤمنة الغافلة المظلومة عائشة رضي الله عنها -كما روى القصة بطونها مسلم عنها [رقم الحديث: رقم: ٤٩٧٤]

وفي ذلك أنزل الله تعالى آيات محكمة توبخ من وقعوا في هذا البهتان العظيم الذي رميت به السيدة الطاهرة، التي يعد من أهمها بعد نزول هذه الآيات المبرئة لها مكذبا للقرآن، ومن كذب بالقرآن -كغلاة الرافضة- فقد كفر.

قال تعالى: { وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } .

ثم قال تعالى بعد ذلك: { إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ } { لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ } إلى قوله تعالى { وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ } { إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ } { يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } { وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } { إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } .

[النور: ١١-١٩]

فأهل الحق الصادقون لا يفترون ما يחדش الأعراض، بل لو علموا منكرا ارتكبه مؤمن فالستر عندهم عليه أولى، إلا إذا جاهر صاحبه وعانده، وأهل الباطل الكاذبون يطلقون ألسنتهم في أعراض الناس افتراء بدون علم الضرر الخامس: إهدار الحقوق بشهادة الزور ومن الآثار المترتبة على الكذب شهادة الزور، وشهادة الزور ترهق بها الأرواح، وتنتهك بها الأعراض، وتغتصب بها الأموال، وتستحل بها الفروج، ويزكي بها القساق، ويفسق بها

العدول، ويفقد بها الكفاء مكانه الذي يستحقه لئلا يتفجع به فيه الأمة، ويوضع الخائن بها في مكان تقتضي الضرورة أن يكون فيه الأمين وقد شرع الله الشهادة من أجل توثيق الحق، والذي يوثق الحق بشهادته هو العدل، أما شاهد الزور فإنه يصيب الحق بدلا من حفظه قال تعالى: { وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ } . [الطلاق: ٢] ونفى عن أهل الحق - وهم المؤمنون به - صفة شهادة الزور، فقال تعالى: { وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ } . [الفرقان: ٧٢]

وأمرهم - أي أهل الحق - أن يشهدوا بالحق في كل حال، ولو كانت الشهادة تؤدي إلى أخذ صاحب الحق حقه منهم، كما قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ } . [النساء: ٣٥]

الضرر السادس: اتهام الكاذب بعبوبه من هم منها براء كما قال تعالى في مثل هذا: { وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا } . [النساء: ١١٢]

وقد ذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت في طعنة بن أيرق الذي سرق سلاحا، فشكاه صاحب السلاح إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فألقى السارق السلاح المسروق في بيت رجل بريء، ليبرئ نفسه ويحمل البريء إثمه، وعندما وجد السلاح في بيت الرجل البريء ثبتت - في الظاهر - براءة السارق، فأنزل الله هذه الآية وآيات قبلها منها قوله تعالى: { إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا } . [النساء: ١٠٥]، وراجع تفسير هذه الآيات في كتاب تفسير القرآن العظيم لابن كثير [وما أكثر ما يرتكب ناس مثل هذه الخطيئة! ويبرؤون أنفسهم مما ارتكبوها ويلطخون به البريئين وبنظرة في وسائل الإعلام في هذا العصر يرى المرء العجب العجيب من الاتهامات الكاذبة من فرد لآخر، ومن جماعة أو حزب لجماعة أو حزب آخر، ومن دولة لدولة أخرى، وكثيرا ما يكون المتهم غارقا في العيوب والنقائص التي اهتم بها غيره والسبب في ذلك هو الاتصاف بصفة الكذب التي تلازم أهل الباطل غالبا، وفقد صفة الصدق التي تلازم أهل الحق ثالثا: العدل.

والعدل من أسس صفات أهل الحق، وهو مطلوب ضرورة في الحياة عند كل الأمم، ولا تستقيم الحياة بدونها، والأمم كلها مسلمها وكافرها تعلم أنه ضرورة لحياقتها، لأن كل فرد وكل أسرة وكل أمة تحرص على أن لا يمسها غيرها بالظلم، بل تحب أن ينصفها المتعامل معها، لكن الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وشريعة الله العادلة - وهم أهل الباطل - يحرصون على أن يعاملهم الناس بالعدل، والغالب أنهم إذا قدروا على ظلم غيرهم - من غير أن ينالهم ضرر - لا يتورعون عن الظلم، لأنهم لا يخشون جزاء ولا عقابا إلا إذا نالهم القانون والقضاء وما يسمى بأجهزة الأمن - في الدنيا - فإذا آمنوا من ذلك كله، فالأصل عندهم الأثرة وظلم الغير، لأنهم أهل باطل.

والذي لا يجب الظلم ويلتزمه العدل مع القريب والبعيد والصديق والعدو، هو المؤمن بالله وبرسوله - صلى الله عليه وسلم - واليوم الآخر الذي يلتزم بشريعة الله وحكمه وينفذها، وهؤلاء هم أهل الحق، لأن الحق تعالى أمرهم بالعدل ونهاهم عن الظلم، وهم يطمعون في ثوابه على طاعته ويخافون من عقابه على معصيته، ويعلمون أن إيمانهم لا يكمل إلا إذا أحيوا لغيرهم ما يحبون لأنفسهم من الخير، وقد يصل بهم إيمانهم إلى التنازل عن بعض حقوقهم الخاصة، إذا كان التنازل عنها مشروعا، ولكنهم يحرصون على إيفاء الناس حقوقهم بدون نقصان وقد أكد الله تعالى لعباده

أنه يأمر بالعدل والإحسان وينهى عما يناقضهما من الظلم والفساد والمنكر، فقال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } . [النحل: ٩٠]

وقد فهمي الله رسوله عن اتباع أهواء أهل الكتاب الذين تفرقوا من بعد ما جاءهم العلم، وأمره أن يعلن للناس إيمانه بما أنزل الله، وأنه أمر بالعدل بينهم، كما قال تعالى: { فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ } . [الشورى: ١٥]

وأمر الله تعالى عباده المؤمنين - كما أمر نبيه - بالعدل ولو كان على أنفسهم ونهاهم عن اتباع الهوى - كما فهمي نبيه - كما قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ نَعِرْتُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا } . [النساء: ١٣٥]

فالهوى كثيرا ما يغري الإنسان بالظلم وترك العدل، إما لجر مصلحة لصاحبه أو لقريب أو صديق، وإما لإنزال ضرر بعدو بغيض. والحق سبحانه وتعالى أراد أن يستأصل هذا الهوى الظالم في كلا الأمرين: محاباة القريب، بل والنفس، كما مضى، وبغض العدو أو الخصم، فقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } . [المائدة: ٨] إنه قمة ما تحتاج إليه الأمم في كل زمان: أن ينصف القادر خصمه ولو على نفسه أو أقربائه وأن يعدل مع أشد أعدائه.

وقد يرى أعداء الحق أن هذا من المثاليات قد تدور بالخيال ولكن تطبيقها في الواقع بعيد المنال، وهذا الرأي صحيح بالنظر إلى الأوضاع التي يعيش فيها بعيدا عن منهج الحق وتطبيقه: منهج الله الذي أنزله في كتابه ودعا إليه عباده، وقد استجاب لدعوته الرعيل الأول من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فطبقوه تطبيقا تتدب البشرية اليوم حظها التعيس لفقده، وتبعهم على ذلك أهل الحق ولا زال منهم من يتمسك به - وإن كانوا قلة في هذا الزمان - ولو عاد المسلمون إلى ذلك المنهج من جديد لرأت الأمم في الأرض ما تتمناه من العدل الذي أمر الله به على وجه العموم، وأمر به في الحكم كما قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا } . [النساء: ٥٨]

وأمر به في الشهادة كما قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ } . [المائدة: ١٠٦]

وأمر به في الصلح بين الناس، بحيث لا يكون في الصلح ظلم لأحد المتخاصمين، بسبب ضعفه وقوة خصمه أو لغير ذلك، كما قال تعالى: { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاتَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } . [الحجرات: ٩]

وأمر به في التعامل الأسري، فقال تعالى: { فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَشَىٰ وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا } . [النساء: ٣]

وكل الحقوق التي أمر الله بها، وكل المظالم التي نهى الله عنها، إنما تتحقق بالعدل الذي هو ملازم لأهل الحق بحسب نصيهم منه وصرح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: « إن المقسطين عند الله على منابر من نور » . [مسلم : (٣ / ١٤٥٨) رقم الحديث : ١٨٢٧] وقد ربي رسوله الله -صلى الله عليه وسلم- أصحابه -وكل رسول سبقه كذلك- على العدل، حتى اعترف لهم بذلك أعداؤهم من أهل الكتاب كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: افتتح رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خيبر، واشترط أن له الأرض وكل صفراء وبيضاء [يعني الذهب والفضة]. قال أهل خيبر: نحن أعلم بالأرض منكم فأعطانا على أن لكم نصف الثمرة، ولنا نصف، فزعم أنه أعطاهم على ذلك، فلما كان حين يصرم النخل [يقطع] بعث إليهم عبد الله بن رواحة، فحرز عليهم النخل، وهو الذي يسميه أهل المدينة الخرص، فقال: في ذه كذا وكذا، قالوا أكثرت علينا يا ابن رواحة، فقال: فأنا أي [أي أتولى] حرر النخل وأعطيتكم نصف الذي قلت. قالوا: هذا الحق (و) به تقوم السماء والأرض قد رضينا أن نأخذه بالذي قلت" [أبو داود واللفظ له (٣ / ٦٩٨) وابن ماجه (١ / ٥٨٢) وهو صحيح] ..

وعن سليمان بن يسار أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يبعث عبد الله بن رواحة إلى خيبر، فيخخص بينه وبين يهود خيبر، قال: فجمعوا له حليا من حلي نسايتهم، فقالوا له: هذا لك [يعني رشوة] وخفف عنا وتجاوز في القسم، فقال عبد الله بن رواحة : (يا معشر اليهود! والله إنكم لمن أبغض خلق الله إليّ وما ذاك بحاملي على أن أحيف عليكم، فأما ما عرضتم عليّ من الرشوة فإنها سحت، وأنا لا نأكلها). فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض [الموطأ (٤ / ٢٧٠) والحديث مرسل وهو يفيد شيئا مما جرى بين ابن رواحة واليهود]. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

(وأمر الناس تستقيم مع العدل الذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم، أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم، ولهذا قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة، ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والإسلام، وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم- : « ليس ذنب أسرع عقوبة من البغي وقطيعة الرحم » . فالباغي يصرع في الدنيا وإن كان مغفورا له مرحوما في الآخرة، وذلك أن العدل نظام كل شيء، فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت، وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعد لم تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة...) [مجموع الفتاوى: (٢٨١٤٦)] وإن الذي يتأمل أحوال العالم اليوم يدرك المآسي التي نزلت به بسبب فقد العدل أو قلته التي تقترب من العدم، فلا نجد ضعيفا ينصفه القوي -إلا ما شاء الله- من الأفراد والجماعات والدول، ولو أردنا أن نضرب أمثلة لذلك لطال بنا المقام ويكفي أن تقعد قليلا أمام شاشة التلفاز لترى ماذا يفعل اليهود بأطفال فلسطين وشيوخها ونسائها من قهر وإذلال وقتل وتشريد وسجن واعتقال وهدم منازل بالصواريخ على من فيها.

وأن ترى نصارى الصرب وهم يفعلون بالمسلمين في البوسنة والمهرسك أعظم مما فعله اليهود، وذلك في وسط قارة الحرية والعدل والمساواة [وفي هذه الأيام -من سنة ١٤١٧هـ -١٩٩٦م- يكشف عن مقابر جماعية لآلاف المسلمين الذين قتلهم الصرب عندما احتلوا مدتهم وقراهم] والعالم كله يمور بالفتن والمصائب بسبب الظلم وفقد العدل، وهينة الأمم المتحدة ومنظمتها ومجلسها المسمى بمجلس الأمن، تتصرف فيها دولة واحدة استبدت بالأمر، تحرك تلك الهيئة ومنظمتها ودول العالم كله كما تريد، فإذا رأت أن لها مصلحة من التدخل في أي حدث يقع في

العالم أجلبت بجيئها ورجلها وحشدت كل الدول لتتحقيق مآربها ولو أهلكت بذلك الحرث والنسل مدعية أنها تنصف المظلوم من ظالمه، وإذا رأَت أن عدم التدخل من مصلحتها أحجمت عن التدخل في الحدث وروضت غيرها على الإحجام بأسلوب ماكر مخادع، أو بتهديد شديد ظالم وكيف يرجى من هيئة الأمم المتحدة خير لضعيف وهي تصدر قراراتها بالإجماع أو الأغلبية، فَتُعْطَلُ كُلُّ تلك القرارات دولةً واحدة عند التنفيذ؟!

بل أين العدل والإنصاف فيما يسمى مجلس الأمن وقد احتشدت بجواره جميع دول العالم، ومع ذلك تستطيع دولة من خمس دول تعطيل أي قرار يصدره [الدول التي لها مندوبون دائمون، ولها حق نقض أي قرار يتخذه المجلس مجتمعة أو كل دولة على حدة هي: أمريكا وفرنسا، وبريطانيا، والصين، وروسيا، ولكن أمريكا في الوقت الحاضر تقود المجلس وغيره من منظمات الهيئة لانفرادها بالهيمنة الدولية، ومع زعمها أنها دولة ديمقراطية، فإن استبدادها الدولي لا حدود له إلا مصالحها وعجزها]. وبهذا يعلم أن العدل -وهو صفة ملازمة لأهل الحق- هو الذي يثبت الحق ويطرد الباطل، وأن الظلم -وهو ملازم لأهل الباطل- هو الذي تشقى به البشرية على مدار التاريخ وإذا شئت أن تعرف أمودجا للظلم الغاشم، وبخاصة على المسلمين من أعلى مسؤول في هيئة الأمم المتحدة فاقراً عن مواقف أمينها العام العربي النصراني المصري بطرس غالي، [عندما كان أميناً عاماً للأمم المتحدة] من قضية المسلمين في البوسنة والهرسك وإصراره على عدم تدخل الأمم المتحدة لحماية هؤلاء المسلمين الذين يتعرضون لأبشع اعتداء من قبل إخوانه الصرب النصارى [مجلة المجتمع الكويتية عدد ١٠٠٢ ص ٢٢] رابعاً: صفة الرحمة.

ومن صفات أهل الحق الرئيسة خُلِقَ الرحمة، وهي تقتضي من المتصف بها الإشفاق على المخلوقين من الناس والحيوانات والرافة بهم والإحسان إليهم ولما كان الله هو الحق ومصدر الحق ومُشَرَّعُه ومنزل الوحي به وباعت الرسل من أجله، فهو تعالى الرحمن الرحيم الرؤوف الودود (١) الذي وسعت رحمته كل شيء [يجب أن يعلم ابتداءً أن الله تعالى ليس كمثل شيء في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } { اللَّهُ الصَّمَدُ } { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ } { وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } واشتراك المخلوق مع الخالق في الاتصاف بالرحمة ونحوها إنما هو اشتراك لفظي مثل أن يقال: إن الله موجود والمخلوق موجود، والفرق بين الوجودين: أن وجود الله ذاتي أزلي أبدي ووجود المخلوق استتمده من الخالق وهو وجود محدود ببداية ونهاية وغير ذلك]

(١) يجب أن يعلم ابتداءً أن الله تعالى ليس كمثل شيء في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته: ومع ذلك فإن موسى -عليه السلام- أقام الحججة على فرعون عندما ادعى الربوبية وسخر منه، واشتراك المخلوق مع الخالق في الاتصاف بالرحمة ونحوها إنما هو اشتراك لفظي مثل أن يقال: إن الله موجود والمخلوق موجود، والفرق بين الوجودين: أن وجود الله ذاتي أزلي أبدي، ووجود المخلوق استتمده من الخالق وهو وجود محدود ببداية ونهاية وغير ذلك.

وقد افتتح تعالى كتابه الذي أنزله على رسوله رحمة للعالمين بالبسملة بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وافتتحت بها كل سور القرآن الكريم [ما عدا سورة براءة، التي يرى بعض العلماء إنها مكملة لسورة الأنفال]. وتكرر لفظ الرحمة ومقتضياتها كثيراً في القرآن الكريم وكذلك في سنة الرسول -صلى الله عليه وسلم وقد وعد الله تعالى أهل الحق من المؤمنين الذين يقومون بمقتضى إيمانهم برحمته، فقال تعالى: { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } . [التوبة: ٧١]

وأهل الحق المتصفون بالرحمة يطلبون من ربهم أن يرحمهم، كما قال تعالى: { وَلَا تُحْمَلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } . [البقرة: ٢٨٦]

ووصف سبحانه كتابه الذي جاء بالحق بأنه رحمة، فقال تعالى: { وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } { أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ } { أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ } . [الأنعام: ١٥٧]

ويدعو ملائكة الله المقربون - وهم في السماوات - للمؤمنين - وهم في الأرض - الذين يشتركون معهم في الإيمان والعمل بالحق، بأن يدخلهم الله الجنة ويقيهم السيئات التي تكون سببا في دخول النار، ثم يحنون دعاءهم لهم بقولهم: { وَمَنْ تَقِيَ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } . [غافر: ٩]

بل إنهم استفتحوا دعاءهم للمؤمنين بالتوسل إليه برحمته، كما قال تعالى: { الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ } . [غافر: ٧]

ووصف إرساله نبيه محمدا - صلى الله عليه وسلم - بأنه رحمة للعالمين، فقال: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } . [الأنبياء: ١٠٧]

وقال عن نبيه لوط - عليه السلام - : { وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ } . [الأنبياء: ٧٥]

وقال عن بعض أنبيائه بعد ذكرهم: { وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ } . [الأنبياء: ٨٦]

وقال عن نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - : { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } . [التوبة: ١٢٨]

ولشدة رحمته - صلى الله عليه وسلم - بأمنته، وحرصه على أن يأخذوا منه الحق الذي جاءهم به، وخشيته عليهم من البقاء في الضلال الذي يؤدي بهم إلى سخط الله وأليم عقابه، كان - صلى الله عليه وسلم - يأسف أسفا شديدا يُخشى أن يقع بسببه في الهلاك، ولذلك خاطبه الله تعالى مسلما ومصبرا: { فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا } . [الكهف: ٦]

ووصفه الله تعالى هو وأمنته بأنهم رحماء بينهم، فقال: { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ } . [الفتح: ٢٩]، وشلتم على الكفار إنما هي في الحقيقة من أجل رحمتهم إياهم وشفقتهم عليهم من أن يموتوا على كفرهم فينالوا عذاب الله] وبرحمة الحق جل جلاله التي وسعت كل شيء في هذه الدنيا - وإن خص بها أهل الحق في الهداية والرضا والثواب الجزيل يوم القيامة في الآخرة بعث رسله وأنزل كتبه وشرع أحكامه لهداية البشر، وبما جعل الناس واللوات يتراحمون فيما بينهم في حياتهم.

ولكن الرحمة الحقيقية هي تلك الرحمة التي يتصف بها أهل الحق، فتستولي على نفوسهم ومشاعرهم، وتجعلهم في كل لحظة من لحظات حياتهم يشفقون على أهل الباطل الذين قست قلوبهم وخلت من الرحمة، حتى على أنفسهم فأصروا على رفض الحق ومحاربتة ومحاربة أهله والصد عنه، واستكبروا واستكبارا لذلك ترى أهل الحق الرحماء يحملون الحق إلى الناس، ويسابقون به أهل الباطل إلى عقول البشر، ويتحملون من المشاق والخن والمؤامرات ما لا تتحمله الجبال الرواسي والذي يرجع إلى قصص الأنبياء وحوارهم مع أممهم ومواقف تلك الأمم من دعوتهم من

التكذيب والاستهزاء والتحقير والتهديد مع صبر أولئك الأنبياء وتلطفهم ولينهم وحسن أسلوبهم تبيين له الرحمة التي حلت في قلوب أولئك الرسل لقومهم نماذج للرحمة التي يتصف بها أهل الحق ويكفي أن نذكر ثلاثة نماذج: اثنان منهما لنبين وثالث لأحد المؤمنين النموذج الأول: نبي الله نوح عليه السلام.

وهو أول رسول بعثه الله تعالى للناس في عهده رحمة لهم، فمكث يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وهم يجادلونه بالباطل ويسخرون منه ويجاولون إدخال اليأس إلى قلبه، وهو يمضي في طريقه صابراً محتسباً رحيماً بهم شقيقاً عليهم، منوعاً أساليبه في دعوتهم، يدعوهم في الليل والنهار، وفي السر والجهر، مرغبا لهم إذا تبعوه، بالعيش الحسن في الدنيا، والنعيم المقيم في الآخرة، ومهدداً إذا عصوه، بالهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة. والقوم لا يزدادون إلا عنادا واستكباراً، حتى يأتي أمر الله، فيضطر إلى أن يتعلم النجارة لصنع سفينة ينجو فيها بنفسه ومن آمن معه بأمر من ربه، ويرى فلذة كبده وهو يغرق مع أعداء الله وقد صورت الآيات القرآنية قصته تصويراً مفصلاً دقيقاً فلنذكر بعض الآيات بدون تعليق فلا كلام يمكن أن يؤدي معانيها مثلها:

{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ } .
[العنكبوت: ١٤]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ { إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } { قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ } { أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا } { يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَوِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } { قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا } { فَلَمَّ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا } { وَإِنِّي كَلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِيُغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعَسَوْا تِيبَاهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا } { ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا } { ثُمَّ إِنِّي أَغْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا } { فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا } { يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا } { وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِنَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا } { مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا } { }

وَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ أَطْوَارًا } { أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا } { وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا } { وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا } { ثُمَّ يُعِيدْكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجْكُمْ إِخْرَاجًا } { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا } { لَتَسْلُكُنَّ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا } { قَالَ نُوحُ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا } { وَمَكْرُوهًا مَكْرًا كَبِيرًا } { وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَدْرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا } { وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا } { مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أُعْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمَّ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا } { وَقَالَ نُوحُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا } { إِنَّكَ إِن تَذَرْنَاهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا } { رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا } . [سورة نوح]

دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا } . [سورة نوح]
{ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ } { فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ } { فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ } { وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ } { وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَوْحِ وَدُسِرَ } { تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ } { وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ } . [القمر: ٩-١٥]

{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ { } أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ أَلِيمٍ { }
 فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشْرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَاكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدِي الرَّأْيِ وَمَا تَرَىٰ
 لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ تَنْظُرُونَ كَاذِبِينَ { } قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَنَا مِنَ رَحْمَةٍ مِنْ عِنْدِهِ
 فَعَمَيْتُ عَلَيْكُمْ أَنْزَلْتُكُمْهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ { } وَيَا قَوْمِ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنِ اجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ
 الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ { } وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طردْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
 { } وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي

أَعْيُنِكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ { } قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ
 جِدَالَنا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ { } قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ { } وَلَا يَنْفَعُكُمْ
 نُصْحِي إِن أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ { } أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِن
 افْتَرَيْتُهُ فَعَلِيَ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ { } وَأَوْحِي إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ
 بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ { } وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ { } وَيَصْنَعِ الْفُلْكَ
 وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ { } فَسَوْفَ

تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ { } حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ
 زَوْجٍ مِثْلٍ نَثِيرٍ وَاهْلِكِ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ { } وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ
 مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ { } وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ
 ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ { } قَالَ سَاوِي إِلَىٰ جِبَلٍ يَْعَصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَّا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ
 رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُعْرَقِينَ { } وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ
 الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ { } وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ
 الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ

الْحَاكِمِينَ { } قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ
 تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ { } قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ
 الْخَاسِرِينَ { } قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا
 عَذَابٌ أَلِيمٌ { } تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ
 لِلْمُتَّقِينَ { } [سورة هود]

هذا هو النموذج الأول، وهو أول رسول بعثه الله إلى الناس ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وهو نوح - عليه السلام - ولولا ما رزقه الله من رحمة وشفقة وصبر، لما قدر أن يستمر في دعوة قومه الذين وقفوا منه هذه المواقف تلك المدة الطويلة المديدة: { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ } [العنكبوت] وقصص الأنبياء عليهم السلام - غير نوح - شبيهة بقصته

النموذج الثاني: محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم وهو الذي ختم به جميع الرسل، وختم بكتابه ودينه المفصل الكامل جميع الكتب والأديان رحمة من الله للعالمين.

فقد بعثه -صلى الله عليه وسلم- في وقت أظلمت فيه الآفاق بالشرك والوثنية والجهل، وانطمست معالم الرسالات، وكلف تبليغ هذا الدين إلى قومه الأقربين، ثم عشيرته الخيطين به، ثم العرب أجمعين، ثم أمم الأرض وعظماؤها من الأمراء والسلاطين، ولقي -صلى الله عليه وسلم- ما لقيه إخوانه المرسلون، من أقوامهم الضالين من الأذى والامتحان، والصد عن سبيل الله واتباع سبيل الشيطان، وأوذي معه صحبه الكرام الذين أقام الله بهم دين الإسلام دعا -صلى الله عليه وسلم- سرا وعلنا، وعرض دعوته على الغني والفقير، والقوي والضعيف، وهجر بلاده مكة هو وصحبه عنلما سد المشركون أمام دعوته الأبواب، وكانت أحب البلاد إلى الله واصل دعوته في المدينة، وهجم عليه المشركون من كل حذب وصوب، فجاهد في الله حق جهاده مدافعا عن دين الله، وقائما بدعوة الله، وسالت دماؤه الزكية وجرح جسمه الطاهر وكسرت أسنانه النظيفه، وقتل كثير من أصحابه، مستشهدين في ساح الجهاد التي اشترك معهم فيها للملائكة المقربون، حتى نصر الله دينه وأعلى كلمته وكان ذلك كله امتثالا لأمر ربه، ورحمة بعباد الله ليخرجهم من الظلمات إلى النور.

ولنقرأ كذلك بعض الآيات في معاناته -صلى الله عليه وسلم- وكيف وقف قومه المشركون واليهود والنصارى من الحق الذي جاء به، وكيف صبر ومضى مشفقاً عليهم رحيماً بهم.

قال تعالى: { وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ } { وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ } { فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } { أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ } { وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ } { وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ لَوَلَّوْا وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ } { وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ } { وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلٍ مِنْ

قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } { قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ } { قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْزِيَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَرْبُ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } { وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } { قُلْ أَعْيَبَ اللَّهُ آتَّخِذْ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } { قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ } { مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ } { وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ

{ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْتُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ } { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ } { وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ } { ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ } { انظُرْ كَيْفَ كَذَّبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ

وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ { وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا

كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ { [الأنعام: ٣- ٢٥]

وقال تعالى: { وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا { وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَهْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا { أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خَالِلَهَا تَهْجِيرًا { أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا { أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرَبِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا { . [الإسراء: ٨٩-٩٣]

ومع هذه المواقف القاسية العنيدة التي كان يقفها قومه المشركون منه، كان يحزن لحالهم ويتحسر ويهتهم بأمرهم، رحمة بهم وإشفاقا على ما سيلقونه من مصير سيئ في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى له مسليا ومصيرا: { وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ { . [النحل: ١٢٧]

وقال تعالى: { وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ { . [النمل: ٧٠]

وقال تعالى: { فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا { . [الكهف: ٦]

هكذا كان -صلى الله عليه وسلم- يحزن لحال أمته الذين لم يستجيبوا لدعوته، مشفقا عليهم راغبا في هدايتهم برغم عدائهم وحرهم له ولدينه وكان -صلى الله عليه وسلم- أشد رحمة وشفقة على من آمن به من أصحابه، كما قال تعالى: { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ { . [التوبة: ١٢٨ والعنت المشقة]

وقال تعالى: { وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَتُّمُ { . [الحجرات: ٧]

وقال تعالى: { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ { . [الفتح: ٢٩]

وقد ضرب لرحمته وشفقته على أمته، مثلا برجل استوقد ناراً فلما أضاءت جعل الفراش والدواب تقع في النار والرجل يحاول منعها وحجزها عن النار، وهي تأتي إلا الوقوع فيها كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: « إنما مثلي ومثلي كمثل رجل استوقد ناراً، فجعلت اللواب والفراش يقعن فيه، فأنا آخذ بحجزكم، وأنتم تقحمون فيه .. » وفي لفظ: « مثلي كمثل رجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حوفا جعل الفراش وهذه اللواب التي في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبهن فيقحمهن فيها، قال: فذلكم مثلي ومثلكم، أنا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار، هلم عن النار، فتغلبوني تقحمون فيها .. » [مسلم (٤ / ١٧٨٩)، والتقحم الإقدام والوقوع في الأمور الشاقة من غير تثبت، والحجز جمع حجرة وهي معقد الإزار.]

والذي يدرس سيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وما قام به من الدعوة إلى الله بين المشركين وحرصه الشديد على هدايتهم، وسيرته -صلى الله عليه وسلم- مع أهله وخدمته وأصحابه يرى رحمته شاخصة في تلك السيرة العطرة، تتحرك بحركة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وتتحدث بلسانه وعلى تلك الرحمة ربي أصحابه فكانوا يتسابقون إلى شفع المحتاجين ونصرة الضعفاء ويكفي لمعرفة رحمة أبي بكر الصديق رضي الله عنه برعيته، بيانه السياسي

بعد بيعته الذي أولى فيه من يستحق الرحمة اهتمامه، حيث خصه بنسبة كبيرة من معاني ذلك البيان نصا، فكان مما قاله في ذلك البيان: "والضعيف فيكم قوي عندي حتى أزيح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله..". [تاريخ الخلفاء، للإمام السيوطي ص ٦٩]

وكان -وهو خليفة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ووزيره عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يتسابقان دون أن يعلم أحدهما بالآخر لخدمة عجز كبيرة السن، وكان الخليفة يسبق وزيره إليها [نفس المرجع: ص ٨٠]

النموذج الثالث: مؤمن آل فرعون.

وهو الذي انبرى محاميا عن موسى -عليه السلام- ومرغبا فرعون وقومه في الاستجابة لدعوته، ومرهبا لهم من مخالفته والاعتداء عليه بالقتل، في بيان طويل وجدال قائم على الحججة والبرهان والعاطفة والرحمة.

فعندما سمع فرعون يستأذن ملاءه -وليس استئذانه منهم إلا لخداعهم وإظهار أنه يرجع إليهم في الأمور المهمة - قائلا: { وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرُونِي أَقْبِلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبِّي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ } وسمع موسى -عليه السلام- وهو يستعيز بربه -الذي لا ملجأ له سواه- كما قال الله تعالى عنه: { وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ } خرج ذلك الرجل المؤمن رضي الله عنه من صمته وهو من آل فرعون -فدافع عن موسى ودعا فرعون وقومه إلى اتباعه والبعد عن إيذائه، كما قال تعالى: { وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ } { يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ

بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا } [إلى هنا تظهر رحمة الرجل المؤمن بموسى -عليه السلام- حيث يحذر قومه من قتله بسبب يقتضي مناصرته والاستجابة له، وهو أنه يقول ربي الله، ثم يفترض أنه إما أن يكون صادقا -وهذا هو الذي يعتقده هذا الخامي- وإما أن يكون كاذبا -حسب زعم فرعون وملته- فإن صدق فسيكون قتلهم له ومحاربة دعوته وبالاع عليهم، وإن كذب فتركهم له لا يضرهم ويتحمل هو كذبه، وفي نصحه هذه رحمة بهم، ثم يظهر رحمته بهم بأنهم يجزرون الملك وهذا الملك لا يبقى مع الظلم بل سينزل بهم بأس الله فإذا نزل بهم فلا ناصر لهم، وفي هذا غاية النصح لهم والرحمة بهم] { قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ } { وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ } { مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ } [وفي هذا تخويف لهم من عقاب الله في الدنيا، وذلك رحمة بهم].

{ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ } { يَوْمَ تُؤَلَّفُونَ مَدْبَرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ } [وفي هذا تحذير لهم من عقاب الله لهم في الآخرة، وهو من رحمته بهم]

إلى قوله تعالى { وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ } [وهذا يعارض قول فرعون: { مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ } .. كما سبق].

{ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ } { مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ سَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ } { وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَىٰ

{ تَدْعُونِي إِلَى النَّارِ } { تَدْعُونِي لِكُفْرٍ بِاللَّهِ وَأَشْرِكٍ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْقَهَّارِ } { لَأَجْرٍ لَكُمْ أَتَمَّا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ } { فَسْتَنْذِرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ } { فَوْقَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكُرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ } { النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُلُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ

الْعَذَابِ } [الآيات من سورة غافر: ٢٦-٤٦] ما أصعب كلمة الحق أمام الطغاة الفراعنة، وكثيرا ما يكون أناس يؤمنون بالحق الذي يكفر به الطغاة الفراعنة، ويودون أن يؤمن به أولئك الطغاة الفراعنة من أهل الباطل وأتباعهم، ولكنهم لا يجرون على الجهر بذلك، فيؤمنون بالحق في أنفسهم ويكتُمون ذلك الإيمان، خوفا من جبروت الطغاة الفراعنة وليس عليهم شيء في ذلك الكتمان اضطرابا، ولكن الإيمان عندهم يقوى والرحمة بالطغاة وأتباعهم عندهم تشتد، وكذلك الرحمة بأهل الحق المهتدين بالقتل والأذى، يأتي ذلك الإيمان أن يبقى في الصدور فيظهر في الأفعال والأقوال، وتتضاءل قوة الطغاة الفراعنة في نفوس المؤمنين الذين كانوا يكتُمون إيمانهم، فيصدعون بالحق رحمة بالداعي المغلوب وبالمدعو المعاند، وهذا ما حصل من مؤمن آل فرعون رضي الله عنه وأرضاه وأكثر في قصور الطغاة الفراعنة من أمثاله، وهكذا يكون أهل الحق رحماء فيما بينهم ورحماء بغيرهم، بخلاف أهل الباطل فالغالب فيهم أن تكون الرحمة منزوعة من قلوبهم، وبخاصة فيما يعارض مصالحهم -ولو كانت تلك المصالح ظلما صريحا- وبخاصة مع أهل الحق فإن الغلظة والقسوة تكون ملازمة لهم في معاملتهم.

أهل الحق يدعون أهل الباطل إلى الحق وينصحونهم بترك الباطل رحمة بهم، وأهل الباطل يجارون أهل الحق وينابذونهم العدا، ويخرجونهم من ديارهم، ويفتنونهم في دينهم بالضرب والرجم والحبس والقتل، تجبرا عليهم وقهرا وإذلالا لهم وقسوة عليهم والتاريخ البشري والقرآن العظيم والواقع المعاصر كلها تدل على ذلك ولو أردنا تتبع ذلك الظلم والقسوة والقهر التي تباين الرحمة وتنافيها، من القرآن الكريم وكتب السنة، والتاريخ والواقع المعاصر، لاحتاج ذلك منا إلى كتاب مستقل، فلندكر نماذج من القرآن الكريم ونشير إلى شيء من الواقع للربط بين أهل الباطل في القديم والحديث سبق أن أهل الحق تلازمهم صفة الرحمة في أغلب الأوقات -هذا إذا كانوا من غير الأنبياء، وغير الأنبياء ليسوا بمعصومين، أما الأنبياء فلا تفارقهم سجية الرحمة- وأما أهل الباطل فالأصل أنهم غير رحماء، فإذا ما وجدت عند بعضهم بعض معاني الرحمة، فالغالب أنها تتعلق بتحقيق مصالح لهم ومن مستلزمات القسوة عند أهل الباطل اعتداء القوي على الضعيف مظاهر الاعتداء.!!!
وللاعتداء مظاهر:

المظهر الأول: إخراج القوي الضعيف من بلده وداره.

وقد يكون المعتدى عليه من أهل الحق الرحماء الذين يريدون الخير لذلك المعتدى، كالأنبياء والدعاة من أتباعهم فتأمل كيف يتلطف نبي الله شعيب -عليه السلام- مع قومه، ويطلب منهم الصبر والمهادنة -إذا لم يستجيبوا لدعوته- حتى يحكم الله بينه وبينهم، وكيف يردون عليه؟

قال تعالى عنه، وهو يخاطب قومه: { وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ } فيردون عليه في قسوة وكبرياء: { قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ

لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ { . [الأعراف: ٨٧-٨٨].

بل حكى الله تعالى عن الكفار عموماً، تهديدهم لأهل الحق من الأنبياء الرحماء الذين جاءوهم بالرحمة والخير، يخرجهم من أرضهم، ما لم يتركوا دين الرحمة الذي جاءوهم به ويعودوا إلى ملة الكفر والعذاب، كما قال تعالى: { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ } . [إبراهيم: ١٣] وقال تعالى عن قوم لوط -وقد دعاهم لوط -عليه السلام- إلى الطهر والعفة والبعد عن فعل الفاحشة المنكرة- الذين سخروا من دعوته لهم إلى التطهر من الفاحشة: { وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ } . [الأعراف: ٨٢] وقال تعالى -مسلياً رسوله -صلى الله عليه وسلم- وقد أخرجه قومه من أحب بلد إليه -المسجد الحرام-: { وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ } . [محمد: ١٣]

وقال تعالى -مبيناً مكر قومه به وتأميرهم عليه بالسجن أو القتل أو الإخراج من بلده-: { وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ } . [الأنفال: ٣٠] وقال تعالى عن رأس المنافقين -ومثله رؤوس العلمانيين المنتسبين إلى الإسلام الخارئين له اليوم- وهو يهدد الرسول -صلى الله عليه وسلم- والمؤمنين به، وبخاصة المهاجرين: { يَقُولُونَ لَنْ نَرْجِعَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ } . [المنافقون: ٨]

وقال تعالى عن نبيه -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه المهاجرين الذين أخرجتهم قريش من ديارهم وأموالهم وأهليهم: { أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ } { الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ } . [الحج: ٤٠] وما أشق خروج الإنسان -أي إنسان من منزله وبلاده بالقوة والإكراه- وبخاصة عندما يكون إخرجه بسبب دعوته إلى الحق، قوما ضاللاً متمسكين بالباطل صادين عن الحق، فيخرجونه مقهوراً مظلوماً، هو يجاهد في وصول الخير إليهم في حال كونه مشفقاً عليهم رحيماً بهم، وهم يصرون على إخرجه من دياره، قاسية قلوبهم لا تعرف الرحمة والرأفة بمن يستحقها المظهر الثاني: سجن المعتدى عليه بدون حق وهذه العقوبة القاسية تعتبر عند الطغاة الفراعنة أهل الباطل تفضلاً منهم على أعدائهم من أهل الحق، لأن أهل الحق لا يستحقون الحياة، والسجن قد يكون محطة يعبر منها السجين إلى مشنقة الموت، أو ينسى في السجن نسيان القساة الذين نزعت الرحمة من قلوبهم.

مفزعون يهدد موسى -عليه السلام- الرسول الموحد الذي يدعو إلى توحيد الله وعبادته وحده، ويجذره من أن يعبد إلهاً غيره، ويتوعد بالسجن مع الجرمين من قطاع الطرق وسارقي الأموال وقاتلي النفوس بدون حق، كما قال تعالى عنه: { لَنْ آتُخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ } . [الشعراء: ٢٩]

هذا التهديد بالسجن قصد منه إكراه الرسول الموحد الداعي إلى التوحيد الذي هو أصل كل حق، على الإشراف بالله وعبادة الطاغوت الذي هو أصل كل باطل ويوسف -عليه السلام- تعرض للسجن بسبب تنزهه عن الفاحشة التي طلبتها منه امرأة العزيز في قصر السلطة، وقصور طغاة الملوك والزعماء تضيق بالطاهرين الذين ينزهون أنفسهم من الفواحش، ولا يلقى الترحيب فيها -غالباً- والتمكين إلا الفسقة والجرمون الذين يجنون الفاحشة، لذلك

حاولت عزيزة القصر إكراهه على المنكر واتخذت لذلك الإكراه كل وسيلة، فلما رفض صاحب الحق طلبها واعتصم بالله طلبت سجنه، فاستجاب لطلبها زوجها الديوث وسجنه، وكان السجن أحب إلى صاحب الحق من أن يستجيب للباطل.

قال تعالى: { وَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ } { وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيْمَا سَيْدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } . [يوسف: ٢٤ - ٢٥]

وبعد إقرارها بأنها هي العاصية وإقرارها بأنها هي التي راودته على الفاحشة، صدر منها التهديد الظالم الذي هو عادة أهل الباطل، للمظلوم البريء صاحب الحق، كما قال تعالى عنها: { وَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرَهُ لَيُسْجَنَنَّ وَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّاغِرِينَ } . [يوسف: ٣٢]

ووقف صاحب الحق عالي الرأس، مفضلاً السجن على الاستجابة للمنكر، كما قال تعالى عنه: { قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ } . [يوسف: ٣٣]

ويصدر الحكم الظالم من أهل الباطل على البريء المظلوم صاحب الحق، دون رحمة لضعفه ولا تقدير لبراهته كما قال تعالى: { ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجْنُهُنَّ حَتَّىٰ حِينٍ } . [يوسف: ٣٥] والآيات: الأدلة والبراهين والقرائن الدالة على براءته وإثم العاصية المظهر الثالث: الرجم بالحجارة وقد هدد أهل الباطل بالرجم رسل الحق ودعاته وأهله، كما قال تعالى عن قوم نوح: { قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ } . [الشعراء:

[١١٦]

وهدد آزر أبو إبراهيم ولده إبراهيم بالرجم، كما قال الله تعالى عنه: { قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ أَخَذَ مِنْ رَبِّكَ آيَاتٍ يَأْتِيَنَّكَ لَآرْجَمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا } . [مريم: ٤٦]

وحكى الله عن قوم شعيب أنهم لم يتركوا رحمة إلا خوفاً من رهطه، كما قال تعالى عنهم: { قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ } . [هود: ٩١]

ويظهر من بعض الآيات أن موسى -عليه السلام- هدده فرعون وملؤه بالرجم فاستعاذ بالله من ذلك، كما قال تعالى عنه: { وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ } . [الدخان: ٢٠]

وذكر تعالى عن بعض الأمم أنها هددت رسلها بالرجم والعذاب المؤلم، كما قال تعالى: { قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ } . [يس: ١٨]

رسل الله وأتباعهم من أهل الحق، يسعون جادين إلى إقناده أهل الباطل من ضلالهم الذي يشقيهم في الدنيا والآخرة، شفقة عليهم ورحمة بهم، وأهل الباطل تتصلب قلوبهم وتقسو نفوسهم، فيهددون من يريد رحمتهم، بالرجم والعذاب الأليم! لأن قلوب أهل الحق مليئة بالرحمة وقلوب أهل الباطل خالية من الرحمة مليئة بالقسوة المظهر الرابع: تقطيع الأطراف والصلب.

وهذا النوع من أنواع الاعتداء من قساة القلوب -أهل الباطل- والتهديد به أمر شائع في طواغيت الأرض وفراعنتهم، وقد هدد به فرعون السحرة الذين استجد بهم للانتصار على آيات موسى وبراهينه بسحرهم، فبطل سحرهم وتسلسل الإيمان برب موسى ودعوته إلى قلوبهم، فانقلبوا مؤمنين بالحق الذي جاء به موسى -عليه السلام-

ضد الباطل الذي كانوا قد نشئوا عليه وأعانوا عليه فرعون، وعندما { قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ } { رَبُّ مُوسَى وَهَارُونَ } اشتدت قسوة فرعون فأخذ يعاتب وينكر ويهدد، كما قال تعالى عنه: { قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُتُمْؤُهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ } { لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ } . [الأعراف: ١٢٣-١٢٤]

وقال تعالى: { قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرٌ كُفُّمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأَصْلَبَنَّكُمْ فِي جُنُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي أَنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى } . [طه: ٧١]

وقال تعالى عنه: { قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرٌ كُفُّمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ } . [الشعراء: ٤٩]

المظهر الخامس من مظاهر العنف والقسوة: الذبح، وهو أحد أنواع القتل. وقد كان فرعون -لشدة قسوته- يذبح صغار بني إسرائيل أمام أعين آبائهم وأمهاتهم، ليستأصل ذريتهم الذكور، حرصاً على ملكه وخوفاً متوهماً أن يسلبوه ذلك الملك قال تعالى: { وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ } . [البقرة: ٤٩]

وقال تعالى: { وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدَّبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ } . [إبراهيم: ٦]

وقال تعالى: { إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ } . [القصص: ٤]

المظهر السادس: التحريق ومن أنواع القتل الشنيع التي يتخذها قساة القلوب من أهل الباطل، تحريق أهل الحق بالنار كما فعل قوم إبراهيم الخليل -عليه السلام- لولا أن الله تعالى سلب النار قدرتها على إيذائه بقدرته تعالى قال تعالى فيهم -بعد أن أقام إبراهيم -عليه السلام- الحجة عليهم واعترفوا بأنه على حق وأقم هم أهل باطل وظلم: { قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ } { قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ } [الأنبياء: ٦٨-٦٩].

ومن أعظم القصص الدالة على أن أهل الباطل قد نزع الرحمة من قلوبهم قصة أصحاب الأخدود التي أشارت إليها هذه الآيات: { قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ } { النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ } { إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ } { وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ } { وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ } { الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } { إِنْ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَبُوءُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ } . [البروج: ٤، ١٠] ويمكن مراجعة هذه القصة في كتب التفسير ومنها تفسير القرآن العظيم لابن كثير [المظهر السابع: القتل بكل الوسائل المؤدية إليه وهو شامل لقتل أهل الباطل أهل الحق، نصراً للباطل على الحق، ومحاولة لاستئصال مصادر الحق التي تؤدي إلى إبلاغ الحق إلى عقول الناس من أجل أن تخلو الأرض للباطل وأهله.

وشامل كذلك لاعتداء أهل الباطل على الضغفاء من الصغار -من أولادهم بسبب خشية العار إن كان القتل للبنات، أو خشية الفقر- أو أولاد أعدائهم، كما يحصل في الحروب، أو من بعض الطغاة الفراعنة لأولاد بعض الطوائف المضطهدة تحت حكمهم وسيطرتهم، وذلك كله يدل على نزع الرحمة والشفقة من قلوبهم فمن النوع

الأول - قتل أهل الحق من الأنبياء وأتباعهم - قوله تعالى في اليهود القساة: { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ } . [البقرة: ٦١]
 وقوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } . [آل عمران: ٢١]
 وقال تعالى: { لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَتَقُولُ ذُوفُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ } . [آل عمران: ١٨١]

وقال تعالى: { كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ } . [المائدة: ٧٠] هذه الآيات وغيرها في أهل الكتاب وقال تعالى في مشركي قريش وهم يتآمرون على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويطرحون خيارهم في النخلص منه ومن دعوته - ومن ذلك القتل -: { وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَاكِرِينَ } . [الأنفال: ٣٠]
 ومن النوع الثاني - أي قتل الصغار - ما كان يفعله فرعون مع أولاد بني إسرائيل الذكور، كما مضى قريبا ومن ذلك ما كان يفعله مشركو قريش حيث يذبح الأب ابنه خشية الفقر، أو ابنته خشية العار، وهما ينظران والأم تبصر قتل رضيعها، دون رحمة ولا شفقة، كما قال تعالى: { وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلُوا أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءَهُمْ } . [الأنعام: ١٣٧]

وقال تعالى: { وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا } . [الإسراء: ٣١]
 وقال تعالى: { وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ } { يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } . [النحل: ٥٩]
 وقال تعالى: { وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ } { بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ } . [التكويد: ٨-٩]
 ترى هل يوجد شيء من الرحمة في قلوب من يقتلون الأولاد الصغار، سواء كانوا أولادهم أو أولاد أعدائهم؟!

المظهر الثامن: الأذى بكل أنواعه وهو يشمل مظاهر القسوة المذكورة سابقا وغيرها وأذى أهل الباطل يشمل المخلوقات كلها: الإنسان وغيره، سواء كان من أهل الحق أو من أهل الباطل، فصاحب الباطل القوي يؤدي الضعيف سواء كان من أهل الحق أو من أهل الباطل، ولكن إيذاء أهل الحق له الأولوية عنده، وستقتصر عليه هنا بذكر بعض الآيات القرآنية التي نصت على الأذى قال تعالى - مخاطبا عباده المؤمنين مصبرا لهم، مبينا لهم، أنهم لا بد أن يتعرض لهم أعداء الحق من أهل الباطل، من اليهود والنصارى والمشركين سواء، بالأذى الذي يحتاجون معه إلى الصبر والتقوى في ثباتهم على الحق:

{ لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ } [آل عمران: ١٨٦]
 وقال تعالى - مسلما رسوله - صلى الله عليه وسلم - ومواسيا له على ما كان يلقاه من أذى قومه المشركين، بما لقيه قبله إخوانه المرسلون من أقوامهم: { وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِلْكَلِمَاتِ اللَّهُ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبِيِّ الْمُرْسَلِينَ } [الأنعام: ٣٤]

وقال تعالى لرسوله -صلى الله عليه وسلم- : { وَلَا تُطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا } [الأحزاب: ٤٨]

كان يمكن الاكتفاء بذكر أن أهل الباطل أعداء الحق قد نزع الرحمة من قلوبهم، لأنهم قد تكبروا وتجبروا وطغوا لبعلمهم عن الله وعدم الاستجابة لرسوله، ولذلك هم لا يدعون شيئاً من أنواع الأذى إلا أنزلوه بالضعيف، وبخاصة إذا كان هذا الضعيف من أهل الحق، كان يكفي ذكر ذلك والاستدلال بآية أو آيتين بدون سوق المظاهر الثمانية المذكورة الدالة على قسوتهم وعدم رحمتهم ولكن أردت من سوق هذه المظاهر التبيه إلى شيء -وليس كل شيء- من قاموس الشر والفتنة الذي يزاوله أعداء الحق، من أهل الباطل ضد أهل الحق من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم، ليفتنوهم عن دينهم بكل صنوف الأذى، وليصلوا الناس عن الاستجابة لدعوتهم بغاية القسوة والشدة ولو أننا عدنا إلى التاريخ لضرب أمثلة تدرج تحت هذا القاموس وتزيد عليه لما اتسع المقام لذلك.

ولهذا نحاول أن نبه على الواقع وما يجري فيه من وبال على العالم كله، من قبل الطغاة والقرعنة من أهل الباطل، وبخاصة على أهل الحق من الدعاة الذين امتلأت قلوبهم رحمة ورافة، فأجهلوا أنفسهم واقبحوا العقبات لإبلاغ الخير إلى أهل الباطل، ليسعدوا بهذا الخير في الدنيا والآخرة، ولكن أهل الباطل وجهوا إليهم سهام العداء والحرب بقسوة بالغة فأنزلوا بهم كل أنواع الأذى ونحن نأذج من قساة القلوب في عصر حقوق الإنسان! لا نريد -كما سبق- تتبع قسوة الطغاة ووحشيتهم التي يعاملون بها الضعيف من قديم الزمان، بسبب فقد قلوبهم الرحمة والرافة، والاستشهاد على ذلك بحوادث التاريخ، سواء أكان ذلك صادراً من أهل الكتاب، من اليهود والنصارى، أو الوثنيين من مجوس وغيرهم من الهندوس والبوذيين، وسواء عاملوا بتلك القسوة والوحشية دعاء الحق من الأنبياء والرسل وأتباعهم، أو عاملوا بما أبناء جنسهم من الكفار، فإن ذلك -لو أردنا تتبعه- من الصعوبة بمكان.

والذي يرغب في الاطلاع على نماذج من قسوة أي أمة من تلك الأمم فإنه واجد في كتب التاريخ القديمة والحديثة ما يغنيه، فهذه الرسالة ليست معنية بذلك، وحسبها أن تشير بسبابتها إلى المكتبات العامة والخاصة، والمكتبات التجارية لمن عنده تلك الرغبة ولكنها -أي هذه الرسالة- معنية بذكر نماذج تثبت بها دعواها، وهي أن صفات أهل الباطل الذين يسابقون بباطلهم أهل الحق إلى العقول هي على نقيض صفات أهل الحق، فإذا كان أهل الحق يتصفون بالرحمة بالخلق، ورحمتهم بهم تحملهم على إبلاغ الحق إلى عقولهم، فإن أهل الباطل يتصفون بالقسوة والغلظة، ولعدم رحمتهم بالخلق يحاولون أن يسبقوا أهل الحق بإبلاغ باطلهم إلى عقول الناس، ويتخذون لذلك كل الوسائل القاسية الغليظة الخالية من الرحمة لذلك السباق ولما كانت النماذج المعاصرة أقرب إلى ذهن القارئ لأنه يراها ويسمع عنها، ويعيش في زمن أحداثها، فإن الاستشهاد بما أقرب إلى إقامة الحجة بها وسعرض هنا خمسة نماذج من قساة القلوب الذين نزع الرحمة من قلوبهم:

النموذج الأول: قساة القلوب من اليهود النموذج الثاني: قساة النصارى النموذج الثالث: قساة الوثنيين النموذج الرابع: قساة الملحدين.

النموذج الخامس: قساة المنافقين النموذج الأول قساة اليهود إن الأمة التي تكذب قادة دعاء الحق -الأنبياء والرسل- وتقتلهم، وهم يتوجهون إليها بدعوتها إلى الدخول في رحمة الله بها في الدنيا والآخرة، هي أمة بلغت أقصى

حد القسوة والغلظة، وإذا نزع الرحمة من قلوبها في معاملتها لأنبيائها ورسالتها، فما الذي يتوقع منها في معاملتها لغيرهم؟ وبخاصة إذا كانوا أعداءها، وبالأخص إذا كان أعداؤها هم المسلمين الذين حسدوا رسولهم ورسالته في أول مجيئها، وحاولوا القضاء عليها في مهدها بقتل نبيها غيلة، وتآلب قوى الشر في الجزيرة العربية على حملتها، بعد نقضهم العهود والمواثيق التي كانت بينهم وبين الرسول -صلى الله عليه وسلم- فيها هم اليوم يغتصبون بلاد المسلمين -بمعاونة النصارى- ويقتلون أبناءهم، ويسجنونهم، ويعذبونهم بأقسى أنواع التعذيب، ويخرجونهم من ديارهم، ويهدمون على رؤوسهم منازلهم، ويدنسون مقدساتهم -ومنها قبلة المسلمين الأولى ومسرى رسولهم- صلى الله عليه وسلم.

وقد اغتصبا أرض فلسطين سنة ١٩٤٨م وأخلوا يعيثون فسادا في البلاد والعباد، ولست بمحاول تتبع معاملتهم القاسية لأهل البلاد من ذلك التاريخ، وإنما أذكر أمثلة قليلة من تلك المعاملة قريية العهد، قرأها الناس في الصحف والمجلات، وشاهدوها في التلفاز وسمعوها في الإذاعة، وأكثر ما تذكر ذلك مفصلا وسائل الإعلام الأجنبية الموالية والمؤيدة لليهود: الأوروبية والأمريكية [هذا كان قبل وجود بعض الفضائيات العربية التي أصبحت تنقل مجازر اليهود للفلسطينيين ساعة بساعة، وفي مواقع الإنترنت خير شاهد على ذلك] وشهادة الأهل على الأهل أقوى حجة من غيرها -ومع أن هذه الإشارة كافية لمن يعيش في هذه الأيام على الكوكب الأرضي؛ لأن مظاهر قسوة اليهود تعتبر بدهية عندهم، ويكفي أن يُذكرُوا بما للدلالة على فقد اليهود الرحمة في قلوبهم، أقول مع أن ذلك كاف فلا بد من ضرب أمثلة لتكون أكثر تذكير للحاضر ومرجعا للأجيال القادمة وسائقصر على بعض الأمثلة بذكرها من مرجع واحد وهو: (الانفاضة المباركة، وقائع وأبعاد) [للكاتب غسان حمدان] فقد ذكر في الفصل الثالث من الكتاب -وعنوانه الإجراءات الإسرائيلية الإرهابية: العناوين الآتية:

سياسة القبضة الحديدية. الاعتقالات العشوائية مبدأ راين [كان وزيراً للدفاع، ثم أصبح رئيساً للوزراء، وقد اغتاله بنو جلدته احتجاجاً على ما ظهر لهم من تقارب مع الشرطة الفلسطينية] في تكسير العظام. تعطيل الخدمات الصحية العقاب الجماعي. انتهاك حرمة المقدسات الإسلامية الحرب الاقتصادية. اشتراك للمستوطنين في القمع محاولة كسر الإضراب التجاري. دفن الأحياء الاعتداء على المؤسسات التعليمية. هدم ونسف المنازل قنابل الغاز السامة. أجهزة عسكرية متطورة إبعاد المواطنين خارج فلسطين. الحرب النفسية التعميم الإعلامي وسأقتطف بعض الجمل مما فصل المؤلف، بعد ذكره هذه البنود قال: (لم يترك جنود الجيش الإسرائيلي أسلوبا للتنكيل بالمواطنين إلا وتسابقوا على تنفيذه، حتى وإن أثار إرهابهم العالم -إلى أن قال: وحول الأساليب القمعية والإجراءات التي اعترف المحرم شامير [كان رئيساً للوزراء] بأن الجنود كلفوا بتنفيذها، فإنها تحتاج إلى مجلدات كبيرة، ويكفي أن نورد أبرز هذه الأساليب مدعمة ببعض الشواهد، على سبيل المثال لا الحصر:

١- اقتحام المنازل بعد فرض حظر التجول، وتحطيم الأثاث وزجاج النوافذ، والعبث بمحتويات المنزل... بالإضافة إلى الاعتداء على الموجودين فيها... رجالاً ونساء... كباراً في السن أو صغاراً... ٢- قذف قنابل الغاز السامة والمسيلة للدموع داخل المنازل... كما عمدت قوات العدو إلى أسلوب جديد للتنكيل باستخدام هذه القنابل، حيث يقوم الجنود بإطلاق عدد من القنابل الغازية والدخان في المنازل، ثم يجبرون المواطنين على دخول المنازل تحت الضرب الشديد ٣- إطلاق يد حرس الحدود... بأعمال تحريب وإهانة. ٤- إخراج الرجال والأطفال من منازلهم

وضربهم ضرباً مبرحاً بالهراوات وأعقاب البنادق، ثم ربطهم إلى أعمدة الكهرباء والهاتف والاستمرار في ضربهم إلى أن يفقد الشخص المربوط وعيه، وعندئذ يرش عليه الماء البارد ويعود الضرب من جديد، وقد يلجأ الجنود إلى ضرب رأس المعتقل بالحائط والعمود.. ٥ - استغلال تأخر بعض المواطنين في الوصول إلى منازلهم ليلاً، فيقوم الجنود باعتقالهم وتكسير أطرافهم... وإلقائهم في أماكن نائية في الطريق...

٦ - تجميع أعداد كبيرة من المواطنين ممن يتصادف مرورهم في الشوارع، وحشرهم في محلات تجارية، بعد فتحها بالقوة ثم يقوم الجنود بإلقاء قنابل غاز مسيل للدموع.. ويغلقون أبواب الخال والمواطنون بداخلها.. ٧ - ... إلقاء الحجارة أو إطلاق النار على اللواقط الزجاجية للسخانات الشمسية المنصوبة على أسطح المنازل.. وتحطيمها.. إطلاق النار على خزانات المياه لتفريغها من الماء، بهدف تعطيش المجاهدين الصامدين، ووصل الأمر إلى أن يقوم بعض الجنود الذين يحتلون أسطح المنازل والمدارس بالتبول داخل خزانات المياه.. وتحطيم أسقف المنازل المصنوعة من القراميد، ونتيجة لهذا العمل باتت كثير من الأسر الفلسطينية في مخيم جباليا تحت المطر وفي البرد والعراء ٨ - ربط بعض الشباب إلى مقدمة سيارات الجيب العسكرية، التي تنطلق بسرعة ثم تتوقف فجأة، مما يؤدي إلى قذف الشخص الذي كان موثقاً إلى مقدمة السيارة مسافة بعيدة عنها، مما يؤدي إلى إصابتهم بجروح وكسور ورضوض في جميع أنحاء الجسم ٩ - استخدام الجيش بعض المعتقلين أو المارة دروعاً بشرية في مواجهة المظاهرات، وحجارة المجاهدين..

١٠ - إدخال الإطارات المشتعلة إلى منازل المواطنين الذين يرفضون إطفاءها مما يؤدي إلى احتراق المنازل أو أجزاء منها.. ١١ - تجميع المعتقلين في سيارة باص.. والاعتداء عليهم بالضرب، ثم إلقائهم واحداً بعد الآخر أثناء سير الباص في أماكن مختلفة.. ١٢ - إلقاء مواد تويينية فاسدة، وبخاصة البسكويت والشيكولاتة في مداخل القرى والمخيمات -لنتقع- تحت متناول الأطفال في محاولة لتسميمهم وقتل أكبر عدد ممكن من أبطال الانتفاضة.. ١٣ - قتل الأسرى والمعتقلين ١٤ - استخدام طائرات اهليكوبتر.. في إطلاق القنابل الغازية والمسيلة للدموع على جموع المتظاهرين في داخل القرى والمخيمات عند عجز قوات المشاة والآليات في اقتحام مناطق المظاهرات، كما جرى تطوير عدد من هذه الطائرات، حتى تتمكن من إلقاء كمية كبيرة من الحجارة على المجاهدين، حيث زودت بمدفع قاذف للحجارة... كما تقوم الطائرات العسكرية المروحية بعمليات إنزال جوي للمظليين في القرى التي يغلق أهلها جميع مداخلها في وجه الجنود.. وتستخدم شبكة تلقيها من الطائرة لاعتقال الشباب المجاهد -كما يفعل صيادو الأسماك في البحر.

بل إن الجنود يحملون المعتقل في الطائرة ويرمون من الجو فيصاب بجروح وكسور خطيرة.. ١٥ - الاقضاء على من يتم القبض عليهم من الشباب المجاهد بالهراوات والعصي وأعقاب البنادق، وعلى جميع الأعضاء في الجسد وخاصة اليدين والقدمين.. وهذا هو مبدأ إسحاق رابين الذي نعت هذه العمل بقوله: (إن هذا الأسلوب أكثر فعالية من الاعتقالات، حيث إن المعتقل في سجن الفارعة مثلاً يمكث.. (١٨ يوماً) يعود بعدها إلى الشوارع للتظاهر وقذف الحجارة، أما إذا قام الجنود بكسر يديه فإنه لن يتمكن من العودة إلى الشارع قبل شهر ونصف على الأقل... [وقد شاهد العالم في كل مكان الجنود اليهود وهم يكسرون عظام الشباب الفلسطيني بالحجارة] وهكذا يضرب الجنود اليهود كثيراً من الشباب الفلسطيني حتى يموتوا...

١٦ - يضاف إلى ذلك أنواع أخرى من التعذيب الوحشي الذي يصعب حصره، وقطع المواصلات والاتصالات الهاتفية، ومنع إبلاغ المواد الغذائية والتموينية إلى المخيمات، وقطع الخدمات الأساسية، كالكهرباء والماء وتخفيض السيولة النقدية في المناطق المحتلة إلى أدنى حد ممكن، ووقف صرف رواتب المعلمين والمعلمات، ورفع الضرائب المرهقة، ومنع تصدير المنتجات الزراعية لإحداث خسائر فادحة على الفلسطينيين، وإغلاق الأسواق وإتلاف الحاصيل الزراعية، وإغلاق الجامعات والمدارس، وتحويل بعض المدارس إلى ثكنات عسكرية وتعطيل الخدمات الصحية، ومداومة المستشفيات والعيادات الصحية ١٧ - انتهاك حرمت المقدسات الإسلامية:

- تكثيف الوجود العسكري حول المساجد وإقامة الحواجز في الطرق المؤدية إليها ومضايقة.. الذاهين لأداء الصلاة بتفتيشهم ومصادرة هوياتهم - مع السب والشتم المؤذي لمشاعرهم - اقتحام المساجد والاعتداء على المصلين بالضرب بالمراوات وأعقاب البنادق والركل بالأرجل، ولا يستثنى من هذا الاعتداء أئمة المساجد - قطع الكهرباء عن المساجد قليل موعدا صلاة الجمعة لمنع الخطباء من التطرق إلى الانتفاضة الجهادية عن طريق مكبرات الصوت..

- اعتقال عدد من علماء الإسلام وخطباء المساجد - قذف قنابل الغاز داخل المساجد أثناء تجمع المصلين وإغلاق أبواب المساجد، وأحيانا إطلاق الرصاص على المصلين.. - إغلاق عدد من المساجد ومنع المواطنين من أداء الصلاة فيها.. - مصادرة مكبرات الصوت الخاصة بالأذان.. - الاعتداء على كبار العلماء مثل مفتي القدس ومحاوله إحراق المسجد الأقصى.. - الإذنب للعصابات اليهودية بتدنيس المسجد الأقصى - تمزيق جنود اليهود أعدادا كبيرة من المصاحف وسب الدين الإسلامي.. ١٨ - دفن الأحياء من شباب الجهاد ١٩ - هدم ونسف المنازل ٢٠ - إبعاد المواطنين خارج فلسطين (إخراجهم من أرضهم وديارهم..) [راجع الكتاب المذكور من صفحة ٣٢٧، ٣٧٦ وقد حاولت أن أسجل للقارئ صوراً مختصرة جدا مع شيء من التصرف] وبمناسبة ذكر إبعاد المواطنين عن ديارهم وأرضهم، فإن المناسب ذكر حادثة حصلت هذه الأيام، وهي حادثة مؤلمة أمام سمع العالم وبصره، وأمام سمع العالم الإسلامي وبصره، وأمام من يسمى بالعالم العربي وبصره وخلاصتها:

أن شباب الجهاد (المنتمين إلى منظمة حماس) اختطفوا جنديا يهوديا في الأرض التي احتلها اليهود سنة ١٩٤٨ م وطالبوا بالإفراج عن زعيمهم المقعد الحكوم عليه بالسجن الأستاذ أحمد ياسين مقابل الإفراج عن الجندي اليهودي وحددوا وقتا معيناً لدولة اليهود وإذا لم يفرجوا عن الزعيم المسلم فإنهم سيقتلون الجندي اليهودي، وبعد مضي المدة المحددة بفترة قتلوه ووجدت القوات اليهودية القتل في الضفة الغربية مقتولا فطارت طائرتهم بعد أن حملوا حملة اعتقالات ودايموا المدن والقرى والمنازل وقتلوا عددا من شباب فلسطين وجرحوهم قبل العثور على جثة القتل أما بعد ذلك فقد أضاف اليهود إلى قسوتهم قسوة أشد فأخذوا آلاف من منازلهم وزجوا بهم في السجون والمعقلات واختاروا أربعمائة وخمسة عشر من خيرة رجال الدعوة والجهاد من ذوي المؤهلات العلمية من حملة الدكتوراه والماجستير والليسانس من معلمين وأطباء ومهندسين وكتاب وعلماء شريعة وحملوهم في شاحنات معصوبي الأعين وتعاونت الحكومة اليهودية والحكمة العليا اليهودية فأصدرت هذه حكمها القاسي الظالم وطرده العدد المذكور ونفذت تلك المحكمة اليهودية الظالمة هذا الحكم الجائر!

وفي الحلود بين ما يسمى بالشريط الأمني الذي اغتصبته الدولة اليهودية من لبنان وبين الحلود اللبنانية، أنزلوا المظلومين وأطلقوا فوق رؤوسهم النار ليدخلوا الأراضي اللبنانية، واستقبلهم الجنود اللبنانيون بالنار من الجهة

البنانية، فإذا هم على قمة جبل تتساقط عليه الثلوج وهم في العراء في الشتاء القارص، لا طعام، ولا شراب ولا مأوى، ولا غطاء ولا دواء، وكان ذلك في يوم الخميس الموافق لـ ٢٣ من شهر جمادى الآخرة سنة ١٤١٣هـ - ١٧ ديسمبر سنة ١٩٩٢م، وتمكن الصليب الأحمر في الأيام الأولى من مساعدتهم بعدد من الخيام والأغطية والطعام والماء والدواء، ثم تأمر اليهود من الجنوب، والنصارى والعلمانيون من الشمال، على منع أي مساعدات لهم عن طريق أهلهم أو الصليب الأحمر، لا من فلسطين المعتصبة، ولا من لبنان، بحجة أن كل دولة منهما ليست مسؤولة عنهم، أما اليهود فلا يريدون الاعتراف بأن لهم أي حق في المساعدة التي تأتيهم من دولتهم، لأنهم قد أبعدهوا إلى خارجها، وأما اللبنانيون فيريدون أن لا يتحملوا تصرفات حكومة اليهود، ويزعمون أن في ذلك ضغطا على اليهود لإعادتهم، فانقطع عنهم كل شيء في ذلك الجبل وفشت في بعضهم الأمراض وصورهم المخزنة

تنقل للعالم كله عبر التلفاز، وأصدر مجلس الأمن الأمريكي الذي يُزعم له بأنه تابع لهيئة الأمم المتحدة قرارا يدين الدولة اليهودية ويطلب منها إعادة النظر في قرارها، وبعث النصراني المعصب الحاقد على الإسلام والمسلمين بطرس غالي أمين عام هيئة الأمم المتحدة مندوبا عنه إلى دولة اليهود ودولة لبنان للإذن بإسعاد المظلومين، الذين يطلقون عليهم كلمة مبعدين، ولكن كلتا الدولتين ردتا على عقبه خائبا وهو يوالي ضحكاته في اجتماعاته مع اليهود واللبنانيين وكأنه بعث لحضور عرس وليس لإنقاذ نفوس وها أنا أكتب هذه الصفحات في يوم الثلاثاء الموافق ٥ من شهر رجب سنة ١٤١٣هـ - وهم على حاهم من الجوع والعطش والبرد والمرض وقد مضت عليهم اثنتا عشرة ليلة على تلك الحال، والعالم يتفرج والمسلمون يتفرجون والعرب يتفرجون! فهل من قسوة فوق هذه القسوة اليهودية، وهل يمكن أن تكون في قلوب أعداء الله وأعداء رسله رحمة بعد هذه الأعمال (١)؟! وقد اضطرت الدولة اليهودية المُغتصبة إلى قبول عودتهم، لكثرة الاحتجاجات العالمية، وزجت بكثير منهم في السجون بعد أشهر من الإبعاد والحرمان من أي حق يستحقه أي حيوان في الأرض!

(١) هذه الحادثة لا تحتاج إلى ذكر مرجع، ويكفي أن يعرف القارئ التاريخ ثم يضع يده على أي جريدة أو مجلة في أي بلد وبأي لغة ليقرأ تفاصيل القصة، والذي يشاهد التلفاز لا يحتاج إلى قراءة، والذي سيقراً القصة في المستقبل يستطيع البحث عن شريط فيديو ليرى ما رأينا.

هؤلاء هم اليهود وهذا فعلهم بذراري من آووهم وحموهم، وفتحوا لهم أبواب الاقتصاد والعلم والسياسة والحرية العقديّة والعبادية من المسلمين، عندما كان النصارى يتبعوهم ويضطهدوهم، وينزلون بهم أنواع النكال فيجازون الآن أبناء المسلمين الذين أحسنوا إليهم كما يجزى سنمار [راجع كتاب: خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية لعبد الله التل لمعرفة ما واجهه اليهود من مطاردة وقتل وتشريد في الدول الأوروبية، وبخاصة بريطانيا وفرنسا وأسبانيا وألمانيا وغيرها كبلندا وإيطاليا ورومانيا وبلغاريا وسويسرا وهنغاريا، وفي روسيا أيضا، كل ذلك بسبب ما عرفه العالم من مكر اليهود وخبثهم ومحاولتهم السيطرة على غيرهم واستعباد الشعوب. ولم يجد اليهود من يجمعهم ويرعاهم ويحسن إليهم إلا المسلمون في أسبانيا ثم في البلدان الإسلامية في الشرق راجع الكتاب المذكور من ص ١٠٦ - ١٢٠. دار القلم الطبعة الثانية].

وكان ينبغي أن يعتبر اليهود بما نالهم من عذاب وقسوة من عهد فرعون إلى عصرنا هذا، ويقدرُوا صفة الرحمة التي كانوا في أمس الحاجة إلى من يعاملهم بما فيدربوا أنفسهم على اكتسابها - وإن كانت مفقودة في قلوبهم - ولكنهم لم يعتبروا، بل لا زالت قلوبهم تقسو وتزداد غلظة كلما زادت قوتهم وسيطرتهم كانت كتابة هذه السطور قبل تسع سنين. وقد اشتدت الخنة على إخواننا الفلسطينيين، بعد قيام الحركة الجهادية الثانية - حركة الأقصى - التي أشعل فتيلها الحارم شارون، عندما دنس بدخوله باحة الأقصى بحماية الجيش اليهودي، بتاريخ ١ / ٧ / ١٤٢١ هـ - ٢٨ / ٩ / ٢٠٠٠ م قبل أن يكون رئيسا للوزراء، وهو اليوم [بعد أن أصبح رئيسا للوزراء] يعيش في الأرض المباركة فسادا لا يخفى على أهل الأرض جميعا، يعون ومدد من الدولة الصليبية المعاصرة [أمريكا] وحلفائها الأوروبيين، مع خذلان زعماء العالم الإسلامي، وبخاصة زعماء العرب للمظلومين من أبناء هذا الشعب المجاهد المسلم، وكأن الأمر لا يعني هؤلاء الزعماء، الذين سيفرغ لهم اليهود بعد القضاء على الشعب الفلسطيني وتشريده من أرضه [نرجو الله ألا يحصل ذلك] وسيقول كل زعيم عندئذ: أكلت يوم أكل الثور الأبيض!

هؤلاء هم اليهود، فما نصيب النصارى من الرحمة؟!

النموذج الثاني: قساة النصارى في العصور الماضية من الصعب جدا تتبع الأمثلة الدالة على أن الرحمة قد نزعَت من قلوب زعماء النصارى وكثير من مفكريهم، وأن القسوة والغلظة والوحشية قد حلت محلها، ويكفي المرء دليلا على ذلك أن يتتبع ممارستهم في هذا العصر، في مشارق الأرض ومغاربها، عن طريق أجهزة إعلام النصارى أنفسهم - وما يخفونه أكبر - وبخاصة ما يسومون به المسلمين من قتل وتشريد وظلم متعمد وسأكفي بمثالين بارزين قديمين دالين على قسوة كثير من النصارى ووحشتهم وغلظ قلوبهم وخلو قلوبهم تلك من الرحمة، قبل أن أنقل إلى ذكر بعض الأمثلة المعاصرة الدالة على ذلك المثال الأول:

معاملة النصارى في الأندلس للمسلمين الذين أسسوا في بلادهم - عندما فتحوها - حضارة لم تعهد لها أوروبا ولا غيرها من بلاد العالم، حتى أشرقت أنوار تلك الحضارة على أوروبا، وكانت هي منطلق التقدم المادي الذي نشاهده الآن في الغرب، ولو أن أهل الغرب أخلوا بتوجيه المنهج الإسلامي كله، لكانوا حملة راية الإسلام وقادة المسلمين في العالم كله وشهد شاهد من أهلها.

وسأقل نصا فيه شيء من الطول لهذا المثال، من كتاب لمؤلف غربي حتى ينطبق عليه المثل القرآني السائر: { وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا } [يوسف: ٢٦].

قال غوستاف لوبون : (وعاهد فرديناند -نصراني أسباني كاثوليكي استولى على آخر مملكة إسلامية وهي غرناطة سنة ١٤٩٢م - العرب على منحهم حرية التدين واللغة، ولكنه في سنة ١٤٩٩م، لم تكذب حتى حل بالعرب دور الاضطهاد والتعذيب الذي دام قرونا، والذي لم ينته إلا بطرد العرب من إسبانيا، وكان تعميدهم كرها فاتحة ذلك الدور، ثم صارت محاكم التفتيش تأمر بإحراق كثير من المعمدين على أنهم من النصارى، ولم تتم عملية التطهير بالنار إلا بالتدريج، لتعذر إحراق الملايين من العرب دفعة واحدة، ونصح كردينال طليطلة التقي! الذي كان رئيسا لمحاكم التفتيش، بقطع رؤوس جميع من لم ينتصر من العرب رجالا ونساء وشيوخا وولدا، ولم ير الراهب الدومينيكي " بليدا " الكفاية في ذلك، فأشار بضرب رقاب من تنصر من العرب، ومن بقي دينه منهم، وحثته

في ذلك أن من المستحيل معرفة صدق إيمان من تنصر من العرب، فمن المستحب إذن قتل جميع العرب بحد السيف، لكي يحكم الرب بينهم في الحياة الأخرى ويُدخل النار من لم يكن صادق النصرانية منهم، ولم تر الحكومة الأسبانية أن تعمل بما أشار به هذا الدومينيكي الذي أيده الأكليروس في رأيه، لما قد يديه الضحايا من

مقاومة، وإنما أمرت في سنة ١٦١٠م بإجلاء العرب عن أسبانيا، فقتل أكثر مهاجري العرب في الطريق، وأبدى ذلك الراهب البارع " بليدا " ارتياحه لقتل ثلاثة أرباع هؤلاء المهاجرين في أثناء هجرتهم، وهو الذي قتل مائة ألف مهاجر من قافلة واحدة، كانت مؤلفة من أربعين ومائة ألف مهاجر (١٤٠٠٠٠) مسلم حينما كانت متجهة إلى أفريقيا وخسرت أسبانيا بذلك مليون مسلم من رعاياها في بضعة أشهر، ويقدر كثير من العلماء - ومنهم " سيديو " - عدد المسلمين الذين خسرتهم أسبانيا منذ أن فتح " فرديناند " غرناطة حتى إجلائهم الأخير بثلاثة ملايين، ولا تعد ملحمة سان باتلمي إزاء تلك المذابح سوى حادث تافه لا يؤبه له ولا يسعنا سوى الاعتراف بأننا لم نجد بين وحوش الفاتحين من يؤاخذ على اقتراه مظالم قتل كتلك التي اقترفت ضد المسلمين ومما يرثى له أن حرمت إسبانيا عمدا هؤلاء الملايين الثلاثة الذين كانت لهم إمامة السكان الثقافية.. والصناعية..

وسرى القارئ في الفصل الذي خصصناه للبحث في وراثي العرب مقدار الانحطاط الذي أسفر عن إبادة العرب، وإذا كنت قد أشرت إلى هذا هنا فلأن شأن العرب المدني لم يبد في قطر ملكوه كما أيد في أسبانيا، التي لم تكن ذات حضارة تذكر قبل الفتح العربي، فصارت ذات حضارة ناضرة في زمن العرب، ثم هبطت إلى الدرك الأسفل من الانحطاط بعد جلاء العرب، وهذا مثال بارز على ما يمكن أن يتفق لعرق من التأثير... [كتاب حضارة العرب، للدكتور غوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتير، الطبعة الرابعة ص ٢٧٠، ٢٧٢ وراجع الفصل الذي يليه لمعرفة أثر الحضارة الإسلامية في أوروبا]. المثال الثاني:

ومما يدل على قسوة كثير من النصارى ووحشيتهم وخلو قلوبهم من الرحمة، ما عاملوا به المسلمين في بعض الحروب الصليبية وأنقل في ذلك نصاب فيه شيء من الطول كذلك لنفس الكاتب: " غوستاف لوبون " الذي قال: (ويدل سلوك الصليبيين في جميع المعارك على أنهم من أشد الوحوش حماقة، فقد كانوا لا يفرقون بين الحلفاء والأعداء، والأهلين العُزل والجارين، والنساء والشيوخ والأطفال، وقد كانوا يقتلون وينهبون على غير هدى.

ونرى في كل صفحة من الكتب التي ألفها النصارى في ذلك الزمن براهين على توحش الصليبيين، ويكفي لبيان ذلك أن نقل الخبر الآتي الذي رواه الشاهد الراهب " روبرت " عن سلوك الصليبيين الحربية [الصواب أن يقال: (الحربي) لأنه نعت حقيقي لسلوك، وهو مفرد، ونعت المفرد يكون مفردا]. وذلك بالإضافة إلى ما حدث حين الاستيلاء على القدس قال المؤرخ الراهب التقي! روبرت :

" وكان قومنا يجوبون الشوارع والبيوت، ليرووا غليلهم من التقتيل، وذلك كاللبؤات التي خطفت صغارها، وكانوا يذبحون الأولاد والشبان والشيوخ ويقطعونهم إربا إربا، وكانوا لا يستبقون إنسانا، وكانوا يشنقون أناسا كثيرين بجبل واحد بغية السرعة، فيا للعجب ويا للغرابة أن تذبح تلك الجماعة الكبيرة المسلحة بأقصى سلاح من غير أن تقاوم! [يبدو أنه يستبعد أن يكون هؤلاء الضحايا مسلحين، لأنهم لو كانوا مسلحين لدافعوا عن أنفسهم.]

وكان قومنا يقبضون على كل شيء يجدونه، فيبقرون بطون الموتى، ليخرجوا منها قطعاً ذهبية، فيا للشره وحب الذهب! وكانت الدماء تسيل كالأنهار في طرق المدينة المغطاة بالجنث فيا لتلك الشعوب العمي المعدة للقتل! ولم يكن بين تلك الجماعة الكبرى واحد ليرضى بالنصرانية دينا، ثم أحضر " بوهيموند " جميع الذين أعتقلهم في برج القصر، وأمر بضرب رقاب عجائزهم وشيوخهم وضعفائهم، ويسوق فتياهم وكهولهم إلى أنطاكية لكي يباعوا فيها...". إلى أن قال:

"وكان سلوك الصليبيين حين دخلوا القدس غير سلوك الخليفة عمر بن الخطاب نحو النصارى حين دخلها منذ بضعة قرون، قال كاهن مدينة "لوبوي" " ريموند داجي ": حدث ما هو عجب بيد العرب عندما استولى قومنا على أسوار القدس وبروجها، فقد قطعت رؤوس بعضهم. فكان هذا أقل ما يمكن أن يصيبهم (!) وبقرت بطون بعضهم فكانوا يضطرون إلى القذف بأنفسهم من على الأسوار، وحرق بعضهم في النار، فكان ذلك بعد عذاب طويل، وكان لا يرى في شوارع القدس وميادينها سوى أكداس من رؤوس العرب وأيديهم وأرجلهم، فلا يمر المرء إلا على جثث قتلاهم، ولكن كل هذا لم يكن سوى بعض ما نالوا...".

وروى ذلك الكاهن الحليم خير ذبح عشرة آلاف مسلم في مسجد عمر، فعرض الوصف اللطيف الآتي:
" لقد أفرط قومنا في سفك الدماء في هيكل سليمان، وكانت جثث القتلى تعوم في الساحة هنا وهناك، وكانت الأيدي والأذرع المبتورة تسبح كأنها تريد أن تتصل بجثث غريبة عنها، فإذا ما اتصلت ذراع بجسم لم يعرف أصلها، وكان الجنود الذي أحدثوا تلك الملحمة لا يطبقون رائحة البخار المنبعثة من ذلك إلا بمشقة... " [المرجع السابق: ص ٣٢٥، ٣٢٧]

قسوة النصارى ووحشيتهم في هذا العصر.

أما الأمثلة على قساوة قلوب النصارى وغلظتهم ووحشيتهم في هذا العصر وبخاصة على المسلمين، فالكرة الأرضية كلها تشهد بما وتن من وطئتها، وساكنو هذا الكوكب يقرؤون ذلك ويسمعونه ويشاهدونه في كل مكان [لا نريد الحديث عن الفظائع التي ارتكبتها النصارى في القارات التي احتلوها بالكامل وقضوا على ساكنها بدون رحمة وجعلوا من بقي منهم ذليلاً مهاناً أقل عندهم من رتبة الحيوان، كما هو الحال في أمريكا الشمالية والجنوبية وأستراليا، ولا الحديث عن تجارة الرقيق التي عمت أقطار أفريقيا وأسهمت فيها كل دول النصارى فهذا أمر يطول (راجع كتاب أفريقيا الإسلامية للدكتورة عناية الطحاوي ص ٢٣١)]. فقد عاثت الدول النصرانية فساداً، اعتدت فيه على ما اتفقت الأمم على وجوب حفظه، من الضرورات التي لا تحيا تلك الأمم إلا بحفظها، وهي: النفوس والعقول والنسل والمال - إضافة إلى الدين - ومن أمثلة ذلك:
أولاً: في القارة الأفريقية:

فقد تداعت دول أوروبا النصرانية على البلدان الأفريقية، في شمالها وجنوبها وشرقها وغربها ووسطها، وتقاسموها فيما بينهم - على شدة الاختلافات السائدة بينهم - وأنزلوا بسكانها من الدمار والهلاك ما تنورع عنه الوحوش في غاباتها، قضوا في كل بلد على زعمائه وقادته وسفكوا دماء الآلاف من أبنائه، بدون تفرقة بين الرجال والنساء، والشيوخ والكهول والشباب والأطفال، وشردوا الآلاف المؤلفة، وحرموا من بقي في البلاد من أقل حقوق الإنسان التي يتشدد النصارى بالدعوة إليها، فأذلوا بذلك سكان البلدان الأفريقية كلهم واستعبدهم وهبوا خيرتهم، كل

ذلك باسم الاستعمار والتحرير في شمال أفريقيا:

فقد نقل الأمير شكيب أرسلان عن بعض المراسلين الأوروبيين الذين رافقوا الجيوش الإيطالية عندما اغتصبت ليبيا شيئا يسيرا مما ذكره أولئك المراسلون وشاهدوه من أعمال غزاة الصارى الوحشية، فقال:

(وليس المسلمون وحدهم هم الذين شاهدوا أعمال الطليان وضجوا منها، بل ثمة كثير من الإفرنج شاهدوها وأنكروها، ومن ذلك المستر " فرانسيس ماكولا " الإنجليزي الذي كان مرافقا للجيش الإيطالي في طرابلس عند الاحتلال وشاهد تلك الفظائع بعينه، فقد قال: "أبيت البقاء مع جيش لا هم له إلا ارتكاب جرائم القتل، وإن ما رأيته من المذابح، وترك النساء المريضات العربيات وأولادهن يعالجون سكرات الموت على قارعة الطريق جعلني أكتب للجنرال " كانيفا " كتابا شديد اللهجة، قلت له: إني أرفض البقاء مع جيش لا أعده جيشا، بل عصابة من قطاع الطرق والقتلة) (ومن ذلك شهادة الكاتب الألماني " فون غوتبرغ " الذي قال: " إنه لم يفعل جيش بعده من أنواع الغدر ما فعله الطليان في طرابلس، فقد كان الجنرال كانيفا يستهين بكل قانون حربي، ويأمر بقتل جميع الأسرى، سواء قبض عليهم في الحرب أو في بيوتهم، وفي سيراكوزة الآن كثير من الأسرى الذين لم يؤسر واحد منهم في الحرب، وأكثرهم من الجنود الذين تركوا في مستشفى طرابلس وقد قبض الطليان على أولوف من أهل طرابلس في بيوتهم ونفوسهم -بدون أدنى مسوغ- إلى جزر إيطاليا حيث مات أكثرهم من سوء المعاملة.

وأقر ما قاله " هرمان رنولوف " المراسل النمساوي الحربي فقد وجد في الباخرة التي نقلت جانبنا من هؤلاء الأسرى فوصف تلك الحالة، فقال:

" في الساعة السادسة من مساء كل يوم يكبل هؤلاء المرضى بالحديد في اليد اليمنى والرجل اليسرى، حقا إن موسيقى هذه السلاسل تنفق مع المدنية التي نقلتها إيطاليا إلى أفريقيا، لا ريب أن الطليان قد أهانوا كثيرا، فلم يكف أنهم أسقطوا منزلة أوروبا العسكرية في نظر أفريقيا، حتى شوهوا اسم النصرانية أمام الإسلام " ثم قال: " وقد قتل الطليان في غير ميدان الحرب كل عربي زاد عمره على أربع عشرة سنة، ومنهم من اكتفوا بنفيه وأحرق الطليان في ٢٦ أكتوبر سنة ١٩١١م حيا خلف بنك روما، بعد أن ذبحوا أكثر سكانه بينهم النساء والشيوخ والأطفال " قال: " ورجوت طبيين عسكريين من أطباء المستشفى أن ينقلوا بعض المرضى والمصابين المطروحين على الأرض تحت حرارة الشمس فلم يفعلوا، فلجأت إلى راهب من كبار جمعية الصليب الأحمر، هو الأب " يوسف بافيلكو " وعرضت عليه الأمر، وأخبرت شابا فرنسيا أيضا، لكن الأب " بافيلكو " حول نظره عني ونصح الشاب بأن لا يزعم نفسه بشأن عربي في سكرات الموت، وقال: " دعه يموت ".

قلت (القائل هو الأمير أرسلان): " ليتأمل القارئ أن هذا الذي يقول هذا القول هو قسيس يزعم أنه ممثل المسيح على الأرض، وأنه من رجال الصليب الأحمر، أي الجمعية التي تزعم أنها تخدم الإنسانية بلا استثناء " ثم قال هذا المراسل النمساوي: " ورأيت على مسافة قريبة جنديا إيطاليا يرفس جثة عربي برجله، وصباح اليوم التالي وجدت الجرحى والمرضى الذين رجوت الراهب من أجلهم قد ماتوا... " ثم قال: " رأينا طائفة من الجنود تطوف الشوارع مفرغة رصاص مسدساتها في قلب كل عربي تجده في طريقها، قد نزع أكثرهم معاطفهم، ورفعوا أكمام قمصانهم كأنهم جزارون..... ".

وقال مراسل التايمز يومئذٍ -قلت [القائل هو شكيب أرسلان]: ولا يجوز أن ننسى أن غارة إيطاليا على طرابلس

كانت بالاتفاق مع فرنسا وإنجلترا، استرضاء لإيطاليا على إثر تقاسم إنكلترا وفرنسا مصر والمغرب:- "إن قسوة الانتقام التي استعملها الطليان في وقعة يوم الاثنين يليق أن يقال عنها إنها أعمال قتل عام، فقد فتكوا بكثير من الأبرياء، وستبقى ذكرى هذا الانتقام زمنا طويلا".

وقال المسي كسيرا مراسل جريدة " إكسليسيور" الباريسية: " لا يخطر ببال أحد ما رأيناه بأعيننا من مشاهد القتل العام ومن أكوام جنث الشيوخ والنساء والأطفال، يتصاعد منها الدخان تحت ملابسهم الصوفية كالبخور يحرق أمام مذبح من مذابح النصر الباهر، ومررت بمائة جثة بجانب حائط قضى عليهم بأشكال مختلفة وما فررت من هذا المنظر حتى تمتلئ أمام عيني عائلة عربية قتلت عن آخرها، وهي تستعد للطعام، ورأيت طفلة صغيرة أدخلت رأسها في صندوق حتى لا ترى ما يحل بها وبأهلها. إن الإيطاليين فقلوا عقولهم وإنسانيتهم من كل وجه" (...). [حاضر العالم الإسلامي (٢٦٤-١٢٨) ذكر فيها الأمير شكيب أرسلان من الفطاع الوحشية التي قام بها النصارى الإيطاليون ما لا يكاد يصدق العقل فراجع ذلك إن شئت والتاريخ الإسلامي (١٤ / ٢٤)]. هذه نصوص مختزلة لبعض المراسلين الأوروبيين عن وحشية النصارى وقساوة قلوبهم وخلوها من الرحمة، في بلد واحد وهو ليبيا ومن جيش بلد أوروبي نصراني واحد، هو الجيش الإيطالي برضا الدول النصرانية الأخرى في أوروبا، وهو مثال ينطبق على كل البلدان التي اغتصبها النصارى في أفريقيا -وغيرها.

والعالم كله يعرف غلظة النصارى القرنسيين وقسوتهم ووحشيتهم التي عاملوا بها الشعب الجزائري الذي قدم مليون شهيد في سبيل إزاحة نير أولئك القساة من على كاهله، مع إهانة مقدساته والاعتداء على مساجده، التي حولوها إلى كنائس وذنسوها بالشرك بدلا من التوحيد الذي كان يعمرها [راجع كتاب: الاستعمار أحقاد وأطماع للأستاذ محمد الغزالي ص٣٧. وراجع كذلك التاريخ الإسلامي ١٤ / ٢٢٩ وما بعدها لخمود شاكرا .] وحدث عن قسوة النصارى واليهود مجتمعين على المسلمين اجتماعا مباشرا، كما حصل من بريطانيا وفرنسا ودولة اليهود على مصر المسلمة، ولا حرج وقرأ السطور القليلة الآتية التي سطرها الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله- عن العدوان الثلاثي على مصر سنة:

قال: "وإني ساعة كتابة هذه السطور أستمع إلى رواية شاهد عيان يصف غزو الحلفاء الثلاثة: إنجلترا وفرنسا وإسرائيل لمدينة "بور سعيد" قال: بذل الأهلون قصارهم في رد الجنود المهابطين بالمظلات، واستطاعوا مغالبة الأفواج الأولى منهم، بيد أنهم بوغتوا بمئات الطائرات ترحم المدينة بقذائفها الحارقة، وكان الأفق مليئا بهذه الأسراب المغيرة، تغدو وتروح، وهي تفرغ الهلاك في كل مكان!

خمسائة غارة في هذا اليوم الأخير -كما نطقت بذلك بلاغات العدو- وانضمت سفن الأسطول إلى هذا الهجوم، فأخذت تطلق مدافعها على المدينة اللاعبة، فرئيت القصور والنار تخرج من نوافذها، ثم ما هي إلا لحظات حتى تندك فوق رؤوس ساكنيها وسرى الرعب إلى الحيوانات التي تقطن المدينة، فانسابت تجري في مراعيها على غير هدى، غير أن الرصاص المنهمر لا يدعها تصل إلى مهرب، فأين المهرب للإنسان والحيوان في هذا البلاء المحيط؟ ولذلك تجاوزت في الميادين والأزقة جثة كلب شاردا وإنسان بانس... وكانت الجثث المتناثرة كأوراق الشجر الساقطة في فصل الخريف، تكسو الأرض المخضبة في منظر يثير اللوعة وأحيانا تجد كوما من الموتى وقع بعضهم على بعض فتساءل: أركموا هكذا بفعل فاعل؟... لله كم هي رخيصة دماء أولئك المسلمين؟! [الاستعمار أحقاد وأطماع ص

١٣٠، ١٣١] أما ما فعله الاستعمار الفرنسي ثم الاستعمار الإنجليزي في مصر فله شأن آخر وكذلك في السودان. [راجع شيئا من فظائع الفرنسيين في مصر في نفس الكتاب ص ١٥٢، ١٦٩] في شرق أفريقيا:

ولا يختلف ظلم النصارى الأقباط، وبخاصة في عهد الطاغية هيلاسلاسي، عن ظلم النصارى الأوروبيين للمسلمين وقسوتهم، إلا في أن ظلم نصارى الحبشة وقهرهم للمسلمين مستمر طويل لأنه صادر من قساة قلوب حاكمين من أهل البلاد أنفسهم، أما الأوروبيون فاعتصموا بالبلاد طارئاً، ومقاومة الطارئ مهما عتا وتجرأ أخف من مقاومة طاغ أصيل في البلاد، يمكنه أن ينال عون الظالم الأجنبي الطارئ، كما حصل لوحش الحبشة الذي أيدته جميع الدول النصرانية في الغرب لإنزال الضربات القاسية على المسلمين قتلاً وتشريداً وإذلالاً واعتداء على كل ضرورات الحياة، هذا مع أن نسبة المسلمين في البلاد تفوق نسبة غيرهم، ولكن عدوهم ينكر ذلك ويدعي العكس، وتعدت قسوتهم حدود الحبشة إلى الأوغادين الصومالية فكم قتلوا من النفوس وكم هدموا من القرى وكم شردوا من البشر [اقرأ في ذلك المرجع السابق من ص ٧١، ١٠٦] أما "إريتريا" المسلمة فقد دمروها وأحرقوها حرقاً وأبادوا شعبها إبادة جماعية، برغم مقاومتها الباسلة.

يقول هارون آدم علي: "تمكنت حركة الكفاح المسلح للشعب الإريتري في الفترة من ١٣٨١هـ - ١٣٨٦هـ من تصعيد عملياتها الجهادية بأسلوب حرب العصابات، حتى استطاعت استقطاب الجماهير في الريف الإريتري، وأصبحت عملياتها العسكرية تقض مضاجع الاستعمار الأثيوبي... (و) جن جنون الإمبراطور هيلاسلاسي، فأمر قواته بالزحف على الريف الإريتري معقل الثوار براً وجواً للقضاء على اليبس والأخضر، دون تمييز بين الثوار والشعب الأضعف من النساء والأطفال، بل أمر جنوده بإبادة ما يصادفونه من المواطنين بالرصاص وإضرام النار في المنازل، حيث عمت البلاد في عام ١٣٨٧هـ سلسلة من المجازر البشرية ما تفوق في قسوتها مجازر دير ياسين بفلسطين وشارب بفيل في جنوب أفريقيا، إذ سقط خلال عدة شهور من القصف الجوي الأثيوبي أكثر من ٦٠ ألف مواطن، جلهم من النساء والأطفال والكهول، ودمرت أكثر من ١٥٠٠ قرية، وقتل ما يقارب المليون رأس من الثروة الحيوانية، بالإضافة لانتهاك الحرمات وعمليات النهب والسلب والتدمير التي مارسها قوات الاحتلال الأثيوبي ضد الشعب الإريتري..." [اقرأ كذلك: الأفعى اليهودية في معقل الإسلام ص ١٧٨، ١٨٤].

ولا زال المسلمون في إريتريا يعانون عنتاً من النصارى، وبخاصة بعد استيلاء الحزب النصراني على البلاد الآن، بقيادة أسياسي أفورقي الذي ارتقى في أحضان اليهود وأنزل من الأذى والتشريد بالمسلمين ما يندى له الجبين ولعل هذه النماذج لقسوة النصارى في شمال أفريقيا وشرقها كافية لليقين بأن هؤلاء الأجيال العتاة الذين يزعمون التمدن وحماية حقوق الإنسان وإعمار الأرض وتحضير الناس والارتقاء بهم قد نزعوا الرحمة من قلوبهم.

ولا داعي لزيادة ذكر نماذج في بقية بلدان أفريقيا في غربها ووسطها وجنوبها، فالنماذج متقاربة، ولكن يضاف إلى أعمال الغاصبين الأوروبيين في غرب أفريقيا ووسطها، أنهم اتخذوا الجنس البشري بضاعة مزجاة، إذ كانوا يضطادون أهل البلاد رجالاً ونساءً وصغاراً وكباراً بأعداد هائلة ويمتلئون بهم السفن التي تبحر بهم إلى بلدان أوروبا وأمريكا، لبيعهم عبداً بالجنس الأثمن، حيث يستعبدونهم الجنس الأبيض ويرهبهم بالأعمال الشاقة، ليجود عليهم بلقمة العيش التي يبقون بها أحياء يكدون ويكدحون في المزارع والمصانع، ويعاملونهم معاملة أدنى من معاملة الحيوان، فلا يساكنونهم ولا يؤاكلونهم ولا يشاربونهم، ولا يسمحون لهم أن يلبسوا مثل لباسهم، ولا يركبوا

مركو بلقهم، ولا يأذنون لهم بتلقي التعليم مثلهم، وعندما افرج الأمر قليلا أذن لهم بالتعليم في مدارس خاصة بهم لا يختلطون بالبيض في مدارسهم وكان كثيرا من هؤلاء الأفارقة مسلمين ولم تلغ التفرقة العنصرية البغيضة قانونا إلا بعد كفاح مرير ومعاناة شديدة مروا بها.

ولا زال الاحتقار عمليا موجودا ضد الأفارقة في أمريكا، وكان أول حصن يحتمون به من تلك التفرقة العنصرية ويكافحون الجنس الأبيض انطلاقا منه، هو الإسلام الذي اعتنقه أليجا محمد من أجل تحرير قومه من ذلك الظلم الغاشم، وكان فهمه للإسلام فهما منحرفا، وبعد وفاته خلفه ابنه وارث الدين الذي بدأ يفهم الإسلام شيئا فشيئا بسبب زيارته للحرمين ولقائه العلماء في الحجاز واتصاله بالمسلمين العرب وغيرهم به في أمريكا حتى تخلص من مفاهيم والده الخطيرة للإسلام وأصبح هو وقومه الآن أقرب إلى فهم الإسلام، وبذلك أصبحت عندهم عزة وبدأ الأمريكيون يحترمونهم

قسوة النصارى في آسيا:

قسوة الإنجليز على أهل فلسطين قبل أن تسلم أرضهم لليهود وقد ذكر نبذة مختصرة من ذلك الشيخ الغزالي ، فقال:

(تفنتت السلطة البريطانية في أساليب التعذيب ووسائله، واستخلمت العلم وأدواته لإنزال أشد ما يمكن من الألم بأهالي فلسطين، والتعذيب عندهم على نوعين: تعذيب فردي لإكراه الفرد على الاعتراف. وهو ما يجري عادة في سراديب تحت الأرض [وهو أسلوب متبع لدى كل من انتزعت الرحمة من قلبه حتى من المنتسبين إلى الإسلام، كما سيأتي.] وتعذيب عام يرتكب في الجماعات لإرهاب الأهالي وإرهاقهم، وهو ما يجري على ملأ من الناس في البيوت والطرق وساحات القرى في الليل والنهار التعذيب الفردي

[وهو أيضا أسلوب متبع يمارسه الآن اليهود في فلسطين والعلمانيون في بلاد المسلمين] ١-الزنزارة: وهي سجن ضيق لا يكاد يسع الإنسان، وطعام السجن كسرة صغيرة من الخبز الرديء مع قليل من الماء ٢-الضرب، وهم يضربون الشخص بالسياط والأيدي والأرجل، حتى يغمى عليه، وتثورم الرجلان من كثرة الضرب، ثم يضعونه تحت صنابير الماء البارد زيادة في إيلامه ٣-التهديد بالقتل، يخرجون المسدسات، ويصوبونها إلى وجهه، ويهددونه بإطلاقها عليه.

٤-الزجاج والمسامير، يكرهونه على السير فوق قطع من الزجاج والمسامير، ويكرهونه على القفز فوقها، فإذا توقف ضربوه بالسياط، فلا يزال يقوم ويقع والدم ينزف من رجليه ويديه وسائر جسمه، حتى يرتمي آخر الأمر منهوكا أو مغمى عليه، وينزعون ثيابه، ويضربونه بألواح من خشب فيها مسامير فيسيل دمه ٥- أو يجلسونه على خشبة خازوق ويربطون في رجليه أثقالا من أكياس الرمل، حتى يغمى عليه ٦- أو يربطون إهامي رجليه بسلك من الحديد، ثم يشلون حتى تكاد إهامه تنقطع ٧- أو يربطون أعضائه التناسلية برباط متصل بكرة من السقف، ثم يجذبون الحبل شيئا فشيئا حتى يغمى عليه، وكثيرا ما قطعوا عضوه التناسلي ٨- تقطيع الأظافر والشعر بكلايب خاصة، ويشدون من شاربه ولحيته وينتفون شعره ٩- صب الماء في الجوف، ويصبون الماء في فمه بواسطة قمع خاص، حتى يملأ جوفه، وينفخ كالقربة ويتألم أشد الألم ١٠- الكي بالنار، ويحمون أسياخ الحديد حتى تلتهب كالجمر، ثم ينخسونه بأطرافها، ويأتون بالمسامير المحماة بالنار ويغرسونها تحت أظافره.

١١- التعذيب بالكهرباء: يضعون في يديه جهازا كهربائيا ويسلطون عليه تيارا كهربائيا أقل قوة مما يكفي للموت فيرتعد ويضطرب ويختلج، ولا يستطيع أن يلقي الجهاز من يديه ١٢- الفعل الشنيع! ١٣- سلخ قلمي المعذب، وصب الزيت المغلي عليها، ونسف الرجال بالديناميت، كما حدث في قرية الزيت ١٤- ينقلونه إلى المستشفى، حتى إذا شفي أرجعوه إلى التعذيب ثانية ١٥- يخفون الشخص الذي يظهر عليه أثر التعذيب، وأحيانا يقتلونه، ليخفوا أثر الجريمة ١٦- التعذيب بالإغراق، يلقونه في البحر حتى يشرف على الغرق، لإكراهه على الاعتراف ١٧- المسكرات والمخدرات، يجرعونها للقرويين كرها يصبونها بحلوقهم، ويحقنونهم بالمورفين، ويسمومهم بالكوكايين والهروين، كما جرى مع رفاق الشهيد المرحوم الشيخ فرحان السعدي ١٨- يعدون سرايب خاصة للتعذيب في دائرة المباحث الجنائية بالقدس وغيرها، فلما يجيء دور الرجل المراد تعذيبه، يأخذونه إلى أقبية التعذيب، وهو معصوب العينين بعد منتصف الليل، وبعد إغمائه من الألم ينقلونه إلى مخفر البوليس، ثم إذا أفاق يعيدون به إلى أقبية التعذيب.

١٩- يخفون المعذبين عن أهلهم وسائر الناس، لكي لا يمكنوا أحدا من زيارتهم أو معرفة مكافهم فإذا فرغوا من تعذيبهم وزال أثر التعذيب، نقلوهم إلى سجن القدس أو عكا أو معتقل المزرعة التعذيب العام عندما يعجز الجيش عن أن ينال من المجاهدين، ينقل إلى الفلاحين المساكين الآمنين في بيوتهم ينتقم منهم، ويشفي صدره بتعذيبهم بالضرب الشديد بأعقاب البنادق والهاويات الغليظة بلا شفقة ولا رحمة، وبدون تفريق بين الصغار والكبار والرجال والنساء، يسمون هذا العمل عملية تفتيشية، ويرتكب خلالها من الفظائع أشكالا وألوانا، وكل القرى ذقت فظاعة التفتيش، ويتخلله تخريب البيوت ونسفها بالديناميت، وإتلاف أمتعة الفلاحين ومؤتمهم ونهب الحلبي والأموال، وترويع النساء والأطفال، وقتل الآمنين على قارعة الطريق من رجال ونساء وأطفال [الاستعمار أحقاد وأطماع ٢٨٠، ٢٨٨].

وقد كانت هذه الأساليب من الإنجليز نواة لأساليب اليهود في فلسطين الآن، وها هم اليوم قد نفوا أكثر من أربعمائة من خيرة المسلمين في فلسطين إلى جبل في مرج الزهور في فصل الشتاء القارص بدون طعام ولا شراب ولا دواء ومر عليهم في هذا التعذيب الجماعي أكثر من شهر. راجع ما مضى في هذه القصة] قسوة الإنجليز على المسلمين في الهند عندما استولى الإنجليز على الهند وجهاؤهم فقدم على المسلمين إلى محاربتهم، وتخريض الهندوس والسيخ على الفتك بهم، بعد أن فتكوا هم بمن استطاعوا الفتك به منهم، والاستيلاء على أملاكهم وأراضيهم، وبعد أن أعلن الحاكم البريطاني: "أن العنصر الإسلامي في الهند هو عدو بريطانيا اللود، وأن السياسة البريطانية يجب أن تهدف إلى تقريب العناصر الهندوكية لتساعدهم في القضاء على الخطر الذي يتهدد بريطانيا في هذه البلاد...."

"فاشئت الإنجليز في هجمتهم على المسلمين بعد إثناء الثورة واستولوا على أراضيهم، ففقد المسلمون أملاكهم الواسعة ولم يبق لهم سوى ٥% من أراضيهم التي كانوا يملكونها من قبل وسدت في وجوههم أبواب الرزق في الدواوين، وصودرت أملاكهم، وأخذ الإنجليز جانب الهندوس والسيخ وأطلقوهم يهزءون بالمسلمين وبدينهم، ويسومونهم سوء العذاب فكانت المذابح التي راح ضحيتها الآلاف من المسلمين..." لـ [حاضر العالم الإسلامي

وقضاياه للدكتور جميل عبد الله المصري ص ٣٩٧. دربت بريطانيا الهندوس على ارتكاب المذابح للمسلمين في الهند كما دربت اليهود -وهم في الأصل مُدْرَبُونَ- على ذلك بالنسبة للفلسطينيين].

لقد اغتصب النصارى الأوروبيون عامة البلدان الآسيوية ، وعاثوا فيها فسادا وقتلوا وشردوا ودمروا وأذلوا أهلها، وعاملوا المسلمين بالذات معاملات وحشية قاسية دلت على نزع الرحمة من قلوبهم من غرب آسيا إلى شرقها وجنوب شرقها، لا فرق بين إنجليزي وفرنسي وأسياني وبرتغالي وهولندي، وختموا أعمالهم في البلدان الإسلامية بإيجاد أحزاب متحاربة ودول متحاربة يكيدها لبعض، وهم الآن يورون زناد المعارك بين الشعوب الإسلامية ويصنعون لهم السلاح الذي يقتل به بعضهم بعضا، ولكنهم يحجرون على الحكومات القائمة في الشعوب الإسلامية أن تقتني سلاحا متطورا يكون شبه هجومي، ويأذنون بذلك لأعداء المسلمين من اليهود في فلسطين والهند في جنوب القارة الهندية ليمكنوا اللولتين من السيطرة على الشعوب الإسلامية وضربها بشدة وبدون رحمة عند اللزوم قسوة نصارى الفلبين وغلظتهم على المسلمين.

تعرض المسلمون في الفلبين لحملة إبادة من نصارى أوروبا، ومن أمريكا -مؤخرا- ولا نحتاج للحديث عن ذلك، فقد عرفنا كيف نزع الرحمة من قلوبهم في معاملتهم المسلمين في الأندلس، وفي الحروب الصليبية، وفي زمن اغتصابهم بلدان المسلمين في الشمال الأفريقي وشرقها، والقارة الأفريقية بصفة عامة والآن في البوسنة والهرسك والذي نريد الإشارة إليه هو ما قام به نصارى الفلبين أنفسهم في العصر الحاضر ضد المسلمين.

فقد تآمر ماركوس والرهبان والقسس في الفلبين -يامداد من اليهود في فلسطين، ومن النصارى في اللول الغربية- على المسلمين وقرروا إبادتهم وأنشئت منظمة نصرانية إرهابية أطلق عليها: (إيلاجا) أي جماعة الفئران -على اعتبار أنها منظمة شعبية، والواقع أن ماركوس هو الذي أمددها وأيدها بكل الوسائل، بل يقال: إنه هو الذي أنشأها، وقد ارتكبت هذه المنظمة من الفظائع ما يترفع عنه وحوش الغاب، فطردت المسلمين من ديارهم وأرضهم، وأحرقت بيوتهم ومساجدهم ومزارعهم ومصاحفهم، وقتلوا علماءهم وأنتمتهم، وهتكوا أعراض نسائهم ومثلوا بشهادتهم، حيث يقطعون رؤوس الأطفال وآذان الرجال وأثناء النساء، وينالون جوائز على هذا التمثيل من المنظمات السرية مقابل كل أذن أو رأس أو ثدي يحضرونه [راجع مجلة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، العدد الثالث من السنة الخامسة محرم سنة ١٣٩٣هـ / فبراير ١٩٧٣م ص ١٠٥ وما بعدها]..

وعلم العالم كله بالمذابح والاعتداءات على المسلمين العزل، ولا زالت الاعتداءات مستمرة من قبل حكام الفلبين على المسلمين حتى كتابة هذه السطور [١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م] ، وأمامي رسائل من لجنة الإعلام التابعة "لجبهة تحرير مورو الإسلامية" تبين الحملات التي يقوم بها الجيش الفلبيني بين حين وآخر على المسلمين، وحشد قواته في جنوب الفلبين، ومحاصرة معسكر أبي بكر الصديق الذي يجتمعي فيه الشيخ سلامة هاشم قائد الجبهة والمسلمون يستجدون في هذه الرسائل، يطلبون أن يمدوا بالمؤن الغذائية والملابس والأغطية والأموال التي يؤمنون بها لأنفسهم سلاحا يدافعون به عن أنفسهم وأعراضهم [التقيت الشيخ سلامة هاشم في مقر قيادته وسجلت بعض المعلومات -كتابة- عن تاريخ جهادهم، كان ذلك في ٢ صفر سنة ١٤١٠هـ] هؤلاء هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وهذه نتف قليلة جدا من حوادث قسوتهم، تكفي وحدها للدلالة على غلظ قلوبهم وخلوها من الرحمة وبخاصة على المسلمين.

وإذا كانوا بهذه الصفة وهم يسابقون بمبادئهم وأفكارهم الباطلة إلى العقول، فهل يرجى منهم -بكمشة أتباعهم واستيلائهم على العالم- إلا القسوة والغلظة والوحشية التي دمروا ولا زالوا يدمرون بها العالم!

قسوة النصارى في أوروبا [المتحضرة!]

وفي قسوة النصارى الصرب على المسلمين في البوسنة والهرسك ما يكفي دلالة على وحشية النصارى وقسوتهم ونزع الرحمة من قلوبهم، وقد أنزل الصربيون -فيما كان يسمى بيوغوسلافيا- بالمسلمين في البوسنة والهرسك ما تتنزه عنه الحيوانات المتوحشة، من قتل ما يزيد على مائة وخمسين ألفا من الرجال والنساء والشيوخ والأطفال، وذلك في أقل من سنة، وشردوا أكثر من مليونين من المسلمين، كثير منهم أطفال ونساء وشيوخ، يتلقف الأطفال منهم المؤسسات التنصيرية في أوروبا، لتحويلهم من القطرة الإسلامية إلى الشرك النصراني ويتزعون من قلوبهم أعلى ما وهبه الله للمسلم وهو إيمانه.

واشتدت القسوة على هؤلاء اللاجئيين أكثر بتفريق الأسر المسلمة في دولة أوروبية واحدة أو عدة دول: الأب في مكان، وأبناؤه في مكان آخر، والزوج في مكان، وزوجه في مكان آخر، وهكذا الإخوان والأخوات. . يضاف إلى ذلك معسكرات الاعتقال والتعذيب التي فاقت في الاعتداء على حقوق الإنسان المعسكرات النازية التي يندد بها الغرب وييدي ويعيد في التنديد بها. يعذب القريب فيها أمام قريبه، ويقتل الأب أمام الابن والزوجة وأشد من ذلك وأنكى اغتصاب الوحوش المتمدين في قارة حقوق الإنسان أكثر من خمسين ألف امرأة وفتاة مسلمة، بعض تلك الاغتصابات تقع أمام أعين أسرة الفتاة المغتصبة.

وهذا غير الحصار المستمر الذي يفرضه النصارى منذ ما يقارب العام على مدن المسلمين، وقراهم وقصف مرافقهم وهدم منازلهم عليهم، والحول بينهم وبين الإمداد والإغاثة بلقمة العيش والدواء والملبس والغطاء، في أشد أوقات البرد القاسي الذي قطعت على المسلمين فيه الكهرباء وكل وسائل التدفئة، حتى أنك ترى العجائز والصبيان يحاولون التماس الأخشاب في الشوارع وحملها إلى منازلهم من أجل الطبخ عليها والتدفئة، فيطلق عليهم النصارى قساة القلوب الرصاص ويردوهم قتلى أو جرحى تنزف منهم الدماء وتسيل، حتى يموتوا في الشوارع دون إسعاف.

وقد كشف حدث البوسنة غلظة وقسوة جميع الدول النصرانية الغربية التي تزعم أنها حامية حقوق الإنسان، وأنها تقف ضد التطرف والتشدد والإرهاب والتطهير العرقي، واعتداء الدول القوية على الدول الضعيفة، فقد اعترفت الدول النصرانية الغربية بلولة البوسنة والهرسك وأصبحت عضوا في هيئة الأمم المتحدة، وبعد هذا الاعتراف اعتدى الصرب على المسلمين بعون من حكومة صربيا والجبل الأسود، يشمل الأسلحة الثقيلة والطائرات الحربية، وبمساعداة وتأييد من دولة روسيا، وأصدر مجلس الأمن (المزعوم) قرارا يحظر الأسلحة ووصولها إلى البوسنة والهرسك، فطبق الحظر على المسلمين وبقي الصرب يتلقون العون من إخوانهم النصارى بالسلاح وغيره وأصدر مجلس الأمن (المزعوم) قرارا يحظر التحليق الجوي على البوسنة والهرسك، ولكن الصرب تحدوا ذلك ولا زالت الطائرات تقصف المسلمين، ولم يحرك مجلس الأمن ساكنا وكذلك المجلس الأوروبي وحلف الناتو.

ولكن الدول الغربية إذا تحرك صاروخ في العراق أو طائرة عراقية قريبة من منطقة الحظر الجوي الذي فرضته أمريكا باسم هيئة الأمم المتحدة يرسلون أسرابا من الطائرات الغربية لتصب نيرانها على الهدف وما جاوره ويطلقون مئات

الصواريخ من الخليج للقضاء على أي حركة، زعما منهم أنهم ينفذون قرارات مجلس الأمن، وهكذا يعامل النصارى قساة القلوب المسلمين ويصدرون القرارات التي ظاهرها في مصلحة المسلمين وينفذون عكس ذلك، ولكنهم ينفذون قراراتهم فقط عندما تكون في مصلحة النصارى أنفسهم إنما وحشية دعاة حقوق الإنسان وقسوة دعاة الحرية والتمرد: نصارى الغرب كله.

وقد وجدت الدول النصرانية الغربية بغيتها في الأمين العام هيئة الأمم المتحدة النصراني " بطرس غالي " العربي الذي يعطيها المسوغ تلو المسوغ لعدم تدخلها في إنقاذ المسلمين في البوسنة والهرسك، ولذلك تصدر هي الاستنكار لأفعال الصرب وتصرح بأنها تريد التدخل لمنع الصرب من العدوان، ولكن النصراني العربي يجذرها من مغبة التدخل العسكري، فتنظر للعالم وللمسلمين أنها إنما تأخرت عن هذا التدخل بسبب عدم الإذن به من قبل هيئة الأمم المتحدة! [اقرأ عن تنفيذ هذا النصراني العربي لمخطط التجمعات الكنسية جريدة الشرق الأوسط ص ٢٣ بعنوان: بطرس غالي بطل البوسنة. عدد (٥١٦٧) ٢٧ رجب ١٤١٣هـ - ٢٠ / ١ / ١٩٩٣م. وقد سماه الكاتب: بالجلاد، وأنا أسميه بما سماه الله: النصراني] والسبب الحقيقي هو أن المظلومين مسلمون، ولو كانوا يهودا أو نصارى أو وثنيين، بل لو كان المعتدى عليهم قرودا أو كلابا لهبوا لنجدتهم.

وقد صرح زعيم المعتدين النصارى الصرب بأن الاعتداء على المسلمين سيستمر ما داموا مسلمين: " فقائد القوات الصربية في البوسنة والهرسك أكد في تصريح نشرته مؤخرا مجلة: "شبيجل" الألمانية، قال فيه: إن هدفنا هو القضاء على المسلمين في أوروبا، يجب أن يخنفوا كأمة، وعلى المسلمين في البوسنة إعلان تحولهم عن الإسلام وأن يصبحوا صربيين أو كرواتا، أما الخيار الثالث لهم فلن يكون إلا الموت... " [مجلة المجتمع الكويتية: العدد (١٠٢٧) الثلاثاء جمادى الآخرة سنة ١٤١٣هـ - أول ديسمبر ١٩٩٢م] وصدق الله القائل: { وَكُنْ تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَآلَ النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ } [البقرة: ١٢٠] ولا نحتاج إلى ذكر مراجع لهذه حوادث في هذه القسوة النصرانية، فالتلفاز يعرض قسوة النصارى على المسلمين فيها مرات كل يوم، والصحف العالمية تنشر أخبارها المساوية كل يوم، والإذاعات في العالم كله تذيع فظائعها كل ساعة: أخبار وتقارير وتعليقات ومقابلات...

[ومع ذلك أحيل القارئ إلى بعض الجرائد والمجلات منها: جريدة الشرق الأوسط عدد ٥١٥٨ ص ١٩ بعنوان: مفكرة العار في البوسنة ١٨ / ٧ / ١٤١٣هـ - . ومجلة المجتمع الأعداد: ٩٦٦، ١٧ شوال ١٤١٢هـ - ص ٢٢، العدد: ٩٩٩ في ٢١ / ١ / ١٤١٤هـ - ص ٢٨، العدد: ١٠٠٥ في ٢٩ / ١٢ / ١٤١٢هـ - ص ٣٠، العدد: ١٠٢٧ في ٧ / ٦ / ١٤١٣هـ - ص ٢٨، العدد: ١٠٢٦ في ٣٠ / ٥ / ١٤١٣هـ - ص ٢٦، العدد: ١٠٠٨ في ٢٠ / ١ / ١٤١٣هـ - ص ٣٠، العدد: ٩٨٩ في ١٣ / ٨ / ١٤١٢هـ - ص ١٦. وجريدة المسلمون، كل أعداد عام ١٤١٢-١٤١٣هـ - وكذا العالم الإسلامي ومجلة الإصلاح وغيرها..]

النموذج الثالث: قساة الشيوعيين (الملحدون)

الشيوعيون الروس ولننقل الآن إلى غير أهل الكتاب من أهل الباطل، لنأخذ نتفا أخرى من سلوكهم الدال على القسوة والغلظة وعدم الرحمة، لتكتمل الصورة، ويعلم القارئ أن أهل الحق هم الرحماء، وأن الرحمة هي من الأخلاق التي يريدون غرسها في نفوس الناس، وأن غرس الأخلاق الحميدة هو إحدى غاياتهم في السباق إلى العقول.

الحديث عن قسوة الشيوعيين وغلظتهم لا يأتي للناس مجديداً، فقد عرف العالم كله في خلال ما يزيد عن سبعين سنة أن الشيوعيين أقسى الناس قلوباً وأغلظ أفئدة وأبعد عن الرحمة في كل مكان حلوا فيه وعداؤهم للإسلام أشد من عدائهم لجميع الأديان، ومعاملتهم للمسلمين، لصرفهم بالقوة عن دينهم بقضائهم على علمائهم وهدمهم مساجدهم ومدارسهم، وتحويل ما بقي من المساجد والمدارس إلى مسارح وحظائر ومخازن ودور للسينما أمر معروف مشهور.

ويكفي أن نذكر لبالغ قسوتهم ما رواه أحد الناجين من الموت من تعذيبهم، وهو الأستاذ " عيسى يوسف آلب تكين " الذي فر من إدارتهم الجهنمية وكتب كتابه الذي فضحهم فيه وهو: (المسلمون وراء الستار الحديدي). فقد نقل عنه سيد قطب رحمه الله في كتابه دراسات إسلامية ما يلي من صور التعذيب الوحشي فقال: " فلندع كاتباً أخذ يحدثنا عن وسائل التعذيب الجهنمية التي سلطت على العنصر الإسلامي في التركستان الغربية الخاضعة لروسيا، والتركستان الشرقية التابعة للصين الشيوعية اسماً، ولروسيا الشيوعية فعلاً " إلى أن قال سيد: " وسنضطر أن نغفل ذكر بعضها -أي صور التعذيب- هنا، لأنها من القذارة بحيث يندش ذكرها كل أدب إنساني، مكتفين بما تطبق الآداب الإنسانية أن نذكره للناس... وهذه هي:

١- دق مسامير طويلة في الرأس حتى تصل إلى المخ ٢- إحراق المسجون بعد صب البترول عليه وإشعال النار فيه
٣- جعل المسجون هدفاً لرصاصة الجنود يتمنون عليه ٤- حبس المسجونين في سجون لا ينفذ إليها هواء ولا نور، وتجويعهم إلى أن يموتوا ٥- وضع خوذات معدنية على الرأس وإمرار التيار الكهربائي فيها.

٦- ربط الرأس في طرف آلة ميكانيكية وباقي الجسم في ماكينة أخرى، ثم تدار كل من الماكينتين في اتجاهات متضادة، فتعمل كل وحدة مقتربة من أختها حيناً ومبتعدة آخر، حتى يتمدد الجسم الذي بين الآتين، فإما أن يقر المعذب وإما أن يموت ٧- كي كل عضو من الجسم بقطعة من الحديد مسخنة إلى درجة الاحمرار ٨- صب زيت مغلي على جسم المعذب ٩- دق مسمار حديدي أو إبر الجرأموفون في الجسم ١٠- تسمير الأظافر بمسمار حديدي حتى يخرج من الجانب الآخر ١١- ربط المسجون على سرير ربطاً محكماً ثم تركه لأيام عديدة ١٢- إجبار المسجون على أن ينام عارياً فوق قطعة من الثلج أيام الشتاء ١٣- نشف كتل من شعر الرأس بعنف، مما يسبب اقتلاع جزء من جلد الرأس ١٤- تمشيط جسم المسجون بأمشاط حديدية حادة ١٥- صب المواد الحارقة والكاوية في فم المسجونين وأنوفهم وعيونهم، بعد ربطهم ربطاً محكماً ١٦- وضع صخرة على ظهر المسجون، بعد أن توثق يده إلى ظهره ١٧- ربط يدي المسجون وتعليقه بهما إلى السقف، وتركه ليلة كاملة أو أكثر ١٨- ضرب أجزاء الجسم بعضها فيها مسامير حادة ١٩- ضرب الجسم بالكرباج حتى يدميه، ثم يقطع الجسم إلى قطع بالسيف أو بالسكين.

٢٠- إحداث ثقب في الجسم وإدخال حبل ذي عقد واستعماله بعد يومين كمنشار، لتقطيع قطع من أطراف الجرح المتآكل ٢١- ولكي يضموا أن يظل المسجون واقفاً على قدميه طويلاً، يلجئون إلى تسمير أذنيه في الجدار ٢٢- وضع المسجون في برميل مملوء بالماء في فصل الشتاء ٢٣- خياطة أصابع الرجلين واليدين والرجلين وشبك بعضهما إلى بعض ٢٤- والنساء حظهن مثل هذا العذاب، أهن يعرين ويضربن ضرباً مبرحاً على تديهن وصلورهن أما بقية تعذيب النساء فإننا نتمسك عنه، لأن المواقع التي اختاروها من أجسامهن والطرق الدنيئة التي استعملوها

تجعلنا نستحي من ذكرها وكتابتها [دراسات إسلامية الطبعة الرابعة ص ٢٠٠، ٢٠٦ وعندما كتب سيد هذه الصور لم تكن قد طبقت عليه هو في مصر ولكنه -رحمه الله- قد ذاق في زرنانات المجرمين هو وإخوانه وأخواته شيئا منها قبل أن يشنقه أعداء الإسلام]. يكفي هذا النموذج لمعرفة ما إذا كانت توجد في قلوب الشيوعيين الروس رحمة!!! تدمير شعب أفغانستان.

ولكن مثالا آخر ظهر أكثر وضوحا في الدلالة على خلو قلوبهم من الرحمة، وهو أنهم غزوا أفغانستان بجيوش جرارة وأسلحة فتاكة، برا وجوا، وقتلوا من الشعب الأفغاني مليوناً ونصف المليون، وطردوا ما يقارب ستة ملايين، وعاثوا في الأرض فسادا يندر أن يوجد له مثيل، ومكثوا يزاولون أعمالهم الوحشية في هذا الشعب أكثر من سبع سنوات، هدموا فيها المساجد وأهانوا المصاحف واغتصبوا النساء، وفرقوا كلمة المسلمين وجعلوا بعضهم يقتل بعضا، ولا زال الأفغان يعانون الأمرين من آثار غزوهم ولكن الله تعالى نصر الفئة المؤمنة التي تصدت لظُلأ القساة، ومع الصبر والمصابرة نصر الله المجاهدين -على قلة عددهم- على أعظم قوة عسكرية ضاربة، فهزم الجيش الروسي الشيوعي وعاد إلى بلاده يجر أذيال الهزيمة، وكان الجهاد الأفغاني من أعظم الأسباب التي هياها الله لانهيار الاتحاد السوفيتي الظالم.

ولعل المسلمين يقطفون آثار هذا الجهاد في تطبيق الإسلام في أفغانستان وفي الشعوب الإسلامية المجاورة التي كانت تابعة للاتحاد السوفيتي المنهار. [لقد خيب المجاهدون الأفغان آمال المسلمين الذين أعانوهم بالمال والرجال والعتاد، لرفع راية الإسلام في بلادهم، حيث أحلوا يقتلون فيما بينهم بعد انسحاب العدو الشيوعي من بلادهم، وما زالت دماء المدنيين العزل تراق بأسلحة إخوانهم ممن كانوا قادة للجهاد، إلى يومنا هذا (كُتبت هذا التعليق في ٢٢ / ٥ / ١٤١٨ هـ)] الشيوعيون في الصين ولا تقل قسوة الشيوعيين في الصين وغلظتهم على المسلمين -وعلى كل من يخالفهم- عن قسوة الشيوعيين في الاتحاد السوفيتي السابق، وبخاصة في إقليم "تركستان الشرقية" الذي غيروا اسمه إلى "سانكيانج" وبالغوا في الاعتداء على أهله، فقتلوا علماءهم، وأتلفوا مصاحفهم وكتبهم الدينية، ومنعواهم من أداء شعائرهم الدينية، وأغرقتهم بالمهجرين الشيوعيين من مناطق أخرى، لتصبح نسبة المسلمين في هذا البلد المسلم ١٠% بعد أن كانت نسبتهم من قبل أكثر من ٩٠%.

وقد ذكر أن المسلمين الذين تم قتلهم من سنة ١٩٥٠م إلى سنة ١٩٧٢م بلغ ٣٦٠ ألفا، وأن الذين سيقوا إلى المعسكرات التعذيبية والأشغال الشاقة بلغ عددهم (٥٠٠) ألف، وأن الذين هربوا من ديارهم بسبب ذلك العنوان بلغ (١٠٠) ألف [١- راجع مجلة الإصلاح عدد ٢١٩ ص ٣٥ ومجلة المجتمع الكويتية عدد ٩٦٧ ص ٢٨] هذه الفظائع ذكرت في بلد واحد من بلدان الصين وهو تركستان الشرقية أما على مستوى الصين فالأمر أعظم من ذلك، وقد ذكر لي الشيخ عبد الرحمن بن إسحاق الصيني الذي زرته في مدرسة التقوى في مدينة تشانجماي في شمال تايواند في ٢٤ / ١١ / ١٤٠٩ هـ. أن الشيوعيين في الصين قتلوا خلال ست عشرة سنة من سنة ١٩٥٠م إلى ١٩٧٦م عشرة ملايين (ولا بد أن يكون للمسلمين حظهم الوافر من هذا القتل) ومات بسبب الجوع سبعة ملايين أما المسلمون فقد كانت مساجدهم في الصين (٤٥) ألف مسجد، فصادها الشيوعيون وحولوها إلى مصانع ومسارح ودور سينما، وبنوا في محاريبها الطاهرة التي كان الأئمة يتلون فيها كتاب الله ويسجدون فيها لربهم، المراحض إهانة لها وللمسلمين، وقتلوا كثيرا من الأئمة والعلماء، وقتلوا من المسلمين ما لا يقل عن مليون شخص.

وكانوا يأمرّون العالم المسلم بحمل القاذورات ليسمد بها الأرض الزراعية، ويعلقون في عنقه الكومة من تلك القاذورات، ويقولون له من باب التهكم والإذلال والسخرية بربه وبدينه: إذا كنت تعبد الله فادعه ليساعدك... [المجلد الخاص بتايلاند من سلسلة (في المشارق والمغارب) مخطوط في مكتبة المؤلف] وهذه الفظائع هي التي علمت، وما لم يعلم أكثر من ذلك بكثير، وبخاصة إذا علمنا أن الشيوعيين يجيطون بلدانهم وتصرفاتهم بما يسترها من الكتمان والحجر الإعلامي، وعدم الإذن بتسرب تلك التصرفات، ولكن ذلك يكفي لمعرفة أن الرحمة قد نزعّت من قلوبهم [راجع على سبيل المثال ما نشر على أحد مواقع الإنترنت على الوصلة الآتية: -http // www.islam / Article36.shtml / online.net / Arabic / news / 2001-06 / 17

وفي هذه الأيام يعيث الشيوعيون ذو الأسماء الإسلامية في طاجكستان فسادا في هذا البلد المسلم، فقد قتلوا الآلاف من المسلمين الذين يطالبون بالتمتع بالإسلام، وشرّدوا مئات الآلاف، وأخافوا الآمنين من أبناء البلد متعاونين مع الشيوعيين من ذوي الأسماء الإسلامية في بلدان أخرى ومع الروس بمساعدات من الغرب وبخاصة أمريكا، والكفر ملة واحدة [راجع مجلة المجتمع عدد ١٠٣٨-٢٥ شعبان ١٤١٣هـ-ص ٢٢]. بل لقد غزت روسيا الجمهورية الشيشانية في ٩ / ٧ / ١٤١٥هـ- الموافق ١١ / ١٢ / ١٩٩٤م-ودمرت عاصمتها جروزني تدميرا كاملا، وقتلت المسلمين المدنيين، ولا زالت تواصل القتل والتدمير على مرأى ومسمع من دول الصليب التي تدعي أنها ترعى حقوق الإنسان، بل على مرأى ومسمع من حكام الشعوب الإسلامية الذين ماتت الحمية في نفوسه على حفظ ضروراتهم التي لا حياة لهم بدونها.

وقد تكبد الروس خسائر فادحة في جمهورية الشيشان الإسلامية، وخرجوا منها يجرون أذيال الهزيمة، كما خرجوا من أفغانستان، وذلك بفضل الله ثم بفضل قوة إيمان أهلها... ثم غزت روسيا الشيشان مرة أخرى في سنة ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م ودمرت البلد مرة أخرى وعانت فيه فسادا، ولا زالت القوات الروسية تحل هذا البلد المسلم، وتقتل أهله وتشردهم وتعتقلهم، وموقف دعاة حقوق الإنسان الغربيين هو موقفهم المعروف، عندما يكون الإنسان مسلما لا يحركون ساكنا، اللهم إلا إظهار شيء من الاستكثار البارد، ليقال عنهم: إنهم أنكروا! وليقارن المسلم موقف الغرب من الشيشان، وموقفهم من تيمور الشرقية التي أجبروا أندونيسيا على التخلي عنها خلال فترة وجيزة!

النموذج الرابع: قساة الوثنيين قسوة الوثنيين الهنود والوثنيون - ومنهم الهنلوس والبوذيون وغيرهم - لا تقل وحشيتهم وغلظتهم عن اليهود والنصارى والشيوعيين.

فالهنلوس في الهند بتواطؤ مع النصارى الإنجليز، أذاقوا المسلمين من العذاب والتشريد والقتل وسوء المعاملة ما يصعب وصفه، واعتدوا على أمواتهم ومنازلهم ومساجدهم، ولا يجلو عام من الأعوام من الاعتداء عليهم، حتى اضطروا المسلمين على الانقسام: قسم منهم سئم العيش تحت الذل والقهر الهنلوسي، فقرروا الهجرة إلى ما سمي في حينه بباكستان الشرقية وباكستان الغربية، حيث تفصل بينهما مساحات شاسعة من الهند ثم تدخلت الهند وحليفاتها روسيا (الاتحاد السوفيتي سابقا) للتحريش بين الباكستانيين فحصل الانشقاق والقتال الذي راح ضحيته الآلاف من المسلمين، وعلى أثره انفصلت باكستان الشرقية وسميت باسم قومي انفصالي: "بنغلادش" فضعف بذلك المسلمون

في الجناحين، وضعف المسلمون كذلك في الهند الذين يبلغ عددهم الآن أكثر من ١٥٠ مليوناً في كل أنحاء الهند، وهم اليوم يواجهون حرباً وثنية شرسة، حيث نظمت جمعيات هندوسية لمحاربتهم تحت سمع وبصر الحكومة الهندية التي تزعم أنها دولة ديمقراطية علمانية، وتشير الإحصاءات إلى أن الاعتداء الهندوسي على المسلمين بلغ حداً خطيراً لا يطاق، يعاون عليهم في ذلك الاعتداء المنظمات المذكورة وقوات الشرطة، بل والجيش

أحياناً وعلى سبيل المثال فإن الهندوس قتلوا خمسة عشرة ألف مسلم في مجزرة "أحمد آباد" باعتراف رئيسة الوزراء أندرا غاندي سنة ١٩٧٠م وأحرقوا ثلاثمائة امرأة مسلمة بالنار وهن أحياء، وفي مذبح آسام قتل الهندوس ٥٠ ألف مسلم [راجع حاضراً العالم الإسلامي لجميل المصري ص ٤٢٠] وفي هذه الأيام تجمع جماهير الهندوس وهدموا مسجد "الباري" وقتلوا الآلاف من المسلمين في أنحاء متفرقة من الهند وأحرقوا ممتلكاتهم وهدموا منازلهم وطردوهم من ديارهم [راجع على سبيل المثال مجلة المجتمع عدد ١٠٢٩ ٢٠٠٢ جادى الآخرة سنة ١٤١٣هـ ص ٢٠]. واستولوا على كثير من مساجدهم وحولوها إلى معابد وثنية.

وكل الفظائع التي يرتكبها الهندوس في حق المسلمين لا يوجد أي مسوغ لها، فالمسلمون مسلمون، لا يريدون إلا العيش بطمأنينة في ديارهم، يقيمون شعائر دينهم ويعلمون أبناءهم دين الإسلام دون أن يحركوا ساكناً ضد الهندوس ابتداءً، وإنما يضطرون أن يدافعوا عن أنفسهم عندما يعتدي عليهم هؤلاء، مع قتلهم وفقلمهم آلة الدفاع على عكس الوثنيين الهندوس، والمتتبع لوحشية هؤلاء الهندوس وقسوتهم ضد المسلمين يتضح له أنهم قوم قد نزع الرحمة من قلوبهم وحلت محلها الغلظة والشراسة والوحشية قسوة الوثنيين في سيريلانكا وهكذا يلاقي المسلمون في سيريلانكا قسوة بالغة من الهندوس والسنهال والشيوعيين، ومن الحكومة البوذية من اغتيالات ومذابح جماعية ونهب أموال ومتاجر وإحراق منازل وأسواق [راجع مجلة المجتمع الكويتية. عدد ٩٥٧ في ٩ شعبان ١٤١٠هـ ص ٤٠ ومجلة رابطة العالم الإسلامي عدد ٣١٩ ص ٧].

وفي "بورما" لا تنقطع مذابح المسلمين وتشريدتهم ونهب أملاكهم والاعتداء على أعراضهم، يقوم بذلك الوثنيون البوذيون فقد قتلوا منهم عشرات الآلاف، وشرذوا ملايين، وهدموا المساجد، وأغلقوا المدارس، واغتصبوا المسلمات وأجهضوا الحوامل منهن، وفي يوم عيد من أعياد الفطر قتلوا مائتي مسلم، وكثير من المسلمين يموتون جوعاً في مخيمات الموت في "بنغلادش" أو في الطريق بين حدود بورما وبنغلادش وهم فارون بأنفسهم من القتل الجماعي [راجع: العالم الإسلامي (جريدة تصدرها رابطة العالم الإسلامي) ٢٤ ربيع الأول - ربيع الثاني ١٤١٣هـ - ص ٤، و٦ محرم ١٤١٢هـ - مجلة المجتمع عدد ٩٩٣ ص ١٠ وعدد ٩٨٩ ص ١٦]. قسوة الوثنيين في تايلاند.

وفي تايلاند أذقت الحكومة الوثنية البوذية المسلمين أهوالاً من العذاب والقتل والتلميز والاختيال والتشريد، وأذلت المسلمين في جنوب البلاد، وأصبحت "فطاني" المسلمة تحت سيطرة الجيش ووزارة الداخلية، وقد قسمتها تقسيمات إدارية جديدة، حيث أصبحت محافظات صغيرة، وحشدت أعداداً كبيرة من البوذيين من شمال تايلاند ووسطها للهجرة إلى بلاد المسلمين، وملكتهم أراضيهم ويسرت لهم إقامة الشركات والمشاريع المتنوعة ليستولوا على البلاد المسلمة، ويكونوا أكثرية ينشرون الفساد الخلقي والاجتماعي من أجل إذابة المسلمين وتحاول الحكومة تغيير مناهج المدارس الإسلامية وكتبتها وحروف لغتها [وقد فصل المؤلف شيئاً من ذلك في المجلد الخاص بتايلاند من سلسلة في المشارق، وهو مخطوط في مكتبته]

وقد خف التصييق على المسلمين نسيباً، وتمكن علماءهم من إقامة مؤسسات تعليمية ودعوية، كان لها أثر جيد في تعليم أبنائهم وتفقيهم، وعلى رأس هؤلاء العلماء الدكتور إسماعيل لطفي المتخرج من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض قساة أهل الباطل من المنتسبين للإسلام!

مرت فترة على المسلمين ضعفت فيه دولتهم، بل اضمحلت وهوت، فتأخروا في كل شؤون الحياة الدينية والاقتصادية والعلمية -علم الشرع وعلم المادة- والسياسية والعسكرية والاجتماعية، وتقدم غير المسلمين في الحضارة المادية، فأصيب المسلمون بالهوان وكبر في صدورهم تقدم غيرهم، واقسموا قسمين:

القسم الأول: رأى أن تقدم البلدان الإسلامية مرهون باتباع خطوات الغرب حذو القذة بالقذة، وذلك بتبعية الدين الإسلامي عن أن يكون منهج حياة للشعوب الإسلامية، والفصل التام بينه وبين تدبير شؤونها، بحيث يكون الدين أمراً يتعلق بالأفراد بأشخاصهم فيما بينهم وبين ربهم، يصلون ويصومون ويحجون ويقرؤون القرآن، دون أن يتدخل الإسلام في الشؤون السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية وغيرها من مناهج الإعلام والتعليم وهلم جرا... -ولا يستنون من ذلك إلا بعض الأحوال الشخصية- وذلك على غرار ما فعله أهل الغرب بالدين النصراني الخرف، حيث نحوه عن شؤون الحياة التي وضعت لها الدساتير والقوانين البشرية، اتقاء التصرفات الكنسية ورجالها الذين كانوا يزاولون تدبير شؤون الشعوب تدبيراً ظالماً، وينسبون تصرفاتهم تلك إلى الله، ويتلخص ذلك كله فيما يقال له: "العلمانية" التي تعني فصل الدين عن الدولة.

وقد أوهم أهل الغرب هذا القسم من أبناء المسلمين أن الدين هو سبب التأخر عندما يتدخل في حياة البشر، بدليل أن الغرب عندما فصل الدين عن الدولة تقدم حضارياً وأصبح يقود العالم، وأنه لا يمكن للمسلمين أن يتقدموا إلا إذا فعلوا كما فعل الغرب، ففصلوا الدين الإسلامي عن الدولة وتعلمد أبناء المسلمين هؤلاء على أساتذة الغرب في العلوم المتنوعة: الإنسانية والتطبيقية واقتنعوا بتلك الفكرة، بسبب جهلهم بالإسلام الذي جعلهم يساؤون بينه وبين الدين النصراني، ويقفون من دينهم كما وقف أهل الغرب من الدين النصراني، وبسبب فقلهم العلماء الذين يجمعون بين فقه النصوص الواردة في القرآن والسنة الصحيحة والمقاصد الشرعية من جهة وبين فقه العصر والواقع من جهة أخرى، فانطلق هذا القسم من أبناء المسلمين وقد أحرز شيئاً من الثقافة التي تؤهله لقيادة الشعوب الإسلامية وإدارتها مغروراً بنفسه وثقافته، متجاهلاً أولئك العلماء، بل مذلاً لهم ضارباً بأرائهم وراء الحائط، وسبب هذا سبق غير المسلمين إلى عقول أبناء المسلمين وكسبهم في صفهم.

والقسم الثاني: رأى في حضارة الغرب المادية وما رافقها أفكاراً فاسدة وأخلاقاً سيئة وعقائد ملحدة وهجوماً على الإسلام وأهله، فانزوى عن علوم الغرب كلها، ودعا الشعوب إلى مقاطعتها والبعد عنها والاكتفاء بما تجود به كتاتيب المعلمين الذين يلقنون التلاميذ تلاوة القرآن الكريم، ويعلمونهم بعض مبادئ الفقه والتوحيد والكتابة وشيئاً من الحساب، فكان نصيب هذا القسم البعد عن ممارسة إدارة شؤون الأمة والمشاركة فيها، فاستبد القسم الأول بالحكم والإدارة وغيرها، وأخذ يكبت كل صوت يخالف منهجه ومسيرته، يسنده في ذلك ما تحت يده من إمكانيات الدولة في الداخل ومؤازرة الدول والمؤسسات الغربية في الخارج.

وبعد أن مضت فترة ليست بالقصيرة على هذه الحالة الزرية، هيا الله للمسلمين من صحا منهم من نومه، وتنبه من غفلته، فرأى بنور من الله وبصيرة تلك الهاوية التي تردى فيها المسلمون والأسباب التي أدت إلى ذلك التردى، والواجب الذي لا بد من القيام به لانتشال الأمة الإسلامية من وهدهدها، إلى قمة مجددها وعزها، فظهرت دعوات المفكرين الإسلاميين بصفة فردية هنا وهناك، ولم يمض وقت غير طويل نسيها حتى أثمرت تلك الدعوات، ونتج عنها قيام حركات إسلامية تعتمد التعليم والتربية وبيان شمول الإسلام، وأنه منهج حياة البشر يجب أن يعود ليحكم حياتهم، فأزعج ذلك تلاميذ الغرب الذين كان الجو قد خلائهم، فتربعوا على كراسي الحكم وأمروا ونهوا دون منازع لهم إلا من أمثالهم، كما أزعج ذلك الغرب الذي طن أن الإسلام قد مات وقبر، فاتفق السيد في الغرب والعبد في الشرق، على القضاء على الإسلام دون هوادة ولا رحمة، فكان أن حصل من أعداء الإسلام المنتسبين إليه مثل ما حصل من أعداء الإسلام من اليهود والنصارى والملحدين والوثنيين، من الهجوم على الإسلام وتشويهه، ومحاولة القضاء على دعائه بالسجون والمعقلات والعذيب الوحشي والتشريد، وانتهاك الأعراض

ومصادرة الأموال والتضييق عليهم في لقمة العيش وإيذاء أسرهم وأقربائهم وأصدقائهم بالقتل والاعتقالات، حصل ذلك في أغلب بلدان الإسلام في شمال أفريقيا، وفي الصومال، واليمن، والعراق، وسوريا، وباكستان، وأفغانستان، واندونيسيا، وتركيا، وبنغلادش، وألبانيا وغيرها قسوة أعداء الإسلام من المنتسبين إليه أشد من قسوة غيرهم ! ولعل قسوة أعداء الإسلام من المنتسبين إليه من أبناء المسلمين أشد من قسوة غير المسلمين على المسلمين وذلك لأمر ثلاثة:

الأمر الأول: أن عدو الإسلام المنتسب إلى الإسلام يعد من أبناء البلد وليس أجنبيا عنه، وتصرفاته الظالمة لا ينظر إليها عامة الناس -وبخاصة الجهلة- نظرهم إلى تصرفات العدو الأجنبي الظالم، ولذلك تجد العدو الأجنبي غير المسلم يخفف من طغيانه وظلمه، إذا لم يتعرض العلماء والدعاة لمصالحه تعرضا مباشرا، بخلاف الطاغية من أبناء البلد، فإنه يوسع دائرة ظلمه وقسوته، لتشمل المعارض الصريح والساكت الذي لم يظهر تأييده لظلمه وقسوته.

الأمر الثاني: أن عدو الإسلام المنتسب إليه من أبناء المسلمين يجد المؤيدين له و لظلمه وقسوته من أبناء البلد من أقربائه وقبيلته والمنفعين بحكمه ما لا يجده غير المسلم الظالم، لأن تأييد غير المسلم يعد منقصة يعير بها المؤيد، بخلاف من يؤيد الظالم من أبناء البلد، وبخاصة عنلما يدعي الوطنية والقومية والتعلمية والثورية -مع ادعائه الإسلام! الأمر الثالث: أن عدو الإسلام المنتسب إليه يستغل إمكانات البلد البشرية والمادية والإعلامية والتعليمية والاقتصادية والسياسية والعسكرية في ضرب الإسلام والمسلمين، وهو ينعت بالوطني القومي والثوري والراعي والحامي، وليس بالمستعمر المغتصب والعدو والاحتل لذلك تجد قسوة هذا العدو على دعاة الإسلام من أبناء بلده تفوق قسوة اليهود والنصارى والملحدين والوثنيين أحيانا ولو أردنا أن نذكر نماذج لقسوة أعداء الإسلام من المنتسبين إليه على دعاة الإسلام وعلمائه في كل بلد ومن كل طاغية لاحتاج ذلك إلى كتاب مستقل نموذجان لقسوة أعداء الإسلام من المنتسبين إليه ولنكتف بالإشارة العاجلة إلى نموذجين نوضح بهما شدة قسوة من حارب الإسلام من المنتسبين إليه:

الأول: الأعداء الثوري الناصري!

وهو القلوة الحسنة الأولى للثورين والقوميين العرب على تنوع مسمياتهم، وهو ما فعله عبد الناصر في مصر بالمسلمين الذين نذروا أنفسهم للدعوة إلى الله وإقامة حكمه في الأرض، ويكفي أن أنقل بعض النصوص للذين ذاقوا وبال تعذيبه للدلالة على قسوة الطاغية وأعوانه وخلو قلوبهم من الرحمة، قال أحد المعذنين: (الأمكنة التي وضعنا فيها لا يمكن أن تكون إلا مقابر، إن كلمة زنازين التي تستعمل في السجون لا يمكن أن تعطيك فكرة صحيحة عن الأمكنة التي رأيتها في ذلك الليمان [وهو سجن جهنمي يعد أحد الإنجازات الثورية الناصرية]. عندما دفع بي العسكري في العنبر لم أجد مكانا أضع فيه قدمي، لقد كان المكان مليئا بالأجساد البشرية المتكدسة، بحيث لا يجد المرء فيه مكانا للجلوس أو الوقوف.. فما بالك بالنوم؟! إن مساحة العنبر -كما تبين لي بعد قياسه بواسطة بلاط الأرض - خمسة وأربعون مترا.. كان به عندما دخلته ثمانية وثلاثون معتقلا، أي كل مخلوق بشري له نصف متر فقط لجلوسه ونومه وطعامه وشرابه وملابسه وحذائه وكل شؤونه) [هذا وصف لبعض أماكن السجن، وهناك أماكن وصفها آخرون أسوأ من ذلك. نافذة على الجحيم ص ٥٦]

وتحت عنوان: الرياضة الجهنمية. قال المعذب:

(ينادي جلاويش السجن: كل الناس بره [أي اخرجوا جميعا] الزنازين. وهذا النداء يستعمل دائما إذا أرادوا أن يلقوا أمرا عاما على الجميع ويقول الجاويش: إحنا -نحن- حننزل -سننزل- دي الوأت -ذا الوقت- علشان - من أجل- تشموا هواء يا أولاد الكلب! ويقول: انزل بسرعة يا بن الكلب، وما هي إلا لحظات فتندقق الجموع الغفيرة سريعا.. وبها ما بها من الآلام.. وهم مع ذلك صفوة أبناء الشعب ومن أنبل أبنائه، فيهم الوزير ووكيل الوزارة، والطبيب والمهندس، والخاصي، والتاجر والصانع، والمزارع، والطالب، والمدرس، والقاضي، والفراش، والضابط، ثم ينتظم الجميع عدة طوابير في مكان واسع كبير، ويبدأ سير الطابور سريعا.. ويسير الطابور في شبه دائرة أو مستطيل.. والطابور يتكون من عدة صفوف ويقف على جانبي كل صف رجال الجيش [الذي الأصل فيه أن يعد للجهاد في سبيل الله وطرد العدو اليهودي من بلاد المسلمين في أرض الإسراء والمعراج!] وهم مسكون بالسياط والكراييج والمدافع الخفيفة في أكتافهم، ويسير الطابور تحت الضرب، فكل شرطي يكلف أن يضرب من يمر عليه بصفة مستمرة، ومرار الوقت تموي الضحايا على الجانبين، لطول الزمن الذي قد يمتد إلى ثلاث ساعات متواصلة من

الجرى الشديد المصحوب بالضرب العنيف، وكلما ازدادت سرعة الطابور ترايد عدد الضحايا، بين فاقد الوعي ومقعد تماما لا يقوى على الحركة، والشيء الملفت للنظر أن من يقع على الأرض، يتجمع الشرطة حوله وينهالون عليه ضربا بالكراييج، فإما أن يقوم إذا استطاع وإما أن يمزق جسمه فوق ما به من تمزيق، وفي موكب الطابور تتساقط العروق مصحوبة بالدماء من أجساد البشر) [نافذة على الجحيم ص ٨٠] ولعل بعض المقاطع من قصيدة أحد المعذنين، وهو من العلماء الأفاضل في هذا العصر تظهر بعض صور القسوة لزعيم الثورة العربية والقومية العربية وأعوانه:

قال في مطلع قصيدته:

ثار القريض بخاطري فدعوني ... أفضي لكم بفجانعي وشجوني

فالشعر دمعي حين يعصرني الأسي ... والشعر عودي يوم عزف لحوي
أهمتها عصماء تبع من دمي ... وعمدها قلبي وماء عيوني
نونية والنون تحلو في فمي ... أبدا فكدت يقال لي ذو النون
في ليلة ليلاء من نوفمبر ... فزّعت من نومي لصوت رنين
فإذا كلاب الصيد تهجم بغتة ... وتحوطني من شمأل ويمين
فتخطفوني من ذويّ وأقبلوا ... فرحا بصيد للطغاة سمين
وعزلت عن بصر الحياة وسمعتها ... وقذفت في قفص العذاب الهون

أسمعت بالإنسان ينفخ بطنه ... حتى يرى في هيئة البالون
أسمعت بالإنسان يضغط رأسه ... بالطوق حتى ينتهي لجنون
أسمعت بالإنسان يشعل جسمه ... نارا وقد صبغوه بالفازلين
أسمعت ما يلقي البريء ويصطلي ... حتى يقول أنا المسيء خذوني
أسمعت بالآهات تحترق الدجى ... رباه عدلك إنهم قتلوني
إن كنت لم تسمع فسل عما جرى ... مثلي ولا يبيك مثل سجين
وسل السياط السود كم شربت دما ... حتى غدت حمرا بلا تلوين
وسل العروسة قبحت من عاهر ... كم من جريح عندها وطعين
كم فتية زفوا إليها عنوة ... سقطوا من التعذيب والتوهين

[من القصيدة أو الملحمة التي أنشأها الدكتور يوسف القرضاوي في السجن وكادت تضيق لولا أن هيا الله لها من
حفظها من إخوانه في السجن، نافذة على الجحيم ص ١٣٥ أما العروسة فهي خشبة تعذيب يصلب عليها
المسجونون شرحها أحد السجناء كما في نافذة على الجحيم ص ١٠٠ وراجع كتاب: أيام من حياتي لزيب الغزالي
لترى أنواع التعذيب التي لا تخطر على البال لها ولا خواها في السجن، ولماذا أعدم سيد قطب وإخوانه، ودفاع لم
يسمع، وغيرها من الكتب التي كتبت في هذا الموضوع]
الثاني: الأتمودج الشيوعي الصومالي!

في الصومال عندما أظهر حاكم الصومال الانضمام إلى المعسكر الشيوعي، وأراد إثبات ولانته للشيوعيين الروس
حارب الإسلام، وأنكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة، وادعى في بعض خطبه أن نصف القرآن منسوخ، ومنع
العلماء والخطباء من القيام بالدعوة في المساجد، وعندما أنكر عليه بعضهم زج بالكثير منهم في السجن، وقتل
عشرة من خيارهم حرقا بالنار وعاث في الأرض فسادا، ولا زالت بلاد الصومال وشعبها يتجرعون غصص تصرفاته
إلى اليوم [راجع مجلة المجتمع الكويتية: عدد ٢٤٠ بتاريخ ٢٨ صفر سنة ١٣٩٥هـ ص ١٧ وعدد ٢٣٩ بتاريخ
٢١ صفر من نفس السنة ص ٢٠. المجلد العاشر] هذه القسوة والوحشية التي انتهت إلى حرق علماء المسلمين
والدعاة إلى الله تعالى بالنار في شعب مسلم، بسبب دفاعهم بالكلمة فقط عن كتاب الله وشريعة الإسلام، تدل دلالة
واضحة أن كل من وقف ضد الإسلام وشريعته، سواء كان من المنتسبين إليه اسما دون مسمى، أو من أعداء الله
الكافرين من يهود ونصارى وملحدين ووثنيين، قد نزع الرحمة من قلوبهم.

والذي تنزع الرحمة من قلبه من أعداء الإسلام لا ينتظر منه في سباقه إلى العقول بباطله إلا إعنات الناس وإنزال الحرج والضيق بهم وجلب التعاسة والشقاء لهم، تحقيقاً لغاياته الباطلة وأهدافه الخبيثة وبعد، فقد أطلت كثيراً بذكر الأمثلة الدالة على قسوة غير المسلمين ووحشيتهم وفقدهم الرحمة من قلوبهم، سواء أكانوا من أهل الكتاب: اليهود والنصارى، أو الملحدين -الشيوعيين- أو الوثنيين من هندوس وبوذيين وغيرهم، أو من المنتسبين إلى الإسلام -بعد أن بينت انصاف للمسلمين بالرحمة حتى بأعدائهم، ليتبين للقارئ أن سباق المسلمين إلى العقول هو سباق رحمة ورحماء، مع أن الغايات التي يريدون تحقيقها بسباقهم إلى العقول كلها غايات تسعد البشرية كلها، وأن سباق غير المسلمين إلى العقول هو سباق قسوة وشدّة وغلظة -وإن حاولوا أن يظهرُوا بعض أعمالهم بما قد يبدو فيه رحمة- مع أن الغايات التي يحاولون السباق من أجلها إلى العقول هي غايات فاسدة تشقى بتحقيقها البشرية في الأرض كما هو حاصل الآن.

وبهذا يتضح أن من أهم أهداف أهل الحق وغاياتهم في السباق إلى العقول: غرس الأخلاق الفاضلة في نفوس الناس، وأن من أهم أهداف أهل الباطل في سباقهم إلى العقول محاربة الأخلاق الفاضلة وتمكين الأخلاق الفاسدة، وأن أهل الحق قدوة حسنة في تطبيق الأخلاق الفاضلة، وأن أهل الباطل قدوة سيئة في تطبيق الأخلاق الفاسدة وأكتفي بما ذكرت من الأخلاق الفاضلة التي يسعى أهل الحق إلى غرسها في نفوس الناس من باب التمثيل لا الحصر، ولو أُريدَ التوسع في ذكر كل خلق من الأخلاق الفاضلة وما يضادها، لاقضى ذلك تأليف كتاب مستقل، وليس هذا هدفنا من هذا الكتاب وإنما الهدف بيان أن من غايات سباق أهل الحق إلى العقول غرس الأخلاق الفاضلة في نفوس البشر.

تاسعا: من غايات أهل الحق: طلب العزة من الله تعالى وحده لقد سمي الله تعالى نفسه العزيز في آيات كثيرة من كتابه الكريم، ومعناه القوي الغالب الذي يَغْلِبُ ولا يُغْلَبُ، وَيَقْهَرُ ولا يُقْهَرُ كما قال تعالى: {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} [النساء: ١٦٥]

وقال تعالى: {وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا} [الأحزاب: ٢٥]

وقال تعالى: {وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} [الفتح: ٧]

وقال تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُورِثُ} [فاطر: ١٠]

وقال تعالى: {الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْتَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا} [النساء: ١٣٩]

وقال تعالى: {وَلَا يَخْرُجُ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [يونس: ٦٥]

وقال تعالى: {يَقُولُونَ لِنَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُتَافِقِينَ لَأَيَعْلَمُونَ} [المنافقون: ٨]

وقال تعالى: {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ} [الصفات: ١٨٠]

وفي حديث « الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي قُنُوتِ الْوَيْثْرِ: (اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيْمَنْ هَدَيْتَ وَعَافِنِي فِيْمَنْ عَافَيْتَ وَتَوَلَّنِي فِيْمَنْ تَوَلَّيْتَ وَبَارِكْ لِي فِيْمَا أَعْطَيْتَ وَقِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ إِنَّكَ تَهْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ وَإِنَّهُ لَا يَدُلُّ مِنْ وَآيَتٍ وَلَا يَعِزُّ مِنْ عَادَيْتَ تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ) » [سنن أبي داود ، رقم: ١٢١٤]

فهو سبحانه العزيز ولا عزيز سواه، وله العزة وحده ولا يملكها غيره، ومن أراد العزة فليعبد رب العزة وليطلبها منه وحده، ومن عبده حتى عبادته وطلب منه العزة أعزّه، ومن أطاع غيره في معصيته تعالى طالبا العزة من ذلك الغير أذله الله لهذا كان من غايات سباق أهل الحق إلى العقول أن يطلب عباد الله العزة من الله، لا من سواه.

وإن هذه الغاية التي يسابق بها أهل الحق إلى العقول، لتبين لنا سبب الذلة التي أنزلها الله بالمسلمين في هذا العصر، حيث طلبوا العزة من أعداء الله ورسوله من اليهود والنصارى والمشركين، ونسوا رب العزة العزيز الحكيم، فنتسبهم العزيز الحكيم!

عاشرا إقامة الخلافة في الأرض على أساس هدى الله

لقد استخلف الله بني آدم في الأرض ابتلاء لهم، ليجزي من قام بحق هذا الاستخلاف ما يستحقه من الجزاء الحسن في الدنيا والآخرة، وينزل بمن عاد على هذا الاستخلاف بالنقض عقابه الشديد، كما قال تعالى: { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } [الأعام: ١٦٥]

والمراد بالخلافة هنا: استغلال خيرات السموات والأرض التي سخرها الله تعالى لخلقه في جلب المصالح لكل مخلوق من إنسان وغيره، ودفع المفسد كذلك عن كل مخلوق من إنسان وغيره، وعمارة الأرض ماديا بما أودع الله فيها من النعم العظيمة، ومعويا باتباع منهجه وهده الذي أنزله على رسله لدعوة الناس إلى صراطه المستقيم.

فمن استغل تلك الخيرات وذلك التسخير وعمرهما الأرض، وقام بطاعة واتباع هده فقد حقق هذه الغاية وقام بالخلافة على هدى من الله، وعاش في دنياه عيشة رضا وسعادة واطمئنان، ونال في آخرته ثواب ربه الجزيل في جنات عدن التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال تعالى: { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ } [الأعراف: ٩٦]

وقال تعالى: { قَالَ اهْبِطْ مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْتَقِي } [طه: ١٢٣]

وقال تعالى: { قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [البقرة: ٣٨]

وبين تعالى أن من أهم واجبات استخلافه للإنسان في الأرض إقامة من مكنه الله فيها دينه تعالى في الأرض، وهو شامل للقيام بحق الله وحق عباده، فقال تعالى: { الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ } [الحج: ٤١]

ومن واجبات الخلافة في الأرض: عدل الحكام بين الناس، بأن يحكموا بينهم بالحق، ولا يتبعوا أهواءهم التي تضلهم

عن سبيل الله كما قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا } [النساء: ٥٨]
 وقال تعالى: { يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ } [ص: ٢٦]

وقال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا } [النساء: ٥٨]
 ومن استغل تلك الخيرات معرضا عن هدى الله خارجا عن طاعته نال من دنياه ما كتب الله له، وعاش في الأرض عيشة ضنك ونكد، ونال في الآخرة عقابه في نار جهنم على ما قدم جزاء وفاقا قال تعالى: { هُوَ الَّذِي جَعَلَكَ خَلْدًا فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يُزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا } [فاطر: ٣٩]

وقال تعالى: { وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } { قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا } { قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمِ تُنْسَى } { وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى } [طه: ١٢٤ - ١٢٧]
 وقال تعالى: { أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ لِيُمْكِنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ } [الأنعام: ٦]
 فمن أحمق بالسباق إلى العقول -إذا- أهل الحق أم أهل الباطل؟
 تلك هي غايات أهل الحق من سباقهم إلى العقول:

١-تبليغ رسالات الله إلى الناس ٢-إقامة الحججة على الخلق ٣-إخراج الناس من الظلمات إلى النور ٤-تحقيق توحيد الله في الأرض ٥-غرس الإيمان بالغيب في النفوس ٦-تحكيم شرع الله في حياة الناس.

٧-تثبيت الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين والبراء من الكافرين ٨-غرس الأخلاق الفاضلة ومطاردة الأخلاق الفاسدة
 ٩-الاعتزاز بالله واتخاذ وسائل العزة ١٠-إقامة الخلافة في الأرض على أساس هدى الله وتحقيق هذه الغايات
 يتحقق المقصد العام من التشريع الإسلامي كله، وهو "حفظ نظام الأمة واستدامة صلاحه بصلاح المهيمين عليه، وهو نوع الإنسان ويشمل صلاحه عقله وصلاح عمله، وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه" [انظر كتاب: مقاصد الشريعة لفضيلة العلامة الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور ص ٦٣]
 هذا في الدنيا، وأما في الآخرة فيتحقق لمن استجاب للحق واتبع هدى الله الذي تتحقق به هذه الغايات، رضا الله تعالى وثوابه الجزيل: الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وسائل أهل الحق في السباق إلى العقول

تمهيد

:

إن كل غاية يراد الوصول إلى تحقيقها لا بد لها من وسائل يُوصَلُ بها إلى ذلك التحقيق، وهذه الوسائل منها ما هو سلمي، ومنها ما هو عسكري حربي، وأقصد بالوسائل السلمية هنا كل ما يمكن إبلاغ الحق به إلى العقول مما هو مشروع بدون قتال، من بيان الحق بالدعوة والتزكية والتعليم، ويشمل ذلك وسائل نذكر ما تيسر منها إجمالاً، ثم نشرع في تفصيلها:

الوسيلة الأولى: التربية الأسرية

الوسيلة الثانية: تلاوة كتاب الله على الخلق

الوسيلة الثالثة: الموعظة الحسنة

الوسيلة الرابعة: الجدال بالتي هي أحسن

الوسيلة الخامسة: التعليم

الوسيلة السادسة: العناية باللغة العربية

الوسيلة السابعة: القدوة الحسنة

الوسيلة الثامنة: الفطرة

الوسيلة التاسعة: المساجد

الوسيلة العاشرة: الإعلام

الوسيلة الحادية عشرة: المؤتمرات والندوات

الوسيلة الثانية عشرة: النوادي

الوسيلة الثالثة عشرة: الرحلات والخيمات

الوسيلة الرابعة عشرة: العلاقات الدبلوماسية

الوسيلة الخامسة عشرة: المال

الوسيلة السادسة عشرة: المواقع

الوسيلة السابعة عشرة: الجهاد العسكري.

الوسيلة الأولى: التربية الأسرية:

إن أولى وسائل السباق إلى العقول بالحق أو بالباطل هي الأسرة: الأبوان والأقارب الذين يحيطون بالأطفال ويتربى هؤلاء الأطفال في وسطهم، من إخوة لهم كبار، أو أعمام أو عمات، أو أخوال أو خالات، أو أجداد أو جدات.. وإن الأم هي المفتاح الأول لهذا السباق، إذ هي التي تلازم الطفل في جميع أطوار حياته، منذ خروجه من رحمها صارخاً، إلى أن يبلغ رشده متواضعاً أو متكبراً شامخاً. تلازمه ليلاً ونهاراً، صحيحاً إذا فرح أو سقيماً إذا ترح، ضاحكاً ساعياً، أو مقعداً باكياً يفتح عينيه على حركاتها وسكناتها، وهي هادئة وقورة، أو طائشة مسعورة، ويصغي بأذنيه لصوتها، ناطقة بالقول النافع، أو صارخة بالسب اللاذع وطفلها يراقبها - كما يراقب غيرها - منذ الصغر، خازناً في جعبته كل ما تأتي وتذر، ينبت لحمه من حليب ذرعها، وتنبت أخلاقه من حميد أو ذميم خلقها فإن تحلت بالصدق نشأ صريحاً صادقاً، وإن أكثرت من الكذب، أصبح كاذباً منافقاً.

ولهذا شرع الله للرجل الصالح الحرص على المرأة الصالحة، فقال رسوله الكريم -صلى الله عليه وسلم- : كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: « تكح للمرأة لأربع لما لها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك « . [الحديث في الصحيحين]

الوسيلة الثانية. تلاوة كتاب الحق على الخلق من أهم الوسائل التي يجب على أهل الحق أن يسابقوا بها إلى العقول، تلاوة كتاب الحق على الخلق، وبيان معانيه لهم، حتى يفهم مراد الله تعالى منهم في أمره ونهيه، وبهذه الوسيلة يتحقق إدراك مراد الله من عباده وتقوم حجته عليهم وقد دعا إبراهيم -عليه السلام- ربه أن يبعث في هذه الأمة هذا الرسول الكريم ليتلو عليهم آيات كتابه العظيم، كما قال تعالى: { رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ } [البقرة: ١٢٩] وقد استجاب الله تعالى دعوة إبراهيم ، فحقق بعثه هذا الرسول في هذه الأمة يتلو عليهم آيات الله، كما قال تعالى: { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ } [الجمعة: ٢] وأمر الله تعالى رسوله -صلى الله عليه وسلم- بتلاوة كتابه -وأمره له أمر لعلماء أمته بعده- فقال تعالى: { أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ } وقال تعالى: { وَأَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ } [الكهف: ٢٧].

وبين تعالى أن الأمم التي تكفر بالرسول في الدنيا تعرف يوم القيامة بأن أولئك الرسل الذين بعثهم الله إليهم قد أقاموا عليهم الحجة وبلغوهم رسالات الله بتلاوتهم آيات الله عليهم، كما قال تعالى: { وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَمَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ } [الزمر: ٧١].

وليس المقصود من التلاوة مجرد قراءة القرآن على الناس دون أن يفهموا معانيه، فالتلاوة وحدها تكون كافية إذا كان المتلو عليه يفقه معاني المتلو، أما إذا كان لا يفهم ذلك، كأن يكون جاهلا من العرب، أو أعجميا لا يفهم اللغة العربية، فلا بد مع تلاوة القرآن عليه من بيان معنى ما يتلى عليه، كل بما يناسبه من اللغة العربية أو بالترجمة إلى لغته، وبدون ذلك لا تقوم الحجة، لأن التكليف مناطه العقول التي وصل إليها ما عقلته، وذلك لا يكون إلا بالبيان، كما قال تعالى: { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } [النحل: ٤٤].

ويجب أن يشمل بيان العلماء للناس كل المصالح المعتبرة في شرع الله، وكل المفاصد التي اعتبرها الشرع مفاصد، بلا فرق بين ما تعلق منها بالجانب الإيماني أو الجانب العبادي أو الجانب الفكري، أو الجانب التشريعي، أو الجانب السياسي، أو الجانب الاقتصادي والمالي، أو الجانب الاجتماعي، أو الجانب التعليمي، أو الجانب الإعلامي، أو غير ذلك مما يمس حياتهم، لأن الإسلام شامل لكل ذلك، فلا بد أن يكون البيان شاملا لما يشملته الإسلام [سيأتي مزيد بيان لهذا في موضعه إن شاء الله].

الوسيلة الثالثة: الموعدة وهي أمر زائد على التلاوة -وإن كان القرآن يشتمل عليها- والبيان، لأن كثيرا من الناس يعلم الحق ولا يتبعه، أو يعلمه ويتهاون به أو ببعضه، فيحتاج إلى تذكيره بالموعدة التي تلفت نظره وترقق قلبه، وهن عقله للتفكير في مصلحته العاجلة والآجلة، وفيما يلحقه من ضرر عاجلا أو آجلا، إن هو لم يعمل بما علم، كما قال تعالى: { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ } [النحل: ١٢٥]

والموعدة تشمل الترغيب فيما عند الله من سعادة ونعيم وراحة قلب ورغد عيش في الدنيا، والترهيب مما عنده من

عقاب ونكال وشقاء وقلق وتعاسة في الدنيا كذلك، كما تشمل بيان رضاه عن أهل طاعته وإثابتهم في جناته في اليوم الآخر، وبيان سخطه على أهل معصيته وجزائه لهم في نار جهنم في اليوم الآخر كذلك، والتذكير بالموت وبالقبر وما فيه من نعيم أو عذاب.

ولا بد أن تكون الموعدة ذات عاطفة قوية جياشة، وأن تكون بليغة تجمل من يراد إبلاغ الحق إلى عقله يتفاعل معها ويفكر بعقله في الحق الذي كانت وسيلة له، أما إذا كانت الموعدة باهتة غير محرّكة للعاطفة، أو كان الأسلوب الذي تؤدي به ركيكا غير بليغ ولا مؤثر، فإنها قد تحدث عكس المقصود منها، وقد تؤثر في قليل من الناس ولا تؤثر في كثير منهم، ولهذا أمر الله رسوله -صلى الله عليه وسلم- أن يعظ المنافقين وعظا مؤثرا يبلغ مداه في نفوسهم، لأن الموعدة البليغة إذا لم تؤثر في المخاطب تأثير استجابة وقبول، تؤثر فيه تأثير خوف وانهمام نفسي، يجعله جباناً أمام الحق الذي طرقت الموعدة البليغة به سمعه وعقله، قال تعالى: { أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا } [النساء: ٦٣]

الأمودج الأول: يتعلق بمعبودات قومه السماوية من الشمس والقمر والكواكب والنجوم، فقد جادلهم مجادلة أقام بها الحجة عليهم، وبين لهم بالبرهان أنها لا تستحق العبادة، وأن الذي يستحق العبادة وحده هو خالقها وقد أنثى الله تعالى على إبراهيم في تلك المناظرة، وامتن عليه بأنه هو الذي وفقه لها حتى غلب الحق الذي جاء به الباطل الذي عند قومه.

قال تعالى: { وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ } { فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَأُحِبُّ الْآفِلِينَ } { فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَأُنَبِّئُكُمْ بِرَبِّي لَأَكُونَ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ } { فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ } { إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } { وَحَاجَّةُ قَوْمِهِ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يُشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ } { وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ

بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ } { وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ } [الأنعام: ٧٥ - ٨٣] والصواب أن إبراهيم عليه السلام - اتخذ هذا الأسلوب لإقامة الحجة على قومه، وليس كما يرى بعضهم أنه كان يبحث عن الحق قبل رسالته والآيات كلها تدل على هذا المعنى الذي هو الصواب، ففي أولها قوله تعالى: { وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } وفي وسطها: { وَحَاجَّةُ قَوْمِهِ } وفي آخرها: { وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ } .

الأمودج الثاني: يتعلق بمعبوداتهم الأرضية.

وهي الأصنام التي كانوا يصنعونها بأيديهم ويعبدونها من دون الله، وقد كانت حججه قولية وفعلية، وهي واضحة في سياق الآيات الآتية: { وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ } { إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ } { قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ } { قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } { قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ } { قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ } { وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ } { فَجَعَلَهُمْ جُذًا إِلا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ } { قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ } { قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ } { قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ } { قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا

بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ } { قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ } { فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ } { ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ } { قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَّا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ } { أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَّا تَعْقِلُونَ } { قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنتُمْ فَاعِلِينَ } { قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ } { وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ } [الأنبياء: ٥١ - ٧٠]

فعلى أهل الحق الذين يسبقون بحجهم إلى عقول الناس أن يستعدوا لجدال أهل الباطل المعاندين بالحجج والبراهين، ليحققوا بذلك الهدف من الجدل، وهو السيطرة البرهانية على عقول الناس حتى يقبلوا الحق أو يهزموا أمام الحججة والبرهان، فتضطر عقولهم إلى الخضوع والاستسلام، وإن كابروا وعاندوا، وبذلك يظهر لأتباع أهل الباطل بطلان ما هم عليه كما يظهر لهم الحق ببراهينه فتقوم بذلك الحججة وتضع الحججة.

أسس التعليم الناجحة في السياق إلى العقول الأساس الأول: وضوح الغايات أي غايات أهل الحق في سياقهم إلى العقول، وهي:

١- تبليغ رسالات الله إلى الناس ٢- إقامة الحججة على الخلق ٣- إخراج الناس من الظلمات إلى النور ٤- تحقيق توحيد الله في الأرض ٥- غرس الإيمان بالغيب في النفوس ٦- تحكيم شرع الله في حياة الناس ٧- غرس الأخلاق الفاضلة ومطاردة الأخلاق الفاسدة ٨- إقامة الخلافة في الأرض على أساس هدى الله ٩- الاعتزاز بالله واتخاذ وسائل العزة وقد سبق الكلام عنها، وهي - وإن كانت مطلوبة التحقيق من كل الوسائل - تتحقق بوسيلة التعليم وتثبت وترسخ أكثر من غيرها من الوسائل الأخرى.

الأساس الثاني: وضع مناهج للتعليم تتحقق بها تلك الغايات بحيث تشمل المناهج كل ما تحتاج إليه الأمة في حياتها على أساس دينها الذي تضمنه كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - مما يحقق لها السيادة التي ترضي ربه في الأرض ما تجب مراعاته في وضع المناهج ويجب أن يراعى في وضع المناهج الأمور الآتية:

الأمر الأول: السبر الشامل لكل ما تحتاج إليه الأمة من العلوم وهي كل العلوم التي تمكنها من النهوض والتقدم واعتلاء مقعد القيادة الربانية للبشرية، وهو ما عبر عنه القرآن الكريم بالخليفة: **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** سواء كانت تلك العلوم من فروع العين، وهي التي تتعلق بجميع المكلفين ولا يكفي أن يقوم بها أحد عن آخر، كأركان الإسلام وأركان الإيمان، أو فروع الكفاية وهي التي تسقط عن بقية الأمة، إذا قامت بها طائفة كافية عدداً وسدَّ حاجة، كالعلوم السياسية، والقضائية، والاقتصادية، والهندسية والطبية، والصناعية، والحرفية، والفلكية،

والعسكرية، وغيرها ثم يوضع لكل علم منهجه الخاص به من قبل ذوي الكفاءة فيه والاختصاص، ويخصص له من الزمن ما يكفيه الأمر الثاني: أن يراعى في وضع المناهج ما يتناسب مع العصر.

ويشمل ذلك جميع المواد والمفردات المطلوب دراستها، بحيث يكون الدارس على وعي وخبرة بما يتعلق بالعلم الذي يدرسه في واقع الحياة، مع المقارنة والموازنة والترجيح بالحجة والبرهان، ولا تكون دراسته دراسة نظرية تلقينية تقليدية جامدة، تجعله إذا خالط الناس واصطدم بما عندهم من أفكار ونظريات ومبادئ كأنه بدوي دعي لحضور مؤتمر تنصارع فيه نظريات الفلاسفة والسياسيين والاقتصاديين، مع أن بعض تلك النظريات تتعلق بتخصصه وسأضرب بعض الأمثلة لتوضيح هذا المعنى:

المثال الأول: وجد في هذا العصر إلحاداً مادي قوي ينكر وجود الخالق -فضلاً عن استحقاقه العبادة واتباع رسله وتحكيم شرعه- قامت على أساس هذا الإلحاد دول ووضعت له فلسفات ومناهج تعليم وإعلام، واتخذت لنشره والدعوة إليه وسائل تبدأ بالإعلام وتنتهي بالسلاح، وخذعت به عقول واستجابت له حكومات والجديد في هذا الإلحاد هو انتشاره وقيام دول على أساسه، وقد كان في الأزمان الماضية مغموراً لا يوجد إلا لدى أفراد أو جماعات قليلة لا وزن لها بين الناس وكان إقرار الأمم بالخالق دليل الرسل على قومهم المقربين به بأن الخالق الذي أقرت به تلك الأمم هو وحده الإله المعبود الذي يستحق العبادة.

ولهذا لم تكن الرسل في حاجة إلى أن ينصبوا في دعوة أممهم إلى الإقرار بوجود خالق لهذا الكون، لأن ذلك من تحصيل حاصل ومن تبديد الجهد في غير مكانه كما قال تعالى: { قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } { سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } { قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ } { سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ } { قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } { سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ } [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

والله الخالق العليم عالم الغيب والشهادة قد أودع في كتابه من الحجج والبراهين الدالة على وجوده وأنه رب كل شيء ومالكة ما لا يدع لمنكره منفذا يفر من براهينه وحججه، سواء قل المنكرون أو كثروا، وحججه وبراهينه منتزعة من آياته الكونية ومخلوقاته، فالكتاب المقروء ينصب للجاحدين الكتاب المفتوح وهو الكون كله، كما قال تعالى: { أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ } { أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ } [الطور: ٣٥-٣٦]

وقال تعالى: { أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ } { أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } { أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ } { أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } { أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } [النمل: ٦٠-٦٤].

ومع هذا كله -أي مع كون وجود الخالق الذي كانت الأمم تعترف به، وكانت الرسل تستدل بهذا الاعتراف على وجوب عبادته وحده وعدم الإشراف به، ومع وجود كثرة الحجج والبراهين في الكتاب المقروء والكتاب المفتوح على وجوده وأنه خالق هذا الكون، ومع بسط علماء المسلمين في القديم والحديث الكلام عن هذا المعنى، ومع وجود دول إلحادية في هذا العصر قامت على إنكار هذا الأصل الذي كان بالأمس مُقَرَّاً به لدى عامة أمم الكفر، وأصبح الآن محل إنكار -مع هذا كله وجد من ينتسب إلى العلم ويزعم أنه لا داعي لإدخال هذا الأصل الذي سماه علماء الإسلام "توحيد الربوبية" في مباحث العقيدة لإبرازه والدعوة إليه، لأنه هو الدليل على توحيد الألوهية فهو بلهيه، والرسل لم تكن تدعو أممها إليه!!!

أيعقل هذا الكلام؟! إذا أنكرت أمراض القلوب وضعاف النفوس ما كان في الأصل دليلاً، أفلا ندعوهم إلى الإقرار بهذا الدليل الذي أقرت به الأمم وتظاهرت عليه آيات الكون ومخلوقاته كلها؟! وإذا أصبح الدليل مُنكراً ولم تقم الحجج على منكريه ولجعل عقولهم تقربه، فهل هذه مزية لنا؟ وهل نعد متبعين حقاً للرسل الذين كانوا يستدلون بهذا الأصل على وحدانية الله وعبادته بلا شريك معه؟!

ألم يكن نبي الله موسى -عليه السلام- يعلم أن فرعون كان -في الواقع- مستيقناً بأن الله هو خالق السماوات والأرض، وأن الآيات التي جاء بها موسى كانت حقاً، وأن إنكاره وجحده ما كان إلا مكابرة منه؟! كما قال تعالى: { فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ } { وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ } [النمل: ١٣-١٤].

ومع ذلك فإن موسى -عليه السلام- أقام الحجة على فرعون عندما ادعى الربوبية وسخر من دعوة موسى إلى الإيمان بربه، فقال كما ذكر الله تعالى عنه: { قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ } فأجابه موسى بقوله. { رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ } [الشعراء: ٢٣-٢٤].

لقد خلت مناهج بعض المعاهد والجامعات والمدارس الإسلامية في هذا العصر الذي ظهر فيه هذا الإلحاد واستفحل وانتشر عن طريق التعليم والإعلام والسياسة والاقتصاد وعلوم النفس وعلوم الاجتماع وعن طريق الغزو المسلح والإكراه على إنكار وجود الله، خلت تلك المناهج من بحوث يتسلح بها الطلاب ودعاة الإسلام، في إقامة الحجج والبراهين، على تفاهة هذا الإلحاد وإزالة ما علق بعقول عدد كبير من الناس، ومنهم بعض ذراري المسلمين، ووقف كثير ممن تخرجوا في تلك المؤسسات الإسلامية عاجزين عن رد شبهات إلحادية كثيرة بثها الملحدون في مناهج التعليم وكتبه في بعض البلدان الإسلامية، إلا من اجتهد من أولئك المتخرجين اجتهاداً ذاتياً فدرس بعض المؤلفات وقرأ بعض البحوث التي ألفها بعض الغيورين من دعاة الإسلام، أو لازم بعض هؤلاء الدعاة واستفاد منهم، فأهم انطلقوا بحجج وبراهين مثل الصواريخ تدمر كل شيء أتت عليه من مبادئ وأفكار وشبهات أولئك الملاحدة.

ومع ذلك فقد اجتهد بعض دعاة الإسلام، فوضعوا في مناهج بعض المدارس بحوثاً وكتباً مزودة بأدلة علمية وحجج وبراهين قوية في هذا المعنى، استأصلوا بها شجرة الإلحاد من بلادهم وقد كادت تمت جذورها فيها، وكان ذلك تحصيلنا لطلابها وسلاحاً يهاجمون به أساطين الإلحاد في عقر دارهم [كان ذلك في اليمن، حيث ألف الشيخ عبد المجيد الزداني كتب التوحيد الستة التي قررت على طلاب المتوسط والثانوي فقضى الله بها على الإلحاد في اليمن وأصبح الطلاب اليمنيون الذين ابتغوا إلى البلدان الشيوعية يوجهون أسئلة إلى المشرفين عليهم من الملحدين تفحهمهم كما

ذكر ذلك الزناداني في بعض كتبه]. المثال الثاني: أن أعداء الإسلام قد بلغوا شأوا عظيما في هذا العصر من القوة المادية والصناعية، وأصبح عندهم من السلاح ما أخافهم هم أنفسهم من أن ينفجر بينهم في صراعاتهم على زعامة العالم، وما يُطيش عقولهم في أن يتقاتلوا بذلك السلاح ويلمروا به أنفسهم وبلدانهم وما بنوه من حضارة مادية في مدة طويلة من الزمن.

وهم متفقون جميعا على أن عدوهم الحقيقي هو الإسلام الذي يخشون أن يولد من أبنائه من يُعلي الله به رأيته في الأرض، فينطلق الإسلام انطلاقا لا قبل لهم بإعاقته، ولا قدرة لكل السلود التي وضعوها ولا زالوا يضعونها في طريقه على صده ومنعه عن الانسياب في الأرض، سابقا بعقيدته وأخلاقه ومعاملاته الشاملة إلى عقول الناس التي لو وصل إليها صحيحا غير مشوه، لأسرعت إلى قبوله ورفضت كل العقائد والمبادئ والأنظمة التي تخالفه والتي شقيت البشرية بها في الأرض، وبخاصة أنه مهيا ليحل محل تلك المبادئ والأنظمة التي جربت كلها ففشلت، والعالم يتربص ما ينقذه مما حل به من دمار.

وأعداء الإسلام يعلمون أن هذا الدين دين عقيدة صحيحة وأخلاق فاضلة وأنظمة سامية، يدعو إلى العلم الشامل علم الدنيا وعلم الآخرة، وأنه دين المساواة والعدل والحرية والصدق، ويعلمون بأن حضارتهم المادية مبنية على عقائد فاسدة، وتحلل اجتماعي، وأنظمة اقتصادية مدمرة، وأنظمة سياسية لا قدرة لها على الوقوف طويلا أمام سياسة الإسلام إذا طبقت في الأرض، ديلنهم العلوان على الضعيف وظلمه وهم يزعمون أنهم دعاة سلام وعدل، فإذا طبق الإسلام في الأرض ظهرت عيوب مدنيهم وانكشف زيف ما يلصقونه بالإسلام من مثالب زورا وبهتاناً، ولذلك فهم يخافون من الإسلام خوفا شديدا، ويحكون للأمة الإسلامية كل المؤامرات، ويعدون العدة لاختلاق النرائع لشن غاراتهم العسكرية المباشرة على أي دولة إسلامية يخشون من تطبيقها الشريعة الإسلامية تطبيقا صادقا، وليس مجرد دعوى، أو يخشون من امتلاكها قوة عسكرية واقتصادية — وإن كانت علمانية — خشية من أن تترث تلك القوة قيادة مسلمة تعلي بها كلمة الله!

ولهذا دمر اليهود المفاعل النووي في العراق، وأغرقت الدول الغربية وعلى رأسها أمريكا نظام البعث العراقي بغزو الكويت، من أجل القضاء على ما يملك من قوة، وقد فعلوا ولا زالوا يفعلون، ويهددون جمهورية باكستان الإسلامية ويحكون لها المؤامرات لتدمير ما تملك من قوة نووية، ولا يعترضون على قوة الهند الوثنية النووية، ويواصلون دعمهم لليهود ولا تملكهم مزيدا من القوة النووية، ولا يطيقون أن تملك أي دولة من الدول الإسلامية قوة متميزة ولو كانت غير نووية، كل ذلك من أجل أن يضمّنوا تفوقهم العسكري في كل لحظة، على جميع الدول في البلدان الإسلامية، ويريدون لجميع الدول في الشرق الإسلامي أن تكون ضعيفة في سلاحها وجيشها واقتصادها، ما عدا الدولة اليهودية التي احتلت أرض المسلمين في فلسطين، فإنهم يدعمونها بكل وسائل القوة، ليسطروا على بلاد المسلمين واقتصادهم سيطرة كاملة، وليضطروهم إلى عدم التفكير في إقامة دين الله في الأرض بتطبيق شريعته.

ومع وضوح هذا العداء السافر ضد الإسلام والمسلمين، من الدول النصرانية والدولة اليهودية وغيرهم من أعداء الإسلام، فإن مناهج المدارس والمعاهد والجامعات في أغلب البلدان الإسلامية قد أهملت فقه الجهاد في سبيل الله الذي يوجب على الأمة الإسلامية أن تعد العدة اللازمة لإرهاب أعداء الله، حتى لا يعتدوا على هذه الأمة، وحتى تحطم الأمة الإسلامية كل الطواغيت الذين يصدون الناس عن الدخول في دين الله وكذلك أغفلت تلك المناهج في

أغلب البلدان الإسلامية قاعدة الولاء والبراء التي أبدى فيها القرآن الكريم وأعاد، موضحاً أعداء الأمة الإسلامية من اليهود والنصارى والوثنيين ومكايدهم التي لا يكفون عنها إلى يوم القيامة، بل إن بعض الحكومات في بعض البلدان الإسلامية أمرت بحذف ما كتب من آيات في بعض المقررات الدراسية مما يتعلق باليهود والنصارى حتى لا يتنبه التلاميذ لهذه القاعدة من فهمهم لتلك الآيات، وقد نبه على ذلك بعض كتاب المسلمين في بعض الصحف العلمانية، بعنوان. [فتنة في الأرض وفساد كبير. الأهرام، القاهرة ١٤ / ١٠ / ١٣١٣هـ - ٦ / ٤ / ١٩٩٣م ص ٩، راجع الملف الصحفي الذي تصدره تامة عدد ٣٦٢ ص ٣٩ بتاريخ ١ / ١١ / ١٣١٣هـ].

المثال الثالث. إذا تأمل المتابع حركة التدبير العلمي وجلها تعتمد على ثلاثة أسس جوهرية، وهي: السياسة والاقتصاد والقوة العسكرية بكل فروعها.

وقد أنشئت لكل واحد من هذه الأسس معاهد وكليات ومؤسسات ومراكز بحث ومراكز تدريب، وخصصت لها ميزانيات هائلة في بلدان العالم الغربي بالذات، وكذلك في بلدان العالم الثالث - كما يطلق عليه هذه التسمية الغربيون احتقارا له وتنبيها من التفكير في النهوض - ومنه دول العالم الإسلامي، وكلها تعتمد على المنهج العلماني إلا ما ندر في بعض البلدان الإسلامية، ولهذا سيطرت النظريات السياسية والاقتصادية العلمانية على العالم بدعم من القوة العسكرية، وترى المثقفين ورجال الإدارة والحكم في العالم الإسلامي قد فتنوا بتلك النظريات ورأوا فيها مثالا يحتذى وقدوة تتبع - سواء طبقوا ما فتنوا به أو خالفوه بحسب أهوائهم ومصالحهم - ولم يلتفتوا إلى ما في مصادر دينهم من قواعد السياسة والاقتصاد، بل وقر في أذهانهم أن الدين الإسلامي كغيره من الأديان المحرفة صلة بين العبد وربها، ولا دخل له في حياة البشر الإدارية والسياسية والاقتصادية والعسكرية وغيرها، ولم يخرج عن هذه القاعدة التي سار عليها المثقفون من أبناء الأمة الإسلامية إلا من هيا الله له السبيل، فتربى تربية إسلامية على أيدي علماء الدعوة الإسلامية، ودرس كتبهم ورجع إلى مصادر العلوم

الإسلامية فتفقه في دين الله وتيقن أن الإسلام منهج كامل لحياة البشر ومع ذلك لا تجد في العالم الإسلامي كله كلية واحدة للاقتصاد الإسلامي، ولا كلية واحدة للسياسة الشرعية، بل لا تجد في كليات الاقتصاد والعلوم السياسية والإدارية مقارنة جادة بين النظريات الاقتصادية والنظريات السياسية، وبين السياسة الشرعية والاقتصاد الإسلامي، بل مما يؤسف له أن المعاهد والجامعات الإسلامية لم تعط هذين العلمين المهمين في الإسلام - السياسة والاقتصاد - ما يستحقانه من العناية والاهتمام، وإن كانت بعض الجامعات قد أنشأت ما يسمى بقسم السياسة الشرعية، فإن الدراسة فيها دراسة جامدة تعتمد على مذكرات ونصوص جزئية لا تمت إلى حياة البشرية المعاصرة بصلة قوية.

وكان الأجدى بالجامعات الإسلامية أن تنشئ كليات للسياسة الشرعية والاقتصاد الإسلامي، وأن توجد أساتذة مؤهلين يجمعون بين الفقه الإسلامي من مصادره في هذين المجالين، وبين النظريات السياسية والاقتصادية المشهورة في العالم اليوم، وأن تدرس موادها بوسع ليتخرج فيها ذوو كفاءات مؤهلون لإدارة البلدان الإسلامية سياسيا واقتصاديا، وليظهر للعالم ما في هذا الدين من مزايا يُحل بها كثير من المشكلات العويصة، ويقضى بها على أزمات مستعصية، وأن وسطية هذا الدين في السياسة والاقتصاد جديرة بالدراسة والمقارنة والتطبيق الذي سيقضي على مفاسد الديمقراطية مع اشتماله على ما قد يكون فيها من محاسن، كما سيقضي على الدكتاتورية والاستبداد مع اشتماله على ما قد يكون فيهما من ضبط وعدم تسبب، وسيقضي على مفاسد الرأسمالية الربوية مع اشتماله على ما

قد يكون فيها من حرية فردية محكومة، وعلى مفاصل الاشتراكية مع اشتتماله على ما قد يكون فيها من حفظ حق الجماعة بدون اعتداء على حقوق الأفراد فهل نتظر من الجامعات الإسلامية اهتماما ما بذلك!؟

سبب التخصيص.

إن تخصيص الجامعات الإسلامية في هذا السياق إنما هو من باب مسيطرة الواقع الذي فرض على الأمة الإسلامية فرضاً، بسبب العلمنة التي سيطرت على الحكومات في الشعوب الإسلامية، بعد الجهل الذي خيم على المسلمين والاستعمار الذي كرس جهوده في زيادة جهلهم بدينهم، وبعد التمزق الذي أصاب الأمة الإسلامية في أعقاب سقوط ما كان يربطهم، وهو آخر رمز للخلافة الإسلامية - في دولة بني عثمان - حيث تم الفصل بين الدين والدولة، وتم بناء على ذلك الفصل بين ما سمي بالجامعات المدنية والجامعات الدينية. وأصبح طلاب الجامعات المدنية التي خلت في الغالب من المدارس الإسلامية هم قادة الشعوب الإسلامية (١) والمدبرين لشؤونها السياسية والإدارية والاقتصادية وغيرها، لأن مناهج جامعاتهم أعدت لتؤهلهم لذلك أما طلاب الجامعات الدينية فقد وضعت لهم مناهج قصد منها حصر نشاطهم في المساجد - أئمة وخطباء ومؤذنين - مقيداً بما يأذن لهم من تربع على كراسي الحكم من طلاب الجامعات المدنية، وفي تدريس المواد الدينية حسب المنهج الذي تضعه الزمرة الحاكمة، ولا زال هذا الفصل مستمراً إلى الآن

(١) بل تجاوز الأمر المدنيين إلى أن تولى أزمة الأمور في كثير من بلدان المسلمين العسكر.

وكان الجفاء والنفرة على أشدهما بين أساتذة الجامعات المدنية وطلابها، وبين أساتذة الجامعات الإسلامية وطلابها، حتى أصبحوا - وهم إخوة في بلد إسلامي واحد - كأن بعضهم أجنبي عن الآخر ولكن بحمد الله وتوفيقه ثم بفضل جهود دعاة الإسلام في نشر المعاني الإسلامية والدعوة إلى الرجوع إلى هذا الدين والتفقه فيه وحمله أن أقبل طلاب الجامعات المدنية إلى هذا الدين وتمسكوا به حتى فاق كثير منهم في الالتزام به بعض طلاب الجامعات الإسلامية، حتى ضاقت بذلك صدور العلمانيين في البلدان الإسلامية، وأساتذتهم في بلدان الغرب ذرعا بهذه الظاهرة، وأصبحوا يجارون هذا الصنف من المنتزعين أكثر من حرهم للملتزمين بالإسلام من طلاب الجامعات الإسلامية، حتى الطلاب الذين درسوا في الجامعات الغربية معقل العلمانية، رجع كثير منهم وهم يحملون الدعوة إلى الإسلام مع تخصصاتهم المسماة بالمدنية والعسكرية، فكان فيهم شبه بترية موسى في قصر فرعون، وعلى أهلها تدور الدوائر!

هذا هو سبب تخصيص الجامعات الإسلامية، وإلا فالأصل أن تكون الجامعات في البلدان الإسلامية كلها جامعات إسلامية، بدون حاجة أن توصف بأنها إسلامية، على أن تضم الجامعة الواحدة جميع الكليات والأقسام التخصصية، فتكون في الجامعة كليات الطب والهندسة والجغرافيا والسياسة والاقتصاد والشريعة واللغة وغيرها، وتكون المدارس الإسلامية مقررة في كل الكليات بالقدر المناسب، مع ما فيها من تخصصات، حتى يكون المتخرجون منها كلهم ذوي كفاءات ومؤهلات متخصصة، مع معرفة القدر الكافي من العلوم الإسلامية، وبذلك يقضى على الازدواجية الموجودة الآن في البلدان الإسلامية أقسام العلم في الشريعة الإسلامية إن العلم في الشريعة الإسلامية ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما هو فرض عين على كل مسلم وهو ما لا يسع أحدا من المسلمين جهله، لتعلقه بعينه وعدم سقوطه عنه - ما دام قادرا عليه - بفعل غيره، وذلك مثل العلم بالقدر الضروري من أصول الإيمان، والعلم الضروري بأصول الإسلام، وكل ما هو فرض على الأعيان، فإن الواجب على كل مسلم أن يعلم ما وجب عليه عينا بحسب ما هو مطلوب منه شرعا القسم الثاني. ما هو فرض كفاية من علوم الشريعة.

وهو ما لا يجب على أحد بعينه من المسلمين، وإنما يجب على الأمة أن يوجد فيها من يقوم به قياما كافيا، فإذا قام به واحد منها وكان كافيا للأمة سقط عن باقي الأمة، وإن لم يكف الواحد وجب أن يوجد العدد الكافي للأمة بحسب حاجتها، وذلك مثل الفتوى والقضاء والسياسة الشرعية والموارث والمعاملات والعقوبات - الحدود والقصاص والعزير - وغير ذلك من علوم الشريعة الإسلامية، فيجب أن يوجد القضاة الذين تحتاج إليهم الأمة مهما كان عددهم، وهكذا المفتون، وفقهاء السياسة الشرعية وخبراء الجهاد والاقتصاد الإسلامي وغيرهم هذان القسمان - كما هو واضح - من علوم الشريعة التي تستفاد من القرآن وسنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأن الوحي الذي جاء به، من عند الله يشملهما، ويدخل في ذلك ما أخذ منهما بطرق الاستنباط والاستدلال المعروفة عند العلماء، وما دلا عليه من مقاصد الشريعة الإسلامية القسم الثالث: ما يتعلق بمصالح الدنيا. (١)

(١) الأصل في التقسيم أن العلم قسمان: فرض عين، وهو ما تعلق بذات كل فرد من أفراد المسلمين، بحيث لا يعني عنه غيره في القيام به... وفرض كفاية، وهو ما لم يتعلق بذات الأفراد، وإنما يتعلق بوجود الفرض نفسه، بحيث يعني في القيام به عن الأمة من يقوم به عنها قياما كافيا، وهذا الفرض قسمان: قسم يتعلق بالمصالح الدينية تعلقا مباشرا، كالجهاد في سبيل الله، والقضاء والفتوى... وقسم يتعلق بمصالح الدنيا، كالصناعة والتجارة... وقد فضلت أفراد هذا القسم وجعله ثالثا، لأنه - مع إثم المسلمين بتركه كالتقسيم الذي قبله - من الأمور التي يشترك المسلمون وغيرهم في ضرورة القيام بها لأن حيلهم لا تقوم بدونها. ولا مشاحة في الاصطلاحات.

مما يرشد إليه الوحي أو العقل أو التجربة أو اللغة، وهي العلوم التي يحتاج إليها المسلمون وغيرهم، وإذا خلا منها بلد تعرض أهله للهلاك أو الانحطاط والتأخر والضعف. مثل علم الطب والرياضيات والهندسة بأنواعها، وكذلك المهن الأخرى كالصناعة والزراعة والحيطة والحياسة والحياكة والخبازة وغيرها، فهذه العلوم والمهن من فروض الكفاية وفرض الكفاية بقسميه: الشرعي والعادي تأثم الأمة كلها إذا لم يوجد من يقوم به قياما كافيا وكلاهما - فرض العين وفرض الكفاية بقسميه - يتاب فاعله - إذا قصد به وجه الله - ويعاقب تاركه القادر عليه. وكلها تدخل تحت الأحكام التكليفية الخمسة، وهي: الواجب والمدبوع والمباح والمحرم والمكروه وبهذا يعلم أن المسلم مكلف شرعا بجميع العلوم: الشرعي منها والمادي، إلا أن منها ما يكون فرض عين ومنها ما يكون فرض كفاية (١)

(١) راجع إحياء علوم الدين (١ / ١٦) للغزالي. ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨ / ٧٩ - ٨٠).

وهذا يدل على ارتباط شؤون الدنيا بشؤون الدين، وأن الفصل بينهما فصلا يعزل الدين عن توجيه الأمة في حياتها الدينية والدينية، منكر في الإسلام لا يجوز إقراره، وهو الذي دمر حياة المسلمين في هذا العصر، حيث صار لشؤون الدنيا سلطة زمنية مستقلة، ولشؤون الدين زعامات تقيد سلطة الشؤون المدنية بما تهمى، ولو ألغى بذلك

تطبيق الإسلام اتباعا لما سار عليه العلمانيون في الغرب من إقصاء الدين النصراني الكنسي الحرف عن التدخل في الشؤون الدنيوية، مع أن الفرق الكبير بين الدين الكنسي الذي تحكّم في حياة الناس باسم الله، فأحل ما حرم الله وحرم ما أحل الله بدون إذن من الله، وليس فيه منهج صالح لحياة البشر الشاملة، بخلاف الإسلام الذي لم يدع شاردة ولا واردة في حياة البشر إلا شرع لها فيه ما يحقق لهم مصالحهم ويدفع عنهم المفاسد، إما بالنصوص الصريحة والظاهرة، وإما بالاستنباط والقياس، وإما بما وضعه من مقاصد يندرج تحتها ما لا يحصى من المسائل.

فالأصل -إذا- أن يكون التعليم ومناهجه ومدارسه وجامعاته على أساس الإسلام، وأن يكون العلماء الذين يتخرجون من تلك المدارس والجامعات كلهم متعاونين -مع تنوع تخصصاتهم- على إقامة دين الله في الأرض، يحكمهم جميعا شرع الله ويسيرون جميعا على نهج الإسلام ويظهر من ذلك أن الأوضاع الموجودة الآن في مؤسسات التعليم ومناهجه ونتائجه التي أوجدت فئة علماء دين هم المسؤولون عن الشؤون الدينية في حدود ما يأذن لهم به الحكام، وفئة يدعون بالمتقنين الذين مكنتهم تخصصاتهم من قيادة الأمة غير متقيدين بشرع الله. إن هذه الأوضاع تعتبر شاذة يجب السعي لإزالتها وإعادة الأمور إلى أصلها كما هو واضح فيما ذكرنا.

ولست بهذا أرى منع جامعات أو كليات أو معاهد متخصصة في بعض العلوم قائمة بنفسها مستقلة عن غيرها، ولا أوجب أن تكون كل الكليات الشرعية وما تسمى بالمدنية في جامعة واحدة، وإن كنت أجد ذلك للقضاء على الوضع الراهن الشاذ، وإنما أردت بهذا أن لا توجد جامعات يقال لها مدنية، وأخرى يقال لها دينية، وتكون تلك غير مقيد طلابها بالإسلام في وظائفهم، وهذه غير مأذون لطلابها بالاشتراك في قيادة الأمة وإدارة شؤونها على أساس منهج الله، بل يجب أن يكون الجميع سائرين على هذا النهج الواجب شرعا، بل إن العلماء الذين تخصصوا في علم الشريعة هم الذين يحكمون على التصرفات والنظم، ما هو مشروع وما هو غير مشروع على ضوء فقههم في الدين وتصورهم لما يحكمون عليه وقد نص على ذلك العلماء، حتى قال الرازي رحمه الله: [والعلماء في الحقيقة هم أمراء الأمراء، فكان حمل لفظ أولي الأمر عليهم أولى] (١) _____

(١) التفسير الكبير (١٠ / ١٤٤ - ١٤٦).

وقال ابن العربي رحمه الله: (والصحيح عندي أنهم -يعني أولي الأمر- الأمراء والعلماء جميعا، أما الأمراء فلأن أصل الأمر منهم والحكم إليهم، وأما العلماء فلأن سؤا لهم واجب متعين على الخلق وجوابهم لازم وامتثال فتواهم واجب...) إلى أن قال. (و الأمر كله يرجع إلى العلماء لأن الأمر قد أفضى إلى الجهال وتعين عليهم سؤال العلماء..) (١) وقال ابن القيم رحمه الله: (والتحقيق أن الأمراء يطاعون إذا أمروا بمقتضى العلم، فطاعتهم تبع لطاعة العلماء، فإن الطاعة إنما تكون في المعروف وما أوجبه العلم، فكما أن طاعة العلماء تبع لطاعة الرسول، فطاعة الأمراء تبع لطاعة العلماء...) (٢) ولو أن التعليم في البلدان الإسلامية سار على هذا النهج لما سبق أهل الباطل بباطلهم إلى عقول أبناء المسلمين، وكان السبق لعلماء المسلمين بالحق إلى عقول هؤلاء الأبناء

الأمر الثالث: ما يناسب الدارسين في المراحل الدراسية المبكرة _____

(١) أحكام القرآن (٢ / ٢١٠ - ٢١١) (٢) أعلام الموقعين عن رب العالمين (١ / ١٠).

ويشمل ذلك طلاب الروضة وطلاب المرحلة الابتدائية والمرحلة المتوسطة -من الجوانب الإيمانية والعبادية والأخلاقية والآداب والحقوق الأسرية والأخوة الإيمانية وحقوق الجيران، والسيرة النبوية التي تغرس في نفوس

الطلاب محبة الرسول -صلى الله عليه وسلم- ووجوب اتباعه، وتعظيم شأن القرآن الكريم وتحبيب الطلاب في حفظه وقراءته، والتمسك به وحب السنة النبوية، وتوقير العلماء واحترامهم ومحبة المسلمين عموماً، ومختصرات عن التاريخ الإسلامي وجغرافية البلدان الإسلامية، ونبذة مختصرة عن مقارنة الأديان، يبين فيها الأديان السماوية السابقة على الإسلام وما طرأ عليها من تحريف، والديانات الوثنية ليخلص من ذلك إلى أنه لم يبق دين حق في الأرض محفوظ وسيظل محفوظاً إلى يوم القيامة، إلا الإسلام الذي جاء ليكون منهاجاً لحياة الناس كلهم، وأن محمداً رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خاتم الأنبياء مع دراسة بعض أبواب الفقه، وقواعد اللغة العربية من نحو وصرف، وشيء من المفردات اللغوية، وحفظ بعض النصوص المفيدة من الشعر والنثر، واختيارات من كلام الصحابة رضوان الله عليهم.

كما يهتم بتعليم الكتابة وقواعد الخط ومبادئ الحساب والهندسة ونحوها، وكل مرحلة من المراحل الثلاث، يوضع لها ما يناسبها مراعاة لسن الطالب مع الاهتمام بوسائل الإيضاح وجعل الدارس -مع حفظ ما لا بد من حفظه- يفكر ويشغل عقله في فهم ما يمكنه فهمه ولا يعتمد على التلقي فحسب إن هذه المراحل -من الروضة إلى المتوسطة- هي مراحل تأسيس لصياغة المسلم الذي يؤمن بدينه إيماناً صادقاً مبنياً على حجة وبرهان، وليس على مجرد تقليد، والذي يفقه دينه فقهاً يصحح به تقربه إلى الله بالعبادة، ويجعل علاقته بالناس علاقة شرعية، تجعله يؤدي إليهم حقوقهم دون نقص، ويأخذ منهم حقوقه دون إجحاف، ويكون لبنة صالحة في الأمة يبني معها الحياة ويتعاون معها على البر والتقوى ولا يكون عالة عليها لذلك يجب مراعاة هذه المعاني في هذه المرحلة المبكرة من عمر الإنسان في مناهج التعليم، لما في ذلك من الإعداد والتحسين لعقول ذرائعنا حتى لا يسبقنا إليها أهل الباطل بباطلهم فإذا تجاوزوا هذه المرحلة إلى المرحلة الثانوية أمكن بعد ذلك التوسع في العلوم الأخرى لإعداد الطالب للتخصصات التي يميل إليها في المرحلة الجامعية، وما فوقها.

الأمر الرابع: مراعاة الفوارق بين الذكور والإناث بعد مراعاة فروض العين وفروض الكفاية، والإعداد لما قد يتهدأ له المسلم من تخصصات فالمرأة يجب أن تهيأ في الأصل لشؤون المنزل وتديره، وتربية الأولاد الأسرية، التي هي أساس لتربية المدرسة والمجتمع، والمجالات التي تنتظر قيام المرأة بالواجبات المناسبة لها لا تحصى كثرة، وهي لو صرفت كل أوقاتها فيها لكانت جديرة بما، كتهيئة المنزل وترتيبه وإعداد الغذاء، والتنظيف، وإرضاع الأطفال، والعناية بتغذيتهم ونظافتهم وتوجيههم التوجيه الإسلامي المبكر المناسب لأعمارهم، والعناية بالمريض وإسعافاته الأولية التي تقتضي تدرجها على وسائل التمريض والإسعاف، والعناية بالمسنين من أقربائها كالأب والأم والجددة ونحوهم، وتعليم بناتها ما يحتاجن إلى تعلمه من شؤون المنزل وتربية الأولاد وغيرها مما ذكر.

إن المرأة المسلمة هي المحضن الأول لتربية الطفل تربية إسلامية، وهي أول السباقيين بالحق إلى عقل أبنائها وبناتها، ولو أن النساء المسلمات كلهن عينن بتربية أبنائهن وبناتهن تربية إسلامية سليمة في كل منزل لكان جيل الأمة الإسلامية في كل عصر على هدى من ربه، فقد يكون في المنزل الواحد عشرون ابناً وبناتاً أو أكثر أو أقل، فإذا تربى الولد الأكبر تربية سليمة، كان قدوة لمن بعده وخف العبء وأصبحت الأسرة كلها مسلمة بإذن الله وإن ما يعانیه المسلمون اليوم من تفلت كثير من الشباب وبعدهم عن التمسك بالإسلام من أهم أسبابه عدم قيام الأسرة في المنزل وبخاصة الأم بهذا الواجب العظيم، إما جهلاً به، وإما تكاسلاً، وإما اشتغالا بغيره مما ليس بأولى منه، ولذلك يسبق

إلى عقل الطفل بالتدريج الباطل، إما عن طريق أهله بالقدوة السيئة والتربية الفاسدة، وإما عن طريق الخدمات الأجنبية غير المسلمات، أو المسلمات الجاهلات اللاتي هن في حاجة إلى التربية الإسلامية والتوجيه هذا هو الأصل الذي ينبغي أن تعد له المرأة.

وهذه المعاني، مع منهاج الحياة الزوجية وحقوق كل من الزوجين وواجباته، وحقوق الأولاد والآباء والأقارب والجيران، وفقه أحكام النساء هي التي ينبغي العناية بها في تعليم الفتاة ومنهاج دراستها.

ثم ينظر بعد ذلك في العلوم التي تحتاج الأمة إليها للنساء خاصة، بحيث تنشأ هن مدارس ومعاهد وكليات، وتوضع لها مناهج تشتمل على مواد تلك العلوم التي تتخصص فيها النساء للقيام بتدريسها لبنات جنسها، أو بالوظائف التي يحتاج إلى أن تقوم المرأة بها، ولا مانع من مشاركتها في العمل في خارج منزلها في تعليم وخدمة نساء الأمة، إذا استغنى عنها بيتها بغيرها من نساء أهل المنزل، كأن تكون غير متزوجة أو لا أولاد لها، والحاجة تدعو إلى مشاركتها في خارج المنزل، في تدريس الفتيات وإدارة مدرستهن، من روضة أطفال إلى الكليات، أو طبية في أمراض النساء في عيادة خاصة بهن أو مستشفى خاص بالنساء، ولا يدخله الرجال أطباء أو عاملين إلا عند الضرورة في حدودها، وما أحوج المسلمين إلى أمثال هذا المستشفى في كل مدينة وبلد ليستقل النساء فيه عن مخالطة الرجال! ولا سيما المخالطة مع الخلوة، ويمكن أن تتولى المرأة إدارته وجميع أعماله، كما هو الحال في مدارس البنات وكلياتهن في المملكة العربية السعودية، بل كما هو الحال في مستشفى....

وهكذا العمل في خدمات اجتماعية أخرى خاصة بالنساء وأعمال مالية خاصة بهن، كالمصارف التي يحتاج إليها النساء المسلمات في كثير من الأحيان، بسبب عدم وجود أولياء أمور هن، فيضطرون إلى الذهاب إلى البنوك والانتظار هناك ومخالطة الرجال إنه لا يوجد مانع شرعي من خروج المرأة من منزلها للحاجة الخاصة بها أو حاجة المجتمع إليها، ولكن ينبغي الأخذ بالأسباب المانعة من الفتنة ما دامت ممكنة، أما عند الضرورة أو الحاجة القريبة منها، فإن المرأة تقوم بالأعمال لمساعدة الرجال كمداداة جرحهم أو نقل موتاهم في وقت الحروب، وكذلك تختلط بالرجال في العبادات التي لا يمكنها الاستقلال فيها عنهم، كالطواف والسعي وغيرهما من أعمال الحج، إلا أنه يجب والحالة هذه الإكثار من تقوى الله ومراقبته - وإن كان ذلك مطلوباً في كل الأوقات - من الرجال والنساء معاً، اتقاء لما قد يحصل من فتنة المخالطة، كل هذه المعاني ينبغي مراعاتها في مناهج التعليم وليس من الحكمة جعل المنهج للرجال والنساء سواء، مع وجود الفوارق بينهم في مجالات العمل، وفي قوة التحمل وضعفه، وفي الخروج من المنزل وعدمه أو قلته، وفي المشي في مناكب الأرض والأسفار وغيرها.

ويجب التبيه هنا إلى ما يحصل من بعض الغيورين من منع النساء من حضور المساجد لسماح الخطب والمواظع والاستفادة من العلماء في أمور دينهن، هو تشدد في غير محله. وقد كان النساء يحضرن صلوات الجماعة في مسجد الرسول - صلى الله عليه وسلم - في أوقات معينة يعظهن فيها ويعلمهن، وغاية ما نصح به الرسول - صلى الله عليه وسلم - الرجال والنساء هو الورع والبعد عن الفتنة فقال - كما روى عنه أبو هريرة - : « خَيْرُ صُفُوفِ الرَّجَالِ أَوْلُهَا وَشَرُّهَا آخِرُهَا وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا وَشَرُّهَا أَوْلُهَا » . (١)

ولا زال النساء يحضرن المساجد ويسمعن المواظع في كل المساجد الكبيرة كالمسجد الحرام والمسجد النبوي وغيرهما، وإذا احتاجت المرأة إلى السؤال عن أمر من أمور دينها فلها أن تسأل العالم، بل إذا احتاج الرجل أن يسأل

المرأة التي عندها علم يحتاج إليه فله أن يسألها، كل ذلك في حدود الحاجة والأدب الإسلامي لا مانع منه، فلا
تفريط ولا إفراط _____

(١) مسلم: ٦٦٤

الأساس الثالث: وضع الكتب المناسبة للمراحل الدراسية ويجب أن يتحقق بترك الكتب أهداف التعليم المذكورة
آنفا، بدءا بالكتب المعدة للأطفال، وانتهاء بالمراحل الجامعية -الكليات وما فوقها- وتشمل كل العلوم
والتخصصات ويراعى في إعداد هذه الكتب الأمور الآتية الأمر الأول: أن يختار لتأليفها متخصصون في كل علم
مؤهلون لذلك قادرون على صياغتها، بأساليب تناسب العصر وينبغي تجنب العبارات المعقدة والمصطلحات الصعبة،
وبخاصة في المراحل الأولى، مع التقيد باللغة العربية الفصحى، وأن يكون المؤلفون من الصالحين الملتزمين بالإسلام
قولا وعملا، ليجتمع في المادة التي يولون الكتابة فيها العلم الموثق والعاطفة الإيمانية الجياشة المؤثرة الأمر الثاني: أن
يجمع في المادة المكتوبة بين القواعد والنصوص التي يجب حفظها وفهمها بالشرح والإيضاح، وبين الحوار والأسئلة
التي تدرب الطالب على التفكير والاستباط والاستنتاج والتطبيق ولا ينبغي أن يكون الطالب نسخة مكررة
للكتاب الذي يحفظه، وهذا الأسلوب يمكن اتبعه في كل المراحل مع مراعاة السن، فالمقصود من التعليم إجاد
عقول تفكر وتبدع وليس مجرد بعاوات تتلقى وتقلد.

الأمر الثالث: استعمال وسائل الإيضاح المعاصرة التي تمكن الطالب في جميع المراحل -وبخاصة المراحل المبكرة- من
فهم المواد الدراسية، لا فرق بين الدينية منها وغير الدينية ومن أمثلة وسائل الإيضاح في المواد الدينية ما يأتي:
المثال الأول: توضيح معنى توحيد الربوبية للطفل في المرحلة الابتدائية:

ينبغي أن يكون في الفصل الدراسي شريط (فيديو) يشتمل على صور للكواكب من شمس وقمر ونجوم، وللأرض
من جبال وغابات وأهجار وبحار وسحب ورمال... تعرض كلها عندما يقال للطفل: والدليل على توحيد الربوبية:
خلق السماوات والأرض والشمس والقمر... ليتصور الطفل هذه الأدلة تصورا واضحا، فإنه لا يتصور ذلك
بمجرد الحفظ والتلقين كما هو معروف المثال الثاني: توضيح معنى صفة الوضوء، وصفة الصلاة ينبغي كذلك أن
يوجد شريط (فيديو) في الفصل الدراسي مشتمل على تينك الصفتين، بحيث يتصور الطفل صفة الوضوء وصفة
الصلاة تصورا واضحا، ويطلب من بعض الأطفال تطبيق ذلك عمليا أمام زملائهم. وهكذا بقية العلوم.

كما ينبغي أن تكون طريقة المدرس في الشرح والإيضاح طريقة الحوار والسؤال والجواب، وليست طريقة الإلقاء
والإملاء باستمرار، لما في الطريقة الأولى من إشراك الطالب وتفاعله مع المدرس والمادة والكتاب، وما في الطريقة
الثانية من غفلته وشروده وعدم استيعابه وتصوره للمعاني التي لا يدرك غالبيتها وهكذا ينبغي أن يراعى في تأليف
الكتب وإخراجها، ليقضى بذلك على الشكوى المتكررة من عدم فهم الطلاب، بل من الملل الذي يصيبهم في
أوقات التدريس، ومن الرغبة في الخروج من المدارس.. الأمر الرابع: أن تكون الصيغة الإسلامية شاملة للكتب
الدراسية كلها يستوي في ذلك ما يتعلق بالعبادة أو غيرها، كالمعاملات والحدود والقصاص، وما يتعلق بعلوم
الإنسان الأخرى، كعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم السياسة وعلم الاقتصاد.

ولا يجوز أن تكون -العلوم الإنسانية- نقلا محضا لأفكار الغربيين ونظرياتهم، وهذا لا يمنع من المقارنة وإيضاح ما
بها من أخطاء وإبراز تفوق الإسلام عليها، فإن الكتاب والسنة إنما جاءا لإصلاح النفس البشرية والجماعات والأسر

والأفراد والدول، فلا بد أن يكون الكتاب والسنة وما استبطنه منهما علماء الإسلام ومقاصد الشريعة الإسلامية، هي مصدر هذه العلوم ومرجعها، ولا يوجد باب من الأبواب التي يحتاج إليها الإنسان لإصلاح نفسه وعمارة الأرض والقيام بالخلافة فيها إلا وقد اشتمل عليه الكتاب والسنة وفصله علماء المسلمين قديما وحديثا، في كتب التفسير، وشروح الحديث، وكتب الإيمان "العقائد" والأخلاق، وأصول العلوم، مثل: أصول التفسير وأصول الحديث وأصول الفقه، والفقه، وغيرها من العلوم... (١)

ولا يمنع ذلك اطلاع علماء المسلمين على الأفكار والنظريات في تلك العلوم، ووزنهما بميزان الإسلام، وبيان ما فيها من زيف للطلاب، حتى لا تغزو عقولهم وهي خالية غير محصنة فتتمكن منها، لتقديمها في أساليب مزخرفة

(١) راجع على سبيل المثال: أعلام الموقعين عن رب العالمين. (٤ / ٣٧٢، ٣٧٧).

ولا يقتصر هذا الأمر -وهو صبغة الكتب بالصيغة الإسلامية- على ما يسمى بالعلوم الإنسانية فحسب، بل إن العلوم الكونية كالجغرافيا والجيولوجيا وعلم الفلك وعلم الطب ونحوها، ينبغي أن تربط بالإسلام من حيث إن الله تعالى هو خالق هذا الكون وهذا الإنسان، وهو الذي سخر للإنسان ما في السموات والأرض، ومنحه العقل الذي يتفكر ويتدبر ويستنتج ويزن ويقارن، والأدوات التي بها يستغل خيرات الأرض وبركات السماء، وكلما زاد الإنسان علما بما في الكون زاد إيمانه بالله خالق الكون وشكره له، وكثر تواضعه وأدبه مع ربه وقدره حتى قدره، ولا يكون كمن صال وجال في استغلال هذا الكون وما فيه من طاقات ناسيا ربه بل مغرورا بنفسه مدعيا أنه قهر الطبيعة قاتلا: { إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي } .

وكذلك يجب أن تتضمن الكتب الدراسية توجيه الأجيال إلى السبيل المشروع في استغلال ثمرات العلوم المدروسة، بأن تستعمل في إسعاد البشر وأمنهم واستقرارهم، وليس في ظلمهم وتخويفهم واختصاب حقوقهم، كما يفعل أعداء الإسلام اليوم، فالمسلم قائد عادل رحيم كريم حازم، لا يستغل ثمرات العلوم إلا فيما هو طاعة لله وإحسان إلى خلقه، وإذا ما قاوم الطغاة الجابرة وجأ هلمهم وطاردهم في الأرض، فإنما يفعل ذلك رحمة بالأمم التي يظلمها هؤلاء الطغاة، ويجولون بينها وبين التمتع بالسعادة التي من الله بها عليهم، من حفظ الضرورات التي لا حياة لهم بدونها وحفظ مكملاتها الأمر الرابع: أن يجتهد مؤلفو الكتب الدراسية في معرفة قواعد العلوم وأسرارها.

وأعني بذلك العلوم الكونية كالرياضيات ونحوها، ويجب أن يجتهدوا كذلك في إيصال تلك القواعد والأسرار إلى عقول الطلاب، حتى لا تكون حكرا على غير المسلمين من أهل الغرب، هم يصنعون ونحن الذين نستهلك فقط، فإن ذلك يجعل الأمة الإسلامية خاضعة لغيرها مستعبدة مقلدة غير مبدعة، كما هو الحال الآن، إذ يأخذ أعداؤهم خيراتهم من أنواع المعادن والمواد الخام بأرخص الأثمان ويصنعونها، ثم يبيعون الرديء من مصنوعاتهما لهم بأعلى الأسعار، وبخاصة السلاح الذي تتعطل حركة أي شعب مسلم في وقت شدة الحاجة إليه في أوقات الأزمات العسكرية إذا منعت عنها الدول الغربية قطع الغيار الأمر الخامس: أن يهتم العلماء المسلمون بترجمة الكتب العلمية المفيدة التي يكتبها الغربيون في العلوم الكونية أو الإدارية إن الواجب على المسلمين أن يستفيدوا من التجارب البشرية التي يحتاجون إليها، ما دامت لا تخالف شيئا من دين الله.

والتجارب البشرية ليست ملكا لأحد، فما من جيل يَخْلُفُ إلا بنى نشاطه على تجارب أجيال تُخَلْفُ. وقد اجتهد سلفنا في ترجمة كثير من الكتب العلمية التي ألفها اليونانيون وغيرهم واستفادوا منها وزادوا عليها وطبقوا نظرياتها في تجارب واقعة، وهي التي كانت مصدرا لحضارة الغرب الحالية باعتبار فهمهم، فلم لا نفتدي بسلفنا -فيما نحن في حاجة إليه ولا يخالف ديننا- ونسترد بضاعتنا؟!

الأساس الرابع: إعداد المدرسين والأساتذة المتخصصين ويجب إعداد المدرسين والأساتذة المتخصصين وتدريبهم، تدريباً يجعلهم قادرين على القيام بوظائفهم، قياماً يخرج أجيالاً ذات كفاءات عالية في كل علم من العلوم التي تحتاج إليها الأمة الإسلامية، وإذا أمكن القيام بهذا التدريب في بلدانهم فيها، وإلا اختير منهم المتفوقون ديناً وخلقاً وعلماً ورغبة وقدرة على الاستيعاب، لما يتدربون عليه ثم إفادة أوطانهم إذا رجعوا إليها، فيندبون إلى البلدان التي يوافر فيها التدريب المطلوب ويدخل في هذا إعداد أجهزة إدارية وإشرافية قادرة على إدارة المؤسسات التعليمية تعيين المدرسين والطلاب بتوفير كل ما يحتاجون إليه في أعمال التعليم، ليتفرغ المدرس والطالب لوظيفة التعليم والتعلم، حتى توثق هذه الوظيفة ثمارها.

الأساس الخامس. ربط التعليم بالتربية الإسلامية يجب تزكية الدارسين بالإيمان والتقوى والعمل الصالح الذي يرضي الله، وغرس الأخلاق الفاضلة في نفوسهم وجعلهم يحققون معنى الاستخلاف الشرعي في الأرض وبهذين الركيزين - التعليم والتزكية - جاء القرآن الكريم، كما قال تعالى: { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَئِي ضَلَّالٍ مُبِينٍ } (١) فالملقود من العلم: التربية والتزكية والحكمة، وليس العلم فقط كما يقال!

(١) الجمعة: ٢٠

حكمة وصف القرآن بأنه عربي

إن هذا التنويه بكون القرآن عربياً، لجدير بالتأمل والنظر ولو وصف الله القرآن الكريم بأنه عربي مرة واحدة فقط لاستحق التأمل والنظر، فكيف وقد كرر تعالى وصفه بذلك في أساليب متعددة؟! ولو أن مخلوقاً عاقلاً وصف شيئاً ما بوصف مرة واحدة، لكان لوصفه بذلك اعتبار عند القارئ والسامع فكيف إذا وصفه بذلك مرات؟! وكيف إذا كان هذا الوصف صادراً عن الله في كتابه، فما حكمة وصف القرآن الكريم بأنه عربي؟ هل المقصود من ذلك بيان إعجاز القرآن الذي نزل بلغة العرب، وقد تحداهم أن يأتوا بمثله ففعلوا؟ نعم إن ذلك المقصود، ولكن هذا التحدي يكون أكمل عندما يتعلم غير العربي اللغة العربية ويصبح لسانه عربياً، يفهم القرآن الكريم بلغته التي نزل بها ويتنوق أساليبها وبلاغتها ويتعمق في فهم معانيها، ويطلع على أسرار القرآن وحكمه بها، فيبين له معنى كون هذا القرآن معجزاً حقاً وهل المقصود بذلك نفى أن يكون الرسول -صلى الله عليه وسلم- تعلم هذا القرآن من بعض من كان عندهم علم من الكتب السماوية السابقة، كما زعم ذلك بعض أعداء الإسلام؟

نعم، إن ذلك لمقصود وقد صرح الله بذلك في قوله: { لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ } (١). ولكن هذا المعنى المقصود جزء مما يحمله هذا الوصف وليس كل معناه وهل المقصود أن هذا القرآن الذي نزل باللغة العربية، مع أنه نزل لهداية جميع البشر، شرف لك أيها الرسول ولقومك العرب وبخاصة قريشا؟! نعم إن ذلك أيضا لمقصود، كما قال تعالى: { وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ } (٢) ولكنه ليس ذلك كل المقصود _____

(١) النحل: ١٠٣ (٢) الزخرف: ٤٤.

بل هناك مقاصد أخرى من أهمها ما يأتي المقصد الأول: أن الدين الإسلامي إنما جاء باللغة العربية لقد جاء هذا الدين -أي دين الإسلام- عن طريق القرآن الكريم والسنة النبوية، وكلاهما باللغة العربية ويتوقف فهمه السليم الكامل على فهم اللغة التي حملته إلى الناس، وهي اللغة العربية، ولا يمكن أن يتقبل للناس معاني دين الإسلام تقلا صحيحا وبينها بيانا شافيا إلا من كان عنده دراية تامة باللغة العربية، بقواعدها وبلاغتها واشتقاقها وغيرها وحيقيتها ومجازها وأساليبها؛ لأنها لسان هذا الدين ولسان كتابه ولسان رسوله -صلى الله عليه وسلم- ولسان أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. { وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ } . وقد كلف الله رسوله -صلى الله عليه وسلم- بيان هذا الدين للناس، وقد فعل ذلك، وبيانه كان بلغته التي نزل بها القرآن قال تعالى: { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } (١) وقال تعالى: { وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } (٢) _____

(١) النحل: ٤٤ (٢) النحل: ٦٤.

وقد كلف الله أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- التي آمنت به واتبعته، تبليغ هذا الدين، وفي طليعة أمته أصحابه الكرام رضي الله عنهم، كما قال تعالى: { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي } (١) وقد قاموا بنشر هذا الدين وبيانه للناس بلسان عربي مبين وترجمة معاني القرآن الكريم لمن لا يفهم اللغة العربية لا سبيل إليها إلا لمن يجيد اللغة العربية واللغة المترجم إليها، فاللغة العربية هي أساس البيان لهذا الدين الذي نزل بها المقصد الثاني: أن من أهم وسائل نشر الإسلام اللغة العربية إن علماء الإسلام مأمورون باتخاذ كل وسيلة مشروعة لنشر هذا الدين وإبلاغ معانيه إلى الناس، ومن أهم وسائل نشره تعليم الناس اللغة العربية التي يتمكن من تعلمها من فهم هذا الدين فهما صحيحا سريعا المقصد الثالث: أن كثيرا من العبادات يجب أداؤها باللغة العربية مثل قراءة الفاتحة في الصلاة، وأذكار الصلاة كتكبيرة الإحرام وأذكار الركوع والسجود والتشهد، ونحوها من فروض العين التي يجب على المسلم أداؤها باللغة العربية ما استطاع إلى ذلك سبيلا، ليتقرب بها إلى الله تعالى _____

(١) يوسف: ١٠٨.

المقصد الرابع: لا بد من وجود علماء يفقهون الإسلام باللغة العربية إنه لا بد من وجود علماء يجيدون اللغة العربية إجادة تجعلهم قادرين على فهم معاني القرآن والسنة وكتب العلم التي يحتاج إليها المسلمون، ليكونوا مرجعا لأهل كل بلد يعلمون الناس معاني القرآن الكريم والسيرة النبوية وغيرها، فإن وجود علماء باللغة العربية تحصل بهم الكفاية في ذلك وغيره، هو فرض كفاية يأتى كل قادر من الأمة على عدم إيجادهم، ويأتى القادرون على تعلم اللغة العربية للقيام بهذا الفرض إذا لم يتعلموها المقصد الخامس لا بد من وجود قادرين على ترجمة معاني الإسلام وهذا

المقصد لا يحصل إلا بوجود علماء يجيدون اللغة العربية ويجيدون لغة البلد الذي يريدون دعوة أهله إلى الإسلام، ليترجموا لأهله معاني القرآن الكريم والسنة النبوية، وما يجب إبلاغه إلى الناس من أحكام هذا الدين؛ لأن علماء الإسلام مأمورون بالبلاغ المين الذي أصبح من واجبه بعد وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وليس من السهولة بمكان أن يتعلم كل الناس اللغة العربية.

انتشار لغة الأمة من علامات قوتها

وإن انتشار لغة أي أمة هو دليل عظمتها وتفوقها، وبلغتها تستطيع أن تسبق بدينها وفكرها وسياستها واقتصادها وسائر علومها، غيرها من الأمم إلى عقول الناس وهذا ما تحقق للأمة الإسلامية أيام مجدها، حيث انتشرت لغة دينها انتشار مساجدها ومعاهدها ودعائها، ونبع في اللغة العربية أئمة من غير العرب فملنوا بعلمهم الآفاق من حدود الصين شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا وكانت الأمم تتسابق إلى علوم المسلمين في كل مجال من مجالات الحياة، كما نقل المسلمون علوم الأمم الأخرى إلى لغتهم، واستفادوا منها وطبقوها عمليا وزادوا عليها، وعلى أيديهم تعلم الأوروبيون أسس حضارتهم التي يفخرون بها اليوم.

وإن مما يؤسف له أن تنحدر الأمة الإسلامية انحدارا مروعا، في دينها وخلقها وسياستها واقتصادها وأمنها ووحدها وقوتها العسكرية، مما كان له أثره البالغ على لغتها التي لم تعد لها مكانتها في العالم، بل أصبحت في مؤخرة اللغات، وأصبحت لغات الأجانب من النصارى وغيرهم هي لغات العلم والثقافة والفكر في العالم وأصبح المسلمون - والعرب منهم بصفة خاصة - يفتخرون باللغات الأجنبية ويتكالبون على أفكار أهلها وآدابهم ويتأثرون بهم، فأصبح السبق للأجانب ولغاتهم وأفكارهم إلى عقول أبناء الأمة الإسلامية بدلا من أن تسبق الأمة الإسلامية بلغتها ودينها وفكرها إلى عقول أبناء الأمم الأخرى (١) وها هي أمم الغرب تنشر لغتها في كل مكان، عن طريق مناهج التعليم والإعلام والبحث العلمي والأدوات المتنوعة والمواصلات والاتصالات، حتى ليكاد المسلم العربي يكون غريبا بلغته في بلاده، يقتني الجهاز الذي يحتاج إليه فلا يستطيع استخدامه؛ لأن الكتب الإرشادية المتعلقة باستخدامه قد أعدت باللغات الأجنبية. وهكذا الدواء والغذاء وغيرها، وهكذا الفنادق والشركات والمستشفيات، بل إن بعض البلدان العربية ما زالت معاملاتها الرسمية باللغة الأجنبية!

(١) ليس المراد هنا التنفير من تعلم اللغات الأجنبية للاستفادة منها في العلوم احتياج إليها وفي دعوة أهل تلك اللغات بما إلى الإسلام فهذا من فروض الكفاية في الإسلام، وإنما المراد المبالغة في تقديس تلك اللغات ونسيان اللغة العربية لغة الإسلام.

وإنما هانت اللغة العربية عند أهلها، هو أن الدين في نفوسهم وضعف فقههم له، ولو كان الدين قويا في نفوسهم مطبقا في حياتهم، لعرفوا للغته حقا وقدرها حق قدرها، وسابقوا غيرهم بدينهم الحق بلغته إلى عقول الناس في الأرض كلها إن ترجمة معاني الإسلام من اللغة العربية إلى اللغات الأخرى لإبلاغ أهل تلك اللغات هذا الدين هي فريضة كفاية، ولكن أنى لأهل تلك اللغات أن يفهموا حقائق هذا الدين كاملة عن طريق ترجمته وليس عن طريق اللغة العربية مباشرة!؟

ولقد بذل علماء الإسلام من سلفنا الصالح جهودا مضنية لإبلاغ حقائق الإسلام إلى عقول الناس عربا وعجماء، بما

وضعوه من قواعد اللغة العربية من نحو وصرف واشتقاق وغيرها، وبما وضعوه من قواعد شرعية تضبط بها مقاصد الشريعة وأحكامها، من أصول الفقه وقواعده، فبينوا النص والظاهر والجمل والمبين والمقيد والمطلق والخاص والعام، وما وضعوه من مصطلحات في علوم الحديث وعلوم التفسير، فكانوا بذلك أعظم أمة اتخذت وسائل لغوية وشرعية لتسقي بالحق الذي آتاه الله باطل الأمم الأخرى إلى عقول الناس. هذا بالإضافة إلى بذل جهودهم في مجالات التعليم والدعوة والجهاد في سبيل الله.

الوسيلة السابعة: القدوة الحسنة إن من أهم وسائل السباق إلى العقول، القدوة الحسنة التي يراها الناس ويلمسونها في صاحب الحق، بحيث يرون صاحب المبدأ يطبق مبدأه في واقع حياته وتصرفاته، فإذا كان المقام يحتاج منه إلى الكرم أقدم إلى البذل والعطاء، وإذا كان المقام يحتاج منه إلى خلق الشجاعة رآه الناس مقداما غير هيب، وإن اختبروه في صفة الصدق لم يجربوا عليه كذبا، وإن التمسوا عدالته لم يجدوا منه ظلما، وإن أرادوا معرفة تقواه ألقوه يدع ما لا بأس به خشية من الوقوع فيما به بأس، لشدة تخرجه من الوقوع في المأثم، فضلا عن إتيانه الأوامر الواجبة وتركه المحرمات والخلاصة أنه يتحرك في نشاطه كله بالقرآن والسنة، فإذا رآه الناس مداوما على ذلك مالوا إلى الاقتداء به ولو لم يتكلم؛ لأن الحق بذاته يدعو الناس إلى ذاته، فكيف إذا رآه مطبقا في حياة أهله ورأوا ثمار تطبيقه في الحياة؟ ويبدأ المعاند المناوئ للحق يفكر في سيرة صاحب الحق ويتدبر ويقارن بين الحق الذي يراه مطبقا في حياة صاحبه، وبين الباطل الذي يزاوله هو، ويترتب على ذلك أحد أمرين الأمر الأول: اتباع الحق والعمل به، ونبذ الباطل.

الأمر الثاني: الإصرار على الباطل، مع تيقنه أنه باطل، وترك الحق مع تيقنه أنه حق، وفائدة ذلك انكسار نفس صاحب الباطل أمام صولة الحق، وإقامة الحجة العملية عليه أما إذا كان الداعي إلى الحق لم يلتزم هو نفسه به ولم يطبقه في حياته، فإن الناس ينصرفون عنه ولا يشغلون عقولهم بالتفكير فيما يدعو إليه، لمعرفة كونه حقا فيتبع أو باطلا فيجتنب وهذه هي القدوة السيئة التي تُنفّر من المبدأ وإن كان حقا، كما هي عادة غالب الناس، وقد يوجد من يفكر في المبدأ الذي لا يكون الداعي إليه قدوة حسنة في تطبيقه، فيعلم أنه حق ويتبعه، ولكن ذلك ليس من وسائل السباق الناجعة إلى العقول لهذا كان للقدوة الحسنة منزلتها في الإسلام. وكان رسل الله وأنبيأؤه والداعون إلى هداة كلهم قدوة حسنة، وقد أمر الله رسوله -صلى الله عليه وسلم- أن يقتدي بمن سبقه من إخوانه المرسلين، فقال تعالى: { أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ } (١)

(١) الأنعام: ٩٠.

وأرشد أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- إلى الاقتداء بنبيه إبراهيم -عليه السلام- ومن معه، فقال تعالى: { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ } (١) وقال تعالى: { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ } (٢) وحث تعالى هذه الأمة حثا مؤكدا على الاقتداء برسوله -صلى الله عليه وسلم- الذي جمع كل قدوة حسنة سبقه الأنبياء وزاده الله من فضله، فقال تعالى: { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا } (٣)

(١) الممتحنة: ٤ (٢) الممتحنة: ٦ (٣) الأحزاب: ٢١.

ولقد كانت الأمة الإسلامية في ماضي عهدها، قدوة حسنة في إيمانها وفي عبادتها ومعاملاتها وسلوكها، وفي عهودها ومواقفها وفي الأخذ بأسباب القوة والعزة، فكان ذلك سببا في سرعة وصول الحق الذي يحملونه إلى عقول الأمم في مشارق الأرض ومغاربها، فسارع الناس إلى الاقتداء بهم واتباع دينهم، حتى ترك أهل الديانات الأخرى دياناتهم، ووقف رعايا الطغاة ضد طغاتهم إيثارا للحق على الباطل، ونصرة لأهل الحق على أهل الباطل، فوصل الإسلام إلى لشبونة وفيينا وبلغراد وموسكو وبلاد الصين والفلبين وأندونيسيا وأفريقيا بدون قتال في غالب تلك البلدان، لأن القدوة الحسنة تجعل اتباع الحق سهلا ميسرا لرؤيته مطبقا في واقع الحياة، يطبقه البشر وذلك على عكس ما عليه الأمة الإسلامية اليوم، حيث يغلب عليها القدوة السيئة التي جعلت الأمم تنفر منها ومن دينها، وجعلت أعداء الإسلام يستغلون تلك القدوة السيئة، فيرزونها في مؤتمراتهم وندواتهم ومناهج تعليمهم وإعلامهم وفي كل مناسبة تسنح لهم يسمع الناس أن الإسلام يدعو إلى الصدق، ولكنهم يرون في كثير من المسلمين الكذب ويسمعون أن الإسلام دين القوة والعزة، ولكنهم لا يرون في المسلمين إلا الضعف والذلة.

ويسمعون أن الدين الإسلامي يدعو إلى الجماعة والوحدة وأن الأمة الإسلامية أمة واحدة، ولكنهم يرون المسلمين متفرقين محتلفين، يسب بعضهم بعضا، ويعتدي بعضهم على بعض، ويقتل بعضهم بعضا. ويسمعون أن الإسلام دين الرحمة وأن المسلمين رحماء فيما بينهم، ولكنهم لا يجدون في كثير من المسلمين إلا القسوة والعنف يأكل القوي منهم الضعيف. ويسمعون أن الإسلام دين العدل، ولكنهم يرون الظلم بين المسلمين هو السائد ويسمعون أن الإسلام يدعو إلى الشجاعة، ولكنهم يرون المسلمين جبناء تضع حقوقهم وتغضب بلادهم من قبل عدوهم القليل فيستسلمون له ويخضعون وهم كثر فكان ذلك سببا في نفور الناس عن هذا الدين الذي صار أهله قدوة سيئة فيه وأقول -إنصافا للحق: إنه يوجد في المسلمين من هو قدوة حسنة ولكن ليس على مستوى الأمة والقدوة الحسنة عندما تكون على مستوى الأمة، تبرز معاني الإسلام في السياسة والحكم والاقتصاد والسلوك والتواحي الاجتماعية والعسكرية والقوة الصناعية وغيرها أما ما يكون على مستوى الأفراد والأسر وبعض الجماعات الصغيرة فإنه قدوة حسنة، ولكنه محدود غير بارز للعالم الذي لا يطلع إلا على ما تبرزه وسائل الإعلام وإمكانات الدول.

والذي يراه الناس الآن في المسلمين هو الإسراف في المحرمات ومحاربة أغلب حكوماتهم للإسلام والدعاة إليه، والتأخر في الشؤون الإدارية والاقتصادية، مع كثرة الخيرات في بلادهم وسعة أراضيهم، كما يرون تقتيل أعدائهم لهم وإخراجهم من ديارهم، وهدم مساجدهم وانتهاك أعراضهم، وهم سادرون في غيهم يرقصون ويغنون ويمثلون ويتعرون، يقضي في أمورهم غيرهم، وكأنهم غير موجودين على ظهر الأرض:

ويقضى الأمر حين تغيب تيم... ولا يستأذنون وهم شهود

فأين هي القدوة الحسنة فيهم، حتى يكونوا من السابقين بالحق إلى العقول، وعقولهم مأوى للباطل!؟

الوسيلة الثامنة. الفطرة والمراد بالفطرة ما أودعه الله تعالى في الكون علويه وسفليه، وفي الإنسان من الآيات العظيمة التي تنادي العقل نداء برهانيا مستمرا إلى الحق الذي خلق الله به السماوات والأرض وما بينهما، وتدل دلالة واضحة أن ما جاءت به الرسل ونزلت به الكتب حق، كما أن الكون كله حق. فالذي يعترف بوجود المخلوقات

وما اشتملت عليه من دقة وتناسق ونواميس، وما سخره الله للإنسان في هذا الكون من رزق، وما منحه الله لهذا الإنسان من عقل يفكر ويدبر ويوازن ويقيس ويغوص في أسرار هذا الكون، وما وهبه لهذا الإنسان من آلات وقدرات على استغلال ما في الكون من خيرات وطاقات واستمتاع بها، إن الذي يعترف بهذا كله - وهو من الفطرة - لا بد أن يعترف أن منهج الله الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب، هو حق مثل ما أن ما في الكون حق، وكلاهما من الفطرة فوسيلة الفطرة من أعظم الوسائل التي تعين أهل الحق على السباق إلى عقول الناس بالحق، وليس لأهل الباطل وسيلة تقف أمام هذه الوسيلة، بل إن الفطرة صخرة صماء تتحطم عليها وسائل الباطل كلها.

ولهذا كان الرسل عليهم الصلاة والسلام يتخذون وسيلة الفطرة سلماً إلى عقول الناس بالحق، فينبهون العقول بآيات الله في الكون والإنسان، كما يتضح ذلك من قصص الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم، كما مضى في محاجة إبراهيم لقومه، واستدلالة بتغيير المخلوقات على أنها لا تصلح أن تكون آلهة، بل إنما مخلوقة عابدة للخالق المعبود ولنقرأ هذه الآيات التي تجول بالعقول في ملكوت السموات والأرض، وفي الإنسان، وفي الحيوان، وفي الماء، وفي الشجر والزرع، وفي الليل والنهار، وفي الجبال والبحار والأنهار... فقد نزه الله تعالى نفسه عن الشرك الذي أصر عليه أعداؤه وأعداء رسله، وهو يخالف الفطرة، ثم أتبع ذلك بذكر وحيه الذي أنزله للدعوة إلى توحيده، وهو عين الفطرة، ثم أورد شواهد الفطرة وحقائقها الدالة على حقيقة التوحيد وفي الشرك، وكان القارئ أو السامع يرى الكون كله، في مظاهرة حاشدة، كلها يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن الوحي حق وأن كل ما يخالف ذلك باطل.

قال تعالى: { أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ } { يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ } { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ } { خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ } { وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ } { وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ } { وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا يَشِيقُ الْأَقْسَىٰ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَعُوفٌ رَّحِيمٌ } { وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ } { وَعَلَىٰ اللَّهِ قَسْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ } { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ } { يُنَبِّئُكُمْ بِهِ الزُّرْعَ

وَالرِّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } { وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } { وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ } { وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَىٰ الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } { وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لِّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } { وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ } { أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } { وَإِنْ تَعْلَمُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَأَنْتُمْ لَهَا إِتْحَافُونَ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ } (١) والآيات في هذا المعنى في هذه السورة وفي غيرها كثير

وميزة هذه الوسيلة - وسيلة الفطرة - وضوحها لكل الناس بفنائهم المتنوعة: العالم والجاهل، والقارئ والأمي، كل منهم يشعر بهذه الفطرة بحسب موقعه ووعيه وثقافته، وهي تكاد تكون قاهرة للعقول على التسليم للحق، وبخاصة الإيمان بالخالق وإن كابر بعض المكابرين في ذلك وتأمل التعليلات التي تختتم بها الآيات. { لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } ، { لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } ، { لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ } ، { وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } ، { لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } ، { لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } إنها تحرك العقول وتوقظ الفطر بذاتها وقوله تعالى: { أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ } واضح الدلالة على أن وسيلة الفطرة من أعظم الوسائل الدالة على الحق فهي بديهية، فكما أن الخالق حق وتدل كل مخلوقاته عليه، فإن هداة الذي أنزله على رسله حق كذلك .

خطب الجمعة ودورها في السيق إلى العقول

ومن أهم وظائف أئمة المساجد وخطبائها، خطبة الجمعة التي يحضرها المسلمون كلهم - في الغالب - المكلف منهم بالحضور، وهم الكبار، وغير المكلف وهم الصغار والنساء، والحاكم والمحكوم والخادم والمخدوم، وكلهم ينصت لخطبة الجمعة على سبيل العبادة، دون كلام ولا لفظ ولا هو في كل بلدان المسلمين في يوم واحد، ولا توجد خطبة يجب حضورها علينا على جميع المكلفين - إلا من عذر - غير خطبة الجمعة، ومع حضورها يجب الإنصات لها وعدم التشاغل عنها وهذا تعتبر خطب الجمعة فرصة يجب أن يغتنمها الخطباء، فيقدموا للناس فيها ما يفيلهم في دنياهم وأخراتهم، وينبغي أن يهتم الخطباء بما يكون الناس في حاجة إلى بيانه في هذه الخطبة، مما يمس حياتهم الحاضرة، سواء تعلق بأمور الإيمان - أصوله وفروعه - أو بالأخلاق - بأي جزئية منها - أو بالشؤون الأسرية والاجتماعية، أو السياسية أو العسكرية أو الإعلامية.

وهذا يقتضي أن يفتش الخطيب عن الأحداث التي تدور في الأسبوع في الحي، أو في القرية، أو في المدينة، أو في القطر، أو في أي بلد من بلدان المسلمين، أو في العالم الرحب الذي يشمل المسلمين وغيرهم، ثم يختار الموضوع الذي يراه أولى وأكثر التصاقاً بحياة الناس، ويعد خطبة الجمعة فيه إعداداً يجعلها مفيدة للمسلمين في مسجده أو في خارجه - إذا أذيعت في المذيع أو في التلفاز أو سجلت في شريط ووزعت وبهذا يستطيع خطباء المساجد أن يكونوا أكثر سبقاً بالحق إلى عقول الناس - وبخاصة المسلمين وينبغي أن يتم تنسيق بين أئمة مساجد الأحياء والمدن والقرى في أخذ كل واحد منهم أو طائفة موضوعاً من الموضوعات، وإعداد الخطبة أو الخطب فيه، وهكذا حتى تطرق في اليوم الواحد وفي المدينة الواحدة وفي القطر الواحد الموضوعات التي تدعو الحاجة إلى طرقها.

وإذا اقتضى الأمر أن يخصص خطباء المدينة كلهم أو القطر الواحد كله موضوعاً واحداً لخطبتهم في يوم واحد لكونه أهم أحداث الساعة فعلوا كذلك، بل لو اقتضى الأمر أن يتفق خطباء المساجد الكبرى في العالم الإسلامي كله على أن تكون خطب الجمعة كلها في يوم واحد في موضوع واحد فعلوا ذلك لكون الموضوع يتعلق بقضية عامة يحتاج لبيانها جميع المسلمين وقد أصبح هذا الأمر اليوم ممكناً عن طريق وسائل الاتصال السريعة، وبخاصة الهاتف والفاكس، والإنترنت.. ومما يحقق هذا التنسيق تكوين رابطة لأئمة المساجد في المدن والقرى في القطر الواحد، ثم في أقطار المسلمين كلها، بحيث يتم عن طريق هذه الرابطة تدارس أحوال المسلمين وحاجاتهم وما ينبغي اتخاذه في كل شأن من شؤونهم إن أئمة المساجد لو فعلوا ذلك كان لهم دور كبير في سيقهم بالحق إلى العقول محلياً وعالمياً، وكان

للمساجد دور عظيم في هذا الشأن وهذا كان شأن المساجد وأئمتها وخطبائها في عصور الإسلام المفضلة، ويجب على المسلمين أن يسعوا لإعادة ذلك الشأن لمساجدهم.

تفاوت المساجد وأثره في السبق إلى العقول

وكلما كان المسجد أكثر فضلا واحتراما في نفوس الناس، كان أجدر بأئمة وخطباء وعلماء أكثر كفاءة وقدرة على القيام بواجبهم على مستوى ذلك المسجد، فلا يستوي بيت الله الحرام وغيره من المساجد، ولا المسجد النبوي وغيره من المساجد الأخرى، وهلم جرا... كبيت المقدس ثم الجامع الأزهر، والجامع الأموي، وجامع الزيتونة وجامع القيروان... كما لا تستوي مساجد الأحياء الصغيرة والجامع الكبير في أي مدينة من المدن. ولا يستوي مسجد غالب جماعته مثقفون، وآخر غالب جماعته أميون أو غير مثقفين، فكل مسجد ينبغي أن يوضع فيه الإمام والخطيب والعالم المناسب له إن الإمام الكفء قادر على أن يسبق إلى العقول بالحق سبقا يعجز أهل الباطل عن أن يسبقوا بباطلهم إلى عقول جماعة مسجده، مع تفوق وسائلهم وإمكاناتهم التي غالبا ما تكون إمكانات دولة بأكملها، كما هو حال الدول العلمانية.

ذلك أن الإمام الكفء تفتح لصوته الأذان عبادة، كما تتدبر ما يقرؤه أو يتكلم به العقول كذلك تعبدا، وتلين لمواعظه وزواجره القلوب التي يسرع أهلها إلى طاعة الله رغبا، وينزجرون عن عصيان أوامره وترك نواهيه رهبا، وبخاصة أن الإمام يتلو عليهم آيات القرآن في الصلاة الجهرية، فيختار في قراءته من الآيات ما يناسب القضايا النازلة التي تعرض للمسلمين في مدتهم وأحياتهم وبلدانهم، فإذا كان المقام مقام اعتداء من أعداء المسلمين على أحد أقطارهم أكثر من آيات الجهاد والتعاون والتناصر، وإن كان المقام مقام ظلم وقهر على شعب من الشعوب الإسلامية أكثر من قراءة آيات العدل والأمر به، والآيات الناهية عن الظلم والعدوان، والمبينة لمصائر الطغاة، كفرعون وهامان وجنودهما، وإذا كان الوقت وقت تفسخ وتحلل أخلاقي أكثر من قراءة الآيات التي تدعو إلى الأخلاق الحسنة وتبهي عن الأخلاق السيئة، وإذا كان المقام مقام محاربة لتحكيم الشريعة الإسلامية أكثر من قراءة الآيات الإيمانية والآيات الآمرة بتحكيم شرع الله والناهية عن تحكيم الطواغيت، وإذا كان المقام مقام خلاف وشقاق بين المسلمين اختار قراءة الآيات الداعية إلى الوحدة الناهية عن التفرق

والتنازع، وإذا كان المقام مقام ضعف الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين والميل إلى موالاتة أعداء الله من أهل الكتاب أو المشركين أكثر من قراءة آيات الولاء والبراء، وإذا كان المقام مقام تفضي المنكرات والسكوت عنها أكثر من قراءة الآيات الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر، وإذا كان المقام مقام كوارث وزلازل وحروب ومجاعات يحتاج المصابون بما إلى مد يد العون بالمال والطعام والكساء والإيواء أكثر من قراءة آيات التعاون والإنفاق والصدقة والزكاة، وهكذا لا يكاد يوجد باب من أبواب الخير إلا وجد الإمام الكفء من آي القرآن ما يذكر به الناس في صلاحهم للمساعدة إلى عمل الخير في ذلك الباب، ولا باب من أبواب الشر إلا وجد الإمام الكفء في آي القرآن ما يذكر الناس ويحضهم على مقاومته، ويحذرهم من الوقوع فيه والمسلمون في أمس الحاجة إلى من يربط أحوالهم وقضاياهم بالقرآن، وبخاصة في أوقات الصلاة التي يصغون فيها إلى كتاب الله وهو يتلى عليهم في بيوت الله هذا كله يحصل من مجرد قراءة القرآن في الصلاة.

فإذا ما قام الإمام بعد انتهاء الصلاة، فتلا آية أو آيات مناسبة للمقام، وفسرها تفسيراً موجزاً، وبين مقصدها، وحرك مشاعر المصلين بموضوعها، وأيقظ عقولهم إلى تدبرها، فقد زانهم بذلك نورا على نور وإذا حصل هذا في أغلب مساجد المسلمين فإنه سيحدث أثره الطيب في جماعة المسجد وأسرة وأسرهم وجيرانهم ومشاركتهم في أعمالهم الوظيفية وغيرها، وستصبح المساجد مصادر قوة وفقه ووحدة وتعاون وطاعة، وستستعصي عقول الأمة الإسلامية على محاولات أهل الباطل السبق إليها بباطلهم، بل سيصبح المسلمون هم السابقين إلى عقول الناس بحقهم، وستتقضي حركة المسجد على كثير من المشكلات التي يشكو منها المسلمون اليوم شعوبا وحكومات، كتعاطي المسكرات والمخدرات، والاعتداء على النفوس والأموال والأعراض وغيرها، وستقطع الطريق على أجهزة الإعلام الموجهة عن طريق الأقمار الصناعية لإفساد عقول المسلمين وقلوبهم، لأن التربة الناشئة من المسجد ستكون سدا منيعا في وجه كل فساد.

تدريب حفظة القرآن على السبق بالحق إلى العقول

إن هذه المعاني يجب أن يُفَقَّهَ بها الناشئون من حفظة كتاب الله وهم كثيرون في العالم الإسلامي؛ لأن كثيرا منهم يصبحون أئمة وخطباء في مساجد المسلمين الكبيرة والصغيرة ويجب أن يوضع لهم منهج متدرج يفسر لهم فيه القرآن الكريم تفسيراً موضوعياً مرتبطاً بواقع المسلمين وحاجاتهم وقضاياهم، حتى يكونوا قراء يقتدون بابن عباس، وبالشيبة الذين كان عمر بن الخطاب يجعلهم في مجلس شورا تكريما لهم واستفادة من علمهم ولا ينبغي أن يقتصر حفظة القرآن الكريم على حفظ ألفاظه وتجويدها - وإن كان ذلك عبادة في ذاته - بدون فهم لمعانيه ومقاصده التي لا بد من توعية الناس بها وعلى القائمين على مدارس تحفيظ القرآن الكريم أن يولوا هذا الأمر عنايتهم، ليكون طلابهم أهل القرآن حقا كما كان السلف الصالح، وليسوا كما عليه كثير من القراء اليوم الذين يقرؤون القرآن من أجل أخذ أجر عليه في المآتم وأجهزة الإعلام...

رضا الله وتمكينه أو مقتته واستبداله

لقد ابتلى الله هذه الأمة التي لم توجد أمة غيرها في الأرض تملك الحق الذي تملكه، وهو دين الإسلام الذي لا حق سواه اليوم من جميع الأديان، ابتلاها الله تعالى في هذا العصر بهذه الإمكانيات الهائلة من وسائل الإعلام التي لم توجد لأي أمة من أمم الأنبياء السابقين عندما كانت تملك الحق الإلهي، كما ابتلى هذه الأمة بجعل دينها دينا عالميا يجب إبلاغه إلى جميع البشر، ويجب على كل من بلغه هذا الدين أن يؤمن به، ومن لم يؤمن به بعد بلوغه فهو من أهل النار فإذا لم تستغل هذه الأمة هذه الإمكانيات التي ابتلاها الله بها لتسابق بالحق الإلهي الباطل الشيطاني إلى عقول الناس، فإنها تستحق مقت الله تعالى وغضبه واستبداله بما غيرها، لعدم قيامها بوظيفتها التي هيأ الله لها أسباب قيامها بها: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ } (١) . { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي } (٢) _____

(١) المائدة: ٦٧ (٢) يوسف: ١٠٨ .

وبلغي أن المسؤولية الأولى في اتخاذ هذه الوسيلة سلما للحق إلى عقول الناس، تقع على من تولوا أمور المسلمين من الملوك والرؤساء وأعوانهم؛ لأن إمكانيات الشعوب الإسلامية كلها بأيديهم وتحت تصرفهم، فالوسائل المادية من

إذاعة وتلفاز وصحف ومجلات، كلها تحت سيطرتهم، لا يذاع شيء ولا يعرض ولا يكتب إلا ما أقروه وأذنوا به وقيمة الكفاءات البشرية بتأهيلها وتدريبها وتوظيفها، كلها لا توجد على الوجه المطلوب، إلا إذا قاموا هم بدعمها، وإذا وجدت فلا يختارون منها إلا من هم عنه راضون، لعلمهم أنه لا يخرج عن دائرة ما يرسمون له والمناهج الإعلامية والمواد التي تذاغ وتعرض وتنشر وتطبع كلها مرهونة بموافقة رقبايمهم عليها.

وإذا كانت بعض البلدان الإسلامية تعطي مساحة جيدة للمواد الإسلامية - مع مواد أخرى لا تتسجم معها - فإن أغلب أجهزة الإعلام في أغلب البلدان الإسلامية الأخرى، تقدم بما مواد قليلة جدا عن الإسلام، لا تخلو من تشويه ظاهر أو خفي، وما يعلق منه من الخير في أذهان الناس تمحوه المواد الأخرى المضادة للإسلام، في الجوانب الإيمانية والأخلاقية والأحكام المتعلقة بالحلال والحرام، حيث إن هذه المواد تنال من الدعم والتمكين، ما لا يتاح لجزء قليل جدا من الإسلام ومما يزيد الطين بلة أن أجهزة الإعلام محتكرة بيد الحكومات في كل الشعوب الإسلامية، وإن وجدت في بعضها مؤسسات صورية، فإنها في الواقع فروع لأجهزة الإعلام الحكومية، وهذا بخلاف كثير من البلدان الغربية التي يجد فيها الإعلام من الحرية، ما يجعله يسقط زعماء وحكومات وأحزابا لهذا كانت المسؤولية في الشعوب الإسلامية تقع على حكوماتها، لاستغلال وسائل الإعلام واتخاذها سلما للحق، ليصل إلى عقول الناس في العالم الإسلامي وغيره.

وهذا لا يعني العلماء وأهل الرأي، من القيام بواجب النصح للحكام ومطالبتهم بوضع مناهج ذات أهداف ووسائل لأجهزة الإعلام، يتحقق بها - مع تطبيقها فعلا - سبق الحق الذي تضمنه الإسلام إلى عقول المسلمين وغير المسلمين، ولا يكفي وضع أنظمة ولوائح لأجهزة الإعلام يُنص فيها على مواد دينية لا يتحقق بها ذلك السبق، أو تكون أنظمتها نظرية دون تطبيق في واقع الأمر.

الأساليب الإعلامية المطلوبة لسبق الحق إلى العقول

ولا يشترط في نقل الحق بأجهزة الإعلام أن يكون دائما بالأسلوب المباشر، كالحاضرات والمواظع وسرد آيات قرآنية أو أحاديث نبوية، أو أحكام فقهية وما شابه ذلك، بل يكون بذلك وبغيره من الأساليب المستحدثة المؤثرة، كأفلام الكرتون للأطفال، والقصص والتمثيلات والمسلسلات والمسرح، والأناشيد وغيرها، فإن أثر هذه الأساليب في عقول الناس صغارا وكبارا مما يسمع ويشاهد ويقرأ ويرسم، أثر فعال مشاهد استغله أعداء الإسلام في سبهم بباطلهم إلى عقول الناس وأصبح ذريعة في بلدان المسلمين أنفسهم لذلك الباطل وإذا كان علماء المسلمين يخافون - وهم الحق أن يخافوا - من اختلاط المشروع بغير المشروع في بعض هذه الأساليب، فإن عليهم أن يدرسوا كل أسلوب وما يمكن أن يشتمل عليه، من مخالفات شرعية واضحة، ويقرروا ما هو مشروع وما هو غير مشروع من المواد المعروضة، على أن لا يراعى في الإذن والترخيص المبالغة والتشدد في منع ما لا نص في منعه من الشارع، وينبغي مراعاة باب المصالح والمفاسد ومقاصد الشريعة الإسلامية في ذلك.

وبهذا يتمكن المسلمون من منافسة أعداء الإسلام في وسيلة هي من أهم الوسائل للسباق إلى العقول ومما يجب التنبيه عليه، أن المواد التي تتخذ وسيلة الإعلام لنقلها وإبلاغها إلى العقول، ليست قاصرة على موضوعات دينية معينة، كما قد يتبادر إلى الأذهان عند عامة الناس، ومنهم العلمانيون الذين يظنون أن هذه الأجهزة إذا سيطر عليها دعاة

الإسلام وأتباعهم سيكون مجالها ضيقا، لا يخرج عن الوعظ والإرشاد والدعوة إلى بعض شعائر الإسلام، وتفسير آي من القرآن الكريم أو أحاديث من السنة الشريفة ونحو ذلك، بحسب فهمهم الضيق للدين الإسلامي، وكذلك ظن بعض المتدينين الذين ضاقت آفاقهم عن الفقه الشامل للإسلام ومقاصده وعن المساحة الواسعة للمباحات التي ترك الإسلام للناس أن يرتعوا فيها دون حرج ولا إثم، فلا ينبغي أن يضيقوا دائرة ما أباحه الله ويبالغوا في منعه؛ لأن تحريم المباح منهى عنه شرعا كتحليل الحرام.. إن هذا التبادر الحاصل من الطرفين غير صحيح، وإن الإسلام أشمل مما يظنون، كما أن الأصل في الأشياء الإباحة، إلا ما ورد به نص من الكتاب والسنة، أو ما يصادم مقصدا من مقاصد الشريعة الإسلامية.

وإن بعض النصوص قابلة للاجتهاد الصادر من أهله، فالفتوى كما هو معروف تقدر زمانا ومكانا وشخصا.. لذلك فإن مواد أجهزة الإعلام، ستكون شاملة للكون والحياة والإنسان، وسيجد فئات الناس صغارا وكبارا ورجالا ونساء، وأدباء وفقهاء ومفسرين ومحدثين وقصاصا وكتابا، وأطباء ومهندسين ورجال فضاء، وعلماء طبقات الأرض، وسياسيين واقتصاديين، واجتماعيين وعلماء نفس، وعسكريين، مجالا رحبا في هذه الوسيلة وسيكون ذلك كله سلاما وجسورا لسبق الحق الباطل إلى عقول الناس.

قلة القيود الإعلامية في الإسلام وثمرات الالتزام بها

ولا تقييد على نشاط هؤلاء كلهم وغيرهم في استغلال وسيلة الإعلام إلا بالأمور الآتية:
الأمر الأول: التزام الصدق وتجنب الكذب والتضليل الأمر الثاني: التزام العدل واجتناب الظلم للصديق والعدو الأمر الثالث: حفظ مقاصد الشريعة الإسلامية وعدم التفريط في شيء منها وهي مقاصد تنشدها البشرية كلها، وتتلخص في الضروريات: حفظ الدين، وحفظ النسل، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ المال. وما يكمل تلك الضروريات من الحاجيات والتكميليات الأمر الرابع: عدم مخالفة النصوص الصحيحة الصريحة وهي قيود - كما ترى - قليلة جدا، وثمراتها النافعة عائدة على الناس كلهم، وإنه لأجدر بالمسلمين أن يكونوا سابقين إلى استغلال وسائل الإعلام المتنوعة، لإبلاغ حقيقتهم إلى عقول العالم، قبل أن يُسبَقوا من قِبَل أهل الباطل بإبلاغ باطلهم إلى أبنائهم، ولكن الواقع المشاهد هو عكس هذا، فقد استغل أهل الباطل هذه الوسائل استغلالا لا نظير له، ولذلك عم الباطل وانزوى الحق لقد أسمعتم لو ناديت حيا!

وهؤلاء مفكرو المسلمين ودعاته يتنادون اليوم، منبهين المسلمين على الخطر القادم من البث المباشر الذي لم يبق جزء من الأرض خال منه عن طريق أدوات استقبال أطلق عليها في البلدان العربية "الدش" ويخطط أهل الباطل لصنع أجهزة تلفزيونية لا تحتاج إلى "الدش" وإنما هي مزودة بآلات استقبال ذاتية فتكون مثل التلفاز العادي لجميع الناس - وإن غلا ثمنها قليلا في أول الأمر.

ومما يؤسف له أن المسلمين - الغيورين منهم - لا يفكرون إلا في كيفية اتقاء خطر هذا البث، وكل فئة تفكر في الخطر من زاوية مصلحة خاصة بها - وقد لا تكون مصلحة على الحقيقة - والفئة القادرة على حشد الطاقات لدرء الخطر عن الأمة كلها، وهي فئة الأنظمة الحاكمة في البلدان الإسلامية لا تفكر - غالبا - إلا في درء الخطر عن سلطنتها التي قد تزعرعها برامج ومواد البث المباشر، بما تتضمنه من هجوم على أساليب الحكم الاستبدادي وما

تنتهكه من حقوق الإنسان في بلدانها، ومع ذلك فإن تفكيرها في الدفاع عن مصالحها السياسية غير جاد؛ لأن غاية ما يمكن أن تعده في برامجهما هو الإكثار من مواد المدح والثناء على أنظمتها، والردود الوقية على ما يرشقها به البث المباشر من انتقادات، وقد تعد المزيد من المواد التافهة التي تظن أنها ستلهي بها الشعوب عن التأثر بالهجوم المرتقب عليها، مثل المسلسلات الغرامية والتمثيلية والأغاني والرقص، والإكثار من اللعب الرياضي ونحوها، وهذه الثلاثة العناصر كلها - المدح المبالغ فيه، والردود الوقية الباردة، ومواد الإلهاء المزعومة - سوف لا تغني عنهم فتيلًا؛ لأن مواد البث المباشر سيوجد فيها من المواد الجادة

الموثقة، والمضللة ما يقضي على العنصر الأول والثاني، كما سيوجد فيها مواد الإغراء والإلهاء ما يشد المشاهد إليها، ويجعل الناس يهملون البث المحلي والقطري، وستكون لها نتائج خطيرة على الحكومات والشعوب في البلدان الإسلامية وكان الأولى والأجدر بالمسلمين: مفكرهم وعلماهم ودعائم وقادة السياسة فيهم، أن يفكروا بمجد في استغلال البث المباشر بصورة هجومية وليست دفاعية: هجوم على عقائد فاسدة في الغرب، وهجوم على أخلاق سيئة، وهجوم على اقتصاد مدمر، وهجوم على كبرياء وعنصرية تخالف دعوة حقوق الإنسان التي يزعم الغرب رعايتها والدعوة إليها، وهجوم على معاملات أسرية واجتماعية مفككة وهجوم بما هو أهم وأوجب، وهو إبلاغ معاني الإسلام السامية إلى عقول أهل أوروبا وأمريكا وغيرهما، من إيمان قائم على الحجة والبرهان، ومن عبودية لله تتحقق بها الحرية الصحيحة التي يزعم الغرب العناية بها والدعوة إليها، وهو في الحقيقة إنما يدعو إلى جعل الإنسان عبدا ذليلا لشهوته وملذاته، من جاه ومال ومنصب وامرأة وحمى ومخدر وغيرها، منطلقا في تصرفاته كلها من أثرته وجشعه.

إن هجوم البث المباشر من قبلنا بمبادئ الإسلام الإيمانية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والأمنية وغيرها، سيغير الصورة السيئة المشوهة عن الإسلام في عقول الشعوب الغربية، وسيكون الإسلام مع مبادئ الكفر مثل عصا موسى مع حبال وعصي سحرة فرعون:

إذا جاء موسى وألقى العصا فقد بطل السحر والساحر

ولا أقصد بالهجوم الكلام الغليظ العنيف ضد مبادئ الغرب، وإنما أقصد أن تكون همنا أعلى وأسمى من أن نقعد مفكرين في الدفاع عن أنفسنا ضد هجوم عدونا، بما لا يجدي شيئا أمام ذلك الهجوم الماكر القوي المنظم، بل نبدأ نحن بإبلاغ حقنا إلى عقولهم، بدلا من أن يبدهم إبلاغ باطلهم إلى عقولنا وإذا كان وضعنا الحالي لا يمكننا من البدء بهذا الهجوم، فليكن دفاعنا إيجابيا غير مهزوم، مع بدئنا بالتخطيط للهجوم، بدلا من الاستمرار في الدفاع وقبل الهجوم والدفاع لا بد من تحصين المسلمين في بلدانهم بالتربية الإسلامية الصحيحة، حتى يكونوا قادرين ذاتيا على تجنب أخطار البث المباشر وغيره، وبدون ذلك لا أمل في توقي خطر داخلي أو خارجي.

استغلال إمكانات المسلمين في تحقيق رغبات أعدائهم

ومما يؤسف المؤمن ويجزئه أن يرى بعض أغنياء الأمة الإسلامية، يؤسسون قنوات فضائية متخصصة تستغرق أزمنا طويلة من البث المباشر وغير المباشر، في جوانب معينة من اللهو العايب واللعب التافه، يشغلون بها أوقات الشعوب الإسلامية ويفسدون بها أخلاقهم، مع علمهم بجهل أغلب تلك الشعوب بحقيقة دينها، وبعد كثير منهم عن تطبيق هذا الدين.

وكان الأجدر بهم أن ينافسوا بتلك القنوات غيرها من القنوات التي أعدت إعدادا محكما ووجهت توجيهها مقصودا للسباق إلى عقول المسلمين، لزعزعة الإيمان في قلوبهم وتشكيكهم في ثوابته، وإفساد أخلاقهم وبث الفرقة والعداوة بينهم، كان الأجدر بهم أن ينافسوا تلك القنوات بتقوية إيمانهم بالحجج والبراهين التي تثبتته في نفوسهم، وبغرس الأخلاق الإسلامية في نفوسهم، وبنشر العلم الشامل والثقافة المفيدة للذين يقضيان على الأمية المنتشرة بين المسلمين أو يخففان منها، سواء كانت الأمية أمية القراءة والكتابة، أو أمية الفقه في الدين، أو أمية الانزواء عن عناصر المعرفة: سياسية أو اقتصادية أو إدارية أو طبية... وبتخاذ الوسائل والأساليب التي تجمع كلمتهم على الحق وتحقق بينهم الإخوة الإيمانية التي تنشأ عنها المحبة والتعاون على البر والتقوى، كل ذلك يمكن أن يحصل بأساليب وطرق متعددة كما مضى، وليست عن طريق الوعظ والتعليم المباشرين فقط، وإن كان لا بد منهما وكان بإمكانهم أن يستقطبوا الكفاءات الإسلامية في جميع التخصصات الإعلامية، ويدربوا شبابا مسلما على بعض الوسائل والتخصصات التي تدعو الحاجة إليها.

كان الأجدر بهم أن يسخروا قنواتهم لمصلحة الإسلام والمسلمين، بدلا من تسخيرها فيما سخر له كثير من القنوات الرسمية في الشعوب الإسلامية والدول الأجنبية، مما يحقق رغبات أعداء الإسلام في إيصال الباطل والسبق به إلى عقول أبناء المسلمين!

فهل من آذان تصغي، ونداء يُسمع، وعقول تفكر، وحق يُدعم!

مشروع مقارنات إعلامية ميدانية

!

إن الذي يتتبع وسائل الإعلام التي تسيطر عليها الحكومات في غالب الشعوب الإسلامية، ليجد غالب موادها (برامجها) تقود الأمة الإسلامية إلى المزيد من الانحطاط والتأخر والبعث عن عزتها وكرامتها، وإلى إلهائها عن أسمی الغايات ومعالي الأمور التي حققها لها أسلافها الأماجد، والتي يجب عليها أن تسعى إلى تحقيقها واستعادتها.

تناقضات مدمرة يجب أن تدركها الأمة!

ولبيان هذا المشروع أضرب بعض الأمثال، وفي الأمثال عبر لأولي الألباب:

المثال الأول: إلهاء الشعوب عن الإعداد للجهاد في سبيل الله وهو من فروض العين الواجبة على جميع المسلمين في كل أقطارهم في هذا العصر، الذي احتل فيه أعداؤهم ديارهم، وانتهكوا أعراضهم، ودنسوا مقدساتهم، واعتدوا على حقوقهم، وأصبحوا قادة لهم، يأمرونهم وينهونهم، فيسمعون لهم ويطيعون، وحالوا بينهم وبين إعداد القوة الرادعة التي يدفعون به العلوان عن دينهم وأفسسهم وأمواهم وأعراضهم.. فترى العدو اليهودي وغيره - كالصرب في البوسنة وكوسوفا - يحشد جيشه ويعد عدته، ويدرب شعبه، رجالا ونساء، صغارا وكبارا، على حمل السلاح بكل أنواعه، لإرهاب المسلمين وإخضاعهم للسيطرة عليهم ويرى المرء كيف يعامل اليهود نساء المسلمين ضربا وركلا وسحبا، واعتقالا وسجنا، كما يرى كيف يكسر اليهود أيدي وأرجل الأطفال، وكيف يصوبون رصاصهم إلى صلورهم فيردونهم قتلى، وكيف يطلقون صواريخهم على بيوتهم فيدمرونها على رؤسهم...!

ويرى في مقابل ذلك قادة الشعوب الإسلامية يشيدون ملاعب الرياضة، ويزينون لشبابهم تضييع غالب أوقاتهم في مزاولتها وتشجيعها، ويجعلونها غاية حياتهم! تراهم يفرحون ويحتفلون برفسة كرة داخل شبك الأهداف، حتى يظن من يرى فرحهم واحتفالهم أنهم قد فتحوا بكلمة التوحيد بلدا إثر بلد، وحرروا القدس وأديس أبابا ومانبلا وموسكو، رافعين راية الإسلام، مقتدين بعمر بن الخطاب وخالد بن الوليد، ومحمد بن القاسم وصلاح الدين...!

وتراهم يكون ويجزون إذا هزموا في معركة الكرة، حتى يظن من رأى حزهم أنهم هزموا في معركة جهادية، أو طردوا من "قصر الحمراء" آخر معقل للمسلمين في الأندلس، وأهم ساعدون العدة للاقتضاض على عدوهم مرة أخرى، حتى لا تتكرر المأساة...!

المثال الثاني: اليهود والسلاح النووي والمسلمون وآلات الطرب!
المسلمون كلهم يعلمون أن اليهود قد صنعوا من السلاح الهجومي ما لا طاقة لهم به في وضعهم المساوي الحالي، إضافة إلى ما يمنحه أنصار اليهود لليهود من أسلحة هجومية فتاكة مجانا، مع التدريب العالي لجند العدو على كل تلك الأسلحة، وأن أسلحة المسلمين الدفاعية المستوردة التي يوجد عليهم بها أنصار اليهود بأعلى الأثمان، وبشروط تفرض سيطرتهم على استعمالها، غير مجدية في الدفاع عن بلادهم ورعاياهم وقت الحاجة والأشد من ذلك أن العدو اليهودي قد ملأ ترسانته بالسلاح النووي الذي صنعه بنفسه، وأعان على صنعه أنصاره في الغرب...!

ومع هذا إذا نظرت إلى قنوات التلفاز في بلدان المسلمين، اخلية منها والفضائية، ترى جيوشا من الشعوب الإسلامية - نساء ورجالا، شبابا وكهولا، يحبون ليايهم - بل قل: يميئونها - بالرقص القاجر، والغناء الماجن، واتخاذ كل وسيلة من وسائل الفحش والمنكر، وترى عامة الأسر والأفراد في الشعوب الإسلامية، قد اتجهوا إلى شاشات التلفاز واتخذوه قبلة لهم، يحطمون بمناهجه أخلاقهم، ويغفلون عن مصالحهم المهذرة، والمفاسد النازلة بهم المدمرة لحياقتهم، بدلا من اتجاههم إلى القبلة ليقتنوا بمن { تَتَحَفَّى جُوبُهُمْ عَنِ الْمَصَاحِحِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا } (١)

تحال بيوتهم في الليل أسواقا، وفي النهار قبورا، العدو يعد العدة لإهانتهم صباحا ومساء! يصنع السلاح النووي، وقادتهم هم يشجعونهم على الطرب بآلاته وميوعته!

(١) السجدة: ١٦.

المثال الثالث: الإسهام في إضعاف القريب وتقوية البعيد!
المتأمل في أحوال المسلمين اليوم يرثي لها، حيث يرى كثيرا منهم يقطعون إخوانهم المسلمين، ويصلون غير المسلمين! يتعاونون تعاوننا قويا، مباشرة وغير مباشرة، مع غير المسلمين سياسيا، واقتصاديا، وتجاريا، وثقافيا، وإعلاميا، وعسكريا، ورياضيا وفي غالب تعاونهم هذا خسارتهم وريح عدوهم وكثيرا ما يكون تعاون المسلمين مع غيرهم ضد بعض إخوانهم المسلمين، والأمثلة على ذلك لا تحصى ويقاطع بعضهم بعضا مقاطعة كاملة، أو شبيهة بها، وإذا حصل بينهم شيء من التعاون الذي يضطرون إليه اضطرارا، فهو بالنسبة إلى تعاونهم مع غير المسلمين كقطرة ماء عذب

سقطت في محيط ما لـ!

لهذا تجد كثيرا من المسلمين يسهمون بتلك المواقف الشاذة، في تقوية البعيد، وإضعاف القريب!

المثال الرابع: هذا يموت من التخممة، وذلك يموت من الجوع!

لقد أحضرت القنوات الفضائية للناظر والسامع من المتناقضات، ما يقتضي العجب ومن ذلك ما يشاهده العالم كله من الإسراف والبذخ في حفلات الأفراح والمناسبات والنوادي والقصور إنك لو أحصيت أثمان ملابس الأفراح، وأثمان أدوات الزينة، والمبالغ التي تنفق لإحضار الأطعمة التي يرمى كثير منها في المناسبات، وغير ذلك مما قد ينفق في الحرمات، لا في المباحات والمكروهات، لو أحصيت ذلك في مدينة واحدة من المدن الإسلامية التي من الله على بعض أهلها بالمال والغنى، ثم جلت في تلك المدينة نفسها لتتعرف على الفقراء والمحتاجين، لرأيت هنالك التخممة والترف والإسراف، ورأيت هنا الفقر والعوز والحرمات والموت...!

كيفية لو قارنت بين بلد غني وآخر فقير؟! الوسيلة الحادية: المؤتمرات والندوات كيف لو رأيت الأبدان السمينة التي لا يستطيع أهلها السير إلا على وسائل المواصلات، ولا يعيشون إلا بالأدوية والعقاقير، ورأيت الأطفال والنساء والشيوخ في ذلك البلد أو في بلد آخر قد ييست جلودهم على عظامهم، وأهكتهم الأمراض لقلة الغذاء والدواء، وامتألت الغبراء بجثثهم بسبب الجوع والعطش...!!

المشروع الإعلامي الميداني؟

إن الأمثلة على المتناقضات التي يعيشها العالم اليوم، والمسلمون جزء من هذا العالم - وهم المقصودون هنا - الأمثلة كثيرة جدا... والمشروع الإعلامي الميداني الذي أقصده هنا: أن توجد قناة فضائية أو أكثر، تقوم بتوعية المسلمين بهذه الأعمال المتناقضة مع مصالحهم، لعلمهم يتبهن للمصير الخاسر الذي ينتظرهم، إن هم استمروا على هذا الوضع المتردي...!

وعلى سبيل المثال: تعرض نماذج لما سبق: الشباب الرياضي في ملاعبه وأفراده بالانتصارات الرياضية وأحزانه بهزائمها، وما يلقاه من دعم وتشجيع على كل المستويات، وأطفال الحجارة الواقفين بصمود أمام العدو اليهودي الذي يتفنن في قتلهم وتعذيبهم، والمسلمين الذين يلمر الصرب بيوتهم وقراهم، ويشردهم من ديارهم، ويتهك أعراضهم، ويهدم مساجدهم، في كوسوفا، ليقارن شباب الرياضة بين أهدافه ونشاطه وبين أهداف أطفال الحجارة والمسلمين في كوسوفا، لعله يحجل ويستحي ويعرف الأهداف العليا للمسلم، والأولويات التي يجب أن يلي فيها شبابه الذي سيسأله الله عنه.

وتعرض كذلك: الفتيات اليهوديات، وهن يقدن الدبابات، في أرض المعركة أمام ضباط المسلمين - كما في سيناء - وبعض صور أطفال اليهود الصغار الذين يدرهم آباؤهم على حمل السلاح والرمي، وفي مقابل ذلك تعرض بنات المسلمين في القنوات الفضائية، وهن يغنين ويرقصن مع الفتيان عاريات، وأطفال المسلمين الذين يدرسون على آلات الموسيقى والطرب، أو يقضون أوقاتهم - في أيام دراستهم - في الملاعب الرياضية في الحارات، وتكون نتيجة هذه التربية السيئة السقوط في مستنقعات الشر، ومنه تعاطي المخدرات والخمور التي تعود على ضرورات الأمة بالقص لعل في عرض هذه المتناقضات ما يدعو الأسر الإسلامية، وأبناء المسلمين وفتياتهم إلى تأمل وضعهم المزري الذي

يعيشون فيه، فيستيقظوا من سباتهم، بل من نومهم العميق، بل من موتم الطويل، فيلوموا أنفسهم على ما فوتوه من أوقات في الباطل الذي يعود عليهم وعلى أمتهم بالخسران، وعلى عدوهم بالفائدة والقوة والنصر، وهكذا...!

الوسيلة الحادية عشرة : المؤتمرات والندوات إن المؤتمرات والندوات من أهم الوسائل التي يمكن اتخاذها للسباق إلى العقول بالحق الإلهي جوانب يبرز فيها خطر المؤتمرات والندوات ويبرز خطر المؤتمرات والندوات في الجوانب الآتية:

الجانب الأول

:

أن المؤتمرات والندوات تعقد - غالبا - في أوقات تشتد الحاجة إلى عقدها لتحقيق أهداف ومصالح عامة تعود على الأمة بالخير، إما لجلب مصالح وإما لدفع مفسد واقعة أو متوقعة، فهي - في الأصل - وسيلة بحث ودراسة لخطوات التعاون على البر والتقوى، تعاوننا مبنيا على تخطيط ومشاورة، وليست مجرد مواعظ وخطب حماسية، وإن كانت الخطب والمواعظ من وسائل حفز همم المؤتمرين ودفعها إلى الجد والعمل، للوصول إلى النتائج المرجوة من اجتماعهم.

الجانب الثاني

:

أن المشاركين في المؤتمرات والندوات، يكونون في الغالب من وجوه الأمة وأعيانها وخبرائها ومثقفها، وذوي التأثير فيها، بحسب الهدف الذي عقد له المؤتمر أو الندوة، ومن ذوي الاختصاص في مجالات المؤتمر وموضوعاته.

الجانب الثالث

:

أن المؤتمرات والندوات، يعد لعقلها إعدادا مبكرا توضح به الأهداف والموضوعات، ويختار لها المشاركون، ويستكتب المتخصصون، وتكون لذلك الإعداد اللجان المنظمة والممولة، والمشرفة، واللجان العلمية المتخصصة، وتختار لها عناوين البحوث التي تكتب وتقرأ وتمحص من قبل لجان تحكيم متخصصة.

الجانب الرابع

:

أن المؤتمرين يعطون الوقت الكافي، لطرح أفكارهم وتوصياتهم ومناقشتها مناقشات مستفيضة، تدون وتسجل ثم تلخص، فتكون منها خلاصة لقرائح عقول صفوفة المتخصصين والمهتمين، في موضوع المؤتمر أو الندوة.

الجانب الخامس

:

أنه يختار في النهاية لجنة من ذوي التخصصات المتنوعة، للاطلاع على ما دار في المؤتمر من أفكار وتوصيات واقتراحات من أفراد ولجان فرعية لتصوغ التوصيات صياغة رصينة شاملة قابلة - في الأصل - للتنفيذ وهذه الجوانب كلها أثرها الفعال في نجاح المؤتمرات والندوات من الناحية النظرية، وكذلك من الناحية الإعلامية.

الجانب السادس

:

أن المؤتمرين يكلفون - غالباً - لجنة لمتابعة قرارات المؤتمر وتوصياته حتى توثق ثمارها ومن هنا تظهر أهمية المؤتمرات والندوات، في التأثير على العقول وسبق الحق إليها.

سنة متبعة وعقد المؤتمرات للتشاور وإبداء الآراء ومناقشتها، للوصول إلى نتيجة ترضي الله تعالى سنة متبعة فقد كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يدعو أصحابه ويجمعهم، ليستشيرهم ويعرف رأيهم ويحاورهم بصفته ولي أمرهم، ثم يمضي ما اتفق عليه معهم، أو ما أراه الله أنه خير، كما حصل ذلك في غزوة بدر، (١) وغزوة أحد (٢)، وغزوة حنين، في شأن غنائم أهل الطائف وسبيهم (٣) وقد عقد أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أول مؤتمر لهم بعد وفاته وقبل دفنه، في شأن اختيار خليفة له في سقيفة بني ساعدة، وأتبعوا ذلك بمؤتمر أعم في المسجد النبوي في اليوم الثاني، تمت في كليهما البيعة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه (٤) ولما مرض أبو بكر رضي الله عنه، شاور أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في استخلاف عمر، وكتب كتاباً بذلك وقرئ على الناس في المسجد، وأشرف على الناس وقال: (أترضون بمن استخلفت عليكم...) (٥) ولما طعن عمر رضي الله عنه، كلف ستة نفر بأن يشاوروا الناس في اختيار خليفة له.. انتدبوا منهم عبد الرحمن بن عوف يشاور الناس ويشاورونه حتى تمت بيعة عثمان رضي الله عنه (٦) _____

(١) مسلم (٣ / ١٤٠٣) والسيرة النبوية (١ / ٢١٤) لابن هشام (٢) السيرة النبوية (٢ / ٦٣). البداية والنهاية (٤ / ١٢ - ١٣). وزاد المعاد (٣ / ١٩٣) (٣) البخاري (٥ / ٩٩ - ١٠٠) (٤) البخاري (٨ / ٢٥ - ٢٨) (٥) الكامل في التاريخ (٢ / ٤٢٥) (٦) البخاري (٤ / ٢٠٤)، (٨ / ١٩٨).

وعقد عمر بن الخطاب رضي الله عنه مؤتمراً، في شأن الوباء الذي انتشر في الشام، توافد عليه في هذا المؤتمر كبار الصحابة وشاورهم في القدوم بمن معه إلى الشام وعرض كل فريق رأيه، ثم أخذ عمر بما اتضح له صوابه الذي أيده - بعد ذلك - حديث رواه عبد الرحمن بن عوف عن النبي - صلى الله عليه وسلم - (١) وكذلك جمع أصحابه رضي الله عنه في شأن أرض العراق التي رأى عدم قسمتها في الغائمين للمصلحة العامة، وخالفه بعضهم، فأخذ يستشير ويسمع الآراء ويبدلي بحججه، حتى انتهى إلى ما رآه أولاً، مع شدة الخلاف في ذلك (٢) وكل تلك المؤتمرات كان الهدف منها إيصال الحق إلى العقول وإقناعها به بالحجة والبرهان _____

(١) البخاري (٧ / ٢١) ومسلم (٤ / ١٧٤٠) (٢) كتاب الخراج (٢٤، ٢٧).

المؤتمرات الإسلامية في هذا العصر وقد كثرت المؤتمرات الإسلامية (المسوبة إلى الإسلام) في هذا العصر، وهي - على الإجمال - قسمان:

القسم الأول: مؤتمرات رسمية وهي ما تدعو إليها حكومة واحدة أو عدة حكومات، للبحث في موضوع معين يهتم تلك الحكومة أو الحكومات، تحتاج فيه إلى دعم إسلامي في موقفها نحوه، سواء كان هذا الدعم المطلوب من بعض الحكومات لبعض، أو من علماء المسلمين ودعائهم، لتظهر أئمة على حق في موقفها من ذلك الموضوع وهذه المؤتمرات تحشد لها الطاقات المالية والبشرية والوسائل الإعلامية والاتصالات والمواصلات، وكل ما تحتاج إليه لنجاحها، وتحاول الجهة الداعية إلى المؤتمر أن توجه نشاطه وبعثه ونقاشه وقراراته وتوصياته، لخدمة الغرض الذي دعت المؤتمرين من أجله، وهذا التوجيه قد يكون مباشراً أحياناً وقد يكون غير مباشر، والغالب أن قرارات المؤتمر ونتائجه تكون في مصلحة الجهة الداعية إليه، لعوامل كثيرة معروفة، وإن كان قد يحصل فيه ما لا يعلن من الاتجاهات المضادة لبعض الأعضاء الحاضرين.

ومن المؤتمرات الحكومية البارزة الاجتماعات التي تعقدتها منظمة المؤتمر الإسلامي الذي تنضوي تحته حكومات الشعوب الإسلامية، وإن كان بعضها قد علق عضويته في هذه المنظمة وهذا المؤتمر يضم الدول التي تصرح في دساتيرها بأنها علمانية وهي أغلب دول المنظمة، ويضم بعض الدول القليلة التي تعلن أنها تحكم بالإسلام، ولذلك تتحكم في قرارات هذا المؤتمر ونتائجه الاتجاهات المتباينة لدى تلك الدول - وقد تتحقق فيه بعض المصالح، وإن كانت ضعيفة في مقابل ما يلاقه المسلمون من مشكلات وقد تدخل في ذلك المؤتمرات المتخصصة التي تدعو إليها الجامعات ومراكز البحوث العلمية الحكومية، كالمؤتمرات الطبية، والفلكية، والجغرافية، والهندسية، والصناعية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والبيئية وغيرها.

وينبغي أن يغتم المتزعمون بالإسلام والدعاة إليه من ذوي الاختصاص الذين يُدعون لحضور هذه المؤتمرات، الفرص المتاحة لهم فيها لطرح ما أمكنهم طرحه، من الموضوعات الإسلامية المناسبة لموضوعات المؤتمرات ولتخصصاتهم، كالكلاب عن أضرار الخمر والمسكرات والمخدرات، وأضرار الفواحش كالزنا واللواط، والنظافة الحسية والمعنوية في المؤتمرات الطبية، والحلول التي جاء بها الإسلام للوقاية من هذه الأضرار وعلاجها، وكذا إبراز الإعجاز العلمي في القرآن والسنة وفي المؤتمرات الاقتصادية يبين المتخصصون الإسلاميون الجوانب الاقتصادية في الإسلام، وما فيها من حلول للمشكلات في الاقتصاد الرأسمالي الرئوي أو الاقتصاد الاشتراكي وفي المؤتمرات السياسية يبين المتخصصون أسس السياسة الإسلامية ومزاياها، وكيف طبقت في الماضي وآتت ثمارها، وحاجة الناس إليها اليوم وفي المؤتمرات القانونية يبين المتخصصون الإسلاميون مزايا الفقه الإسلامي وشموله وثباته وسعوه، وما فيه من ثروة يمكن أن تسعد بها البشرية لو طبقت.

وفي المؤتمرات الأمنية يبين المتخصصون أسس الأمن في الإسلام: المعنوية منها والمادية وهكذا... في جميع المؤتمرات التي تعقد في أي موضوع من الموضوعات يجب أن يشارك فيها العلماء والمفكرون والمتخصصون المتزعمون بالإسلام، لإظهار محاسن الإسلام ومزاياه في كل مجال لتبنيه العقول المشاركة إلى تلك المحاسن والمزايا.

القسم الثاني: مؤتمرات شعبية وهي المؤتمرات التي تقوم بها جماعات إسلامية منظمة - في الجملة - أو جمعيات خيرية، أو فئة معينة تجمعها رابطة خاصة، مثل فئة علماء الشريعة الإسلامية المتنوعة، كالفقهاء والحدّثين، ومثل علماء التاريخ الإسلامي، أو علماء الاجتماع الإسلاميين أو الأطباء الإسلاميين، أو النقابات المتزعمون أعضاءها بالإسلام، كالحامين والصحفيين والمهندسين، والإعلاميين، وغيرهم كالطلاب وقد تكون المؤتمرات المنعقدة على مستوى مدينة

أو محافظة أو قطر، أو على مستوى إقليمي يجمع عدة أقطار متقاربة جغرافيا أو متشابهة نظاما، أو على مستوى قومي محدد كالدول العربية، أو على مستوى قارة كآسيا وإفريقيا.. أو على مستوى عالمي وقد يكون المؤتمر المعقود محدد الوقت والهدف، كالدعوة إلى عقده مرة واحدة لمناسبة خاصة، وقد يراد له الاستمرار بأن يعقد دوريا: في كل عام أو خمسة أعوام أو أكثر أو أقل.

والفرص المتاحة للمؤتمرات الإسلامية الشعبية تختلف من قطر إلى آخر، ففي بعض الأقطار تحظر حكوماتها النجمعات الصغيرة فضلا عن الكبيرة ياذن وبدون إذن، وفي بعض الأقطار قد تأذن دولها بعقد بعض المؤتمرات بقيود تجعل ثمارها محدودة جدا - أعني بذلك دول الأقطار الإسلامية - ومن النادر أن توجد دولة في الأقطار الإسلامية تتيح فرصة للمؤتمرات الشعبية تكون لها حرية كاملة ولكن القرص قد تتاح في بعض البلدان غير الإسلامية في الغرب وتتوافر فيها الحرية أكثر من الأقطار الإسلامية والواجب أن يهتم المسلمون القرص المتاحة لهم في كل مكان، قلت أو كثرت.

غايات المؤتمرات الإسلامية والغايات العامة للمؤتمرات الإسلامية، يجب أن تكون غايات أهل الحق في سباقهم إلى العقول، وقد سبق الحديث عنها ويضاف إلى تلك الغايات غايات أخرى عامة وخاصة، وغالبها يدخل ضمنا في الغايات المذكورة سابقا

غايات للمؤتمرات العامة

هناك غايات عامة ينبغي أن يجعلها المشاركون في أي مؤتمر نصب أعينهم، مهما تنوعت موضوعات تلك المؤتمرات، ومن أهمها ما يأتي:

أولا: السعي الجاد في جمع كلمة الأمة الإسلامية على الحق ويبدأ ذلك بمحاولة تخفيف حدة الصراع والخلاف الشديدين للمستمر بين المسلمين، على المستويين: الرسمي، وهو الخلاف بين الدول الحاكمة في الأقطار الإسلامية، على أسس الإصلاح الإسلامية التي أمر بها الله تعالى رسوله - صلى الله عليه وسلم - وتتلخص هذه الأسس في ركنين أساسيين:

الركن الأول: أن يكون الإصلاح بالعدل ولا يجوز أن يعتمد القائمون بالصلح الوقوف بجانب القوي، ضد الضعيف المظلوم، كما جرت عادة كثير من الناس الركن الثاني: مناصرة المظلوم المعتدى عليه على ظالمه إذا لم يقلع عن ظلمه له.

وقد جمعت هذين الركنين آية الحجرات، كما قال تعالى: { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَبْغِي إِلَى اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } (١) وكذلك الاختلاف الحاصل على المستوى الشعبي، كالاختلاف بين الجماعات والأحزاب الإسلامية أو القبائل، يجب أن يكون من أهداف المؤتمرين العناية بالصلح بين هذه الفئات - وإن كان المؤتمر في الأصل عقد لغرض آخر، فإن التمزق الذي أصاب الأمة الإسلامية في هذا العصر سبب لها كوارث وأضعف كيانها، ولم يبق شعب أو دولة أو دول متجاورة أو متباعدة، إلا أصابها هذا الداء العضال، ولهذا كان

جديرا بالعناية والاهتمام وهذه الغاية تحتاج - مع طرقها في كل المؤتمرات - إلى عقد مؤتمرات خاصة بها، لوضع مشروع كامل وعمل متواصل ولجان متنوعة من رجال أكفاء يكونون محل ثقة يسعون لجمع كلمة المسلمين بحكمة وتجرد وصبر، لوجود عقبات كأداء في طريقهم، منها الذاتي الداخلي ومنها الخارجي _____

(١) الحجرات: ٩.

ثانيا: التذكير المستمر بتحقيق الإخوة بين المسلمين بحيث يجب بعضهم بعضا، ويجب بعضهم لبعض ما يجب لنفسه من الخير، وذلك يقتضي التعاون فيما بينهم والتناصر والتناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثالثا: التنبيه على الأخطار التي تحيط بالمسلمين ويجب إقناع المسلمين بوجوب الوقاية من تلك الأخطار، أو دفعها بالوسائل الممكنة التي يجب أن تتخذ لها رابعا: الدعوة إلى تطبيق الإسلام في حياة المسلمين الأفراد منهم والأسر والشعوب والدول وعدم التفريط في شيء منه وتكرار العناية بهذه الغايات، ينبه الحاضرين وغيرهم ممن تبلغهم مناقشات المؤتمر وبحوثه وتوصياته وقراراته على أهميتها، وعلى أن الواجب عليهم جعلها من الأوليات التي يجب البدء بها، فيكون في ذلك وسيلة من وسائل السبق بالحق إلى العقول، وسوف لا يعدم المؤتمرون مناسبات في مؤتمراتهم تسوغ لهم طرق هذه الغايات ولو إجمالاً.

غايات المؤتمرات الخاصة أما

غايات المؤتمرات الخاصة

، فإنها تتحدد بطبيعة كل مؤتمر على حدة فقد يكون المؤتمر دعويا، وقد يكون تعليميا ترويا، وقد يكون اقتصاديا، وقد يكون سياسيا، وقد يكون اجتماعيا، وقد يكون صناعيا، وقد يكون إصلاحيا، - يعني للإصلاح بين الناس - وقد يكون علميا شرعيا - يجتهد فيه علماء الشريعة في بعض القضايا الطارئة التي تحتاج إلى معرفة الحكم الشرعي فيها... وهكذا.. فبطبيعة كل مؤتمر تحدد غايته التي عقد من أجلها، وموضوعاته التي تكذب فيها البحوث ويناقشها المؤتمرون، والأشخاص الذين يدعون لحضوره أصلا أو تبعاً، وينبغي أن يكون لعلماء الإسلام وجود في كل المؤتمرات، حتى ولو كانت متخصصة كالمؤتمرات الطبية والهندسية، فالغالب أن تشتمل موضوعات المؤتمرات على ما قد يحتاج إلى فتوى فيه وبيان موقف الإسلام منه، وحضور العلماء الشرعيين يحقق غرضين:

الغرض الأول: صحة تصورهم وإدراكهم للقضايا التي يبحث فيها المتخصصون، وصحة الإدراك والتصور أساس في الحكم الشرعي على المدركات والتصورات الغرض الثاني: بيلفهم للحكم الشرعي في القضية المطروحة، ليستفيد منهم المتخصصون الذين لا يدرون الحكم الشرعي في القضية.

ثم إن وجود علماء الإسلام الشرعيين مع المتخصصين في العلوم الأخرى، يتيح لهؤلاء الاستفادة من أولئك في مجالات متنوعة من الموضوعات الإسلامية، يسألونهم عما يشكل عليهم في الحلال والحرام، وفي قضايا معاصرة سياسية واقتصادية واجتماعية وغيرها، وفي اجتماعهم بهم في المؤتمرات فرصة قد لا يجدونها في غيرها لكثرة أشغالهم وتفريقهم وينبغي في المؤتمرات الخاصة إبراز ما يتصل بها من الموضوعات الإسلامية، في إعداد بحوث يتعاون على إعدادها ذوو الاختصاص في العلوم الكونية والطبية وعلماء الشريعة الإسلامية، ويرز ذوو الاختصاص الحقائق العلمية، ويشرح علماء الشريعة الإسلامية ما وردت به النصوص من الكتاب والسنة الصحيحة، ويبينون مدى

موافقة الحقائق العلمية لما تضمنته النصوص، ليظهر بذلك معنى الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، كما هو الحال في علم الأجنة وأطوار الجنين في القرآن الكريم وعندما يكون المؤتمر يتعلق بالقوانين والأحكام تبين الأحكام الشرعية، ومدى صلاحيتها في الماضي والحاضر والمستقبل، مع سموها وشمولها والنتائج التي تتحقق بتطبيقها.

وعندما يتعلق المؤتمر بحقوق الإنسان تبرز الحقوق الإنسانية في الإسلام، المنصوص عليها في الكتاب والسنة والمراجع الإسلامية، وكونها قد طبقت في واقع الحياة، ونالت البشرية من تطبيقها السعادة والرخاء، وحاجة البشرية اليوم إليها، مع التنبيه على أنها قد جربت كل النظم والمبادئ البشرية فلم تنل من غالبها إلا الشقاء تلو الشقاء وعندما يتعلق المؤتمر بالحفاظ على البيئة تبرز النصوص الواردة في عمارة الأرض واستغلال خيراتها، وغرس الأشجار فيها والحفاظ على نظافة الظلال بل طهارتها وعدم تنجيسها، وكذلك الطرق والشوارع وأجر من أزال الأذى عن الطريق، وأن ذلك من شعب الإيمان، وكون الإسلام أمر بالاقتصاد في الأكل والشرب، ونهى عن الإسراف والتبذير، حتى إنه أمر بمتابعة ما في الإناء من الطعام وأكله، حتى لا يبقى فيه شيء، ونهى عن البول في المياه، ونهى عن تعاطي كل ضار بالإنسان وتناول كل خبيث، ويدخل في ذلك شرب الدخان ونحوه، مما يلوث باطن الإنسان وظاهره، ويلوث الأجواء المحيطة به، وأمر بنظافة الجسم والثوب والأرض وطهارتها، حتى إن الصلاة لا تصح مع ملامسة نجاسة في ذلك كله.

وهكذا لا يوجد موضوع من الموضوعات التي تعقد لها المؤتمرات، إلا وللإسلام فيه قول، من ذلك الصناعات بأنواعها، فالسهم الواحد يؤجر عليه صانعه والرامي به ومنبله، والرفق بالحيوان الذي يغفر الله بسببه لساقي الكلب العطشان ذنوبه وهكذا الشؤون الاجتماعية كالعناية بالأسرة والحياة الزوجية والأولاد والآباء، والجيران، وصغار السن وكبار السن والمعوقين والفقراء واللاجئين.. وكذلك قضايا الأمن بمعناه العام الواسع الذي يشمل الأمة في كل شؤونها، كما أشار إلى ذلك سيد قطب رحمه الله في كتابه: السلام العلي والإسلام (١) فيجب أن ينبه على أن المحافظة على البيئة المعنوية، وهي الحرص على الطاعات والبعد عن الفواحش والمنكرات، من أهم ما جاءت به الشريعة.. وهو يتلخص في قوة الإيمان والعبادة والعمل الصالح، والتربية الإسلامية السليمة، والعمل بالأحكام الشرعية، وغرس الأخلاق الإسلامية، ثم تطبيق العقوبات الشرعية على من لم تُجد فيه التربية الإيمانية والعبادية والأخلاقية..

(١) وللمؤلف كتاب في هذا المعنى بعنوان: أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع الإسلامي.

نخلص من هذا كله إلى أنه لا ينبغي أن نفوت أي فرصة تسنح في أي مؤتمر، دون أن تكون الدعوة إلى الإسلام متسللة فيه إلى عقول الناس في فقرات موضوعاته وبحوثه، ولكن ليس بمجرد الوعظ والحماض وإنما بالأساليب العلمية المناسبة للمؤتمر، حتى تكون المؤتمرات من وسائل السبق إلى العقول بالحق.

مؤتمرات تعليمية

ومن أمثلة المؤتمرات العالمية التي يحتاج إلى عقدها المسلمون في كل العالم – الشعوب الإسلامية والأقليات الإسلامية – مؤتمرات التعليم في المدارس والمعاهد والجامعات الإسلامية الأهلية، لرفع مستوى التعليم فيها بمراجعة المناهج والخطط والكتب ووسائل التدريس والإيضاح وكفاءة المدرسين بها، لتكون كلها صالحة لتخريج طلاب أكفاء

قادرين على استيعاب العلوم الإسلامية المتنوعة، وعلى أخذ حظ وافر من العلوم الكونية وغيرها، كما مضى في فقرة: وسيلة التعليم.

إن الذين يتولون شؤون التعليم الخاص في الشعوب الإسلامية، توجد بينهم فروق كبيرة جدا في مناهج التعليم التي وضعوها وخططه وكتبه ووسائله، فنجد بعض المدارس تهتم بالعلوم الرياضية والطبية والمهنية وغيرها من علوم الحياة، ولا تهتم بالعلوم الإسلامية، بحيث تجد طلابها لا يفقهون فروض العين التي لا يسع للمسلم جهلها، وتجد في الجانب الآخر مدارس تهتم بتدريس بعض العلوم الإسلامية، بمناهج قديمة وكتب معبنة وبوسائل تدريس عقيمة، وترى مدرسيها لا يدرى كثير منهم شيئا يذكر عن الثقافات المعاصرة، فيتخرج من هذه المدارس طلاب يحفظون بعض المتون وبعض الأحكام لا يفقهون معناها حق الفقه، أما ما يتعلق بثقافة العصر ومشكلات المسلمين وما يجب أن يتخذ لها من حلول، فإن عقول كثير منهم قد حجزت عن معرفتها والفكر فيها، على عكس الصنف الأول الذين عندهم ثقافة معاصرة وعلوم من الحياة الدنيوية، ولكن كثيرا من المشكلات التي يتعرض لها الإسلام تكمن فيهم، إذ الأفكار التي زرعت في عقولهم أفكار علمانية أو غير سليمة عن الإسلام.

ومن النادر أن تجد مدارس جمعت بين الحسنيين: حسنى الدراسات الإسلامية الشاملة التي يتمكن طلابها من التفقه في الدين، تفقها يعتقدون به أن الإسلام منهج شامل لحياة الإنسان كلها وينطبقونه في حياتهم على هذا الأساس، وحسنى معرفة ما ينفع المسلمين في حياتهم الدنيا من العلوم والثقافة لاتخاذها وسيلة لقوتهم وتقدمهم، ومعرفة ما يضرهم فيجتنبونه ويتخذون من الوسائل ما يقيهم شره لهذا تظهر الحاجة إلى عقد مؤتمرات تعليمية، يجتمع فيها علماء مسلمون من ذوي التخصصات المتنوعة وخبراء تعليم إسلاميون، مع زعماء المؤسسات التعليمية الإسلامية في العالم الإسلامي، لتدارس شؤون التعليم ومحاولة توحيد المناهج - ولو في إطارها العام في أول الأمر - ووضع المواد اللازمة في العلوم الدينية والعلوم الكونية الأخرى.

ولا بد أن يسبق المؤتمرات العامة مؤتمرات قطرية - أي مؤتمر أو أكثر لكل قطر إسلامي - ومؤتمرات إقليمية - لعدة أقطار متجاورة أو متشابهة - يشترك فيها - المؤتمرات القطرية أو الإقليمية - زعماء المؤسسات التعليمية في الأقطار أو الأقاليم، وعلماء مسلمون وخبراء تعليم، يستعرضون المناهج والكتب والأساليب التعليمية الموجودة، ويضيفون ما يرون إضافته من المواد الأخرى، ويقترحون ما يرون من تعديل بزيادة أو نقص، وما يناسب من وسائل التعليم وأساليبه، ويحصرن التخصصات التي ينبغي أن تتوفر في المدرسين على ضوء منهج جديد مقترح ووسائل تحقيق تلك التخصصات، ثم تجمع تلك الدراسات في تقارير وتعرض على العلماء والخبراء الذين سيحضرن المؤتمرات العالمية، وتعد لهم عناوين الموضوعات المناسبة ليكتبوا فيها بحوثا وملخصات لعرضها في المؤتمرات فإذا نوقشت التقارير والبحوث وافق على قرارات أو توصيات، كونت لها لجان متابعة قطرية تقودها لجنة عالمية لمحاولة تنفيذ تلك القرارات والتوصيات.

وقد يكون تنفيذها في كل الأقطار صعبا، لأسباب مختلفة، ويمكن أن يجتهد في تنفيذها في بعض الأقطار، لتكون نموذجا ومثالا يجتهد في بقية الأقطار حسب الإمكان، ويحسن أن تنفذ نماذج منها في جهات مختلفة، فيكون أحد النماذج في شرق إفريقيا، وآخر في غربها، وآخر في جنوبها، وهكذا ينفذ نموذج في شرق آسيا وآخر في جنوب شرق آسيا، وينفذ آخر في بعض دول المسلمين التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي السابق، وآخر في شرق أوروبا،

وآخر في غربها، وآخر في أمريكا الشمالية ونموذج في أمريكا الجنوبية، ليظهر أثر كل نموذج في الدول المجاورة، فتأثر به المؤسسات التعليمية فيها، لأن الناس يتأثرون بالواقع المشاهد أكثر من المقترح النظري.

مؤتمرات دعوية

ومن الأمثلة للمؤتمرات العالمية التي يحتاج إليها المسلمون مؤتمرات الدعوة، وهي حاجة عامة شاملة للمسلمين وغير المسلمين في كل أنحاء العالم، وفي كل الأوقات ومؤتمرات الدعوة العالمية تحتاج قبل عقدها إلى دراسة جادة وعميقة، من قبل مختصين يحددون أهدافها القريبة والبعيدة، ومنهجها وأساليبها ووسائلها، ويكتبون في ذلك بحوثاً محددة، وهذه الدراسة وحدها تحتاج إلى مؤتمر عالمي مصغر يجتمع فيه أفاض العلماء والدعاة وزعماء الجماعات الإسلامية، وعلى ضوئه يحدد المكان والزمان ويحضر الأشخاص الذين ينبغي أن يدعوا لحضوره وتمويله والموضوعات التي توزع على القادرين للكتابة فيها، واللجان الإدارية والتنظيمية والإعلامية وغيرها، حتى إذا ما اجتمع المؤتمر وجدوا أمامهم موضوعات عملية محددة، تدرس لتنفيذ قراراتها وتوصياتها، لا لتلحظ في ملفات يأكل عليها الدهر ويشرب كما هو واقع كثير من المؤتمرات التي تعقد الآن.

ويجدر بالمؤتمرين أن يبدؤوا في مؤتمراتهم بالأوليات من الموضوعات التي يترتب عليها تقدم الدعوة وانتشارها وكفاءة الدعاة، ودعوة الناس إلى ما يجهلونه من الإيمان والعبادات العينية والمعاملات اليومية، مثل فقه الأسرة وبعض أحكام الحلال والحرام وكذلك تحذيرهم مما يحيط بهم من المخاطر الحاضرة من أعدائهم ووجوب اجتماعهم على الحق والتعاون على البر والتقوى ويتلخص ذلك في الأمور الآتية:
الأمر الأول: إعداد برامج لتدريب قادة الدعاة تؤهلهم لتخريج دعاة أكفاء.

وهذه البرامج تشمل التفقه في العلوم الإسلامية المتنوعة، من مصادرها وفي طليعتها الكتاب والسنة والسيرة، وكتب العقيدة السلفية السليمة من التعقيدات الكلامية والفلسفية، وعلوم التفسير وكتبه وعلوم الحديث وكتبه، وأصول الفقه وكتبه وكتب الأخلاق، والثقافة، ومعرفة شبهات الأعداء كالمستشرقين والمنصرين وغيرهم والرد عليها بالبرهان والحجة، وإجادة بعض اللغات العالمية أو بعض اللغات المحلية حسب الحاجة، ومعرفة البيئات والعادات للبلدان التي تسند إليهم شؤون الدعوة فيها، وكذلك معرفة أديان أهلها مع مقارنتها والاستعداد لكشف معانيها وإظهار محاسن الإسلام، وكونه هو الدين الحق الذي لا يوجد دين حق سواه.

هذا التدريب يكون - في الأصل - لذوي المؤهلات في الدراسات الإسلامية، ولكن ينبغي أن يختار عدد من ذوي المؤهلات الأخرى كالمهندسين والأطباء والكهربائيين والبيطريين وغيرهم، من ذوي المهن ممن عندهم ثقافة إسلامية محدودة وثقافة معاصرة، وتعد لهم دورات تدريبية في العلوم الإسلامية السابقة، ليأخذوا حظاً كافياً منها، ليؤهلهم لتعليم الناس فروض العيون وتوعيتهم بما يجب أن يعلموه في حياتهم، ويساعدوا المحتاجين إلى علومهم من فقراء المسلمين وغيرهم بالدواء والتعمير والزراعة وتربية اللواجن والماشية وبعض المهن العملية، كالنجارة والحياطة ونحوها، ليجمع الدعاة إلى الإسلام بين بيان الإسلام والدعوة إليه وبين ترقية الناس المعاشية، ولا يتركوا هذه الأخيرة لغيرهم من المنصرين وهؤلاء الدعاة بنوعهم يُدرَّبون - مع دعوتهم عامة الناس - من يرونهم ذوي قدرة

على الاستيعاب في كل بلد من بلدان المسلمين أو غيرهم، لمنهج الدعوة ونقلها إلى بني قومهم بلسانهم، لما في ذلك من الانتشار السريع للدعوة بكثرة القائمين بها.

ومن الوسائل التي تسهل تدريب الدعاة على تنوع مستوياتهم، إنشاء معاهد عليا لذوي المؤهلات في الدراسات الإسلامية - خاصة بمنهج الدعوة وأساليبها ووسائلها، لا تريد مدتها عن سنتين ولا تنقص عن سنة، يستقدم لها علماء كبار متخصصون وذوو خبرة في هذا المجال، بحيث تكون الدراسة قوية والمواد مختارة مناسبة - مع التدريب العملي الميداني على ما يدرسون، وتقوى عندهم الجوانب العبادية ليكونوا قلوبا لغيرهم فيما يدعونهم إليه وكذلك تنشأ معاهد متوسطة لذوي الثقافة الإسلامية المحدودة من ذوي الاختصاصات الأخرى، يأخذون فيها ما يؤهلهم لمهمتهم الدعوية كما مضى، وتحدد لهم المواد التي يحتاجون إليها والمراجع والمدة المناسبة مع تدريبهم العملي.

الأمر الثاني: أن يبدأ الدعاة في كل بلد بالموضوعات الأهم في ذلك البلد، فإذا كان أهل البلد يجهلون فروض العين، كأصول الإيمان وقواعد الإسلام التي تضمنها حديث جبريل المشهور، والأحكام المتعلقة بها كصفة الصلاة وأركانها وشروطها، وأموال الزكاة ومقاديرها ومصارفها، وصيام رمضان وما يتعلق به من واجبات ومفطرات، ومناسك الحج، فإن على الدعاة أن يبدؤوا بهذه الفروض بالترتيب الذي لقنها الرسول - صلى الله عليه وسلم - لداعية اليمن معاذ بن جبل رضي الله عنه: « فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأخبرهم أن عليهم خمس صلوات، فإن هم أطاعوك لذلك فأخبرهم أن عليهم صدقة تؤخذ من أغنياءهم فترد على فقراءهم.. » فإن وجدهم على علم بذلك ويجهلون غيره، فليعلمهم ما يجهلون الأهم فالأهم، مع مراعاة نفوس عما تألف والتدرج مع أهلها في ذلك، كما هي سنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وبخاصة مع غير المسلمين أو المسلمين بالاسم الذين يجهلون كل شيء في الإسلام، فإن مطالبتهم دفعة واحدة بأداء كل الفرائض واجتباب كل النواهي بدون تدرج حكيم، قد ينفروهم من الإسلام كله.

الأمر الثالث: أن يتدارس المؤتمرون الموضوعات المهمة التي يحتاج إليها المسلمون لتوعيتهم بما في أمور دينهم وديناهم وتحصر عناوينها، ويحصر العلماء القادرون على التأليف والكتابة فيها أو إلقاء محاضرات تسجل في أشرطة كاسيت أو فيديو، أو تعقد ندوات وتسجل كذلك ويستنسخ منها أعداد كافية لنشرها وتوزيعها على العالم الإسلامي، عن طريق إدارة خاصة بنشر الدعوة، وكذلك تطبع في رسائل وكتيبات صغيرة بكميات كثيرة بلغات عالمية ومحلية وتوزع على المسلمين وليس من الصعب أن تكتب أو تقرأ تلك الموضوعات في الأشرطة بلغات المسلمين المتنوعة، فالبلدان الإسلامية ممتدة في القارتين: الآسيوية والإفريقية من مشارق الأرض إلى مغاربها، ولما يوجد بلد لا يوجد فيه طلبة علم قادرين على الترجمة أو التأليف أو القراءة، كما أن المسلمين منتشرون في القارات الأربع الأخرى: أوروبا وأمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية وأستراليا، بل وفي أطراف العالم كله.

إن أي موضوع من الموضوعات التي تم المسلمون يمكن أن يصل إلى المسلمين كلهم في العالم خلال فترة قصيرة جدا بتلك الوسائل، لسرعة المواصلات الجوية والبحرية والبرية، ولوجود الاتصالات التي تحطم حواجز الرقابة والمنع، كالقنوات الفضائية والفاكسات والإنترنت، وغيرها.. وما أحوج المسلمين اليوم إلى اتخاذ هذه الوسائل، لإبلاغ ما يهمهم إلى كل مسلم في العالم سواء كان متعلقا بالشعائر التعبدية أو الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية أو العسكرية، حتى ينتشر الوعي ويشعروا كلهم أنهم معنيون بتلك الموضوعات والتعاون على البر والتقوى فيها.

مؤتمرات عملية

وينبغي أن يكون الهدف من عقد مؤتمرات العمل الإسلامي المقدر عليه، تنفيذ قرارات المؤتمر المعقود وتوصياته، وليس مجرد الاجتماعات وإلقاء البحوث والمحاضرات والمناقشات الكثيرة التي تتمحور عن قرارات وتوصيات كثيرة، قد تكرر في مؤتمرات أخرى بدون تنفيذ ومتابعة، والأولى أن تنفق الأموال التي ترصد لأمثال هذه المؤتمرات التي لا تنفذ قراراتها، في نشاطات إسلامية عملية تحتاج إلى تلك الأموال، كقوافل الدعوة، ومدارس المسلمين القائمة المحتاجة إلى المساعدة، وإنشاء مدارس جديدة، وإنشاء مساجد في أماكن يحتاج إليها المسلمون، وطبع كتيبات ورسائل ومنتشورات تصل إلى الناس لعرفهم بالإسلام وفرائضه، بدلا من إنفاق تلك الأموال الطائلة على مؤتمرات غير مجدية وإن كان الهدف منها صحيحا عند من يدعو إليها من المخلصين.

ولو نفذت قراراتها وتوصياتها لكان في ذلك نفع عظيم، ولكن تنفيذها يتوقف غالبا على دعم الحكومات في الشعوب الإسلامية، وأكثر حكوماتهم تقف ضد تحكيم شرع الله وضد الدعوة إلى تطبيقه، ولا تأذن بتطبيق جوهر الإسلام وحقائقه التي تنظم بها حياة المسلمين، بل تحاربها وتحل محلها قوانين تخالفها مخالفة صريحة، فكيف يرجى من أمثال تلك الحكومات دعم قرارات المؤتمرات الإسلامية وتوصياتها وذلك هو شأنها؟! ولو أراد باحث أن يحصي المؤتمرات الإسلامية التي عقدت في أواخر القرن الرابع عشر الهجري، وأول القرن الخامس عشر الهجري، وبحوثها وتوصياتها وقراراتها ويجمع ذلك كله، لكون منها مكتبة كبيرة ولو أحصى الأموال التي أنفقت على تلك المؤتمرات، لألفاها كافية لإنشاء مؤسسات دعوية وتعليمية وخيرية، المسلمون في أمس الحاجة إليها، ولو قوّم نتائجها وثمراتها الإيجابية لوجدوا هزيمة بجانب ما بذل فيها من جهد ووقت ومال.

لذلك يجب على قادة العمل الإسلامي والمؤسسات الإسلامية، أن لا يضيعوا جهودهم وأموال المسلمين، إلا في مؤتمرات لها غايات عملية يمكن تحقيقها أو تحقيق غالبها، وأن تكون موضوعاتها ذات أولوية، وأن يسبق عقدها تخطيط وتنظيم يجعلها ذات جدوى وإن اجتماعات مصغرة لقادة العمل الإسلامي وعلمائه، لبحث موضوعات الدعوة الإسلامية والعمل الإسلامي، ودراسة ما يجب اتخاذه من خطوات في ذلك دراسة هادئة متأنية يترتب عليها عمل مفيد - ولو قل - خير من كثير من المؤتمرات الجماهيرية غير المجدية عمليا وإذا كان المقصود من تلك المؤتمرات الكثيرة، هو الوصول إلى معرفة سبل العمل للإسلام، في مجال الدعوة والتعليم والتشريع والأخلاق ومكافحة الدعوات المضللة والشبهات التي يتخذها أعداء الإسلام للطعن فيه، كالمستشرقين والمنصرين وغيرهم، فإن عشرات المؤتمرات قد عقدت في أغلب بلدان المسلمين من بلاد المغرب إلى إندونيسيا في موضوعات إسلامية شتى، وحضرها كبار العلماء والمفكرين في العالم الإسلامي، وأدلى كل منهم بدلوه بحثا ونقاشا ونصحا وسجلت كلها في مجلدات وملفات وأشرطة فيديو وكاسيت، ويمكن الرجوع إليها وأخذ ما يراد العمل به منها.

وقد اعتدنا من بعض حكومات الشعوب الإسلامية الصبر على المؤتمرات الجماهيرية وبحوثها ومؤتمراتها وتوصياتها، ولو كانت لا ترضى عنها تلك الحكومات، لأنها تعلم أن حماس المؤتمر المعقود ينتهي بقراءة قراراته وتوصياته التي لا ترى أثرها في الواقع إلا ما ندر فليتجه العاملون للإسلام إلى الاجتماعات والمؤتمرات المصغرة، العملية التي يمكنهم متابعة تنفيذ نتائجها، وليدلوها بدلوهم في بقية المؤتمرات من باب النصح وتبليغ الحق دون أن تستنفد أوقاتهم

وأموالهم فيها وإذا ما أحسن دعاة الإسلام وقادة العمل الإسلامي والمنظمات الإسلامية استغلال المؤتمرات بموضوعاتها المتنوعة استغلالاً عملياً، فإنها ستكون من أهم وسائلهم إلى السباق إلى العقول بالحق.

أما ما تسير عليه المؤتمرات الآن - مع فائدتها المحدودة في الدعوة - من إنفاق هائل للأموال على عقدها، ومن أوقات طويلة تبذل لها من المضيفين والمضيفين، ثم تنتهي بقرارات، لا تخرج من ملفاتها بعد صياغتها وتلاوتها إلى عالم الواقع، فينبغي أن يفكر المسؤولون عنها والدعاة إليها وبأدلو المال لعقدها، في أسلوب آخر للعمل الإسلامي من تعليم ودعوة وغيرها، فإن الأموال التي تصرف في تلك المؤتمرات التي تتضمن قراراتها وتوصياتها، الحث على إنشاء المدارس والمعاهد والمساجد وطبع الكتب وتوزيعها وإيجاد منح دراسية لأبناء المسلمين وإعداد دعاة وضمائم نفقاتهم، إن تلك الأموال التي تصرف في تلك المؤتمرات لو جمعت لكفت أو قاربت الكفاية لإبراز ما تضمنته قراراتها وتوصياتها في عالم الواقع ولهذا تجد كثيراً من المفكرين يتساءلون عن الإصرار على عقد تلك المؤتمرات، دون تنفيذ غالب قراراتها وتوصياتها: هل أهداف تلك المؤتمرات المعلنة هي الأهداف الحقيقية وراء عقدها، أو لها أهداف أخرى؟! والجواب: أهل مكة أدرى بشعابها!.

خطوات استفادة أهل الحق من النوادي

:

والخطوات التي يجب اتخاذها لمحاولة استفادة أهل الحق من تلك النوادي كثيرة، ومنها ما يأتي:

الخطوة الأولى: توجيه بعض الشباب المسلم المثقف ثقافة إسلامية جيدة والمربى تربية إسلامية عالية، إلى الدراسة التي تؤهلهم لقيادة نشاطات تلك النوادي الرياضية والثقافية والأدبية والاجتماعية، حتى يكون تأثيرهم في أعضاء النوادي تأثيراً إيجابياً، لكونهم في مراكز توجيه فيها الخطوة الثانية: السعي لتوظيف أولئك الشباب المتخصص في النوادي المناسبة لتخصصاتهم، حتى يكون نشاطهم مشروعاً بمقتضى نظمها، وتكون غايتهم غرس الإيمان بهذا الدين في نفوس أعضاء النوادي، وتنشيطهم ثقافة إسلامية تجعلهم واعين بما يحيط بهم، وبكيفية التعامل مع الواقع تعاملًا هادئاً مؤثراً بدون ضجيج، وبتربيتهم تربية إسلامية تحقق فيهم معنى العبودية لله تعالى والتخلي بالأخلاق الإسلامية العالية، وتحب إليهم التطبيق العملي للإسلام في أنفسهم وأسرهم ومجتمعهم الخطوة الثالثة: ينبغي أن يفرز عدد مناسب من الشباب الإسلامي المترين على الإسلام، ليكونوا أعضاء في تلك النوادي من أجل التأثير في أعضائها بمعاني الإسلام.

الخطوة الرابعة: ينبغي أن يخطط أهل الحق لإبلاغ الحق إلى أعضاء النوادي، بكل الطرق والوسائل المشروعة المتاحة، من كتيبات ونشرات وصحف ومجلات إسلامية، وشُرطُ كاسيت أو فيديو لتحقيق أهداف الدعوة الإسلامية في الأعضاء الخطوة الخامسة: يجب أن يعد أعضاء النوادي حمل الدعوة الإسلامية إلى زملائهم في النوادي الأخرى، سواء كان في نفس بلدانهم أو في البلدان الأخرى الإسلامية كانت تلك البلدان أو غير إسلامية وقد أصبحت الفرق الرياضية وغيرها في هذا العصر تجوب العالم كله للاشتراك في المسابقات الدولية، ولو أن هذه الفرق التي تنفق على تدريبها الأموال الكثيرة اعتني بها في الثقافة الإسلامية والتربية الإسلامية الشاملة، وحببت إليها الدعوة الإسلامية، والتزمت بالإسلام فكانت قدوة حسنة لغيرها، لكان لها أثر عظيم في نشر الإسلام وإظهار محاسنه، ولكانت من أهم وسائل إبلاغ الحق والسبق به إلى عقول الناس، وهكذا الفرق الثقافية والاجتماعية وغيرها.

الخطوة السادسة: ينبغي أن تهتم الجماعات أو الجمعيات الإسلامية بإنشاء نوادٍ شعبية متنوعة، كذلك النوادي الرسمية أو شبه الرسمية، وتضع لها الأهداف والخطط والوسائل الممكنة، لتؤدي الدور المطلوب الذي قد يصعب تحقيقه في النوادي الرسمية، وإذا تعذر إنشاء مثل هذه النوادي الشعبية في مَقَارٍ - جمع مقر - معينة لأسباب مادية وعسر في النفقات أو أمنية، كعدم إذن الجهات الرسمية - الحاربية للدعوة الإسلامية - بذلك، فينبغي إنشاء نوادٍ مفتوحة متنقلة في الحدائق العامة أو الملاعب الشعبية، وهي الساحات التي توجد في الحارات أو في أطراف القرى والمدن تقام عليها المسابقات الرياضية المتنوعة بما أمكن من الأدوات والتخطيط وكثير من الشباب يفعلون ذلك بأنفسهم، ويمكن للشباب الإسلامي أن يختلط بهم ويشاركهم في نشاطهم، ويتخذ الأساليب والوسائل المناسبة لهدايتهم وتربيتهم وحفظهم من الضياع، بترتيب أوقاتهم في هذه النشاطات، وفي المحافظة على الصلوات في أوقاتها، وفي استذكار دروسهم وتحسين العلاقات معهم حتى تحصل الثقة بهم وقبول التوجيه منهم.

فالشباب المشتركون في هذه النشاطات يؤثر بعضهم في بعض أشد من تأثير غيرهم ممن لا يشاركونهم في النشاطات، وبخاصة إذا أحسنت مداخل خطابهم في كل نشاط بما يناسبه من الموضوعات الإسلامية، كالفروسية وارتباطها في الإسلام بأهدافها العليا، كإعداد القوة للجهاد في سبيل الله ورفع راية الإسلام.. الخطوة السابعة: ينبغي أن يتعد من يريد هداية الشباب في تلك النوادي، عن الدعوة إلى الحريات الضيقة التي تصدع صف المسلمين وتحدث التنازع بينهم، وأن يغرسوا في نفوسهم - فقط - الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، حرصاً على جمع كلمة المسلمين تحت راية [لا إله إلا الله محمد رسول الله] وعملاً بقول الله تعالى: { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا } . (١) وقوله تعالى: { وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ } . (٢) وفي تطبيق هذا الأمر فائدتان

الفائدة الأولى: ما سبق من اجتماع الكلمة واتقاء التنازع

(١) آل عمران: ١٠٣ (٢) الأنفال: ٤٦.

الفائدة الثانية: سد الباب على دعاوى من يضيقون ذرعاً، بالتمسك بالإسلام، حيث يجارون من يتمسك به، بحجة الدعوة إلى الحزبية.

ولكن هناك أهدافاً أخرى عليها المؤمن التقي وبخاصة الراغب في هداية الناس بمنهج الله، ومن تلك الأهداف:

١ - تقوية المسافر إيمانه بسياحته في الأرض ونظرة في الكون وتأمله فيه وأخذ العبرة منه، سواء مشى على قدميه أم استقل دابة، أم صعد إلى السماء في طائرة، أم ركب سيارة أو قطاراً، أم مخر عباب البحر في سفينة فهو عندما يسبح في الأرض يرى كل شيء في الكون كأنه جديد: البحار والأنهار، والغابات، والحيوانات، والسحاب والمطر والجبال، والكواكب، والبشر الذين تختلف ألوانهم ولغاتهم وعاداتهم وغير ذلك، كما أن في الاطلاع على آثار الماضين - صالحين أو طالحين - عبرة لمن اعتبر، فيزداد المعبر باعتباره صلاحاً، ويهرب من الاتصاف بفساد الفاسدين، قال تعالى: { أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ } . (١)

وقال تعالى: { قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } . (٢)

وقال تعالى: { فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

(١) الأعراف: ١٨٥ (٢) يونس: ١٠١ (٣) الروم: ٥٠.

وقال تعالى: { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْعَمُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } . (١)
وقال تعالى: { أَقَلَّمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ } . (٢)
وقال تعالى: { قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ } . (٣)
إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في هذه المعاني

(١) البقرة: ١٦٤ (٢) الحج: ٤٦ (٣) آل عمران: ١٣٧.

٢ - ومن الأهداف العليا للراحل والمسافر، الدعوة إلى الله وبيان الحق للناس والحث على قبوله، وبيان الباطل والخص على تركه والبعد عنه، فقد سن الله تعالى لملائكته الانتقال من مواطنهم في السماء، والهبوط منها إلى الأرض لتبليغ وحيه إلى رسله، وكذلك شرع لرسله عليهم السلام أن يرحلوا من أجل إبلاغ الحق إلى الناس في بلدان نائية وتوطين الحق وأهله فيها، كما سافر إبراهيم - عليه السلام - بزوجه هاجر إلى مكان البيت الحرام، وتركها هنالك وولدت ابنة إسماعيل عليه، ثم بني بعد ذلك معه البيت، فكان ذلك نواة لانبثاق الرسالة الخاتمة بعد ذلك التي انطلقت من هناك، وهكذا كان للرسول - صلى الله عليه وسلم - نصيب وافر في ذلك، حيث كان يؤم أسواق الناس ومحيطاتهم بل وقراهم، مبلغا دعوة الله كما حصل له ذلك مع أهل الطائف، وهكذا هاجر هو وأصحابه إلى المدينة، حيث قامت دولة الإسلام، وقبل ذلك هاجر أصحابه إلى الحبشة، فرارا بدينهم ودعوة إليه، وقد بذروا الإسلام في الحبشة التي استوطنها قبل غيرها من مدن الجزيرة العربية بما فيها المدينة المنورة، ولا زال راسخا فيها إلى اليوم برغم كيد أعدائه له ولأهله، وهكذا انطلق الصحابة والتابعون فيما بعد

بالحق إلى كل أنحاء الأرض المعروفة آنذاك، فارتفعت راية الإسلام ودولته في مشارق الأرض ومغاربها ٣ - ومن الأهداف العليا للراحل: رفع راية الجهاد في سبيل الله، لتخطيم الحواجز التي توضع للصد عن سبيل الله والدعوة إليه، ولدفع عدوان أعداء الإسلام وتحصين الثغور منهم وقد بسطت القول في هذا في مجلدين كبيرين بعنوان: الجهاد في سبيل الله، حقيقته وغايته، وسيأتي توضيح كون الجهاد وسيلة من وسائل المسابق إلى العقول، ليس لإكراه الناس على الدخول في الإسلام وإنما لفتح المجال لإبلاغ الحق وسماعه ٤ - ومن الأهداف العليا للراحل، تفقد أحوال المسلمين، ومد يد العون لهم من ذوي اليسار والغنى، بإنشاء المساجد والمدارس والمراكز الإسلامية وغير ذلك مما المسلمون في أمس الحاجة إليه في كل مكان، ولا سيما الأقليات منهم في البلدان غير الإسلامية ٥ - ومن أهم الرحلات المؤثرة في المسابق إلى العقول بالحق، الرحلات العبادية، كرحلات الحج والعمرة من بلدان المسلمين القريبة والبعيدة، فإن أجواء هذه الرحلات مهيأة للأخذ والعطاء، صاحب الحق القادر على إبلاغه يعطي، ومرافقه المحتاج إلى سماع ذلك الحق يسمع ويأخذ.

٦ - هذا عدا الرحلات التي ينبغي أن ينظمها أهل الحق للشباب، لتحقيق إبلاغ الحق إلى عقولهم وإقناعهم به بالطرق والأساليب الممكنة المناسبة، سواء كانت رحلات استجمام أو رحلات صيد أو رحلات رياضية، أو غيرها إن هذه الأهداف وغيرها من الأهداف الحميدة النافعة، ينبغي أن تبن للمسلمين وأن يضعوها نصب أعينهم وهم يرحلون من بلادهم، وإذا تمكن القادرون على السباق بالحق إلى العقول من مرافقة الراحلين من إخوانهم وأبنائهم في أسفارهم، فعليهم أن يغتنموا الفرصة بتطبيق هذه الأهداف فيهم عملاً.

ولما كان الراحل معرضاً للمغريات والشهوات والتعامل مع غير أهل بلده ممن لا يعرفونه، وقد يدفعه ذلك إلى عدم الاحتراز عن مقارفة بعض الخلال السيئة في غربته، بخلاف بلده الذي يعرفه فيه أهله وجيرانه ومجتمعه، ولهم أخلاق وعادات يلتزمون بها ويعدون الخروج عنها شاذاً عن ضوابط حياقتهم، ولما كان الشارع يريد منه الالتزام بضوابط الشريعة في سفره كحضره، ويزيد على ذلك الإكثار من فعل الخير بما في ذلك الدعوة إلى الله وهداية الضال بإبلاغ الحق إلى العقول، فقد شرع الله له دعاء يلجأ به إليه عند سفره، ليحقق له به كل تلك الأهداف وغيرها من أعمال الخير، وهو يبدأ بهذه العبارة العظيمة التي تعتبر - مع كونها دعاء - توجيهاً للمسافر ليجي تصرفاته عليها: « اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى » ..]. وتأتي في أثنائه هذه العبارة الدالة على حرص المسافر على حفظ الله إياه حفظاً يجعله هو وأهله ممن يلازمون البر والتقوى والعمل بما يرضي الله: « اللهم أنت صاحب في السفر والخليفة في الأهل » ..].

ثانياً: المخيمات والمخيمات من الوسائل المهمة للسباق إلى العقول، من الناحيتين النظرية والعملية.

لذلك ينبغي العناية بها وإقامتها في الأوقات والأماكن المناسبة، في المصيفات والصحارى والشواطئ، والإعداد لها وتنظيمها تنظيمًا يحقق الهدف من إقامتها، ويكلف الإعداد لها وتنظيمها والإشراف عليها ووضع برامجها، ذوو الكفاءة والخبرة فيها، ويختار لها ذوو اختصاصات متنوعة من الاجتماعيين والثقافيين والرياضيين والعلماء الشرعيين، وتملاً أوقاتها كلها بالمواد المنظمة المفيدة غير المملة، بحيث تكون متنوعة ومشوقة، من مسابقات ثقافية وأدبية ورياضية، وتمثيليات، وأناشيد، ودروس علمية خفيفة ومحاضرات وحوارات، ونكات ذات مغزى وهدف، وفروسية، وتدريب على أعمال المخيمات، كنصب الخيام وتنظيفها وحراستها وفرشها، ونشاط الجواله، وطبخ الطعام وإعداد السُّفر، وشراء ما يحتاج إليه المخيم من البلد المجاور وغير ذلك، مع الحرص على إقامة حلقات قرآنية يتحلق فيها أعضاء المخيم، لقراءة القرآن مجوداً، وإشارة من عنده علم في الحلقة إلى بعض الفوائد والآداب القرآنية باختصار، وكذلك مدارس شيء من السيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين، وإبراز بعض المعاني التي تدعم هدف المخيم المقام.

ويتوقف الإيجاز والإسهاب في هذه المواد على ضيق الوقت وسعته، فقد يقام المخيم لمدة شهر أو شهرين، وقد يقام لمدة أسبوع أو أسبوعين أو يوم أو يومين، ولكل زمان ما يناسبه ثم إنه يختلف نشاط المخيم باختلاف الهدف منه، وباختلاف الأعضاء المشاركين فيه، فقد يكون الهدف منه مدارس حدث معين من أحداث المسلمين الكثيرة والخطيرة، كقضية فلسطين، أو قضية البوسنة والهرسك، أو الصومال، أو إريتريا، أو بعض دول آسيا الوسطى، أو قضية أفغانستان، أو الفلبين أو غيرها من القضايا النازلة بالبلدان الإسلامية أو بلد واحد منها، يراد دراسة القضية من حيث الأهداف - أهداف المسلمين أو أهداف أعدائهم - والأسباب التي نشأت عنها القضية والمؤامرات التي

تحاك لها، وما يجب على المسلمين فعله، وموقف المنظمات الإسلامية الرسمية والهيئات الشعبية، والشبهات التي قد ترد على بعض المسلمين فيها ومحاولة دحضها وإزالتها على ضوء موقف الشريعة الإسلامية منها.

وقد يكون الهدف من المخيم تربية أعضائه أو بعضهم على معاني إسلامية معينة، كقيام الليل، والحفاظ على الأذكار المطلقة والمقيدة، والصبر والإيثار، والأخوة الإسلامية، وقد يكون الهدف منه التدريب على الدعوة وأساليبها وكيفية مخاطبة الناس بالخطبة أو المحاضرة وقد يكون الهدف تدريب بعض الأعضاء على إجادة العمل في بعض الوسائل الإعلامية، كالصحافة والتصوير الفوتوغرافي والتلفزيوني، وصحافة الحائط والملصقات ونحو ذلك، من فنون الإعلام ومواده، كالتمثيلية والمسرحية وإدارة ندوة أو حوار أو مقابلة وقد يكون الهدف منه التدريب على الأعمال الإغاثية، من جمع الأموال والمواد المحتاج إليها للإغاثة، كالأدوية والملابس والأغطية وغيرها، ثم التخطيط لإبلاغها إلى مستحقيها بالطرق الظاهرة والخفية، وكذلك التدريب على الإسعافات الأولية التي تمكن من يشترك في أعمال الإغاثة من مساعدة المرضى والعجزة والمصابين.

وقد يكون الهدف التدريب على أساليب مكافحة نشاطات التنصير في العالم الإسلامي، بالتعرف على المؤسسات النصرانية النشطة، ومصادر دعمها، والبلدان المستهدفة للتنصير، والوسائل المتخذة في ذلك، وما يجب على المسلمين القيام به، وكيف يُفَنَعُ القادرون على مكافحة التنصير بأداء واجهم فيه، من أغنياء الأمة بالتمويل، ومن العلماء الشرعيين بالأسفار إلى تلك البلدان لتبصير الناس بالخطر التنصيري وأساليبه الماكرة، وتعليمهم عقيدة الإسلام وفرائضه، والرد على شبهات المنصرين في تزيين دينهم أو الطعن في دين الإسلام، وكذلك إقناع بعض ذوي الاختصاصات التي يحتاج إليها المسلمون المتسعدون بالتنصير، كالطب والبيطرة والهندسة الزراعية والكهربائية ونحوها، لمشاركة العلماء الشرعيين في مساعدة المسلمين المستهدفين الذي يغريهم النصارى بللمساعدة في تلك المجالات، وهكذا يحدد لكل مخيم هدفه ويخطط في إقامته لتحقيق ذلك الهدف إن المخيمات تعتبر مجالا خصيا لأهل الحق لإبلاغ حقهم إلى عقول الناس وبخاصة الشباب، كما أنها مجال كذلك لإزالة الباطل من العقول وصيانتها منه، إذا ما وجد المشرفون الأكفاء الذين يقومون عليها.

والمناسبات المسوغة لإقامتها كثيرة، والمهم اهتبال الفرص والتخلي بالحكمة والعمل الهادئ، والبعد عن الشعارات المثيرة التي تسبب قطع الطريق على الحق قبل وصوله إلى العقول.

واقع محزن لبعض سفراء المسلمين

وما قيمة سفير علماني أو ملحق علماني يمثل دولة إسلامية، وهل يؤتمن من يكره الإسلام أن ينصر قضايا الإسلام؟! إن كثيرا من سفراء حكومات الشعوب الإسلامية، يسرون في سلوكهم في خط معاكس لمنهج الإسلام، وأمثال هؤلاء إنما يمثلون في حقيقة الأمر منهجا غير منهج الإسلام، وانتسابهم إلى الإسلام يشوه صورته لدى غير المسلمين كيف يمثل الإسلام من لا يصلي جمعة ولا جماعة ولا صلاة العيد مع المسلمين، وبخاصة في البلدان غير الإسلامية، وكيف يمثل الإسلام من يجتسي في الحفلات المختلطة الصاخبة كأس الخمر أمام المأل، وكيف يمثل الإسلام من يراقص النساء الأجنبية، وتراقص امرأته أو ابنته الرجال الأجانب؟! وكيف يمثل الإسلام من يستدعي من بلاده فرق الرقص والغناء لإظهار وجه بلده المسلم بالراقصين والمغنين الذين قد

امتألت بهم كل بلدان العالم!؟

كيف يمثل الإسلام من يجارب الدعاة إلى الله، من الأئمة والخطباء الذين يبينون للناس حقائق الإسلام، ويقف في صف دعاة يحرفون معاني الإسلام ويطوعونها لأهوائه العلمانية!؟

هذه الصورة السوداء هي الغالبة على سفارات كثير من حكومات الأقطار الإسلامية التي لم ترض الإسلام منهجا لحياتها وحياة شعوبها، يعرف ذلك من تجول في عواصم بعض الدول، وبخاصة الدول غير الإسلامية التي تشكو الأقليات الإسلامية فيها شكوى مرة من تصرفات تلك السفارات العابثة ولكن - والحق يقال - يوجد أفراد في بعض السفارات - وإن كانوا قليلين - يمثلون الإسلام خير تمثيل هم وأهلهم. كثر الله من أمثالهم.

أولا: ينبغي أن يكون الملحق الثقافي في سفارته، جامعا بين الشريعة الإسلامية والثقافة العامة، ومضيفا إلى اللغة العربية أو لغة بلاده الإسلامية لغة البلد الذي يعمل فيه، ويكون عنده قدرة على الإجابة عن أسئلة الناس واستفساراتهم الإسلامية التي ليست شديدة الصعوبة، وإذا وجدت أسئلة صعبة يسرع في الاتصال بالعلماء الكبار في بلده للاستفادة منهم، ليفيد الناس بالإجابات الصادرة منهم، وأن يكون قادرا على رد كثير من الشبهات التي يوردها أعداء الإسلام بقصد تشويه صورته، كالمستشرقين والمنصرين والملحدون والإباحيين وغيرهم، وليس من اللائق بملحق ثقافي مسلم يحضر اجتماعا يُتَّهَم فيه الإسلام بالباطل فلا يقدر على تفنيد ذلك الباطل.

ثانيا: ينبغي أن تزود كل سفارات بلدان المسلمين، بمكتبة تضم أهم مصادر الإسلام ومراجعته، في التفسير والعقيدة والحديث والفقه والأصول والتاريخ والحضارة الإسلامية وغيرها من كتب اللغة العربية، وما أمكن من الكتب الإسلامية التي كتبت بلغة البلد الذي فيه السفارة أو يترجم إليها ليتمكن أعضاء السفارة أو أهل البلد من الاستفادة من تلك المكتبة.

ثالثا: ينبغي أن تزود تلك السفارة بكتيبات صغيرة، كل كتيب يتضمن شرح أحد الموضوعات الإسلامية، كالعقيدة المبسطة، لا المعقدة، وبدون ذكر مذاهب الفرق واختلافها، بل تذكر منها العقيدة الإسلامية على بساطتها كما جاءت في القرآن والسنة بعيدة عن الفلسفات الكلامية، وكصفة صلاة النبي - صلى الله عليه وسلم - والطهارة والوضوء، والغسل، وأحكام الصيام، والحج، والزكاة، وغيرها من فروع العين وفروض الكفاية، والمعاملات المشروعة والحرمة، والأخلاق، وبيان شمول الإسلام، وبعض الكتيبات تكون في الرد على الشبهات التي يتهم بها الإسلام، كشبهات المستشرقين والمنصرين وغيرهم، تكتب كلها بلغة البلد الذي به السفارة أو تترجم إلى تلك اللغة، وتوزع على أفراد المسلمين الذين يترددون على السفارة أو على المراكز والمؤسسات الإسلامية والمساجد.

رابعا: ينبغي أن يكون عند كل سفارة إسلامية إمكانات لكتابة نشرات صغيرة وطبعها وتوزيعها، لبيان ما يطرأ في المناسبات والنوازل مما يتعلق بالإسلام، وكذلك إعلانات وملصقات لنشر الوعي بالمعاني الإسلامية.

خامسا: ينبغي أن تتولى السفارة الإسلامية إقامة محاضرات ونلوات، تستضيف لها رجال العلم من بلدها أو من البلد الذي هي فيه، وتدعو لحضورها أعيان البلد ومفكريها، لتوضيح بعض المفاهيم الإسلامية، وبخاصة تلك التي

يتعمد أعداء الإسلام تشويه الإسلام بها، كموضوع المرأة، وموضوع الرق، وموضوع انتشار الإسلام بالسيف، والإكراه على الدخول في الإسلام، وموقف الإسلام من الديمقراطية والتعددية والحزبية ونحوها.

سادسا: ينبغي أن تزود السفارة الإسلامية ببعض أشرطة الكاسيت وأشرطة الفيديو، المشتملة على شرح بعض الموضوعات الإسلامية، إما عن طريق المحاضرات والندوات أو المؤتمرات، أو غيرها من مظاهر الإسلام، كمسيرة الحج والتجمعات الإسلامية كصلاة الجمعة وصلاة العيد، لما في ذلك من تشويق المسلمين وتحريك عواطفهم نحو الإسلام، وتعريف غير المسلمين بذلك، وإهداء تلك الأشرطة للمراكز الإسلامية والمراكز الثقافية غير الإسلامية، وحبذا لو كانت تترجمت بلغة أهل البلد. (١)

(١) ومما ينبغي الاهتمام به الآن: استغلال مواقع في وسيلة «الإنترنت» التي أصبحت في متناول الناس في كل مكان.

سابعاً: أن يغتنم المؤهلون من أعضاء السفارة الفروض والمناسبات والاحتفالات التي يدعون إليها، لشرح قضايا المسلمين وعدلتها ومناصرتها، والبعد عن الحيف فيها، ويفعلون ذلك كذلك بالتصريحات في أجهزة الإعلام، وبخاصة الغربية منها، ليوصلوا إلى عقول الناس والرأي العام حقائق الأمور المتعلقة بالمسلمين والتي قلبها أعداء الإسلام بطرق شتى منها أجهزة الإعلام، بحيث أصبح المظلوم بسبب ذلك ظالماً، والمعتدي الظالم مظلوماً، كما هو الشأن في قضية فلسطين وغيرها.

مسؤولية الموسرين في السباق إلى العقول

ومن هنا يجب أن يعلم الأغنياء والموسرون عظم مسئوليتهم أمام الله في السباق إلى العقول بالحق، فأكثر الأغنياء لا قدرة عندهم على أن يباشروا بأنفسهم العمل في هذا الميدان، إما لعدم العلم الذي به يسابقون إلى العقول، وإما لضيق أوقاتهم ومشاغلتهم الكثيرة في جمع المال وحفظه وتصريفه، ولكنهم قادرون على تحريك كل قادر على الإسهام في هذا الميدان بكل الوسائل السابقة وإذا كان الواجب على العالم أن يبين بعلمه الحق للناس ويسبق به أهل الباطل إلى العقول، وإذا كان الواجب على المعلم أن يجتهد في تعليم النشء العلوم الإسلامية وما يخدمها، وإذا كان الواجب على الإعلامي أن يوصل الحق إلى عقول الناس في تخصصه، وإذا كان الواجب على القادر على التأليف أن يعكف على الكتابة ويخرج للناس الحق في كتب ونشرات، وإذا كان الواجب على المهندس أن يصنع الميكروفون واللاقط والراديو والمسجل والكاسيت، لنقل الحق إلى عقول الناس، فإن الواجب على الغني أن يمول كل أولئك وتخصصهم مما رزقه الله.

وكل وسيلة للسباق بالحق إلى العقول، يتوقف استغلالها على المال، فإن إثم العجز عن استغلالها يقع على أغنياء الأمة الإسلامية، وبخاصة ولاية الأمر فيها فكم من داعية يحترق قلبه يرغب في التنقل وإبلاغ الحق والسبق به إلى العقول أقعده عدم المال عن بغيته؟

وكم معلم كفاء قادر على تعليم أبناء الأمة الإسلامية ما ينفعهم ويوصل الحق إلى عقولهم، عجز عن وظيفته بسبب حاجته وكده لجمع رزقه ورزق أهله، ولم يجد من ينفق عليه ليتفرغ للتعليم؟ وكم كاتب عنده من الأفكار ما يحمي

به عقول أبناء المسلمين من الباطل ويوصل به الحق إلى تلك العقول، لم يجد صحيفة تنشر له أفكاره؟
وكم مؤلف تكذبت عنده الكرايس النافعة المفيدة لم يجد من ينشر له كتبه؟
وكم قرية أو مدينة أو حارة احتاج أهلها إلى إقامة مسجد أو وجود إمام كفء متفرغ، لم يتح لهم ذلك بسبب عدم وجود المال؟

وكم بلد يمكن أن تتخذ فيها وسائل إعلام لنشر الحق والرد على الباطل، لم يحظ أهله بذلك للعجز المالي؟
وكم من الناس يتيه في ضلال الكفر وسبب الأخلاق، لم يجد من يهديه إلى الإسلام ومكارم الأخلاق، ولو وجد المال لوجد الهادي؟

إن غنيا واحدا من أغنياء المسلمين، قادر على إنشاء جامعات وتمويلها، وإن غنيا آخر، قادر على إنشاء إذاعة أو إذاعات وتمويلها، وإن غنيا واحدا قادر على إنشاء محطة فضائية أو محطات للبث التلفزيوني وإن غنيا واحدا قادر على إنشاء عدد من الجوامع والمساجد والإنفاق عليها وإن غنيا واحدا قادر على إيجاد مطبعة أو مطابع لنشر الكتب والعلم والفكر وإن غنيا واحدا قادر على إنشاء دار أو دور للترجمة وتولي الإنفاق عليها وإن غنيا واحدا قادر على كفالة عدد من الدعاة في أقطار العالم، وعلى الإنفاق على قوافل منهم تجوب الأرض لإبلاغ الحق إلى عقول الناس وإن غنيا واحدا قادر على كفالة عدد من الطلبة المسلمين لإكمال دراساتهم في مجالات متنوعة من التخصصات وإن غنيا واحدا قادر على إيجاد وسائل مواصلات، في البر أو البحر أو الجو للدعوة إلى الله ومنافسة أعداء الله من المنصرين.

وإن غنيا واحدا قادر على إيجاد ملاجئ لأيتام المسلمين، الذين نزلت بهم نوازل العدوان والحروب والمجاعات والكوارث، فتسابق إلى إيوائهم وملء عقولهم بالباطل أهل الباطل من اليهود والنصارى والملحدون، ولو بذل الغني المسلم من ماله ما يوفر لهم الملجأ والطعام والشراب، والدواء والمدرس، لصان بذلك عقولهم من الباطل وملأها بالحق فكيف لو اجتمع أغنياء المسلمين ونسقوا فيما بينهم، وأسئلوا وضع أهداف السباق إلى العقول وخططها ووسائلها إلى أهل العلم والدعوة والفكر والخبرة، ثم شرعوا في بذل الأموال واستثمارها وتجهيزها على مصالح المسلمين التي تحقق تلك الأهداف والخطط والوسائل.

أولويات ينبغي لذوي اليسار معرفتها للعمل الإسلامي

وينبغي أن يعرف أغنياء الأمة الإسلامية وحكامها أولويات الأعمال الإسلامية، حتى يهتموا بالأولى فالأولى منها، لما في فواتها من فوات مصالح عظيمة، وحصول مفسد مهلكة، ونلخص ذلك في الأمور الآتية:
الأمر الأول: أنه يوجد كثير من أهل اليسار يحبون الخير ويحاولون بذل شيء من أموالهم في الأعمال الخيرية، ولكن ينقصهم معرفة الأولويات، ولذلك قد يقدمون الحاجي على الضروري والتحسيني على الحاجي، والواجب أن يدرسوا الميادين الخيرية ويقدموا الأهم على ما سواه الأمر الثاني: أن كثيرا من الأغنياء تخدعهم المشروعات الجماهيرية، والدعايات والصور وإحسان عرض المشروعات، بأهداف وخطط ووسائل ووساطات، وقد يكون كثير ممن يتقنون ذلك العرض مباغين في مشروعاتهم، وقد يكون بعضهم مرتزقة ومتكسبين بأعمال خيرية وهمية، والواجب التريث والتبين بالطرق الممكنة من صدق أولئك، وحجدا لو أوفد المحسن من يتعرف له على المشروعات المدعاة بطريقة خاصة.

الأمر الثالث: أن بعض الأغنياء يربطون مساعداتهم بفئة معينة، وقد توجد فئات غيرها أكثر نشاطا منها وأشمل نفعاً وأصفى منهجاً وأعظم تأثيراً في الناس، كما أن بعض الأغنياء يتجهون إلى أعمال خيرية ناعمة، ولكنها يوجد منها ما فيه غنية، والحاجة داعية إلى أعمال خيرية غير موجودة أو يوجد منها ما لا يكفي، فقد تجد من يكثر من بناء المساجد في أماكن تكثر فيها المساجد، ولا يوجد من يصلي في بعضها، ويهملون بناء المدارس في تلك الأماكن التي لا توجد بها مدارس، بل قد توجد مدارس غير إسلامية نصرانية أو غيرها تفسد أبناء المسلمين في عقائدهم وأخلاقهم الأمر الرابع: أن عدم وجود تنسيق بين المحسنين من الأغنياء، قد يجعل نشاطهم يتراكم في ميدان واحد وفي بلد واحد أو في فئة معينة، وقد يكون ذلك الميدان أو البلد أو الفئة جديرة بالاهتمام، ولكن ميادين أخرى وبلداناً أخرى وفئات أخرى محرومة من العون والمساعدة، وهي لا تقل أهمية عن غيرها، ولو وجد تنسيق واتفاق لوصل الخير إلى الجميع.

الأمر الخامس: أن في الشريعة الإسلامية باباً من أبواب الخير جرب نفعه فترات طويلة من الزمن، وقد كاد يندثر الآن بسبب وجود حكومات علمانية تحارب الإسلام وكل الوسائل التي تدعم بقاءه وانتشاره، وقد قضت على ذلك الباب في كثير من بلدان المسلمين، ألا وهو الوقف الذي يستمر نفعه ويعم في ميادين كثيرة، فلو اتجه الأغنياء إلى إحياء هذا الباب وحس كل غني أو عدد من الأغنياء بعض المرافق، كالبساتين والعمارات والدكاكين على مشروع من المشروعات الخيرية، كمدرسة، أو مركز إسلامي، أو جهاز إعلام إسلامي، أو مطبعة إسلامية، أو دار ترجمة أو دار نشر، أو غيرها من الوسائل التي يتم بها السباق بالحق إلى العقول، لكان لذلك ثماره العظيمة في هذا المجال، وقد يترك الواقف واستثماراته هيئة يوثق بها علماً وأمانة ووعياً ومعرفة بمقاصد الشريعة الإسلامية لتنفق منه بحسب ما ترى من المصلحة بعد دراسة وتبنيته وإذا رؤي أن مؤسسة ما من المؤسسات تستحق أن يوقف شيء على نشاطها المفيد نفذ ذلك.

وهذا خير من ترك الأمور بدون تنظيم وترتيب، وإيجاد شيء ثابت ينفق منه عند الحاجة، أولى من الإنفاق العشوائي الذي يكثر بسبب كثرة الطالبين للمساعدة في مواسم معينة، قد يوجد من يستحق منهم وقد يوجد من لا يستحق ويمكن التغلب على محاربة أعداء الإسلام للأوقاف النافعة، باختيار بعض البلدان الإسلامية التي يرجى أن تسلم الأوقاف فيها من اعتداء حكوماتها عليها لتستثمر فيها، أو بعض البلدان غير الإسلامية التي فيها نوع ضمان (١) لمثل ذلك، وللحيل الشرعية نفعها في هذا الباب الأمر السادس: ينبغي لأغنياء المسلمين عندما يسافرون إلى خارج بلدانهم سواء أكانت بلداناً إسلامية أو غير إسلامية، أن يزوروا المراكز والمؤسسات والمدارس الإسلامية، ويتفقدوها ويعرفوا مدى نشاطها وصالح منهجها - إن كانوا قادرين على ذلك، وإلا أخذوا معلومات عنها وعرضوها بعد رجوعهم على أهل العلم والخبرة بالمنهج، ليرشدوهم إلى صلاح تلك المنهج أو عدم صلاحها - فإذا كانت صالحة قدموا لها المساعدة للمستطاعة ليستمر نفعها، وزيارة هذه المؤسسات أولى من الزيارات السياحية المباحة - بله المكروهة أو المحرمة - ويمكنهم الجمع بين السياحتين المباحة والمنلوبة _____

(١) وهو أكثر رجاء من كثير من البلدان الإسلامية.!!!

ولو أن التجار والأغنياء الذين يزورون كثيراً من البلدان في الخارج - أي في خارج بلدانهم - تفقدوا المراكز والمدارس والمؤسسات الإسلامية ورأوا نشاطها وحاجتها إلى المساعدة، لربما رقت قلوبهم وشعروا بأن من واجبهم

مساعدة تلك المؤسسات والأخذ بيدها، وخاصة المؤسسات الموجودة في البلدان غير الإسلامية التي تستفيد منها الأقليات الإسلامية الأمر السابع: أن كثيرا من أغنياء المسلمين لا يذلون المال إلا في إغاثة المنكوبين من المسلمين، إما بكوارت طبيعية كالفيضانات والزلازل والحروب، وما شابه ذلك، حيث يرون المنكوبين وقد أخذ الجوع أو العطش أو المرض أو الجراح أو غيرها تحصلهم حصدا، فيسرعون إلى إغاثتهم، وذلك أمر مطلوب بل فرض كفاية تأثم الأمة الإسلامية إذا لم يوجد فيها من يقوم به قياما كافيا، ولكن أولئك الأغنياء يغفلون عن مجالات الوقاية من الكوارث والنكبات قبل نزولها.

ومن أمثلة ذلك: أن بعض الشعوب الإسلامية معرضة للاعتداء عليها من قبل بعض الدول الكافرة، ويعرف الأغنياء المسلمون بما فيهم بعض الحكام أن تلك الشعوب الإسلامية تحتاج إلى المال الذي يمكنها من الدفاع عن نفسها إذا هجم عليها ذلك العدو، فلا تجد من يمد لها بالمال المطلوب، حتى ينفذ العدو عدوانه عليها، ويقضي على كل مؤسساتها الدينية والتعليمية والاقتصادية وغيرها، فيهدم بيوتها ويقتل رجالها ويرمل نساءها ويتم أطفالها الذين يشردون في العراء جوعى عطشى جرحى مرضى، وعند ذلك يبذل الأغنياء بعضا من أموالهم، لإنقاذ حياة بعض من نزلت بهم النكبة، واحتل العدو ديارهم ونهب أموالهم وسبى ذراريهم ولو أنهم - الأغنياء - جادوا ببعض أموالهم تلك قبل الاعتداء لكان في ذلك وقاية من الاعتداء قبل وقوعه، فهل يعي الأغنياء هذا الأمر!؟

الوسيلة السادسة عشرة: سباق المواقع أي أن يقوم كل شخص من المسلمين القادرين على السباق بالحق إلى العقول من موقعه الذي هو فيه بهذا السباق وليس لقادر عذر في ترك القيام بهذه الوسيلة، لأنه لا يكلف الانتقال بالسباق إلى موقع آخر، حتى يعتذر بالوقت أو بالمال أو غير ذلك، فالمطلوب منه أن يتخذ الوسائل الممكنة للسباق بالحق إلى العقول في محيطه الذي هو فيه فرب الأسرة أو أي عضو من أعضائها، عليه أن يحصن عقول أفراد أسرته من الباطل، ويوصل إليها الحق في محيط أسرته وأقاربه، والجار عليه أن يفعل ذلك مع جيرانه - من أمكن منهم - والمدرس مع زملائه المدرسين وطلابه، والطالب مع زملائه، ويمكن أن يفعل ذلك مع أساتذته بالحكمة والأدب والأسلوب المناسب والمدير يفعل ذلك مع موظفيه الصغار والكبار والموظف يفعل ذلك مع زملائه وخدمه والطبيب يفعل ذلك مع مرضاه ومراجعيه وزملائه، والمهندس يفعل ذلك مع زملائه وعماله، ورئيس المصنع يفعل ذلك مع موظفيه وعماله، وهكذا كل موظف مع زملائه ومن هم تحت إدارته والوزير في وزارته من أعلاها إلى أسفلها، ورئيس الدولة مع من هم تحت يده، والقادرون على فعل ذلك مع رئيس الدولة يفعلون ذلك معه.

وفرق الرياضة فيما بينهم ومع الفرق الأخرى المشاركة لهم في رياضتهم، ومسؤولو النوادي مع من هم تحت يدهم، وكل عضو يفعل ذلك مع العضو الآخر. وهكذا الخبراء في مجال خبراتهم فخبراء المناهج يراعون في وضع المناهج هدف السباق إلى العقول بالحق وصيانتها من الباطل ومؤلفو الكتب الدراسية يضعون ذلك الهدف في تأليف كتبهم وهكذا لا يبقى أحد قادر على السباق إلى العقول بالحق إلا أمكنه القيام بذلك في موقعه وقد تتعدد المواقع للشخص الواحد، كأن يكون رب أسرة وإمام مسجد، أو مدير مدرسة، أو رئيس شركة، أو قائد كتيبة، أو ضابط عادي أو جندي أو غير ذلك وقد يكون موقع الشخص واسعا، كرئيس الدولة المسؤول عن رعيته كلها، فهو قادر بما يمكنه الله من المسؤولية الأولى، أن يأمر وأن يعين المأمور بما يحتاج إليه، وأن يعين من يتابع الأمر حتى ينفذ، وأن يكون اللجان التي تبلغه بما يوجد من باطل قد غرس في العقول أو يراد غرسه، فيتخذ التدابير اللازمة في أي مرفق لصيانة

العقول وتصفيتهما مما علق بها، وبالحق المفقود الذي يجب أن يصل إلى العقول فيتخذ التدابير اللازمة لإبلاغ ذلك الحق إلى العقول.

وهو كذلك مسؤول عن إبلاغ الحق إلى من أمكنه إبلاغه إليه من غير رعيته، للعلاقات الواسعة مع البلدان الأخرى، وبما عنده من إمكانيات الاتصال برؤساء الدول الأخرى اتصالاً شخصياً، أو عن طريق أي وسيلة من وسائل الاتصال، وبما عنده من وسائل الإعلام التي يمكن أن تصل إلى شعوب كثيرة مجاورة وغير مجاورة، عن طريق الإذاعة والتلفاز والأقمار الصناعية وغيرها إن وسيلة المواقع وسيلة واسعة إذا نظرنا إليها هذه النظرة الشاملة، بحيث يقوم كل فرد وكل شركة أو مؤسسة، بالسباق بالحق إلى العقول من مواقعهم، فما من صاحب حق قادر على السباق به إلى العقول إلا كان في موقع أو مواقع (١) وليلعلم صاحب كل موقع قادر على صيانة عقول من هم في موقعه من الباطل أو إبلاغ الحق إليها، ثم لم يفعل ولم يقم بذلك غيره قياماً كافياً، أنه آثم سيسأله الله عن ذلك يوم لقائه وهذه الوسيلة جدية بأن تسمى دعوة المواقع أو سباق المواقع وبهذا ينتهي الكلام على القسم الأول من وسائل السباق إلى العقول بالحق وهو الوسائل السلمية (٢)

(١) فالشخص أو الجماعة قد ترى موقعها ضيق المساحة، لكن المساحة هي الأرض كلها بالنسبة لكل المواقع في سفر أو حضر (٢) انظر ص ١٩٦ من النسخة المخطوطة باليد.

الوسيلة السابعة عشرة: الجهاد العسكري كل الوسائل الماضية وغيرها تشملها كلمة الجهاد في سبيل الله لأن الجهاد قسمان: قسم معنوي، وقسم مادي، فالوسائل الماضية من قسم الجهاد المعنوي، والجهاد المادي هو الجهاد القتالي الشامل لإعداد الرجال والعتاد، ومقارعة طغاة الباطل الذين يصدون عن سبيل الله بالسيف والصاروخ. (١) والجهاد العسكري ليس وسيلة للسباق إلى العقول بالحق بالإكراه، فلا إكراه في الدين، ولو أن أحداً أكره أحداً على أن يصرح بأنه مؤمن بدينٍ ما من الأديان، وقلبه غير مؤمن به في الواقع، لما كان للإكراه معنى إلا العدوان وإنما الجهاد وسيلة لتحطيم السدود وإزالة العقبات التي تقف في طريق إبلاغ الحق إلى عقول الناس فإذا ما تمكن أهل الحق من إبلاغ الحق إلى عقول الناس، وتمكن الناس من سماع الحق دون عقبات، فلا سبيل بعد ذلك إلى إكراه أحد ممن بلغه الحق على اعتقاده، بل إن شاء قبله وإن شاء رفضه وحسابه على الله

(١) راجع كتاب الجهاد في سبيل الله حقيقته وغاياته (١ / ٢٧٣ - ٥٣٧) للمؤلف.

لكن لما كان أعداء الحق من الطغاة يضيّقون بالحق، ولا يأذنون لأهله بأن يبلغوه للناس، بل يجارونه ويجارونهم، ويمنعون الناس من سماع الحق، ليختاروا الإيمان به أو رفضه، وفي نفس الوقت يتخذون كل وسيلة للسباق بالباطل إلى عقول الناس. فإن الله تعالى شرع لأهل الحق أن يجاهدوا أولئك الطغاة بالحديد، ليتمكن أهل الحق من تبليغ الحق، ويتمكن الناس من سماعه وقد دل التاريخ والقرآن والواقع، أنه لا غنى لأهل الحق عن اتخاذ وسيلة الجهاد العسكري، لصيانة عقول الناس من الإكراه على اعتقاد الباطل، وليتمكن أهل الحق من إبلاغ الحق إلى عقول الناس دون إكراه على اعتقاده. (١)

(١) للجهاد أهداف أخرى فصلت في المرجع السابق (١ / ١٠٧ - ١١٦).

وما نشاهده في هذا العصر من محاربة الإسلام والدعاة إليه، بل من الاعتداء على المسلمين، لإجبارهم على التخلي عن دينهم والدخول في الأديان الوثنية والنصرانية، كما هو الحال في الهند والبوسنة والمهرسك، وما يحصل في بعض البلدان الإسلامية، من حكوماتها العلمانية التي تُظهر - ولا تخفي - حربيها لدعاة تطبيق الشريعة الإسلامية، كل ذلك يدل دلالة واضحة أن هذه الوسيلة هي أنجع الوسائل - بعد أن أخفقت وسائل كثيرة من الوسائل المعنوية في رد أعداء الإسلام إلى صوابهم - في إتاحة الفرصة للحق، ليصل إلى عقول الناس، ولصيانة تلك العقول من الباطل قيص الله للمسلمين من يقودهم بالجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، والله غالب على أمره وتحطيم الحواجز التي يضعها الطغاة في طريق أهل الحق، لإبلاغه إلى عقول الناس أمر مشروع، لأن إبلاغ الحق إلى تلك العقول مشروع ولا يمكن أن يصل إليها إلا بتحطيم تلك الحواجز، وتلك الحواجز هي الطغاة الذين يقفون ضد الحق بالقوة.

وهاهم أهل الباطل اليوم يتذرعون بما يدعون به من حقوق الإنسان، ليسقطوا دولا يزعمون أنها تقف ضد حقوق الإنسان في شعوبها، ووصل الأمر بهم أن يعتبروا من حقوق الإنسان عدم تطبيق الشريعة الإسلامية في أي بلد إسلامي، ولو كان غالب أهل البلد ينادون بتطبيق الشريعة في بلدهم، بل ولو أجريت انتخابات حزبية تعددية باسم الديمقراطية التي هم يزعمون تقديسها وعدها من حقوق الإنسان في الشعوب، وفاز دعاة تطبيق الشريعة الإسلامية فوزا ساحقا، فإن أعداء الإسلام ودعاة حقوق الإنسان ومقدسي الديمقراطية، يقفون بدون حياء بجانب فئة قليلة من عبيدهم وأذنابهم العلمانيين، لسحق الأغلبية المسلمة من الشعب، لئلا يستقر الحق ويعلو ويزهق الباطل ويزول وإذا كان هذا هو موقف أهل الباطل من أجل حمايته وحماية العقول من نفاذ الحق إليها، فإن أهل الحق أولى بتحطيم سدود أهل الباطل - لا لإكراه الطغاة المردة أنفسهم على اعتقاد الحق ولكن - لإيصال الحق الذي يحملونه إلى الناس، وليسمع الناس دعوتهم إلى الحق وبيانه، ثم يقرروا - دون إكراه - اعتقادهم الحق أو عدم اعتقاده ولنضرب مثلا يقرب هذا المعنى:

حارة شب فيها حريق، فجاءت نجدة الإطفاء لإطفاء الحريق، وجاءت نجدة الإسعاف الطبي لنقل المصابين إلى المستشفيات لمعالجتهم، فوجدت النجدة رجلين مسلحين يحيطون بتلك الحارة التي أصابها الحريق، يمنعون نجدة الإطفاء من إطفاء الحريق، ويمنعون نجدة الإسعاف الطبي من إسعاف المصابين، ويمنعون أهل الحارة من الهرب منها لينجوا بأنفسهم من الموت ألا يجب في هذه الحالة على الدولة أن تبعث فرقا من الشرطة أو الجيش، لطرد المسلحين الظالمين الذي يحيطون بالحارة المحروقة، لإجبار أهلها على البقاء في هب النار ليحترقوا، ومنع من يريد إسعافهم من الوصول إليهم لإنقاذهم!؟

لا بد أن يكون جواب كل عاقل بالإيجاب وهكذا يجب أن يزال طغاة الباطل من طريق الحق، ليصل إلى عقول الناس، ومن طريق الناس ليصل إليهم الحق.

فالباطل أشد خطرا من النار، والحق أكثر ضرورة من الإطفاء والإسعاف، والناس الذين يحجر عليهم الطغاة ولا يأذنون لهم بسماع الحق وفهمه، أعظم حاجة إلى إطلاق حريتهم من الذين شب الحريق في منازلهم، وأهل الحق أجدر بالوصول إلى الناس من فرق الإغاثة المادية لإغاثتهم بالحق، وطغاة الباطل الذين يمنعون وصول الحق إلى الناس أولى بالاستتصال من مانعي نجدة الإطفاء من الحرائق، ونجدة إسعاف المصابين. فغاية ما يسببه الحريق هو تلف الأموال والنفوس في الدنيا، والأموال تعوض والنفوس لها آجال لا بد منها، والنفوس التي تموت وهي مؤمنة ستنتال

الغراب الجزيل والفوز الدائم برضا الله وجنة الخلد أما البقاء في ضلال الكفر وظلماته واتباع الباطل والبقاء في ظلماته، فإن نهايته الشقاء والنكد في الدنيا، والوقوع في سخط الله والعذاب الدائم في نار جهنم والعياذ بالله.

غايات أهل الباطل في السباق إلى العقول

كما أن لأهل الحق غايات في سباقهم بالحق إلى العقول، فإن لأهل الباطل - كذلك - غايات في سباقهم بباطلهم إلى العقول، وقد لا يصرحون بتلك الغايات، ولكن أعمالهم وتصرفاتهم تدل على غاياتهم ولندكر أهم غاياتهم تلك إجمالاً، ثم نشرع في تفصيلها:

الغاية الأولى: التمتع المطلق بكل ما في الحياة الدنيا الغاية الثانية: الصد عن سبيل الله الغاية الثالثة: تكذيب الرسل الغاية الرابعة: الحول بين الناس وبين إقامة الحججة عليهم الغاية الخامسة: إخراج الناس من النور إلى الظلمات الغاية السادسة: إحلال الشرك محل التوحيد الغاية السابعة: إنكار الإيمان بالغيب الغاية الثامنة: محاربة الحكم بما أنزل الله الغاية التاسعة: محاربة الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين الغاية العاشرة: غرس الأخلاق الفاسدة في نفوس الناس الغاية الحادية عشرة: الإفساد في الأرض الغاية الأولى: التمتع المطلق بكل ما في الحياة الدنيا.

وكلمة: [المطلق] هنا مقصودة، لأن أهل الحق يتمتعون بكثير مما يتمتع به أهل الباطل، من مأكّل ومشرب ومنكح ومسكن ومركب ومنصب وجاه، وغير ذلك، ولكن تمتع أهل الحق بذلك ليس تمتعاً مطلقاً، وإنما هو مقيد بما أذن الله فيه وشرعه بخلاف أهل الباطل، فإنهم يتمتعون بكل ما في الأرض تمتعاً مطلقاً، أي خالياً من كل قيد، من دين أو خلق، ودون معارض من رسل أو أنبياء ودعاة خير، ولا يقيدهم إلا قيد واحد فقط، وهو عدم القدرة على تناول ما يشتهون وهذه الغاية لا تتحقق لهم إلا إذا كثر أهل الباطل كثرة، لا تدع مجالاً لأهل الحق في صدهم عن الوصول إلى غاياتهم تلك، ولذلك فهم يسعون جادين في سباقهم إلى عقول الناس، ليكسبوا أكبر عدد منهم، ليقفوا في صفهم للوصول إلى غاياتهم تلك وصد من يحاول منعهم منها وقد أبرز الله تعالى هذه الغاية في كتابه، والواقع يشهد بها، قال تعالى: { وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ } (١) وقال تعالى: { ذُرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُهُمُ اللَّامِلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ } (٢) _____

(١) محمد: ١٢ (٢) الحجر: ٣.

وقال تعالى: { لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ } (١) وقال تعالى: { لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ } { مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ } (٢) وفي هذه الآيات يهدد الله تعالى الكافرين الذين جعلوا غاياتهم التمتع بالحياة الدنيا، وحرصوا على تحقيق هذا التمتع الذي ألهاهم عن عبادة الله وطاعته وطاعة رسله بما ينظرهم من جزاء يوم القيامة وقال تعالى: - مبينا نوعاً من أنواع هذا التمتع وهو العلو في الأرض - { إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُدْبِحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ } (٣) _____

(١) العنكبوت: ٦٦ (٢) آل عمران: ١٩٦ ، ١٩٧ (٣) القصص: ٤.

وبين تعالى شيئا من علو فرعون، في قوله تعالى: { وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ } { أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ بَيْنُ } { فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ

أَسْرُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ { فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ } (١) فغاية فرعون - وكذلك كل الفراعنة - العلو في الأرض بالملك والمال وكثرة الأتباع، ولذلك يحاولون خداع الجماهير والشعوب بمظاهر ملكهم وضعف أهل الحق والوقوف ضدهم وقال تعالى عن فرعون، أيضا - وقد أرسل إليه موسى يدعوه إلى طاعة الله، مع ما لدى موسى من آيات دالة على صدق رسالته - { فَكَذَّبَ وَعَصَى } { ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى } { فَحَشَرَ فَنَادَى } { فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى } (٢) _____

(١) الزخرف: ٥١ ، ٥٤ (٢) النازعات: ٢١ ، ٢٤ .

وقال تعالى - عن نموذج من نماذج التمتع بالمال والغنى والترف - في قصة قارون : { إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ } { وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ } { قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ } { فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ } (١) _____

(١) الآيات من سورة القصص.

وهذا الاحتفاء بمن عندهم متاع الحياة الدنيا، هو من غاياتهم التي يريدون تحقيقها، وهم يعلمون أنهم لا يحفي بهم وهم على باطل إلا أتباعهم من أهل الباطل، وأما أهل الحق فلا يعبأون بما عندهم من متاع الحياة الدنيا، ولهذا فإن أهل الباطل يضيقون ذرعا بأهل الحق، لعدم اغترارهم بما عندهم، كما قال تعالى في هذه القصة: { وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ } . (١)

فالميزان يختلف عند هؤلاء وأولئك: أهل الحق يزنون الناس وما يملكون بالإيمان والعمل الصالح والصبر، وهي الصفات التي يترتب عليها رضوان الله وثوابه، وأهل الباطل يزنون الناس بما عندهم من ملك وغنى وشتان شتان

(١) القصص.

ومما يدل على أن أهل الباطل يضيقون ذرعا بأهل الحق ونصحهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ليقيدوا تمتعهم في الحياة الدنيا بقيود شرع الله: موقف قوم شعيب من نصحه لهم بالترام عبادة الله وحده والعدل وترك الظلم والفساد، كما قال تعالى: { وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ } { وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ } { بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ } { قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتِكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ } (١) _____

(١) الآيات من سورة هود.

الغاية الثانية: الصد عن سبيل الله هذه هي الغاية الرئيسية الثانية التي يريد أهل الباطل تحقيقها في السباق إلى العقول، وهي الصد عن سبيل الله ومحاربة الحق وأهله، ونصر الباطل وتبنيته في الأرض، أي تحقيق كل ما يصاد غايات أهل

الحق ويخالفها من غايات وقد أوضح القرآن الكريم في آيات كثيرة منه أن أهل الباطل كلهم يصدون عن سبيل الله، سواء في ذلك أهل الكتاب من اليهود والنصارى، أو المشركون الوثنيون أو المنافقون وفعل: "صَدَّ" يأتي لازماً، ومعناه انصراف الصاد عن الشيء والامتناع من قبوله، ويأتي متعدياً، ومعناه صرف غيره عن الشيء وعن قبوله، ولا يصرف الإنسان غيره عن الحق إلا إذا كان هو نفسه قد انصرف عنه، لأن صاحب الحق لا ينصرف عنه ولا يصرف غيره قال تعالى عن أهل الكتاب: { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } (١) _____

(١) آل عمران: ٩٩.

وقال تعالى عن علمائهم وعبادهم: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ } (١) وقال عن اليهود منهم: { فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّت لَّهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا } (٢) وقال تعالى عن المشركين: { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بِطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ } (٣) وقال تعالى: { الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ } (٤) وقال تعالى: { الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَلُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ } إلى قوله: { ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ } (٥) _____

(١) التوبة: ٣٤ (٢) النساء: ١٦٠ (٣) الأنفال: ٤٧ (٤) النحل: ٨٨ (٥) محمد: ١ ، ٣.

وقال تعالى عن المنافقين - النفاق الاعتقاد - : { وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا } (١) وقال تعالى: { اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ } (٢) وقال تعالى: { اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (٣) هاتان هما الغايتان الرئيستان اللتان يضعهما أهل الباطل نصب أعينهم في سباقهم إلى العقول بباطلهم: التمتع بكل ما في الحياة الدنيا بدون التقيد بشرع الله، والصد عن سبيل الله من أجل إبطال الحق وتثبيت الباطل _____

(١) النساء: ٦١ (٢) المجادلة: ١٦ (٣) المنافقون: ٢.

الغاية الثالثة: تكذيب الرسل والكفر بالوحي إن أقوى وسيلة يتمكن بها أهل الباطل، من الخلاص من التقيد بدين الله، ومن الاستجابة لرسله، عليهم الصلاة والسلام، هي: تكذيب أولئك الرسل في دعواهم أن الله تعالى بعثهم إلى الخلق هدايتهم بوجه، ووصف أولئك الرسل بصد ما يتصفون به من الصفات الحميدة التي أهلهم لاختيار الله لهم رسلا إلى الناس، فيصفونهم بالضلال بدل الهدى، وبالفسف بدل الرشد، وبالجنون بدل كمال العقول، ويجعلونهم محلا للسخرية والاستهزاء بدلا من الاحترام والتوقير ويعتون الوحي الذي أنزله الله عليهم وجميع الكتب السماوية التي نزل بها جبريل من عند الله - وآخرها القرآن الكريم - بأنها أساطير الأولين وبأنها كذب وافتراء قال تعالى عن فرعون وقومه في موسى - عليه السلام - : { وَفِي مُوسَى إِذِ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ } { فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ } (١) _____

(١) الذاريات: ٣٨ ، ٣٩.

وأخبر تعالى أن دأب الأمم المكذبة لرسله عليهم الصلاة والسلام في كل الأزمان، هو الاستهزاء والسخرية بهم، كما قال تعالى: { يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } (١) وقال تعالى: { كَذَلِكَ مَا

أتى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ { أَتَوَصَّوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ } (٢) وهكذا وصفوا
بينات الرسل أنها سحر، كما قال تعالى عن فرعون وقومه: { فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ
مُفْتَرَى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ } (٣)

وقال عمن كفر بعيسى من بني إسرائيل: { فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ } (٤) _____

(١) يس: ٣٠

(٢) الذاريات: ٥٢ ، ٥٣ (٣) القصص: ٣٦ (٤) المائدة: ١١٠.

وقال تعالى عن المشركين الذين كفروا بالوحي المنزل على رسولنا محمد - صلى الله عليه وسلم - : { وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرَىٰ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ } (١) وقال تعالى عنهم: { وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ } (٢) وقال تعالى عنهم: { وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ } (٣)

(١) سبأ: ٤٣ (٢) الأنعام: ٧ (٣) الحجر: ٦.

الغاية الرابعة: الحَوْلُ بين الناس وإقامة الحجة عليهم وبحصل ذلك بإعراض قادة الباطل عن سماع الحق الذي يأتي به
أهله، وبحض غيرهم على الإعراض عن حجج الحق وتدبرها والإصغاء إليها، بل وأمرهم بإحداث اللغط والضوضاء
عندما يدعو أهل الحق إليه، كما قال تعالى عنهم: { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ
تَعْلَمُونَ } (١) . وقال تعالى: { وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ
فَاعْمَلْ إِنَّا نَحْمِلُونَ } (٢) وليس من شرط هذا الحَوْلُ وتحققه أن يصرح أهل الباطل بمثل ما دلت عليه الآيات
المذكورتان، فيقولوا: لا تسمعوا كلام الدعاة إلى الله، أو أن على قلوبنا أغطية لا يصل إليها ما يدعون إليه، بل
يتحقق بكل سبيل يؤدي إلى ذلك الحَوْلُ، كوضع مناهج تعليمية، أو برامج إعلامية، أو نواد ثقافية، أو رياضة، أو
دور سينما، أو غيرها مما يلهي الناس ويشغلهم عن سماع الحق وحججه ودلائله، وهذا الأسلوب أشد تأثيراً في
الناس من الأمر الصريح بالإعراض عن الحق (٣) _____

(١) فصلت: ٢٩ (٢) فصلت: ٥ (٣) وسيأتي الحديث عن الوسائل في مكانه ، هذا مع العلم أن بعض الغايات قد
تكون وسائل الى غيرها من الغايات ، فكون أمرٍ ما وسيلة أو غاية أمرٍ نسبي.

الغاية الخامسة: إخراج الناس من التور إلى الظلمات كما قال تعالى: { وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ
يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ } (١) _____

(١) البقرة: ٢٥٧. وقد سبق بيان النور والظلمات ، عند الكلام على غايات أهل الحق ، ومنها: إخراج الناس من
الظلمات إلى النور.

الغاية السادسة: إحلال الشرك محل التوحيد ويكون ذلك بتفديس الطواغيت التي تنصب نفسها أو ينصبها غيرها
آلهة للبشر، سواء أكانت قبوراً أو حجارة أو أشجاراً أو حيوانات، أو هي من علماء السوء الذين يشترون بآيات
الله ثمناً قليلاً، كما فعل علماء اليهود من قبل وغيرهم، من أمثال المجالس النيابية أو البرلمانية التي تعطي نفسها حق

التشريع الذي يحل ما حرم الله، ويجرم ما أحل الله، تحقيقاً لمصالح الطواغيت الحاربين للإسلام وشريعته ويدخل في ذلك طواغيت الحكام المستبدون الذين يشرعون للناس تشريعاً يخالف شريعة الله، ويحاربون تلك الشريعة عن طريق إصدار مراسيم وقوانين وأنظمة لا يقرها الإسلام، حرباً منهم الله ورسوله وكتابه المبين ولهذا كان طواغيت المشركين العرب يستنكرون التوحيد ويعجبون من الدعوة إليه، ويظهرون أن الأصل هو الشرك الذي يقوم على تعدد الآلهة، مصادمة للفطرة الربانية التي فطر الله الناس عليها، كما قال تعالى عنهم: { وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ } { أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ } (١) _____

(١) ص: ٤ ، ٥ .

وقال تعالى عن علماء السوء الذين اشتروا الدنيا بالدين: { فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ } (١) وقال تعالى: { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } (٢) وإنما كان اتخاذهم إياهم أرباباً من دون الله، لاتباعهم في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله، كما وردت بذلك السنة في تفسير الآية . (٣)

(١) البقرة: ٧٩ (٢) التوبة: ٣١ (٣) يراجع في تفسير الآية في كتب التفسير ، ومنها تفسير الطبري ، وتفسير ابن كثير ، رحمهما الله.

الغاية السابعة: إنكار الإيمان بالغيب والصد عنه ومعلوم أن الإيمان بالغيب هو أساس التسليم المطلق لله تعالى في أمره ونهيه والدينونة له، لهذا يحرص أهل الباطل على إنكاره، لما في ذلك الإنكار من إبطال الوحي والرسالة من أساسها، وما يتبع ذلك من محاربة الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - وكذلك من قبله من إخوانه المسلمين وتقليل أتباعهم، وتكثير سواد أهل الباطل الذين يقفون ضد دعوة الرسل ولهذا يتنصرع أهل الباطل إلى إنكار هذا الأساس بطلبهم آيات مادية يأتي بها الرسل، للدلالة على صدقهم في دعوى الرسالة، مع أنهم مهما جاءتهم من آيات مادية لم تزدتهم إلا جحوداً واستكباراً.

قال تعالى عن فرعون الذي أوهم قومه أن موسى - عليه السلام - يدعوهم إلى رب غير موجود، وأنه كاذب - حاشاه - في دعواه الرسالة، مع ما أنزل الله من الآيات العظيمة المؤيدة لموسى على فرعون وقومه، وكلها آيات مادية، فجحدها مع يقينه أنها من عند الله. قال تعالى: { وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَيَّ الطِّينَ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ } (١) وقال تعالى عن بني إسرائيل - وقد شرفهم الله ببعث موسى رسولا منهم إليهم، وأنزل عليهم التوراة، وفضلهم على كثير من العالمين - في زمانهم - وأخرجهم من استعباد فرعون وظلمه لهم: { وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذْنَاكُمُ الصَّاعِقَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ } (٢) _____

(١) القصص: ٣٨ (٢) البقرة: ٥٥ .

وقال تعالى عن مشركي قريش: { فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ } إلى قوله تعالى: { وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْآنٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ } (١) وقال تعالى: { وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا

الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا { } وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَهْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا { } أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَهْجِيرًا { } أَوْ تُسْقَطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمْتِ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا { } أَوْ يَكُونُ لَكَ يَتٌّ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا { } (٢) _____

(١) الأنعام: ٥ ، ٧ (٢) الإسراء: ٨٩ ، ٩٣ .

الغاية الثامنة: نبد الحكم بما أنزل الله ومحو رتبته والمقصد من نبد الحكم بما أنزل الله ومحاربة شرعه، أن تحكّم الناس أهواء أهل الباطل ورجباتهم التي يصوغونها في صورة قوانين وأعراف وأنظمة تصادم شريعة الله، لأن نبد الحكم بشرع الله وتحكيم ما يلي رغباتهم وأهوائهم، يسهل عليهم استعباد الناس بتشريعاتهم، فيتصرفون في أنفسهم وأعراضهم وعقولهم وأموالهم، كما يشاءون بعيدا عن شريعة الله التي تحفظ للناس كل ذلك، إضافة إلى التلاعب بالدين وإضاعته قال تعالى عن قوم شعيب - وهو يأمرهم بأمر الله وينهاهم بنهيه - { قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ } (١) وقال تعالى عن قوم لوط - وقد هاهم عن ارتكاب الفاحشة التي لم يسبقهم إليها من أحد من العالمين، مع فهمهم عن الشرك بالله - : { فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْطِئُونَ } (٢) _____

(١) هود: ٨٧ (٢) النمل: ٥٦ .

وقال تعالى عن مشركي العرب - وكانوا يشرعون لأنفسهم من دون الله، فيحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحل الله - : { وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُرْذُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ } { وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حِجْرًا لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بَرَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ } { وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِدُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفْتَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ } { قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ } { وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ

وَالزَّرَعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } { وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاتٌ كُلُوا مِنْهَا رَزَقَكُمْ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ } { ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الصَّانِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْرِ اثْنَيْنِ قُلِ الذَّكْرَيْنِ حَرَّمَ أُمَّ الْأُنثِيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَيْنِ نُبُونِي بَعْلَمَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } { وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلِ الذَّكْرَيْنِ حَرَّمَ أُمَّ الْأُنثِيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } { قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا

عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِعَيرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (١) وقال تعالى عن المنافقين - وهم الذين يمثلهم العلمانيون اليوم ممن يجارون الحكم بشرع الله، ويجارون الدعاة إلى تحكيمه (٢) : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّحَكُمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ

صَلَاً بَعِيدًا { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا } { فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا } (٣)

(١) الآيات من سورة الأنعام (٢) لأن أكثرهم الآن يحكمون الشعوب الإسلامية بخلاف المنافقين في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - (٣) الآيات من سورة النساء.

الغاية التاسعة: محاربة الولاء لله ولرسوله والمؤمنين ويسابق أهل الباطل إلى عقول الناس بمحاربة الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، وتثيبتة للشيطان وأتباعه، وللأهواء التي يتبعونها، لعلمهم بأن الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين ولاء للحق، والولاء للحق يسلبهم ولاء الناس للباطل الذي لا يملكون سواه، ولا حياة لهم بدون أنصار يؤمنون بباطلهم ويؤيدونهم عليه ولهذا ترى أهل الباطل يجارون من يوالي الله ورسوله والمؤمنين، ولا يُظهِرُ ولاءه لهم ولباطلهم، حرباً شعواء، كما يجارون كل دعوة إلى هذا الولاء، خوفاً من أن يكسر أنصار الحق وأولياؤه، ويقبل أنصار الباطل وأولياؤه، فيخسرون بذلك الجاه والمال والمنصب، وينتهي تسلطهم على رقاب الناس وطغيانهم، ويقربون من يواليهم على باطلهم ويرفعون منزلته بالجاه والمال والمنصب، مع العلم أن الذي يكون ولاؤه لغير الحق لا يشترط ولاؤه ولا يدوم؛ لأنه إنما يوالي من رأى أن في موالاته مصلحة مادية، فإذا ظن أن تلك المصلحة ستنقطع، أو أنه سينال مصلحة أعظم منها من صاحب باطل آخر، قتل ولاؤه لهذا وأصبح علواً لمن سبق أن كان موالياً له!

الغاية العاشرة: تثبيت الأخلاق الفاسدة في الأرض ومن أهم غايات أهل الباطل، تمكين الأخلاق الفاسدة وإشاعتها بين الناس في الأرض، ومطاردة الأخلاق الفاضلة وأهلها والتضييق عليهم، لتأسن الأرض وتفسد الحياة، تحقيقاً لإشباع شهواتهم ونزواتهم التي لا تتحقق مع وجود الأخلاق الفاضلة وغلبتها، كما قال تعالى: { وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا } (١) وقال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ } (٢) وقال تعالى: { وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ } (٣)

وقال تعالى: { الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ } (٤)
وقال تعالى: { إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ } (٥)

(١) النساء: ٢٧ (٢) النور: ١٩ (٣) النور: ٢١ (٤) الأفعال: ٥٦ (٥) المنافقون: ١

وفي الحديث الصحيح عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصَلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصَلَةٌ مِنَ النَّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا إِذَا أُوْتِمِنَ خَانَ وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ » (١) وبمنظرة عاجلى إلى أحوال الأمم اليوم - بما فيها أغلب الشعوب الإسلامية -

يتضح للناظر ما تعانیه البشرية من الأخلاق الفاسدة، وما جنى به عليها دعاة الباطل الذين يجارون الأخلاق الفاضلة بكل الوسائل والإمكانات، ويثبتون الأخلاق الفاسدة وينشرونها كذلك ويتضح للناظر كذلك حاجة العالم اليوم إلى سباق أهل الحق بأخلاقهم الفاضلة، إلى عقول الناس، ليقتدوا البشرية من الأخلاق الفاسدة التي اتخذ أهل الباطل كل الوسائل ليسبقوا بها إلى عقول الناس الذين ذاقوا من جراء ذلك شتى أنواع العذاب في الدنيا، مع ما

ينتظرهم من مقت الله وغضبه في الآخرة

(١) ٧ - البخاري: ٣٣. ومسلم: ٨٨.

الغاية الحادية عشرة: الإفساد في الأرض أراد الله تعالى من عباده أن يصلحوا في الأرض، ولا يفسلوا، لأن الإفساد في الأرض يعود على استخلاف الله للإنسان والغرض منه بالنقض، ولكن أهل الباطل - كعادتهم - لا ترضى نفوسهم بالصلاح والإصلاح، فيجهدون في الإكثار من الإفساد فيها، ويسمون إفسادهم إصلاحا ويشمل ذلك الإفساد: النسل والنفس والعقل والمال، إضافة إلى إفساد الدين، يستغلون خيرات الأرض وبركات السماء، لنشر فسادهم وظلمهم، وإنزال الرعب على الآمنين واستعباد الناس وإذلالهم والتكبر عليهم، كما قال تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ } { أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ } (١) وقال تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَيْهِ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ } { وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْقَسَادَ } (٢) _____

(١) البقرة: ١١ ، ١٢ (٢) البقرة: ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

وبالمقارنة بين غايات أهل الحق في سباقهم إلى العقول بحقهم، وبين غايات أهل الباطل في سباقهم إلى العقول بباطلهم، يُعلم ما يثمره كل من السباقين في حياة الناس أفرادا وأسرا وأما ودولا فعندما يسبق أهل الحق بحقهم إلى عقول الناس، تتحقق في الأرض غاياتهم من سعادة وأمن على الدين والنسل والعرض والعقل والنفس والمال، وهي الضرورات التي لا حياة على الحقيقة إلا بحفظها، وما يكملها من حاجيات وتكميليات وعندما يسبق أهل الباطل بباطلهم إلى عقول الناس تتحقق في الأرض غاياتهم، من شقاء وخوف ونكد بضياح تلك الضرورات وما يكملها، كما هو حال العالم اليوم الذي تقدم فيه أهل الباطل بباطلهم، وتأخر أهل الحق بحقهم.

تهيد

:
اقتضت سنة الله الكونية أن يتصارع أهل الحق وأهل الباطل في هذه الحياة منذ وجد أبو البشرية آدم - عليه السلام - وعدوه إبليس لعنه الله، وأن يمتد هذا الصراع في الأرض إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ابتلاء منه تعالى لأهل الحق بأهل الباطل، ولأهل الباطل بأهل الحق، ليزداد الأولون إيمانا بحقهم ويحملوه عملا وسلوكا ودعوة وجهادا، فينالوا نصر الله وتمكينه لهم في الدنيا، ورضاه ودار كرامته في الآخرة، ويزداد الآخرون الذين تكبروا على أمر الله ودعوة أنبيائه تمردا وعتوا، فينالوا الضنك والشقاء والنكد في الدنيا - وإن تمتعوا بنعم الله فيها كالحیوانات السائمة - والعذاب الأليم السرمدي وسخط الله في الآخرة قال تعالى: { الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا } (١)

قال تعالى: { وَتَبْلُوَكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ } (٢)
وقال تعالى: { فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ } إلى قوله تعالى: { ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ } (٣)

(١) الملك: ٢ (٢) الأنبياء: ٣٥ (٣) محمد: ٤ .

وقال تعالى: { وَنَبِّئُوكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبِّئُوا أَخْبَارَكُمْ } (١)

وقال تعالى: { وَلِيْلِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } (٢)

وقال تعالى: { هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا } (٣)

وقال تعالى: { وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا } (٤)

وإن الحق ليحمل عناصر قوته وبقائه في ذاته، وإن الباطل ليحمل عناصر ضعفه واضمحلاله في ذاته أليس الحق نوراً... والباطل ظلمات؟ أليس الحق هدى والباطل ضلالاً...؟ أليس الحق عدلاً والباطل ظلماً...؟ أليس الحق صلاحاً والباطل فساداً؟ أليس الحق طهارة وتقى والباطل رجساً وفسقاً؟ أليس الحق إيماناً وتوحيداً والباطل شركاً وكفراً وجحوداً؟ أليس الحق رحمة والباطل غلظة وقسوة ووحشية؟ أليس الحق برا والباطل إثماً وعدواناً؟

(١) محمد: ٣١ (٢) الأنفال: ١٧ (٣) الأحزاب: ١١ (٤) الفرقان: ٢٠ .

إنه لو ترك الناس على فطرهم التي فطرهم الله عليها، لا يُكروهون على اعتقاد الحق ولا على اعتقاد الباطل، وإنما يعرض عليهم هذا وذاك، لا يختاروا الحق ونبذوا الباطل، فالفطر السليمة التي لم تجتلبها الشياطين لا تفضل الظلمات على النور، ولا الضلال على الهدى، ولا العدل على الظلم، ولا الفساد على الصلاح، ولا الرجس والفسق على الطهارة والتقوى، ولا الشرك والكفر على الإيمان والتوحيد، ولا القسوة والعنف على الرحمة واللين.

ولكن كل مولود يولد على الفطرة، كما ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه: [قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بِبَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ » ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ } فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ } (١) لهذا كله اقتضت حكمة الله أن يكون لكل مبدأ من يجعله من البشر يعتقدونه ويعملون به، ويدعون إليه ويدافعون عنه وينصرونه، ولو كان ذلك المبدأ هو الحق الذي أنزل به كتبه وبعث به رسله وشرعه منهجاً لكل البشر: { ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ } . (٢)

(١) البخاري: رقم: ١٢٧١ ، ومسلم: ٤٨٠٣ (٢) محمد: ٤ .

ومن هنا وجد في الأرض معسكران: معسكر الحق، وهم حزب الله، ومعسكر الباطل، وهم حزب الشيطان، وقد سبق الكلام على حزب الله وغاياتهم في السباق بالحق إلى العقول ووسائلهم إلى ذلك، وكذلك سبق الكلام على حزب الشيطان وغاياتهم في السباق بالباطل، وبقي الكلام على وسائل حزب الشيطان التي يتخذها لذلك السباق.

وإذا كانت غايات أهل الباطل في سباقهم إلى العقول - تتلخص في الصد عن سبيل الله، والتمتع المطلق - الذي لا يقيده شرع الله - تمتع الحياة الدنيا، وتكذيب الرسل وما جاءوا به من وحي الله، والحوّل بين أهل الحق وإقامة

الحجة على الناس - لنلا يكثر سواد أهل الحق فتضعف سلطة أهل الباطل - وإخراج الناس من نور الإيمان إلى ظلمات الكفر، والسعي في إحلال الشرك محل التوحيد، وإنكار الإيمان بأصوله وفروعه، لما يلزم من غرسه في نفوس الناس من التسليم المطلق لله تعالى ولما جاء به رسوله - صلى الله عليه وسلم - ونبذ الحكم بما أنزل الله، والتحاكم إلى الطاغوت، لما في الحكم بما أنزل الله من القضاء على فسادهم وشورهم، ولما في تحكيم الطاغوت من تحقيق مآربهم من الاعتداء على ضرورات الناس التي لا حياة لهم مستقرة بدونها، وهي الدين والنسل والنفس والعقل والمال - إذا كانت تلك هي غايات أهل الباطل في سباقهم إلى العقول بباطلهم، فيهم قد اتخذوا لتحقيقها كل وسيلة متاحة لهم دون تقييد بشرع أو قانون، والغاية عندهم تسوغ الوسيلة.

الوسيلة الأولى: تزيين الباطل وزخرفته وقد تكون هذه الوسيلة أقدم الوسائل التي اتخذها أهل الباطل للسيق إلى العقول، بل هي أول وسيلة أضل بها عدو الله إبليس أبوي البشر: آدم وحواء عليهما السلام، كما قال تعالى عنه: { فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاءِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ } { وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ } { فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ } (١) فقد هون - الشيطان - أمر الله في نفوسهما، وجعل الالتزام به مؤديا إلى حرمانهما من العلو والرفعة والتمتع الطويل بالحياة، وأكد لهما بالإيمان بأنه ناصح لهما لا يريد لهما إلا الخير، فكان هو قدوة أهل الباطل في تزيين الباطل وزخرفته والتنفير من الحق والتهوين من شأنه

(١) الأعراف: ٢٠ ، ٢٢ .

وقال تعالى حاكيا عزم إبليس على هذا التزيين الماكر، واستمراره عليه وبذل جهده في إغواء كل من لم يتحصن بعبودية الله من بني البشر: { قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } { إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } (١) وقال تعالى: { تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَرِئِينَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَيُتَّبِعُهُمُ الْيَوْمَ وَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } . (٢)

وبين سبحانه وتعالى أن أهل الباطل يقارنون الناس ويزينون لهم الباطل، كما قال تعالى: { وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ } (٣)

وهكذا استمر أهل الباطل في كل زمان يزينون الباطل ويزخرفونه ويشوهون الحق وينفرون منه _____
(١) الحجر: ٣٩ ، ٤٠ (٢) النحل: ٦٣ (٣) فصلت: ٢٣ .

وها نحن في هذا الزمان نشاهد ونسمع ونقرأ من تزيين الباطل والدعوة إليه وتشويه الحق والتنفير منه، ما لم يشاهد ويسمع ويقرأ مثله في الأزمان الماضية بسبب الوسائل الكثيرة التي أتاحت في هذا العصر لليهود زينا كثيرا من أفكارهم التي يصطادون بها عقول الناس، ومن ذلك الماسونية التي أصبح كثير من أغنياء العالم ومتقفيهم، بل وبعض حكامهم أعضاء بها، يدير بهم اليهود مصالحهم في كل البلدان والنصارى زينا نصرانيتهم - مع مخالفتها للفطرة كذلك، لجعلها الثلاثة واحدا والعبد معبودا من دون الله، وما فيها من الضلالات التي لا تقبلها العقول السليمة - فأضلوا كثيرا من البشر في الأرض وبخاصة الجهال والأيتام والمرضى والاحتاجين الذين يمدونهم بالمال، ويشترطون عليهم الدخول في دينهم المحرف المزيف!

والوثنيون الذين يعبدون ما لا يحصى من المخلوقات، من شمس وقمر وكواكب وأشجار وأحجار وحيوانات ونار وغيرها، زينوا وثيبتهم فاتبعها ملايين البشر في الأرض.

والملاحدون زينوا إلهاتهم مع مخالفتهم للفطرة واتبعهم كثير من الناس حتى قامت عليه دولة كبرى عانت في الأرض فسادا أكثر من نصف قرن، ثم تماوت وتمزقت وأصبحت دولها تتناحر فيما بينها، بل أصبح في كل دولة منها أحزاب يتناحرون فيما بينهم. (١)

والقوميون زينوا قومياتهم حتى وجلوا من الأتباع ما أسقطوا به الدين والخلق، كما حصل في عهد اليهودي أتاتورك الذي حارب الإسلام حربا شعواء، بلغت إلى منع رفع شعيرة الإسلام (الأذان) باللغة العربية لغة الإسلام، وقلده في ذلك زعماء في البلدان العربية وغيرها حطموا بالقوميات المنتنة كل مقومات الأمة الإسلامية والعلمانيون الذين قرروا فصل الدين عن الحياة زينوا ذلك للناس حتى أصبحت غالب دول العالم علمانية تقصي الدين عن الحياة، بما في ذلك حكام الشعوب الإسلامية - إلا ما ندر - وليتها أقصت الدين عن الحياة في أنظمتها فقط وتركت للناس حريتهم في تطبيق ما يقدرون عليه من الإسلام، لو فعلت لكان الأمر أخف، ولكنها حاربت وحاربت دعائه وعلماءه الصادقين

(١) ولا تزال الصين الشعبية تحاول إظهار التمسك بالشيوعية والإلحاد، ولكنها في طريقها إلى الاقتران بأخوها: دولة الاتحاد السوفييتي، طال الوقت أم قصر.

والمرابون زينوا للناس التعامل بالربا، حتى أصبح هو الأصل في كل أنحاء الأرض، برغم ما حصل منه ومن ويلات وكوارث على العالم ومحوربت المشاريع الاقتصادية غير الربوية، فلم تأذن غالب حكومات الشعوب الإسلامية بالبنوك والمصارف الإسلامية وعباد الشهوات زينوا للناس فعل الفواحش والمنكرات، بأساليب شتى وبنوا وسائل نشرها حتى أصبح عالم الأرض من البشر - إلا من شاء الله - لا يفكر إلا في إشباع غرائزه بالشهوات من غير تفریق بين حلال وحرام.. وهكذا لم يبق باطل في الأرض إلا زينه أهله، بكل وسيلة من الوسائل المتاحة لهم، ودعوا إليه، وأوجدوا له أنصارا يكثرون سواده ضد الحق وأهله.

والخلاصة أنهم زينوا للناس الشرك بالله والخروج عن طاعته وشرعه والتعلق بغيره، كما زينوا اتباع الهوى والشهوات، واتخذوا لذلك كافة الوسائل المتاحة للسباق إلى عقول الناس بالباطل الذي زينوه وزخرفوه، قلبا للحقائق وإضلالا للعقول وزخرفة للباطل وتنفيرا من الحق. ألا ترى كيف وصف فرعون شركه وظلمه وعلوه وتكبره واستعباده للناس، والوقوف ضد رسول الله موسى - عليه السلام - وما جاء به من الوحي والدعوة إلى التوحيد والعدل والتواضع وغير ذلك من طاعة الله، وصف كل ذلك بأنه ما رآه من مصلحة قومه وهدايتهم إلى الطريق الراشد القويم؟! كما قال تعالى عنه - وهو يقف أمام حجج الرجل المؤمن موقف المهزوم - : { قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ } (١). وترين الباطل شبيهة بالسحر في قلب الحقائق، كما في حديث بُرَيْدَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: « إِنَّ مِنَ الْبَيِّنَاتِ سِحْرًا ». " فَقَالَ صَعَصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ - وهو أحد رواة الحديث -: صَدَقَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أَمَا قَوْلُهُ « إِنَّ مِنَ

الْبَيَانَ سِحْرًا» فَالرَّجُلُ يُكُونُ عَلَيْهِ الْحَقُّ وَهُوَ الْأَحْنُ بِالْحُجَجِ مِنْ صَاحِبِ الْحَقِّ فَيَسْحَرُ الْقَوْمَ بَيَانِهِ فَيَذْهَبُ بِالْحَقِّ.
(١)

(١) - أبو داود رقم: ٤٣٥٩

الوسيلة الثانية: الثناء على أهل الباطل وقادته إن المبادئ لا تنتشر ولا تثبت ولا يكون لها أتباع وجهاهير، إلا إذا حملها قادة يطبقونها في حياتهم ويخلصون لها ويتحمسون للدعوة إليها، ويتخذون كل الوسائل المتاحة لنشرها وتنفيذها، وكل صاحب مبدأ يريد نشره والدعوة إليه وتربيته والثناء عليه، لا بد أن يبرز هو للناس قائدا داعيا الناس إلى مبدئه، ولا بد أن ينال من الثناء عليه وعلى سيرته ما يجعل الناس يلتفتون حوله ويتبعونه ويؤمنون بمبدئه وإذا كان صاحب الحق يكفيه ثناء عليه الحق الذي يحمله ويدعو إليه عند ذوي العقول السليمة والفطر المستقيمة، فإن صاحب الباطل يحتاج من الثناء الكاذب والإطراء المبالغ فيه من أجل تضليل عقول الناس واستخفافهم ليتبعوه ويقدموه هو ويطيعوه، ما يستغرق الزمان الذي يعيش فيه ويطبق آفاق للكان الذي يريد أن يكون له فيه نفوذ لذلك ترى قادة الباطل ينفقون أموالا طائلة، ويعدون أدوات يصعب حصرها وجيوشا من البشر متخصصين في كل مجال، من أجل الثناء عليهم وإطرائهم، حتى تظهر مفاصلهم مصالح، وسواهم مفاخر.

فيوصف الجبان الرعديد بأنه الشجاع الصنديد، والبخيل الشحيح بأنه الكريم السميع، والظالم الغشوم بأنه العدل الرحيم، والغبي البليد بأنه الذكي الوحيد، والعاصي الفاسق بأنه ذو التقوى السابق ولما كان قادة الباطل يدهم مقاليد الأمور، فإنهم يستغلون في الثناء عليهم مرافق دولهم كلها: التعليم والإعلام والمؤتمرات والندوات وكل المناسبات، فلا تسمع الأذن كلاما خاليا من مدحهم، ولا تقرأ العين مكتوبا مجردا من إطرائهم. ما يفعله غيرهم من الخامد ينسب إليهم، وما يفعلونه هم من المساوي ينسب إلى سواهم، يكاد عبيدهم يقولون فيهم: (ليس كمثلهم شيء وهم...!)

بل إنهم يمدحون أنفسهم بأنفسهم، لينطلق خلدتهم في الثناء عليهم وقد لا يبلغ ثناء غيرهم عليهم مهما بالغوا في الثناء ما أثنوا به على أنفسهم.

وقد كان فرعون نموذجاً لزعماء الباطل في هذا الباب وغيره من أبواب الشر والفساد، فقد أنفى على نفسه - بعد أن جمع قومه - بأنه ربهم الأعلى، مسوغاً بذلك عصيانه لله ولرسوله موسى - عليه السلام - عندما دعاه إلى الهدى، كما قال تعالى عنه: { هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى { إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِي الْمَقَدَّسِ طُوًى { اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى { قُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى { وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى { فَارَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى { فَكَذَّبَ وَعَصَى { ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى { فَحَشَرَ فَنَادَى { فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى { (١) وقال تعالى عنه: { وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ { وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ { (٢)

(١) النزاعات: ١٥ ، ٢٤ (٢) القصص: ٣٨.

إن أهل الباطل مفسدون، وفسادهم ظاهر غير خفي في الغالب، ولكنهم يقبلون الحقائق فيحصرسون الصلاح في أنفسهم، كما قال تعالى عن المنافقين: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ { (١) وهكذا

يبنى زعماء الباطل على أنفسهم بجيازة الملك والمال والغنى، معرّضين بفقر أهل الحق وضعفهم، مسوغين بذلك أنهم أحقّ بالاتباع والطاعة في باطلهم من أهل الحق، كما قال تعالى عن فرعون أيضا: { وَتَأْدَى فِرْعَوْنَ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ } { أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ } { فَلَوْلَا أَلْفِي عَلَيْهِ سُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ } { فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ } (٢)

(١) البقرة: ١١ (٢) الزخرف: ٥١ ، ٥٤ .

إن زعماء الباطل عندما يبالغون في الشاء على أنفسهم - وذم أهل الحق كما سيأتي - إنما يريدون بذلك صرف عامة الناس عن سماع الحق والإصغاء إلى أهله والفكير فيه، لأنهم يعلمون أن الحق إذا ترك له السبيل ليصل إلى عقول الناس، فإنه يلمغ الباطل ويزهقه، ويجعل أهله حثالات لا قيمة لهم، ويظهر دعاة الحق وحامله أئمة هداة وأبطالاً، يقودون الناس إلى الفلاح في الدنيا والآخرة ولهذا تجد أهل الباطل يحاولون إبراز أنفسهم مهما تنوع باطلهم - أنهم منقذو الشعوب وحمايتهم، ومفكروها ونجوم فننها وأساطين آدابها، وقادة جيوشها وأعلام اقتصادها، وهم سياسة فاشلون حطموا الشعوب بسياساتهم الخرقاء وأذلوها لأعدائهم الذين ينهبون خيراتها ويتخذونها أسواقاً مربحة لتجارهم وصناعاتهم، ويجد أهل الباطل جماهير في شعوبهم يستخفونها فتخف لتأييدهم والتسييح بحمدهم وتنفيذ أواميرهم التي تصدر لتثبيت الباطل وتأييده ونشره، ومحاربة الحق ومحاصرته وطرده، وهذه الجماهير قسمان:

قسم مضلل العقول، يظن الباطل حقاً والحق باطلاً بسبب الزخم الداعم لهذا الباطل بالوسائل المتنوعة، وعدم وجود وسائل داعمة لتوصيل الحق إلى عقولهم، ولو أتيح للحق وسائل توصله إلى عقول هذا القسم لأصبح كثير منهم من أهل الحق ومناصره ضد الباطل وأهله وقسم يعرف الحق والباطل، ويعلم أنه قد سلك طريق الباطل ومناصرته ضد الحق وأهله، لضعف همته واتباع هواه وإشباع شهواته المادية والمعنوية التي يمنحه إياها زعماء الباطل، من مال وجاه وسلطان أما الذين يفرقون بين الحق والباطل ويقفون بجانب الحق ضد الباطل فهم فئة قليلة من البشر في كل الشعوب، وهذه الفئة هي التي يخافها زعماء الباطل، لاطلاعها على أسرار الباطل، ومقدرتها على تبصير الناس بالحق ودحض الباطل وفضح أهله، بدلا من الثناء عليهم وعلى باطلهم، ولهذا تجد زعماء الباطل يجارون هذه الفئة حرباً شعواء، إلا إذا وجد بعض أفرادها وسيلة يتقنون بها على تلك الحرب، كأن يكونوا من أسر زعماء الباطل يكتبون إيمانهم بالحق، كحال مؤمن آل فرعون في دفاعه عن موسى - عليه السلام - كما فصل دفاعه سورة غافر في

مناظرة طويلة مع فرعون وقومه (١)

(١) الآيات: من ٢٨ ، ٤٥ من السورة المذكورة.

أصناف الفئات التي يحشدها أهل الباطل لتأييد باطلهم أولاً: فئة الأغنياء المترفين والمترفون من الأغنياء هم من أكثر الفئات استجابة للباطل وتأييده، وأكثر نفورا من الحق ومناصرته، والسبب في ذلك شعورهم بأن الحق يقيد الشهوات الجامحة والنزوات الطائشة، ويضع للناس منهجا يطهر القلوب ويهذب النفوس، ويدعو إلى التسامح عن عفن المعاصي وأدران الفواحش، ويوجه ذوي المال واليسار إلى الإنفاق في الطاعات وعدم الإسراف في المباحات، كما يأمر بالتواضع ومصاحبة الفقراء والمساكين وعدم التكبر عليهم واحتقارهم، والمترفون قد ألفوا الانغماس في

دنس المعاصي، والفرار من الطاعات، قست قلوبهم حتى لم يعودوا يفكرون إلا في المزيد من أسباب قسوتها، وأعماهم الترف حتى أصبحوا يعبدونه من دون الله سيماهم التكبر على الحق وأهله وتقوية الباطل وأهله.

والغالب أن الترف يلازمه الظلم، والظالم يدأب في نصر الباطل وأهله ومحاربة الحق وأهله، قال تعالى: { وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ } { فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسَآئِنَا إِذًا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ } { لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ } (١) وقال تعالى: { وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا } (٢) وقال تعالى: { وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ } (٣) وقال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ } (٤) قال سيد قطب رحمه الله في ظلال آية سورة الإسراء:

(١) الأنبياء: ١١ ، ١٢ (٢) الإسراء: ١٦ (٣) هود: ١١٦ (٤) سبأ: ٣٤.

[والمترفون في كل أمة هم طبقة الكبراء الناعمين الذين يجدون المال والخدم، ويجدون الراحة، فينعمون بالراحة والدعة وبالسيادة، حتى تترهل نفوسهم وتأسن وترتع في الفسق والمجانة، وتستتهر بالقيم والمقدسات والكرامات، وتلغ في الأعراض والحرمات، وهم إذا لم يجدوا من يضرب على أيديهم عاثوا في الأرض فسادا ونشروا الفاحشة في الأمة وأشاعوها، وأرخصوا القيم العليا التي لا تعيش الشعوب إلا بها. ومن ثم تتحلل الأمة وتسترخي وتفقد جيوشها وعناصر قوتها وأسباب بقائها فتهلك وتطوى صفحتها] (١) ومن هنا كان من أعداء الأنبياء والرسل الذين جاءوا بالحق، الأغنياء المترفون، كما قال تعالى عن قارون: { إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ } (٢) وقال تعالى عن كفار قريش: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُلُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ } (٣)

(١) في ظلال القرآن: (١٥ / ٢٢١٧) (٢) القصص: ٧٦ (٣) الأنفال: ٣٦.

ولهذا اشتكى نبي الله موسى إلى ربه من الغنى والترف اللذين آتاها الله فرعون وملاه فرصوهما لمحاربة الحق، وطلب من ربه أن يسلبهم هذه النعمة التي أعطتهم، كما قال تعالى: { وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ } { قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا } (١) هذه إحدى الفئات التي يحشدها أهل الباطل للسباق إلى العقول بالباطل وصددها عن الحق، ولهذا تجد المنظمات الحاربة للحق المؤيدة للباطل تحرص على هذه الفئة من الناس لتنضم إليها، لأنها تعينها على تحقيق أهدافها كما هو شأن المنظمة الماسونية التي هي إحدى منظمات اليهود في العالم

(١) يونس: ٨٨ ، ٨٩.

ثانيا: فئة علماء السوء وهذه الفئة أشد خطرا على الحق وأهله وأعظم الفئات مناصرة للباطل وأهله، لأنها تغزو العقول باسم الدين وبصفة علماء الأمة، وتنسب الباطل الذي تحاول السيق به إلى العقول إلى الله، همها حطام الدنيا وشرائه بالدين، والتقرب بتأييدهم للباطل إلى أهله من الطغاة الظالمين إن هذه الفئة تكتم الحق وتلبسه بالباطل، وتصدر الفتاوى الظالمة والأحكام الآثمة، كل ذلك بصفتهم علماء الأمة وفقهاءها، يوقعون في فتاوىهم وأحكامهم

عن الله ورسوله، فتسفك بفتاواهم الدماء وتستحل الحرمات وتصادر الأموال، ويخرج بها الناس من ديارهم ويفرق بينهم وبين أولادهم وأزواجهم، تفتح لهم الأبواب التي يلجون منها بآفكارهم إلى العقول، وتقيأ لهم الوسائل في الإعلام والتعليم، والمنابر وقاعات المحاضرات، وأماكن الحشود والتجمعات، حتى ينشروا الباطل باسم الحق، وتسد تلك الأبواب وتمنع كل تلك الوسائل، من أن يتخذها علماء الحق ومفكروه وسيلة لنشر الحق والرد على الباطل، ولذلك تضلل عقول الناس فيصبح الحق عندهم باطلاً والباطل حقاً.

ولقد كان علماء السوء من أهل الكتاب هم قدوة علماء السوء من هذه الأمة، قال تعالى عن أولئك: { فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ } (١) وقال تعالى: { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } (٢) وقال تعالى: { وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتِهِمْ بِالْكِتَابِ لِيُحْسِبُوهُ مِنْ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } (٣) وقال تعالى: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (٤)

(١) البقرة: ٧٩ (٢) البقرة: ١٤٦

(٣) آل عمران: ٧٨ (٤) آل عمران: ٧١.

الله يبين الحق للناس ويأمر ببيانه، وهم يلبسونه بالباطل ويكتمونه، كما قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ } { إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } (١) وقال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (٢).

فكل من لبس الحق بالباطل وكتم الحق وهو يعلمه، فهو من علماء السوء الذين اقتدوا بعلماء بني إسرائيل، يستحقون هذا الوعيد الشديد الذي سجله الله في آخر كتاب أنزله على آخر رسول وهو القرآن الكريم

(١) البقرة: ١٥٩ ، ١٦٠ (٢) البقرة: ١٧٤.

ولقد نجح أعداء الإسلام ومحاربو الحق، في حشد كثير من علماء السوء الذين ينفرون الناس من دعاة الحق وأهله، ويصفونهم بما ليس فيهم من القبائح، ويطعنون في عقائدهم ومقاصدهم زورا وبهتانا، وقد يكون عند أهل الحق بعض الأخطاء التي وقعوا فيها عن اجتهاد وحسن نية، يؤجرون فيها على اجتهادهم عند الله، ولكن علماء السوء يضخمونها ويحكمون على أهلها أحكاما جائرة سيكافئهم الله عليها بما يستحقون.

ثالثا: فئة الأدباء والشعراء والكتاب وهم الذين أوتوا من البلاغة والقصاحة والقدرة على صياغة الأفكار والمعاني بأساليب جذابة شعرا أو نثرا، يقلبون بتلك الأساليب الحقائق، ويصورون الحق في صورة الباطل، والباطل في صورة الحق، ليضلوا بذلك العقول، ويسابقوا أهل الحق إليها بباطلهم وهذه الفئة هي من أهم الفئات التي يتخذ كثيرا منهم زعماء الباطل وقادته وسيلة للسباق إلى العقول بباطلهم، وهم الذين يقودون الإعلام والتعليم والنوادي

الأدبية والثقافية، وينالون من التأييد والتمكين والاحترام ما يجعلهم قادة الشعوب وموجهيها، من أجل أن يفلسوا عقول أبنائها بالباطل، ويحولوا بينها وبين الحق الذي يحاربون أهله ويصدونهم عن السيق به إلى تلك العقول.

وقد يكون كثير ممن يسمون بالأدباء والكتاب والشعراء لا يستحقون تلك التسمية، لهيوط مستواهم في كل تلك المجالات وضعفهم فيها، ولكن قادة الباطل يرفعون شأنهم ويرزونهم ويطلقون عليهم من الألقاب والصفات ما لا يستحقونه، فيسمون بالرواد والكتاب وقادة الأدب والفكر وغير ذلك، حتى يخدعوا عامة الناس بهم ليقبلوا إلى ما يكتبون وما ينشرون من شعر ونثر ومحاضرات وغيرها، لما فيها من تزيين الباطل وتزويقه، وذم الحق وتقيحه وإن الذي يتبع وسائل الإعلام في الشعوب الإسلامية، وما ينهه فيها أمثال هؤلاء من تأييد الباطل ومحاربة الحق، وما ينشر لهم من الكتب والبحوث والمقالات، وما يحدثونه من آثار سيئة في عقول الناشئة وعامة الناس، ليصاب باليأس وخيبة الأمل في إصلاح الأمة التي أريد لها أن تنقاد إلى الباطل وتنأى عن الحق، لولا الأمل الكبير في لطف الله بهذه الأمة ووجود بقية من دعاة الحق صامدة صابرة، تتخذ ما تستطيعه من وسائل السباق الشرعية إلى عقول الناس، والله تعالى يبارك في جهودها فتؤتي ثمارا أعظم مما تؤتيه وسائل أعداء الحق وأنصار الباطل إذا قورن بين هذه وتلك.

ولعل أفراد هذه الفئة وجمعياتها ومؤسساتها كلها، يشملها قول الله تعالى: { وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ } { أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ } { وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ } (١) . بجامع أنهم يقبلون الحقائق، ويمدحون المذموم، ويذمون المملوح ويكونون أداة لقادة الباطل والطغيان لإفساد العقول

(١) الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٦ .

رابعا: فئة الجيوش والشُرط وهم الذين يشملهم كلهم لفظ "الجنود" وهم الفئة التي تتولى نصر الباطل وأهله وإكراه الناس على قبوله والصد عن بيانه للناس، بقوة السلاح والسلطة، فهم الذين يزجون بأهل الحق في السجون والمعتقلات، وهم الذين يسومونهم سوء العذاب، وهم الذين يستحلون الحرمات ويصادرون الأموال، وهم الذين يكتمون الأفواه ويستبعدون الناس لقادة الباطل، وهم الذين يخدعون الأخاديد ويجرقون الناس بالنار إذا ما أصروا على التمسك بالحق، وهم الذين يخرجون أهل الحق من ديارهم لأنهم يقولون: ربنا الله، ذلك أن أهل الحق أقدر على أسر القلوب والعقول، لما عندهم من الحجج والبراهين التي لا يجد لها أهل الباطل ما يقاومها، إلا الحديد والنار والتكليل عن طريق جنودهم المناصرين لباطلهم.

فإبراهيم الذي قال الله تعالى فيه: { وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ } (١) . لم يجد طغاة الباطل الذين أقام عليهم الحجة بالحق ما يقف أمام حجته وينصر آلتهم إلا النار: { قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ } (٢) . { فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ } (٣) وهكذا أصحاب الأخلود، كما وردت قصتهم في سورة البروج، كما قال تعالى: { قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ } { النَّارِ ذَاتِ الْوُجُودِ } { إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ } { وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ } { وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ } (٤)

(١) الأنعام: ٨٣ (٢) الأنبياء: ٦٨ (٣) العنكبوت: ٢٤ (٤) البروج: ٤ ، ٨ . راجع قصتهم في تفسير ابن كثير.

ولو لم يجد فرعون جنودا ينصرون باطله ويحارب بهم الحق، لما وصل إلى ذلك العلو والتكبر والجبروت، ولهذا قرنه الله بجنوده في الاستكبار والعقاب كما قال تعالى: {وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِنَّا لَأِ يَرْجِعُونَ} { فَأَخَذْنَا هُوَ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ } (١) والذي يتأمل ما يحدث اليوم في العالم، من قيام جنود طغاة الباطل بمناصرتهم بالقوة ومحاربة الحق وأهله بالقوة، يظهر له خطر هذه الفئة على الحق وأهله (٢) ، ولو تخلت هذه الفئة عن مناصرة الباطل وتركت دعواته ودعاة الحق يتسابقون إلى العقول، كل يدي بما يؤيد دعوته بالطرق السلمية، لما وجد أهل الباطل لأنفسهم مكانا يقودون فيه الأمة إلى مهوي الهلاك، ولهذا ينال جنود الباطل وطغاته عقابهم من الحق جل جلاله، كما قال تعالى: { فَأَخَذْنَا هُوَ وَجُنُودَهُ } (٣) _____

(١) القصص: ٣٩ ، ٤٠ (٢) وفي حملة الجيش التركي على الدعوة الإسلامية ومدارسها هذه الأيام ، مثال لهذا الخطر (٣) القصص: ٤٠

خامسا: فئة الجواسيس تمهيد: التجسس قسمان:

القسم الأول: تجسس مشروع وهو أن يقصد منه ولي أمر المسلمين معرفة بعض الصالحين من أفراد رعيته، ليسند إليهم وظيفة من الوظائف التي تتحقق بها مصالح الرعية، أو يقصد منه معرفة أهل الريب والإجرام ليتجنب توليتهم على مصالح الرعية أو يحمي الرعية من إجرامهم، أو يقصد منه جمع المعلومات عن العدو الحربي، لحماية الدولة الإسلامية من العدوان، وإعداد العدة الكافية لهزيمته... القسم الثاني: غير مشروع وهو أن يقصد من التجسس تتبع عورات الناس والبحث عن عيوبهم وفضحها؛ لأن تتبع عورات الناس للكشف عن أسرارهم بدون وجه شرعي محرم، بدليل نهي الله تعالى عنه في كتابه، ونهي رسوله - صلى الله عليه وسلم - في سنته كما سيأتي، ولأن الأصل حسن الظن بالناس، بل وستر معاصيهم ما لم يجاهر بها أو يصروا عليها.

ويستثنى من ذلك ما إذا ظهرت أمانة أو خبر ثقة على وجود اعتداء على حرمة يفوت تداركها، لو لم يُعَجَّلَ ببعث عيون لاكتشافها قبل وقوعها وردع المعتدي عن عدوانه، كالقتل وارتكاب فاحشة الزنا، وكذا إذا وقعت جريمة اعتداء ولم يعرف مرتكبها، فإن الواجب على ولي الأمر البحث عن مرتكبها ببعث العيون للقبض على الجرم وعقابه. (١)

(١) راجع كتاب التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية. لمحمد راجح الدغمي الفصل الأول من الباب الثاني منه. نشر دار السلام للطباعة والنشر.

ومن هنا نعلم أن الجواسيس الذين يرتكبون التجسس غير المشروع، قد انحطت نفوسهم عن معالي الأمور إلى دركات الخسة، وبخاصة من آثروا الكون في صف قادة الباطل، لنصرتهم ونصرة باطلهم، ومحاربة الحق وأهله بأحط الأعمال وأخسها، وهي تتبع عورات الناس بغير حق، وبخاصة دعاة الحق الذين يتجسسون عليهم في منازلهم وأماكن أعمالهم وإحصاء حركاتهم في حلهم وترحالهم، والتصتت عليهم بما يزودهم به أهل الباطل من الوسائل، وكثيرا ما يتقص أولئك الجواسيس ثياب التقوى والصلاح، ليوهموا أهل الحق أنهم منهم ومن أخلص الناس للحق، ليخدعواهم بذلك ويعلموا غاياتهم ووسائلهم التي يسابقون بها إلى عقول الناس بالحق، وينقلوا ذلك إلى قادة الباطل

ومحاربي الحق، ليضعوا التدابير اللازمة لمحاربة الحق الذي ينوي دعائه إبلاغه إلى عقول الناس، بل قد يزيد الجواسيس من عندهم ما يوغرون به صدور قادة الباطل على أهل الحق من أجل محاربة الحق وأهله.

كما أن بعض الجواسيس يندسون في صفوف دعاة الحق ويتخذون كل الوسائل للتحرش بينهم، حتى يصدعوا صفوفهم ويفرقوا كلمتهم، وهذه الفئة تتكون من غالب طبقات الأمة، فقد يكون منهم الرجل والمرأة والطالب والمعلم والمدني والعسكري والمتقف والجاهل، كل منهم يوضع في المكان المناسب له ويكمن خطرهم في أن السياق بهم إلى العقول بالباطل غير منظور؛ لأنهم بمنزلة السراق الذين يتخفون عن أعين الناس لأخذ أموالهم من حرزها سيئات الجواسيس وخطرهم والجواسيس يجمعون بين سيئات متعددة:

منها سوء الظن الآثم، ومنها التحسس على الناس، ومنها اغتيالهم، بل وبهتهم، ومنها النميمة عليهم، ومنها التحريش بينهم وإلقاء العداوة في صدورهم، وكل واحدة من هذه كافية لنصرة الباطل ومحاربة الحق وخطر الجواسيس على الحق أعظم مما يتصوره كثير من الناس، فهم - مع ما سبق - يخططون لإسقاط دول، واغتيال زعماء، ونشر فساد في الأرض ومن أقرب الأمثلة على ذلك اغتيال الجنرال ضياء الحق (١) الذي شعر أعداء الحق أنه كان متجهها إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في شعبه الذي أسس على أن يُحكَمَ بالإسلام، وإعداد العدة الحربية لردع أعداء المسلمين _____ (١) وغيره.

وما من داعية يشعر أعداء الحق أنه سيحقق بدعوته نشر الحق وإبلاغه إلى عقول الناس، إلا أسرعوا باغتياله عن طريق جواسيسهم، كما حصل للأستاذ الداعية حسن البنا رحمه الله، أو قتله بمحاكمة ظالمة، كما حصل للداعية الجاهد سيد قطب رحمه الله، وكذلك الداعية الجاهد الشيخ أحمدو بلو النيجيري رحمه الله.. وما من حكومة يظهر لأعداء الإسلام عزمها على نشر الحق وتطبيقه في شعبها إلا نصبوا لها العداوة وحاربوها في عقرب دارها، ومن أخطر وسائلهم محاربتها الجواسيس الذين أعدوهم لذلك (١) وما من جماعة اقتربت من تسلّم الحكم في بلادها بطريق مشروع عند أعداء الإسلام وهي تريد تطبيق الإسلام، إلا تكالبوا عليها وحاربوها وداسوا على مبادئهم التي يدعون إلى تطبيقها في العالم، ما دامت تلك المبادئ ستكون وسيلة لنشر الحق وإبلاغه إلى عقول الناس، وما قصة الانتخابات الجزائرية التي كادت توصل جبهة الإنقاذ إلى الحكم إلا أحد الأدلة على ذلك _____ (١) وجواسيس اليهود والنصارى دور كبير في إسقاط آخر رمز للخلافة وهي الخلافة العثمانية كما هو معلوم ويمكن مراجعة مذكرات السلطان عبد الحميد.

فقد أجمعت على محاربتها دول الغرب وجواسيسه وأذنا به، وفتح جنود الباطل لأعضاء الجبهة السجون والمعتقلات ونصبوا المشائق وأنزلوا الدبابات وعاثوا في الأرض فساداً، ملغين في سبيل نصره الباطل ومحاربة الحق أهم مبدأ يتغنون به ويدعون إليه وهو ما يسمى بالديمقراطية، وللجواسيس في ذلك دور عظيم كما هو معلوم ولخطر الجاسوسية ومساوئها التي تقوم عليها، وهي - كما مضى - سوء الظن، والغيبة، والنميمة، وتنبع العورات، والتحرش، وإيجاد الفرقة والأحقاد بين الناس، جاء الإسلام بالنهي عنها وعن تلك المسوئ كلها فقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ } (١) وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا

يُحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ { (٢) _____
(١) الحجرات: ٦ (٢) الحجرات: ١٢ .

وقال الرسول - صلى الله عليه وسلم - : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا » . (١)
وقال : « إنك إن تتبعت عورات الناس أفلسنهم أو كدت تفسدهم » . (٢)
وقد شرع الله تعالى الاستئذان على أهل المنازل، صيانة لأسرارهم وحماية لعوراتهم، ولهذا « قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - لمن اطلع من بعض حجره: [لو أعلم أنك تنظر لطعنت به (٣) في عينك، إنما جعل الاستئذان من أجل البصر] . » (٤)

وقال - صلى الله عليه وسلم - : « لا يدخل الجنة تمام » . (٥) _____
(١) متفق عليه (٢) صحيح رواه أبو داود ، وهو من أحاديث رياض الصالحين (ص: ٥٦٠) (٣) وفي رواية: (بها) أي بالمدرى التي كانت بيده ، وهي تذكر وتوث ، والمراد نصل السهم (٤) البخاري . يشرح فتح الباري (١١ / ٢٤) (٥) متفق عليه ، واللفظ لمسلم ، جامع الأصول (٨ / ٤٥٠) .

والخلاصة أن قادة الباطل يحشدون كل الطاقات ويحشرون كل فئات الشعوب التي تستجيب لهم، ليسبقوا بباطلهم وصول الحق إلى عقول الناس، أو يصلوا عقول الناس عن سماع الحق والاستجابة له، فقد يدخل في تلك الفئات الصناع الذين يصنعون لهم الآلات والأدوات التي تستعمل لنشر الباطل أو لتعذيب أهل الحق أو تشويه الحق، وكذلك يستعملون الفئة الجاهلة، وهي جماهير الشعوب المتخلفة، لتأييد الباطل ومحاربة الحق، بالتجمهر والتهافت والمظاهرات الصاخبة، التي يطلقون فيها ألسنتهم بالسب والشتم لدعاة الحق ووصفهم بأقبح الصفات، للتنفير منهم ومن الحق الذي يدعون إليه، كل ذلك من باب التقليد والخفة والاستجابة الطائشة للدعوات المضللة، ألا ترى الجماهير القرعونية كيف استجابت للتجمهر الذي لا تدري لمن تكون الغلبة فيه، كما قال تعالى: { فَجَمَعَ السَّحَرَةَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ } { وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَتْتُمْ مَحْتَمِعُونَ } { لَعَلْنَا نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ } (١) وهم الذين قال الله تعالى عنهم: { فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَّاعُوهُ } (٢) _____
(١) الشعراء: ٣٨ ، ٤٠ (٢) الزخرف: ٥٤ .

الوسيلة الرابعة: تخويف الناس من الحق وأهله أهل الحق معروفون أنهم أرحم الناس بالناس؛ لأن الحق الذي يحملونه ويدعون الناس إليه ويريدون تطبيقه في الأرض، إنما جاء من عند الله والله هو أرحم الراحمين ودينه كله رحمة - وإن بدا أحيانا في بعض أحكامه شيء من المشقة - فإنها في حقيقتها وغايتها وثمارها رحمة، ولكن طغاة الباطل يصورون أهل الحق بأنهم مصدر قلق وشقاء، وأن لهم من وراء دعوتهم مآرب تضر الأمة وتحرمها من أمنها واستقرارها في أرضها، ومن الخيرات التي تناهها قبل انتصار أهل الحق، وأنهم سيقضون على مرافق الأمة ومقوماتها فقد حذر فرعون ماله من موسى وما جاء به، كما قال الله تعالى عنه: { قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ } { يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ } (١) وقال تعالى: { قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا لَسَاحِرٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيُدْهَبَ بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَى } { فَاجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَنْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى } (٢)

(١) الشعراء: ٣٤ ، ٣٥ (٢) طه: ٦٣ ، ٦٤ .

وقال تعالى: { قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ } { يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ } (١) وهكذا تجد أعداء الحق الذين يقودون الناس بالباطل، يحدرون الناس من قيادة أهل الحق، ويخوفونهم بأنهم سيعاملونهم بقسوة، ويعصبونهم حقوقهم، ويخرجونهم من ديارهم، ويفقدونهم مناصبهم، ويزيدون في هذا العصر أنهم سيقضون على حرية المرأة ويحرمونها حقوقها، وسيصبح كثير من الناس مقطوعي الأيدي والأرجل، وستلهم ظهورهم بالسياسة، وستقطع رقابهم بالسيوف بسبب إقامة الحدود، كما أن الاقتصاد - وهو هنا الاقتصاد الربوي - سينهار، وسيحرم الناس من تناول ما يرغبون فيه من اللذات والشهوات، كشرب المسكرات وممارسة البغاء المرخص به قانوناً، حتى في بعض الشعوب الإسلامية التي يتولى شؤونها من يجارون حكم الله ويطبقون حكم الطاغوت

(١) الأعراف: ١٠٩ ، ١١٠ .

بل بلغ الأمر بقيادة الباطل من المتسبين إلى الإسلام أن يحدروا قادة الباطل من غير المسلمين، من انتصار دعاة الحق من المسلمين، بأنهم مثل السرطان سيقضون على الحضارة الغربية، حتى يتم التعاون بينهم جميعاً - أي بين قادة الباطل من أبناء المسلمين وقادة الباطل من غير المسلمين - على القضاء على دعاة الحق ومحاربتهم من الداخل ومن الخارج هذا مع علم أعداء الحق وطغاة الباطل أن كل ما يخوفون به الناس من انتصار الحق ودعائه، ما هو إلا افتراء قصدوا به الحفاظ على بقائهم قادة للناس بباطلهم الذي ذاق الناس في ظله كل ألوان الشقاء والتعاسة والدلة، ويعلمون أن قادة الحق ودعائه لو تولوا شؤون الناس، لانكشف لهم ما لدى دعاة الحق من الخير والسعادة في الدنيا والآخرة، وتبين لهم زيف دعاية قادة الطغيان الذين خدعواهم بباطلهم وبالتنفير من الحق الذي حرّموا الناس من العيش السعيد في ظله.

ومن أوضح الأمثلة في هذا العقد من القرن الخامس عشر الهجري، والقرن العشرين الميلادي (١) أن أعداء الإسلام في الغرب قد جعلوا من أسس حضارتهم، تطبيق ما يسمونه بالديمقراطية، وتسخير مناهج تعليمهم وإعلامهم وسياساتهم وعلومهم الإنسانية والعسكرية وغيرها، للدعوة إلى تطبيق الديمقراطية في العالم، ويزعمون بأنهم يعاملون الدول التي تستجيب لهذا التطبيق معاملة متميزة بالإعانات الاقتصادية والعسكرية والصناعية والمالية

(١) كتبت هذه الأسطر في ١٩ / ٧ / ٥١٤١٤ - ١ / ١ / ١٩٩٤ م.

ولكن الواقع أثبت أن دعوة دول الغرب إلى تطبيق الديمقراطية في العالم، مقيد ومشروط بأن تكون نتائج الديمقراطية وجود حكومات علمانية متشددة ضد الإسلام والمسلمين، في بلاد الإسلام والمسلمين، أما إذا أدت الديمقراطية إلى قيام دولة إسلامية تحكم بكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - فإن هذه الديمقراطية مرفوضة، تجب محاربتها بكل الوسائل حتى لا يحكم الإسلام البلدان الإسلامية، وهذا ما حصل في الجزائر عندما فاز الإسلاميون في الانتخابات وكادوا يحكمون البلاد، مع أن الدولة الجزائرية ودول الغرب كلها والدول العلمانية في الشعوب الإسلامية، تعاونت جميعاً على عدم فوز الجماعات الإسلامية في الجزائر، هذا كله كان قبل الانتخابات، أما بعد الانتخابات فقد جن جنون أعداء الإسلام في الغرب وفي الشرق، ووقفوا كلهم صفاً واحداً ضد النتائج الديمقراطية التي يدعون إليها، وأصروا على نزول الدبابات وفتح السجون والمعتقلات، لزعيماء الجماعات الإسلامية

ومن يؤيّلهم من الشعب، وسفك دماّنهم وتعذيبهم وانتهاك أعراضهم ومطار دقّم وتشرييلهم، وحتّتهم في ذلك كله الخوف من تولي الإسلاميين الحكم، فإنهم إذا تولوا سيقصون غيرهم من مناصب الدولة وسيحرم

الشعب من التمتع بالحرية والخيرات، وهم يطبقون هذه الخطة، اقتداء بفرعون وملته عندما حذروا الناس من موسى وهارون، كما حكى الله تعالى ذلك عنهم في قوله: { قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ } { يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ } (١) وغيرها من الآيات التي سبق ذكرها قريبا في هذه الوسيلة

(١) الشعراء: ٣٤ ، ٣٥ .

الوسيلة الخامسة: إغراء المؤيدين بالمناصب والأموال فالسحرة الذين جمعهم فرعون للاستعانة بسحرهم على موسى ، سألوا فرعون هل سينالون منه أجرا إذا هم غلبوا موسى؟ فأجابهم بالإيجاب وزادهم إغراءً، بأنهم سيكونون من ذوي القرب والخطوة منه، وهذا ما يطمع فيه بائعو أنفسهم لذوي السلطان، قال تعالى: { فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ } { قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ } (١) وقال تعالى: { وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ } { قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ } (٢) وهكذا يسابق دعاة الباطل دعاة الحق إلى عقول الناس بالمال والمنصب والجاه بدلا من الحجة والبرهان، وما أكثر المتهافتين على المال والمنصب والجاه ممن باعوا أنفسهم وعقولهم، فأصبحوا وسيلة من وسائل السباق إلى العقول بالباطل، وهم يعلمون أنهم على باطل، جريا وراء المصالح الوهمية التي يعريهم بها طغاة الباطل ضد الحق

(١) الشعراء: ٤١ ، ٤٢ (٢) الأعراف: ١١٣ ، ١١٤ .

ولما كان أهل الباطل يملكون - غالبا - المال والجاه والمنصب، فإنهم يستقطبون ضعاف النفوس، ممن يعلمون الحق والباطل وقد يظهرون أنفسهم بمظهر أهل الحق، من أجل أن يخدعوا الجهال من أتباع الحق، فيصرفوهم عنه إلى الباطل باسم الحق، وإنما يفعل ذلك ضعاف النفوس هؤلاء مع علمهم بالحق الذي يجارونه والباطل الذي يؤيدونه، لما ينالونه من أهل الباطل ودعاته من مال ومنصب وجاه، لأن ضعاف النفوس هؤلاء كلما كانوا أكثر نفعا لأهل الباطل وأكثر ضررا للحق وأهله، كان أهل الباطل أكثر إغداقا عليهم بما يطمحون إليه، وبخاصة المال الذي تنشأ به مؤسسات متنوعة يكون هدفها سبق الباطل الحق إلى عقول الناس، ويكون مديرو هذه المؤسسات من أمثال هؤلاء الضعاف، ولا تجد بلدا من بلدان المسلمين - في الغالب - يخلو من أمثال هؤلاء ولكن الذي يبشر بالخير أن كثيرا من المسلمين قد عرفوا قادة الباطل المستغلين، وضعاف النفوس المستغلين، وكشفوا أحوالهم فأصبحوا مثل مرضى الجذام ينفر المسلمون منهم ومن أفكارهم، إلا من أراد أن يهلك عن بينة.

الوسيلة السادسة: وضع قوانين وأنظمة تؤيد الباطل وهذه الوسيلة من أهم وسائل أهل الباطل في سباقهم بباطلهم إلى العقول، ذلك لأنهم إذا شعروا بظهور الحق للناس وتعلقهم به وميلهم إليه، لقوة حججه وبراهينه، ونفورهم عن الباطل ونبذهم له، لا تكشف زيفه وتهافت شبهه، أقول: إذا شعر أهل الباطل بذلك، فزعوا إلى أعوانهم من فئات الشعب يستصرونهم، لوضع كل الوسائل التي تحول بين الحق وعقول الناس، وتمكن الباطل من الوصول إلى تلك العقول ومن تلك الوسائل: إصدار قوانين تحظر نشاط أهل الحق وتصعد الناس عن الاستماع إليه وعن اتباعه، وتجعل كل وسيلة من وسائل وصول الحق إلى العقول جريمة، يعاقب عليها القانون، ويصبح كل من اتخذ وسيلة لإبلاغ

الحق إلى عقول الناس، مجرماً يستحق العقاب وبذلك يُسهّل قادة الباطل سبيلَ السباق بباطلهم إلى العقول، ويفتحون لتلك السبل وأهلها الأبواب، ويمدون لها يد العون، ويحاصرون كل سبيل من سبل السباق بالحق إلى العقول، ويغلقون أمامها وأمام أهلها كل الأبواب وقد تكون تلك الأنظمة والقوانين ظاهرة، وقد تكون خفية، وقد يكون ظاهرها الرحمة، وباطنها من قبله العذاب.

إن كثيراً من البلدان الإسلامية التي يجارب حكامها الإسلام، تتيح قوانينها وأنظمتها الرضا، وكل الوسائل المؤدية إليه، ولا يعد جريمة إلا في حالات استثنائية خاصة، وعقوبة هذه الحالات لا تردع مجرماً ولا تشفي غيظ معتدى عليه ممن تنتهك أعراضهم، بل إن بعض قادة الباطل في تلك البلدان ينظمون تعاطي الفاحشة وتشرف على تنظيمه بعض مؤسسات الدولة، وذلك باسم الحرية الشخصية، وتشر فضائح تلك الفواحش في وسائل الإعلام بأساليب متنوعة مأكرة، كما تشر وسائل التحريض عليها بالصورة والكلمة باسم حرية الصحافة أو الإعلام الحر وعمامة البلدان الإسلامية بما قوانين وأنظمة للمعاملات الربوية التي حرمها الله في كتابه وجعلها من محاربة الله تعالى.

ويكمن خطر تلك القوانين المؤيدة للباطل والخرابة للحق في أن الحكومات تفرض على الناس احترامها، وتخصص لها أجهزة تتولى تنفيذها قسراً، وتعاقب كل من يحاول بيان بطلانها ومعارضتها لحكم الله ورسوله، وتبالغ في مدحها والثناء عليها، وتنسب كل نعمة من نعم الله الدنيوية على العباد، إلى وضع تلك الأنظمة والقوانين وهمايتها وتنفيذها. ومع تطاول الزمان يألف الناس ذلك ويسهل عليهم العمل به، وتنشأ الأجيال في ظله لا تعرف سواه، فيرسخ في عقولهم أنه حق، ويعظم الخطر عندما يدعي أنصار الباطل أن ذلك من الإسلام أو لا ينافيه، فيقبله الناس على هذا الأساس، ويكون الخطر أشد عندما يجد دعاة الباطل ومؤيدوه من باع دينه بثمن بخس ممن ينتسب إلى العلم، فيفتي باسم الإسلام بأن ذلك الباطل أمر مشروع، وقد يكون ما أفتى به يخالف إجماع علماء الإسلام المبني على نصوص الوحيين، كما أفتى بعض العلماء في هذا العصر بإباحة الربا الذي هو حرب لله ورسوله، وكما أفتى بعض قادة الباطل ممن يحسبون من العلماء بأن سفور المرأة - وليس المراد بالسفور هنا كشف الوجه والكفين، بل المراد كشف غالب جسد المرأة - لا يخالف شرع الله!

وهكذا يضع أنصار الباطل قوانين مفصلة في كل باب من أبواب حياة الناس: الأسرية والمالية والاقتصادية والجنائية والسياسية والعسكرية والقضائية والتعليمية والإعلامية، تحاصر الحق وتطارده وتشوّهه، وقد تستبيح دم أهله، وتؤيد الباطل وتنشره وتكرم كل من يدعمه ويدعو إليه.

الوسيلة السابعة: جعل التعليم منطلقاً لثبيت الباطل وهذه الوسيلة من أمضى الوسائل للسباق إلى العقول، بإبلاغ الحق أو الباطل إليها، وحجب الحق أو الباطل من الوصول إليها وذلك للأسباب الآتية:
السبب الأول: أن التعليم يرافق الإنسان من طفولته إلى شيخوخته، فهو مستمر باستمرار حياة الإنسان والتعليم يصوغ الطفل في طفولته الصياغة التي يريدتها صاحب قرار التعليم، سواء أكان صاحب القرار هي الأسرة أو المدرسة أو الدولة، لأن الطفل لا يملك في طفولته إلا التلقي والتقليد والحاكاة، ومن كان أسبق إلى إبلاغ فكره إليه، حقا كان ذلك الفكر أو باطلاً، كان أملك لعقله وأقدر على قيادته بفكره ولهذا كان التعليم من أهم عناصر الرسالة الإلهية، كما قال تعالى: { كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ } (١)

(١) البقرة: ١٥١.

وكان ذلك تحقيقاً لدعوة أبي الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - الضاربة في أعماق التاريخ، كما قال تعالى: { رَبَّنَا
وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (١)
ولما كان الطفل قابلاً للصياغة المطلوبة بالوسيلة التعليمية، اشتد سياق أهل الحق وأهل الباطل بهذه الوسيلة إلى عقله
(٢) وقد بين الرسول - صلى الله عليه وسلم - كيف يصرف أهل الباطل الأطفال عن فطرة الله التي فطر الناس
عليها بتعليمهم، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ما من
مولود إلا يولد على الفطرة » ثم يقول: اقرءوا: { فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ
الْقَيِّمُ } وفي رواية للبخاري: « فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تُتَّجَّعُ البهيمةُ بهيمةً جمعاء، هل تحسون
فيها من جدعاء » ثم يقول أبو هريرة: { فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ } .
(٣)

(١) البقرة: ١٢٩ (٢) سبق الكلام على ما ينبغي على أهل الحق فعله حيال وسيلة التعليم ص... (٣) البخاري
ومسلم: جامع الأصول (١ / ٢٦٨).

والوسيلة الدائمة المستمرة، يدوم تأثيرها ويستمر ويثبت الفكرة التي يراد لها السبق إلى عقول الناس، ومعلوم دوام
واستمرار وسيلة التعليم ومراحلها التي يمر بها الدارس، فقد تصل - في زماننا هذا - إلى ثلاثين عاماً أو أكثر من
المرحلة الابتدائية إلى المرحلة العليا: الماجستير والدكتوراه، إضافة إلى ما يتعلمه الطفل في محيطه الأسري والشعبي
السبب الثاني: أن التعليم توضع له مناهج معينة مدروسة، يراد بها تحقيق أهداف محددة في كل المراحل التعليمية،
فإذا كانت الأهداف والمقاصد التي وضعت المناهج التعليمية لتحقيقها، هي تثبيت الباطل ونصره ونشره، ومحاربة
الحق وخذلانه ومحاصرته، فإن الأجيال المتلاحقة من أبناء المسلمين تنشأ بعقول استولى عليها الباطل وحجب عنها
الحق، ولذلك يجارون الحق وأهله وغالبهم يجهله، ويؤيدون الباطل وأهله وهم يجهلون أنه باطل، وذلك مبتغى طغاة
الحكم الذين لا بقاء لهم إلا ببقاء الباطل وتواري الحق، فإنهم يُسَخَّرُونَ كل إمكاناتهم لحرب الحق.

السبب الثالث: أن مناهج التعليم توضع لها كتب تتضمن موادها ما يناسب عقول المتعلمين في جميع مراحل التعليم،
ويترتب على دراستها والنجاح في امتحانها حمل مؤهلات، لها شأنها في تقلد المناصب والبروز في الشعب، ولهذا
يجتهد الدارسون في القراءة وتكرارها حتى تترسخ معانيها في عقولهم التي تصيح وعاء لتلك المعاني وأهل الباطل لا
يفسحون المجال لغير الباطل أن يحتل صفحات تلك الكتب، ولهذا تنشأ الأجيال من أبناء المسلمين بعقول ملئت
بالباطل وحجب عنها الحق السبب الرابع: أن التعليم يُعَدُّ له رجال متخصصون في كل علم من العلوم الإنسانية
والنجرية، يدأبون على غرس تلك العلوم في عقول الطلاب، فيحققون بذلك إيصال المعاني التي وضعت لها مناهج
وأعدت لها كتب إلى عقول طلابهم، وأهل الباطل يُعَدُّون المدرسين من أنصارهم، ليحققوا بهم السبق بباطلهم إلى
عقول الناس، ولا يأذنون لأهل الحق بالتدريس والتعليم، خشية من أن يستولوا على عقول المتعلمين بالحق الذي
يدمغ الباطل فإذا هو زاهق.

السبب الخامس: أن التعليم يختار لإدارته والإشراف على مسيرته رجال مؤهلون في مجاله لديهم - مع التأهيل - الرغبة والحماس في نجاحه وبلوغه أهدافه، وأهل الباطل يختارون لإدارة التعليم والإشراف على مؤسساته المتنوعة من يؤيد باطلهم ويحارب الحق وأهله ولهذا نشاهد على قمة المؤسسات التعليمية في البلدان التي يحارب طغاة الحكم فيها الإسلام رجالا لا دين لهم - وإن تسموا بأسماء مسلمين - ولا خلق يجعلهم قدوة حسنة، بل يضايقون ذوي المؤهلات - سواء أكانت مؤهلاتهم إدارية أو تربوية، أو علمية في أي علم من علوم الإسلام أو العلوم الكونية والتطبيقية - كل ذلك من أجل أن يستبدوا بالتوجيه في هذا المجال الذي يصوغ العقول، ويسبقوا باطلهم إليها ويحجوا عنها الحق الذي يحمله أهله وقد يوضع على قمة التوجيه في مجال التعليم من هو فاشل في إدارته، تضع يادارته المصالح أو تعظم، وتكثر المفاسد، ولكن مؤهله لدى طغاة الحكم وأنصار الباطل هو محاربتة للحق وتأييده للباطل، ويعلم هذا كل من عنده وعي وبصيرة واهتمام بمصالح الإسلام والمسلمين.

السبب السادس: أن أعداء الحق ومحاربيه وأنصار الباطل ومؤيديه يستغلون وسيلة التعليم في كل حقبة بما يتناسب معها، فإذا تغيرت أهدافهم بتغير أهوائهم أو ما يظنونهم مصالح لهم، أو بوجوه سادتهم المستعمرين، وغيروا المناهج والمواد والكتب بحسب ذلك، ويصبح ما كان عندهم محمودا أمس مذموما اليوم، ويغيرون حقائق التاريخ والمؤلة والمعاداة، كل ذلك بحسب أهواء نفوسهم التي لا يهدأ لها بال إلا إذا ملأت عقول الناس بباطلها، وحجرت عليها من أن يصل إليها الحق الذي يفقد أهل الباطل المؤهل بوجوده لقيادة الناس بباطلهم وهذا ما يفسر اتجاه بعض الحكومات في الشعوب الإسلامية إلى مراجعة مناهج التعليم وكتبه ومواده، لحذف كثير من النصوص الإسلامية من القرآن والسنة، وبعض الموضوعات في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، وبخاصة ما يتعلق بالجهاد في سبيل الله، والعلاقات مع اليهود والنصارى، لحاجات في نفوسهم يريدون قضاءها، ولا يتم قضاؤها إلا بصياغة جديدة لعقول أبناء الأمة.

ومن هنا يجب على الأمة الإسلامية أن يراقب أهل الحل والعقد فيها مسيرة تعليم أبنائها، حتى لا يعثب أعداء الإسلام بعقول أجيالها عن طريق هذه الوسيلة الفعالة في صياغة العقول؛ لأن آثار التعليم تشمل حياة الأمة كلها، فلا يجوز أن يستبد بمنهج ومواده وكتبه والمشرفين عليه ومعلميه ومتعلميه، من يحارب الحق ويؤيد الباطل ويفسد عقول الناس بأفكاره، لتحقيق أهدافه المضادة لمصالح الأمة.

وقد يجتال أعداء الإسلام من أنصار الباطل على الأمة الإسلامية التي يسوؤها صياغة عقول أبنائها بوسيلة التعليم صياغة تجعلهم عبيدا مطيعين للطغاة، قد يحتالون عليها بإيجاد مدارس يسمونها دينية يضعون لها مناهج يحصرون فيها الدين في مواد لا تتجاوز الشرائع التعبدية وبعض أحكام الأسرة، وسرد بعض الأحداث التاريخية، ويفتحون في تلك المدارس الباب لمن يرغب في دراسة الإسلام، ويُخلون مناهج تلك المدارس من المواد التي يُسيرون بها هم حياة الناس، كالإدارة والاقتصاد والشؤون السياسية والعسكرية والإعلامية والتربوية، ثم يعمدون إلى إنشاء مدارس ومعاهد وجامعات يسمونها بالمدنية، ويضعون لها مناهج تجمع بين العلوم الإنسانية التي وضعها البشر بمعزل عن منهج الله - وقد توافق بعض جزئياتها الإسلام وغالبها يخالفه - سواء منها ما يتعلق بعلم النفس أو علم الاجتماع، أو الشؤون السياسية، أو الاقتصادية، أو العسكرية، وكذلك العلوم

التجريبية الكونية والطبية، وغيرها مما لا تستغني عنه الأمم، وينهل المتعلمون من تلك العلوم، وينالون بها المؤهلات التي تمكنهم من قيادة الشعوب الإسلامية بمناهج علمانية، لا

تمهل الدين الإسلامي وتطبيقه فحسب، بل تحاربه وتحارب كل من يدعو إليه، وقد تحارب من يلتزم به، ولو لم يدع إليه خشية من أن يكون التزامه به يدعو الناس إلى الاقتداء به، لأن الإسلام هو الحق، وما هم عليه هو الباطل، وأهل الباطل يخشون من أن يسابقهم أهل الحق إلى عقول الناس، وإذا فصح المجال لأهل الحق ليسابقوا بحقهم إلى العقول، فإنهم يغلبون أهل الباطل ويسبقونهم بالحق إلى عقول الناس، وإن كانت إمكاناتهم أقل بكثير من إمكانات أهل الباطل، لما يحمله الحق من قوة الحجة والبرهان، وما يحمله الباطل من خرافات وأوهام أما الدارسون في المدارس الدينية المذكورة آنفاً، فإنهم يُحرَمون من الوظائف والمناصب، لعدم وجود مؤهلات توازي المؤهلات التي يحملها طلاب المدارس المسماة بالمدينة، ولو وجد من يحمل تلك المؤهلات من الملتزمين بالإسلام، فإنه لا يفسح له مجال اعتلاء مناصب مثل مناصب العلمانيين، كل ذلك لإبعاد الملتزمين بالإسلام الذي هو الحق من أن يؤثروا به على عقول الناس.

المظهر الأول: إسناد الوظائف العليا إلى من يسند الباطل الوظائف العليا هي مراكز التوجيه والتخطيط والمتابعة، وهي لا تسند إلا إلى من عرفوا بحب الباطل ومناصرته ومن أشربت نفوسهم حب الفساد ونشره في الأرض وإشاعة الفواحش ووسائلها، كما عرفوا ببيع نفوسهم بثمن بخس لمن يمنحونهم مناصب هذه الوسيلة، واستعدادهم الكامل ليكونوا أبقا لهم يتلمسون - ولو من بعد - ما يرضي قاداتهم، فيسخرن وسائل الإعلام كلها لتحقيق ذلك الهدف، مبالغين في قلب الحقائق وتضليل الناس، ليصبح الحق عندهم باطلاً والباطل حقاً، ويترتب على اختيار هؤلاء الموظفين الكبار الذين هذه بعض صفاتهم، أن يجمعوا حولهم موظفين من جنسهم وعلى شاكلتهم، يبالبغون في إرضائهم كمبالغتهم في إرضاء القادة الذين اختاروهم، وبذلك تصبح وسائل الإعلام - في الغالب - مصادر تضليل وكذب وقلب حقائق، تطرق عقول الناس - باستمرار - بالباطل وتحول بين تلك العقول وبين وصول الحق إليها، إلا ما ندر مما فيه مصلحة تعينهم على تثبيت الباطل، وإزالة الحق ومطاردته.

المظهر الثاني: فتح أبواب هذه الوسائل لذوي الأفكار الفاسدة من أبرز هذه المظاهر: فتح أبواب هذه الوسائل كلها لذوي الأفكار الفاسدة والعقائد الكافرة والأخلاق المحطية، لنشر أفكارهم وعقائدهم وأخلاقهم بين الناس، وإبراز أصحاب هذه الأفكار والعقائد والأخلاق، وإطراؤهم إطراء يجعلهم أمام عامة الناس قادة يتبعون وزعماء يُقتدى بهم، ويبنى على أفكارهم وعقائدهم وأخلاقهم، مع تكرار أفكارهم واختيار الأوقات المناسبة لنشرها، بحيث يعرض على أكبر قدر من المتلقين وهم مستعدون لاستقبال النشر وبظرة عجل إلى شاشات التلفاز في العالم - ومنه العالم الإسلامي - وبإصغاء قليل إلى جهاز المذياع، ويتصفح يسير في الصحف والمجلات، سترى وجوهاً، وتسمع أصواتاً، وتقرأ صفحات، لأمثال أولئك المفسدين الذين أفسلوا عقول الناس بأفكارهم وعقائدهم، وجعلوهم يسبحون في بحار منتنة من السلوكيات التي زينوها لهم وساقوهم إليها سوقاً عن طريق وسائل الإعلام.

إن المفكرين الذين يسيطرون على وسائل الإعلام بأفكارهم، هم العلمانيون الذين - لا أقول: إنهم يفصلون الدين الإسلامي عن الدولة، ولكن أقول: إنهم - يجارون الإسلام والداعين إليه، وإن المتفلسفين الذين يلبسون ثياب

الفلسفة، ومن يسمون بالأدباء والشعراء والمتقنين الذين يشككون في الوحي والرسالة واليوم الآخر، ويسخرون من أحكام الإسلام، وإن الإباحيين الذين يسمون بالفنانين، من الذين ينشرون الفاحشة، ويدعون إلى الأخلاق الفاسدة والوقوع في حماها، من ممثلين ومسرحيين ومغنين وراقصين وبهلوانيين وغيرهم، هؤلاء كلهم هم الذين تفتح لهم وسائل الإعلام أبوابها، وتصفهم بالنجوم والرواد والأدباء والكتاب، وهم الذين ضلت بهم الشعوب الإسلامية وتحطمت معنوياتها وانحطت أهدافها حتى أصبحت فيما أصبحت فيه من الذلة والهوان والتبعية.

المظهر الثالث: نشر وسائل الفواحش وإشاعة المنكرات وهذا المظهر في غاية الوضوح في وسائل الإعلام، فإن كثيرا مما تنشره تلك الوسائل هو من المنكرات والفواحش التي تغضب الله ورسوله والمؤمنين، ولا ترضي إلا من يجارب الله ورسوله والإسلام شواهد لنشر وسائل الفواحش وإشاعة المنكرات ومن الشواهد على نشر وسائل الفواحش، وإشاعة المنكرات ما يأتي:

الشاهد الأول: الإكثار من الأغنيات الماجنة

وهي الأغنيات التي تزين الفاحشة صراحة أو ضمنا، بأصوات نساء فقدن الحياء واستمرأن السقوط في مستنقع الرذيلة، فَيَقْتَنُّنَّ بأغنيائهن المتضمنة للدعوة إلى المنكر، وبأصواتهن الخاضعة بقول المنكر شباب الأمة وشاباتنا الذين يجهلون دينهم، ولم يتربوا عليه التربية التي تقيهم الفسق والعصيان وكذلك يفتنهم بتكسرهن وتميلهن ويعريهن الفاضح المعد للفتنة، يشاهد ذلك الناس في المسارح والراقص مباشرة، أو في شاشات التلفاز في البيوت، وقل مثل ذلك في المغنين من الرجال الشاهد الثاني: شغل أوقات الناس بأنواع الرقص والرقص يعد إعدادا يجذب إليه كل فتاتهم: الصغار "الأطفال" والمراهقين والشباب، الرجال والنساء، الحضريين والأعراب.

إن الذي يتتبع وسائل الإعلام التي يسيطر عليها أعداء الحق في الشعوب الإسلامية، ليهوله ما يشاهده من كثرة الرقص والراقصين وشغل الناس بذلك وإلهائهم به، هذا مع ما يصاحبه من عري فاضح، وبخاصة في الفتيات المراهقات، ومن اختلاط الشبان والشابات، واحتضان بعضهم لبعض أمام الجماهير المشاهدة في المسارح مباشرة أو على شاشات التلفاز الشاهد الثالث: الإشادة بأعمال مفسدي الأجيال المسلمة.

وهم الذين يسموهم بالفنانين والأدباء والمفكرين (وكثير منهم إباحيون) تخصص وسائل الإعلام أوقات طويلة لإجراء مقابلات معهم، لإبراز تاريخهم المليء بالفساد الخلقي والإفساد الاجتماعي والقدوة السيئة، وللإشادة بأعمالهم الفنية العفنة وتزيينها ودعوة الناس إلى متابعتها والافتداء بأساطينها العظام، الذين ينتقدون الدعوة إلى العفة والظهر وحجاب المرأة، والبعد عن اختلاط الرجال والنساء غير المشروع، والنهي عن خلوة الرجل بالمرأة، ويدعون إلى تعاطي كل ما يسهل فعل المنكرات والفواحش باسم حرية المرأة، وعملها، والثقة فيها، وباسم التنمية واستغلال الطاقات، وباسم إحياء التراث الشعبي، والبعد عن التزمج والجمود، وغير ذلك مما يزينون به المنكر ويظهرونه في صورة المعروف، ويشوهون به المعروف ويظهرونه في صورة المنكر، وبذلك يقلبون الحق باطلا والباطل حقا، ويضللون عقول الجهال - وما أكثرهم - بدعاياتهم الشاهد الرابع: نشر حوادث المنكرات والفواحش، وقصص الغرام والعلاقات الخرمة - أي يشيعون الفاحشة بين الناس - للإغراء بها والتحريض عليها، مع الصور التلفازية أو الفوتوغرافية الشاهد الخامس: الأفلام المعدة لنشر وسائل الفاحشة.

وقد تكون تلك الأفلام المعدة مكشوفة في نقل صورة الفواحش مباشرة، فلا يؤذن بنشرها في أجهزة الإعلام الرسمية، ولكن يعطى أهلها الذين أعدوها الضوء الأخضر لنشرها وتداولها بين الأسر وفي ملتقيات خاصة من أجل هدم الأخلاق وإشاعة قلة الحياء، وقد تكون متضمنة للدعوة إلى الفاحشة بنشر وسائلها، كأفلام الغرام والحب التي تحرض على الخلوة بالمرأة المتزينة المتبرجة، وتعرض ما يحصل بين المرأة والرجل من عناق وقبلات ونظرات وتبادل كلمات غرامية ساقطة، وهذه الأفلام إما أن تنشر كما هي في البلدان التي وصل حكامها إلى درجة من الوقاحة وقلة الحياء في محاربة الفضائل ونشر الرذائل، وإما أن تحذف منها بعض اللقطات المثيرة خشية من انتقاد بعض الغيورين من أبناء البلدان التي لا زال يوجد فيها من يقول كلمة الحق - وبخاصة إذا طغح الكيل وبلغ السيل الزبي، واللقطات التي تحذف في هذه الأفلام يستطيع من يريد مشاهدتها شراء الأفلام نفسها من محلات متخصصة في بيعها.. قد يقال: ما صلة هذه الأمور بالسباق إلى العقول؟ والجواب أن المقصود بالسباق إلى العقول عند أهل الباطل، هو شغلها بالباطل الذي يصدها عن الحق، وهذه الأمور كلها تؤدي إلى هذا الهدف.

فإذا راقت كثيرا من الناس وجدت هذه الأمور قد استولت عليهم وشغلتهم وأهتهم فلا يفكرون في الخير والفضيلة - إلا من هداه الله وتفقه في الدين واتجه إلى الله - لأن هذه الأمور قد وضعت حواجز بينهم وبين الخير والفضيلة والتفكير فيهما

المظهر الرابع: المبالغة في شغل عقول الناس بالرياضة المحلية منها - في المحافظات والقرى - والقطرية - على المستوى القطري - والإقليمية - على مستوى مجموعة الدول الإقليمية - والعالمية، وإبراز ذلك في جميع وسائل الإعلام: المقروءة والمسموعة والمشاهدة أساليب المبالغة في شغل عقول الناس بالرياضة ويتخذ هذا المظهر أساليب متعددة:

الأسلوب الأول: الإشادة بالرياضة.

وبخاصة كرة القدم - إشادة تجعلها أعلى وأسمى - عند الناس وبخاصة الناشئة - من الجهاد في سبيل الله (١) ، ومن ارتياد المساجد والتفقه في الدين وحفظ كتاب الله، وإذا أردت أن تعرف مدى تأثير هذه الإشادة، فجدول في أحياء كثير من مدن المسلمين وشوارعها، وانظر يمينا ويسرة لترى فرق الشباب والأطفال الصغار الذين يتبارون في كرة القدم، وانظر إلى ملابسهم والشارات التي تزينها وتدلل على تشجيع وتأييد النوادي التي اسولت على عقولهم، فلا تجدهم يفكرون إلا في شراء ملابس الرياضة، واقتناء عدد من الكرات وإصلاح ملاعب في تلك الأحياء والمباراة فيها، للوصول إلى أعلى ما يمكن من التدريب والمران، لا يملون من تضييع أوقات طويلة في هذا العمل الذي أشرته قلوبهم، ثم فتش عن نشاطهم المدرسي ومذاكرة دروسهم وإتقانها، فستجد كثيرا منهم أصفارا إلى اليسار، حتى يضطر المسؤولون في المدارس إلى نقلهم من صف إلى آخر وهم لا يستحقون ذلك، فيتخرج جيل ممسوخ هو المسؤول عن تنمية بلدان المسلمين!

(١) ومما يدل على استيلاء الرياضة على عقول الشباب ، سجدوا أفراد بعض الفرق الرياضية شكرا في وسط الملاعب الرياضية ، لتحقيقهم فوزا رياضيا ، وجهاهير المسلمين تشاهد ذلك على القنوات الرياضية في الوقت الذي

يسيطر اليهود على أرض المسلمين وينتهكون أعراضهم ، ويهدمون بيوتهم ، ويدنسون مقدساتهم ، ويقتلون شبابهم ، ويعتقلون نساءهم ، ويهينون علماءهم...!

وقبل ذلك تجد كثيرا من هؤلاء لا تنجيه أبصارهم إلى المساجد وقد لا يصلون حتى في منازلهم، وكل ما يتمناه أن يصبح يوما من الأيام من نجوم الرياضة التي تشيد بها وسائل الإعلام تلك الإشادة ومن الإشادة بالرياضة وأهلها وجعل الناس يفتنون بها، ما تلقاه من الدعم المالي والإفناق السخي على النشاط الرياضي في وسائل الإعلام، حيث تأخذ فيها حيزا واسعا وأوقاتا طويلة قبل المباراة وأثناءها وبعدها، من مقابلات مع المسؤولين عن الأندية الرياضية والمدربين الرياضيين واللاعبين، وفي كل تلك الأوقات الطويلة تظهر الرياضة في مظهر الأهداف العليا التي تستحق الاهتمام والدعم من كل فئات المجتمع، وتتفق الأموال الكثيرة على وسائل الإعلام التي تنقل ذلك للناس وبخاصة عن طريق التلفاز وبته المباشر عن طريق الأقمار الصناعية من أقصى نقطة في العالم أو إليها.

فإذا ما فاز فريق من فرق البلدان الإسلامية في أي مباراة، سمعت وقرأت وشاهدت من وسائل الإعلام، من الإطراء والمبالغة في الثناء وإظهار الفرح والسرور بذلك، ما يربو على الاحتفاء بالنصر في المجالات العليا: السياسة، والاقتصادية، والجهادية، بل تشعر أنهم قد حققوا فئحة من الفتوحات الإسلامية التي كان يحققها سلفنا الصالح، عندما كان في قمة العزة والمجد وترى على إثر ذلك الفوز المسيرات المرعجة في الشوارع والساحات، مع رفع اليارق والرايات والأعلام، ومع التصفيق والرقص والتزمير بأبواق السيارات إلى درجة إقلاق الناس ومضايقتهم في منازلهم، وطرقهم ومحلاتهم التجارية وبذلك ينقذح في أذهان الناس وعقولهم، أن هذا هو النصر المؤزر الذي يجب أن يحققه شبابهم لبلدانهم التي يحتل الأجنبي اليهودي قلبها - فلسطين - دون أن تنوه وسائل الإعلام بما يجب أن يعده له المسلمون من الجهاد في سبيل الله الذي حجبت هذه الإشادة بالرياضة عقول الشباب من التفكير فيه الأسلوب الثاني: الاهتمام المبالغ فيه بالرياضة والرياضيين.

ويتبين ذلك في الإفناق السخي على مرافقها، وبحضور مناسباتها افتتاحا واحتفاما، واستقبال اللاعبين بالحفاوة والتكريم وبالجوائر والهدايا التي يغدقونها عليهم، وينقلهم في طائرات خاصة إلى أي مكان في العالم، وإنزالهم في أفخم فنادق الدرجة الأولى - ذات العجوم الخمسة! - ومستلزمات ذلك كله وهذا الاهتمام وهذا التقدير لا يناهما كثير من المؤتمرات والندوات والمناسبات الإسلامية في وسائل الإعلام، فيرى الأطفال والمراهقون والشباب والآباء والأمهات ما يحظى به الرياضيون من الاهتمام والتكريم، ويرون الإهمال أو شبهه لمن عداهم ممن هم عدة مستقبل بلدانهم، فيتمنى الصغار والمراهقون وكثير من الشباب وأقاربهم تلك الخطوة التي تنقلها لهم وسائل الإعلام بالصوت والصورة والسطور، وبذلك تحتل الرياضة العقول بدلا من أن تحتلها الأهداف العليا التي تحتاج الأمة الإسلامية إلى تحقيقها لإخراجها مما هي فيه من الذل والهوان ومن ذلك ملايين الدولارات لاستئجار لاعبين مشهورين بالنجاح المنشود، لينضموا إلى فريق أو ناد لترتفع بهم سمعة الفريق أو النادي، أو مدربين أجانب من اليهود أو النصارى ليرتقي بتدريبيهم اللاعبون.

وترى في مقابل ذلك رجال الطب، والمهندسين، وأساتذة الجامعات والمتخصصين في العلوم النادرة، كعلوم الذرة وغيرها تصرف لهم مرتبات قد لا تنفي بجائحتهم، وترى وسائل الإعلام تبرز اللاعبين والمدربين إبرازا مستمرا مبالغا فيه، وترى رجال العلم مغمورين لا يدري عنهم إلا الفئة الجادة القليلة التي عرفت قدرهم وأخذت تتلقى على

أيديهم علومهم، أما عامة الناس فلا يعرفون عنهم شيئا، وبذلك يزهد الناس في هؤلاء العلماء وعلومهم، ويتجهون للاعبين والمدربين، لأن اكتساب الشهرة باتباع طريقهم والقرب منهم سهل ميسور، فلا يتعبون أنفسهم ويكدون عقولهم في تلك العلوم الصعبة التي لا ينالون منها الشهرة ولا المال الذين يناهما اللاعبون ومدربوهم؟ وهذا تحلل الرياضة وأهلها العقول بدلا من أن تحتلها العلوم النافعة وأربابها!

اهتمام الكاتب بالرياضة.

هذا وليعلم أن الكاتب ليس من المستهينين بالرياضة من حيث هي، ولا بأهلها، كيف وهو أول من جد واجتهد في تكوين فرق رياضية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وطالب وألح على المسؤولين فيها، وعلى رأسهم سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، باستقدام مدرّبين رياضيين لطلاب الجامعة ونجح في ذلك فعلا، في وقت كان بعض العلماء يصرحون بتحريم كرة القدم لما يحيط بها من منكرات، ومن أهمها اللعب في أوقات الصلوات وعدم أداء الصلاة حتى يخرج الوقت، ومنها كشف العورات بلبس السراويل القصيرة وغير ذلك وسعى الكاتب - وكان مسؤولا عن شؤون الطلاب في الجامعة إلى اشتراك فرق طلاب الجامعة في المباريات مع طلاب الجامعات الأخرى في المملكة العربية السعودية، وحاول - ونجح - في إقامة الصلوات في داخل الملاعب الرياضية وإدخال نشاطات أخرى مع الرياضة، منها مسابقات القرآن الكريم والسنة النبوية والسيرة المطهرة، والنشاط الكشفي ومسابقة الشعر وغيرها، وكان لذلك أثره في الأوساط الرياضية لا زال بعضه موجودا إلى الآن ولعل في ملفات شئون الطلاب القديمة في الجامعة من الوثائق ما يثبت اجتهاد الكاتب في إدخال الرياضة في الجامعة.

أقول: إن الكاتب ليس من المستهينين بالرياضة ولا بأهلها، بل إنه يمارسها هو بنفسه إلى وقته هذا الذي يكتب فيه هذه السطور، ويعلم ما فيها من فائدة لتقوية الأجسام وتخفيف الوزن من السمينة المعبة، ولكنه ضد المبالغات في الرياضة إلى درجة إشغال الشعوب الإسلامية بما تهدد أرواحها فيها، وتكريم اللاعبين والمدربين أكثر من تكريم علماء الإسلام والمتخصصين في العلوم النافعة لبلدان المسلمين، بل وأكثر من الجيوش التي تحرس هذه البلدان وتدافع عنها، والإشادة بالرياضة والرياضيين والغرض من شأن الجهاد والجهاديين، مع حاجة الأمة الإسلامية إلى رفع راية الجهاد للدفاع عن أرضها ومقدساتها وأعراضها التي تنقل وسائل الإعلام صوراً مخزنة منها، ويناشد بعض المسلمين أعداء المسلمين من اليهود والنصارى والوثنيين - الذين هم وراء كل تلك المآسي والكوارث - أن ينصروا المسلمين ويرفعوا عنهم ذلك الاعتداء! ويوجهون شباب المسلمين إلى الملاعب الرياضية بدلا من توجيههم إلى إعداد أنفسهم إعدادا جهاديا يتدربون على السلاح وصنعه مع نية التقرب إلى الله، ليدفعوا عن أعراضهم وأراضيهم.

الكاتب هو ضد هذه الحالة المزرية التي لو تنبه لها شباب المسلمين الذين ألهتهم الرياضة وتبسيط وسائل الإعلام الأضواء عليهم، لَحَجَلُوا ما هم فيه ونأوا بأنفسهم عن هذا الإلهاء والتحقوا بالجهاديين في سبيل الله، للدفاع عن الأعراس المنتهكة والأراضي المحتلة والمقدسات المهدامة، فهل يعي المسؤولون عن الأمة الإسلامية، وهل يعي شبابها وشعبها هذا الخطر المحدق الذي صرف عقولهم عن معالي الأمور وعن العزة إلى سفاسف الأمور وأسباب الذلة!؟

المظهر الخامس: عدم ثبات الولاء والبراء إن الأصل في المسلم أن يكون ثابت الولاء للحق - لله ولرسوله وللمؤمنين - ثابت البراء من الباطل - من الشيطان وأوليائه الكافرين - ملتزما بالإيمان الصادق والعلم النافع والعمل الصالح، مناصرا للحق واقفا ضد الباطل في كل الأحوال، ولكن غالب وسائل الإعلام لا عقيدة لها ثابتة، ولا ولاء لها دائم، ولا تلتزم الصدق في كثير من الأمور فالعدو الذي تصب عليه جام غضبها فترة طويلة من الزمن، لكفره - في نظرها - أو عدوانه، أو فساد مبدئه أو فسقه أو سوء سياسته وقبح تصرفه، يصبح صديقا هيميا بين عشية وضحاها، وهو لا يزال على ما هو عليه من المبدأ والفسق وسوء السياسة وقبح التصرف.

والصديق المؤمن - في نظرها - المنصف ذو السياسة الحسنة والتصرف الحميد الذي ظلت تلك الوسائل تخفي عليه وتمدحه وتبالغ في الثناء عليه ومدحه، يصبح بين عشية وضحاها عدوا لدودا، وهو لا يزال على إيمانه وإنصافه وسياسته الحسنة وجميل تصرفه، والعداء للأول ينقلب ولاء، والولاء للثاني ينقلب عدا، جريا وراء إرضاء أهواء أعداء الحق المتقلبة - حسب المصالح التي يظنون أنهم يحققونها من تلك التقلبات التي قد تكون في حقيقة الأمر إرضاء لأعداء الإسلام من اليهود والنصارى في الدول الغربية وهذه التصرفات الإعلامية المتقلبة تؤثر على عقول عامة الناس، بل إنها تلبيل عقول بعض من يظنون أنفسهم مثقفين، وتجعلها تضطرب وتوالي من والنه أجهزة الإعلام، وتعادي من عادته بشعور وبغير شعور، والذي يتابع الأحداث في تلك الوسائل لا يخفى عليه هذا الأمر.

ولعل مثلا واحدا نذكره باختصار يكفي لإيضاح هذا المظهر، فالحكومات في الشعوب الإسلامية ظل إعلامها - غالبا، ولو في الظاهر - يذكر دولة اليهود بالعدو المحتل، أو العدو الإسرائيلي وينقل - هذا الإعلام - القرارات المتكررة بمقاطعة جميع الشركات اليهودية أو المعاملة مع اليهود - وإن كانت بعض الدول المستلطة على الشعوب الإسلامية تتعامل في واقع الأمر مع الدولة اليهودية مباشرة أو بوساطة شركات - وكان - هذا الإعلام - يصرح بأنه لا مكان للعدو اليهودي في قلب العالم الإسلامي أو العربي ثم جاءت فترة تراجع فيها هذا الإعلام، فأخذ يصرح بأنه لا اعتراف بالدولة اليهودية ولا سلام إلا بانسحابها من الأراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧م وحصول الفلسطينيين على تقرير مصيرهم بإقامة دولتهم في أرضهم: الضفة الغربية وقطاع غزة، على غرار ما حصل للمسلمين في الهند: باكستان الشرقية وباكستان الغربية اللتين تفصل بينهما الهند بمسافات شاسعة كانت نتيجهما انفصال الدولتين بترتيب هندي....

ثم انقل الإعلام الحكومي في كثير من الدول الحاكمة للشعوب الإسلامية للرضا بمدينة (أريحا أولا!) وبعض الأميال من غزة، مع ما زرع فيهما من مستوطنات يهودية مسلحة، ومع إحاطة الجيش اليهودي بهما، ومع السيادة اليهودية الكاملة عليهما، وبعد الاتفاق السري بين ما سمي بمنظمة التحرير واليهود سكت الإعلام الحكومي عن ذكر اليهود بالعدو، فلا يصف دولة اليهود إلا بما سمى به نفسها: "إسرائيل" وأخذت وسائل الإعلام تهمد لإعلان إلغاء مقاطعة الشركات اليهودية رسميا، أما في الواقع فقد باشرت بعض الدول هذا الإلغاء وتم لقاء مسؤوليها مع اليهود سرا أو جهرا. (١)

وكان إعلام حكومات الشعوب الإسلامية يكرر كلمة: العدو الصهيوني ويتحاشى بعضه ذكر العدو اليهودي، بل يصرح بأننا لا نعادي اليهود لأنهم أبناء عمنا، ولكننا نعادي الصهيونية، إلا أن هذا الإعلام تخلى فجأة عن ذكر العدو الصهيوني أيضا، إرضاء لدول الغرب التي أصدرت عن طريق الأمم المتحدة - وهي واجهة الغرب وبوقه - قرارا

باعتبار أن الصهيونية ليست عنصرية! _____

(١) وقد ارتقت بعض الحكومات في الشعوب الإسلامية اليوم إلى إقامة علاقات دبلوماسية مع اليهود ، بعضها باسم سفارات ، وبعضها باسم مكاتب ، مع المواقف المتشددة المبنية على التدين اليهودي الذي اتبعته حكومة الليكود بزعامة نيتان ياهو!

وهكذا مدينة القدس كان الإعلام في الدول الحاكمة للشعوب الإسلامية يصرح بأنها عاصمة فلسطين، وأن بيت المقدس لا بد أن يكون بأيدي المسلمين، ولكن هذا الإعلام بدأ يفتر الآن عن تصريحاته وإن كان بعضه لا زال بين حين وآخر يذكر القدس على استحياء ومما يدل دلالة واضحة أن الإعلام في الدول المسيطرة على العالم الإسلامي، الذي لا يوجد له ولاء ثابت يرضاه الله ورسوله والمؤمنون، يصف المجاهدين في فلسطين بالمتطرفين ويقف ضدهم في صف دول الغرب، واللؤلؤ العلمانية والأحزاب العلمانية في الشعوب الإسلامية ومنها فلسطين.

ومما يدل على ذلك أن وسائل الإعلام المذكورة لا تكاد تذكر مجاهدي الفلبين المتمسكين بالإسلام، وهم الذين تضمهم جبهة تحرير مورو الإسلامية التي تدعو إلى تحرير جنوب الفلبين وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية فيه، ويرأسها الشيخ سلامت هاشم الأزهرى ، ولكن تلك الأجهزة تهم بجبهة تحرير مورو الوطنية التي يرأسها نور مسواري (ياسر جنوب الفلبين!)، وهو يتقرب إلى الحكومة النصرانية في الفلبين ويريد أن يعقد صلحا معها (١) على أساس علماني وعلى حساب الجبهة المجاهدة، ولا تجد هذا الإعلام دائما - إلا في حالات استثنائية مؤقتة لغرض خاص - في صف الإسلام ودعائه، وإنما يكون ضد الإسلام وضد دعائه في صف عدوه من اليهود والنصارى والوثنيين والأمثلة على ذلك لا تحصى كثرة، وما على من يريد التأكد من ذلك إلا أن يشاهد ويسمع ويقراً ما تيسر له من وسائل الإعلام _____

(١) وقد تم هذا العقد في هذه الأيام في أوائل شهر ربيع الأول ١٤١٧ هـ - .

المظهر السادس: تقليد أجهزة الإعلام الأجنبية، في المصطلحات ومن تلك المظاهر تقليد أجهزة الإعلام التابعة للدول الحاكمة للشعوب الإسلامية لأجهزة الإعلام النصرانية واليهودية والشيعية، والوثنية في الغرب أو الشرق، في إدخال المصطلحات التي ترددها هذه الأجهزة الكافرة ضد الإسلام والمسلمين في قاموس تلك الأجهزة الإعلامية المقلدة مصطلح الأصولية ومن ذلك مصطلح: (الأصولية (١)) التي تطلق في الغرب على فئة معينة من النصارى البروتستانت، الذين يتسكون بظواهر نصوص محرفة تمسكا جامدا، ويحكمون على كل من يخالف ظواهر نصوصهم تلك من النصوص المحرفة أيضا عند الفئات النصرانية الأخرى بأنهم على باطل، وأن الحق هو ظواهر نصوصهم المحرفة فقط، ويقفون موقفا متشددا ضد كل من يخالفهم، ويتسم تشددهم بالعنف _____

(١) وتطلق كلمة أصولي في اللغة الإنجليزية (Jurist) على الضليع في القانون، والحامي، والقاضي، وفيها نوع شبه بكلمة أصولي في الإسلام كما سيأتي، أما الأصولية بالمعنى الظالم الذي يطلق على الجماعات الإسلامية فهو: **«ESSENTIALISM»**.

هذا المعنى المولود في الغرب أطلقه أعداء الإسلام من اليهود والنصارى على كل من تمسك بالإسلام تمسكا صحيحا ودعا إليه، وهو - بهذا المعنى - إطلاق ظالم جائر، لا أصل له في القاموس الإسلامي، بل إن كلمة (أصول) في الشريعة الإسلامية تطلق على علم يروض العقل على البحث والاستبصار، انطلاقا من قواعد ينذر وجود مثلها في

أي دين أو أي علم عند غير المسلمين، إنه علم أصول الفقه الذي هو ميزان دقيق يضبط منهج الفقيه في استنباط الأحكام، ويعصمه من الزلل في اجتهاده، يعلم ذلك كله من له إمام بهذا العلم العظيم من المسلمين وغيرهم، ولذلك تطلق كلمة: "أصولي" على المتخصص في هذا العلم، وجمعه: "أصوليون" والذي يتقن هذا العلم يصل ويجول في ميدان الفقه المستنبط من القرآن والسنة وهو متحرر العقل من التقليد الأعمى، عارف أين يضع قدمه آمن من المزالق التي يقع فيها من يجهل هذا العلم، مقدر للمصالح الراجحة والمفاسد حق قدرها، ويكفي من أراد الوقوف على حقيقة ذلك قراءة جزء من المقاصد من كتاب "الموافقات" للإمام الشاطبي رحمه الله، هذا هو الأصولي عند المسلمين.

وقد يطلق على العالم المتضلع في العقيدة (الإيمان) وقد يسمى فيلسوفاً - والأصل أن يسمى حكيماً - ومع ذلك أطلق أعداء الإسلام من اليهود والنصارى وغيرهم كلمة أصولي أو أصوليين، على علماء الإسلام وأتباعهم من المتمسكين بالدين الداعين إليه بالموعظة والحكمة والمجادلة بالتي هي أحسن، كما أطلقوا على الدعوة إلى الإسلام وتطبيقه في العالم الإسلامي كلمة "أصولية" التي يعلمون أنها مصطلح غربي ينفر من يسمعه من أهل الغرب، والهدف من ذلك تليس الإسلام والمسلمين بثوب لم يفصل عليهما، وإنما فصل على مبدأ يجافي الإسلام ويضاده وعلى فئة بعيدة كل البعد عن الجماعات الإسلامية، وذلك للتنفير من الإسلام والمسلمين والتخويف منهما والتحرش عليهما لخارتبتهما وقد راق هذا المصطلح لأجهزة الإعلام العلمانية في البلدان الإسلامية، فأخذوا يرددونه في وسائل إعلامهم كلها في كل مناسبة وأخذوا يطلقون هذا المصطلح ظلماً وعدواناً على علماء أجلاء يستحقون أن يوصفوا بالأصوليين حسب المصطلح الإسلامي السابق الذكر، لا بحسب هذا المصطلح الغربي الظالم، كما أطلقوه على جماعات أبعد ما تكون عن هذا المعنى.

وعلى سبيل المثال نذكر حزب الرفاه الذي يرأسه المهندس "نجم الدين أربكان" والذي له فترة طويلة يزاوّل السياسة ويدخل في الانتخابات ويفوز بأصوات تمكنه من المشاركة في الحكم، وقد يفوز بأصوات ولا يتمكن بها من المشاركة في الحكم وهو الغالب، ولم يصدر منه شيء من الاعتداء على أحد، بل يُعتدى عليه في وسائل الإعلام ويجارّب حرباً شعواء لا يجارّبها حزب آخر من الأحزاب التركية المعترف بها، ومع ذلك إذا فاز ببعض البلديات المهمة ارتفعت الأصوات المعادية للإسلام واصفة له بالأصولي المتطرف، مع أن هذا الحزب لشدة اعتداله واعتزافه بالقومية التركية وعزمه على نقل النافع من الحضارة المادية الغربية إلى بلاده، أخذ بعض الكتاب الذي يعترفون بوجود أصوليين في الجماعات الإسلامية بالمفهوم الغربي السابق - أخذوا يدافعون عن حزب الرفاه ويبرؤونه من الأصولية المذكورة (١)

(١) راجع على سبيل المثال عدد ٥٥٩٩ ، الخميس ١٦ شوال ، ص ٩ ، وعدد ٥٦٠١ الأربعاء ١٨ شوال ، ص ٧ ، وعدد ٥٦٠٢ ، ١٩ شوال ص ٦ ، وعدد ٥٦٠٤ السبت ٢١ شوال ص ٧ ، وعدد ٥٦٠٦ ، ٢٣ شوال ص ٨ ، وعدد ٥٦٠٧ ، ٢٤ شوال ص ٨ ، كلها في عام ٥١٤١٤ - من جريدة الشرق الأوسط (وقد كون أربكان حكومة مع حزب الطريق القويم بزعامة... الخ...).

ومن ذلك كلمة "التطرف" التي تطلق على الفرد المسلم المنتزم بدينه والأمر به الناهي عما نهى عنه، بل إن كلمة التطرف يطلقونها على الجماعات التي هي أشد بعداً عن الدخول في المسائل الخلافية بين المسلمين، مثل جماعة

الدعوة والتبليغ التي نشأت في الهند، وعليها بعض المآخذ، ولكنها تحاول أن لا تتدخل في السياسة الشرعية الإسلامية، ولا في الخلافات المنهية الفقهية أو غيرها، حرصا منها على أن تهدي الناس - بحسب ما تفهمه من الإسلام - إلى التمسك بالشعائر العبادية والأخلاقية والزهد في الدنيا، ومع ذلك يعتقل أفرادها في بعض البلدان الإسلامية، وهم كعادتهم يتبعون في المساجد لا يؤذون أحدا، ويوصفون بأنهم متطرفون والعالم كله يعلم أن هذه الجماعة لا توجد جماعة مثلها يمكن أن توصف بالهدوء والبعد عن كل ما يثير الناس حتى إنها كانت - ولا زالت - تذهب إلى البلدان الغربية والشيوعية وتقيم فيها المؤتمرات الحاشدة، ولكنها في كثير من البلدان الإسلامية التي تحكمها الدول العلمانية جماعة متطرفة! (١)

(١) راجع الشرق الأوسط عدد: ٥٦٠٩ ، الخميس ٢٦ شوال ١٤١٤ هـ - ص ٤ ، وهذه الجريدة من أشد الجرائد حرصا على إيراد هذه المصطلحات وعلى نشر مقالات الكتاب الذين يستعملونها للتفسير من الإسلام ودعائه. مع أنها تنشر بعض المقالات - أحيانا - تبين الحقيقة في هذا الشأن راجع عدد: ٥٦١١ السبت ٢٨ شوال ١٤١٤ هـ - ص ١٥.

ونحن لا ننكر أنه يوجد غلاة من بعض الأفراد أو بعض الجماعات التي وجدت في العالم الإسلامي، لظروف معروفة من أهم أسبابها الغلو العلماني من طغاة الحكم، ولكننا نأبي إقرار أمرين:

الأمر الأول: إطلاق كلمة أصولي - بالمفهوم الغربي - على أي فرد مسلم أو جماعة إسلامية مهما بلغ تطرفها ومهما وقفنا ضد تطرفها؛ لأن هذا المصطلح أجنبي وعندنا مصطلحات إسلامية تعني عنه مثل: الغلاة وذوو العنف أو الخوارج، إذا وجدت الصفات والشروط التي لا يصح الإطلاق بدون وجودها الأمر الثاني: إطلاق لفظ التطرف على كل ملتزم بدينه داع إليه على الوجه المشروع في الكتاب والسنة، سواء أكان الملتزم الداعي فردا أو جماعة، وعلى مسؤولي وسائل الإعلام في البلدان الإسلامية أن يقلعوا عن هذا الجناح العظيم، وإلا فليعلموا أنهم - إن لم يقلعوا عن ذلك - قد أصبحوا في صف أعداء الله ورسوله الذين يشاققون الله ورسوله ويوالون أعداء الله ورسوله، ويتبعون غير سبيل المؤمنين: { وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } (١)

(١) النساء: ١١٥. هذا ، ومع أن رجال الإعلام المنتسبين إلى الإسلام لا ينجلون من ظلمهم في استعمال هذه المصطلحات في غير محلها فقد انتقد بعض الكتاب الأجانب ذلك في كتاب ألف بعنوان: « انتقام الله » THE GOD REVENGE OF ويسمى المؤلف: جيل كيبل ووضح أن كلمتي التطرف والأصولية مصطلحات دخیلان على الحركة الإسلامية ، وأنها مستمدتان من الديانة المسيحية كما ذكرت ذلك من قبل، راجع جريدة الشرق الأوسط - التي تنهج بهذه المصطلحات الظالمة في كل أعدادها تقريبا - عدد ٥٦٢٦ الأحد ١٣ / ١١ / ١٤١٤ هـ - الموافق: ٢٤ / ٤ / ١٩٩٤ م.

مصطلح الإرهاب والإرهابي

ومن ذلك: إطلاق لفظ: "إرهابي" - نسبة إلى "إرهاب" - على كل من تمسك بالإسلام ودعا إلى العمل به والحكم بشريعته، وإلى إعداد المسلمين العدة لإقامة هذا الدين وإعلاء كلمة الله في الأرض، وحذر من تأمر أعدائه عليه وعلى أهله وقد انتشر هذا المصطلح - أصلا - من أجهزة الإعلام الغربية، وبخاصة بعد تفكك الدول الشيوعية - الاتحاد السوفييتي - والهدف من ذلك توجيه قادة الغرب الحرب الشاملة على الإسلام والتنفير منه، والتخويف منه

بعد أن رأوه ينتشر بسرعة في معازل العلمانية الغربية، ورأوا بيوت الله تنافس كنائس النصرانية في ديارها، كما رأوا كثيرا من شباب المسلمين المؤهلين في جميع التخصصات، وفي أنحاء الأرض كلها، يعودون إلى التمسك بدينهم بقوة، ورأوا الشعوب الإسلامية تتطلع إلى تطبيق شرع الله، بدلا من قوانين الغرب التي فرضت عليهم بالقوة ويعلم قادة الغرب من الباحثين والسياسيين والعسكريين وغيرهم، أن مبادئ الأرض كلها، لا قدرة لها على مواجهة هذا الدين، ما بقي سليما صافيا من التحريف والتبديل، وما بقي له رجال يحملونه، إيمانا وعلما وعملا ودعوة وإعدادا وعدة للدفاع عنه وتبليغه إلى الناس كافة.

وقد حاول أعداء هذا الدين تحريف نصوصه وتشويه معانيه قديما وحديثا، فلم يفلحوا في ذلك؛ لأن الله تعالى قد تولى حفظه بنفسه، وهياً له من يحميه من علماء الأمة جيلا بعد جيل ولهذا ترى قادة الباطل يتكرون في كل عصر ما يجارون به دين الله، من الوسائل المعنوية والمادية، وحرهم له بالوسائل المعنوية أشد على المسلمين من الوسائل المادية ذلك أن الوسائل المعنوية تشكك جهلة المسلمين في دينهم، وتؤثر في عقول بعض الغافلين من المنتسبين إلى العلم، ممن لا يتبهون لكيدهم، كما أن تلك الوسائل تنفر غير المسلمين من الإقبال إلى الإسلام والتعرف على ما فيه من المحاسن، لينقلوا أنفسهم من ظلمات الكفر والفسوق والعصيان.

ومن أهم وسائلهم المعنوية التي اجتهلوا في تضليل المسلمين واستغفاهم بها، وفي تنفير غير المسلمين عن التعرف على الإسلام والدخول فيه، مصطلحا: "إرهاب وإرهابي" اللذين تلقاهما منهم كثير من المسلمين من الكتاب والإعلاميين والسياسيين، وغيرهم وأخذوا يطلقونهما على كل فرد أو جماعة أو دولة تدعو إلى تطبيق الإسلام في حياة المسلمين، وتنادي بإعداد العدة لجهاد المعتدين، على ضرورات حياة الأمة الإسلامية من اليهود والنصارى والوثنيين. وأصبح الآمرون بالمعروف والنهي عن المنكر من علماء الأمة الإسلامية ودعاؤها - الذين يحثون المسلمين على إعداد العدة لإرهاب أعدائهم، والدفاع عن أعراضهم وأوطانهم وأموالهم، في فلسطين، وفي كشمير، وفي إريتريا، وفي الصومال، وفي الفلبين، وفي البوسنة والهرسك، وفي الشيشان... ومن يمد لهم يد العون بالمال - إرهابيين تجب محاربتهم والتضييق عليهم، والوقوف ضدهم في صف أهل الباطل المعتدين على كل حق من حقوق المسلمين.

وغفلوا أو تغافلوا عن نصوص القرآن والسنة، ومقاصد الشريعة الإسلامية الرامية إلى تحقيق العزة لهذه الأمة، العزة التي تقبها من أن يجعل الله للكافرين عليها سيلا، وأن العزة لا تتحقق لهم إلا بإعداد العدة المستطاعة التي ترهب أولئك الأعداء، وتحول بينهم وبين العدوان على مقدساتهم وحرماهم.

وحققوا بذلك ما تمناه أهل الباطل من تفوقهم على المسلمين في مجال العلم والاقتصاد والسياسة والإعلام والسلاح وغيرها، ومن ضعف المسلمين وذلتهم، ليكونوا أتباعا لهم يصرفون شؤونهم كما يريدون؛ لأنهم قد سلبوا هذه الأمة سلاح إرهابها عدوها بإعداد العدة، وأحرزوه لأنفسهم، فاختلفت الموازين، وأصبح المسلمون الذين شرع الله لهم إرهاب عدوهم أذلة، وأصبح أعداؤهم من أهل الباطل أعزة عليهم مستقلين بإعداد العدة التي ترهب المسلمين، بدلا من الأصل الذي أراده الله، وهو: إرهاب أعدائه الكافرين، وفي ذلك إيصال لأمر الله الشرعي، الذي سجله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَأَعْلُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ . (١)

وطمس لقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : « نصرت بالرعب » . (٢)

(١) الأنفال: ٦٠ (٢) البخاري: ٣٢٣ ، ومسلم: ٨١٠.

ومعلوم بدهشة أن الذي يملك القوة التي يرهب بها عدوه تكون له القيادة في الأرض، وأن الذي لا يملك تلك القوة المرهبة يكون مستضعفا ذليلا، والأصل أن تكون العزة لصاحب الحق، والدلة لصاحب الباطل! فهل يليق بالمتسبين إلى الأمة الإسلامية "أمة الحق" وبخاصة من يعد من المثقفين، أن يستخفهم أهل الباطل ويجندوهم لتحقيق مآربهم، فيستعملوا مرافق المسلمين من وسائل الإعلام وتآليف الكذب، لإعانة أعدائهم عليهم، وتضليل المسلمين والعبث بعقول جهالهم، بتشويه المصطلحات الشرعية الواردة في القرآن والسنة، وجعل الحق منها باطلا؟! وليت الذين خدموا أعداء الحق وأنصار الباطل بنشر مصطلحاتهم المشوهة للإسلام والمنفرة منه - كالإرهاب والإرهابي - اطلعوا على شكوى بعض الغربيين الذين دخلوا في دين الإسلام من هجوم قومهم عليهم بتلك المصطلحات الظالمة، ليخجلوا من مسارعتهم - متعمدين أو مستغفلين - إلى الوقوف في صف أهل الباطل باستعمال مصطلحاتهم ونشرها وإطلاقها على غير أهلها شكوى بعض المسلمين في الغرب من تلك المصطلحات الظالمة.

ولنذكر - على سبيل المثال - شكوى المسلم الألماني الدكتور "مراد هوفمان" (١) من إطلاق أعداء الإسلام مصطلح "إرهابي" على المسلم الذي يشتهه في صدور عنف منه، دون غيره من أهل الديانات والمبادئ الأخرى قال: (فالإعلام الغربي يقف على خلفية صلبة من العداوة للإسلام، ولديه قرون استشعار انتقائية لكل همسة تنسب للإسلام، ولديه مصطلحات خاصة جدا، لا يستخدمها إلا للإسلام والمسلمين. فمثلا لم نقرأ في صحيفة أوروبية - أيا كانت - مصطلح "إرهابي" أطلقته على شخص يهودي أو مسيحي... ولكن نقرأ "إرهابي مسلم" وهذا المصطلح ملأ صفحات الجرائد الأوروبية والأمريكية خلال تغطيتها لحادث تفجير المركز التجاري العالمي بنيويورك في مطلع عام ١٩٩٣م وإذا حدث وهاجم إرهابي خارج العالم الإسلامي هدفا ما، جاءت التقارير الصحفية بمصطلح "مقاتل، محارب، فدائي" ولن نقرأ أبدا مصطلح "إرهابي كاثوليكي" أو "متعصب مسيحي" أو "إرهابي هندوسي" حتى المهجوم بالغاز في مترو طوكيو في مارس ١٩٩٥م نسب إلى راديكاليين!!). (٢)

العلوم النظرية

(١) ولد في عام: ١٩٣١م. دكتوراه في القانون، عمل في وزارة الخارجية الألمانية من سنة ١٩٦١م وتولى مناصب في بعثتها في عدة بلدان. دخل في الإسلام سنة ١٩٨٠م في مدينة بون، ألف عددا من الكتب، منها: (نهج فلسفي لتناول الإسلام) و(دور الفلسفة الإسلامية) و(يوميات ألماني مسلم) و(الإسلام كبديل) وقد شنت أجهزة الإعلام الألمانية عليه حملة عنيفة بسبب تأليفه هذا الكتاب الذي يرى فيه أن الإسلام هو المؤهل لإنقاذ الأمم مما هي فيه من شقاء وذنك. و(الإسلام عام ٢٠٠٠) و(رحلتي إلى مكة) (٢) جريدة (أخبار العالم الإسلامي) التي تصدرها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة. عدد: (١٦٢٥) صفحة (٩) بتاريخ: ١٩ - ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٤١٨ هـ - - ٢٠ - ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٩٧م.

ومن ذلك: إطلاق لفظ (العلوم النظرية) على كافة العلوم الإسلامية، حيث يقال عند المقارنة بين العلوم الإسلامية، وغيرها من العلوم المادية - التي هي من فروض الكفاية في الإسلام - : العلوم النظرية والعلوم التطبيقية، مع أن

الدين الإسلامي كله تطبيق وعمل في حقيقة الأمر، وقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة على أن الإيمان الشرعي يشمل الاعتقاد والقول والعمل، وعلى ذلك جماهير علماء الإسلام. (١)

وإذا تأمل الباحث أبواب الإسلام - أصوله وفروعه - وجد غالبها عملية، فالطهارة عمل، والصلاة عمل، والزكاة عمل، والحج عمل، والصيام عمل، والجهاد - إعدادا وتنفيذا - عمل، والبيع والشراء المشروعان، والشركات بأنواعها عمل، والقضاء والحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عمل، والتعاون على البر والتقوى عمل، وهكذا ما قد يظن الجهال أنه ليس من الإسلام كالصناعة والزراعة والتطبيب وغيرهما، وكل باب من أبواب الاقتصاد عمل، والتعليم والإعلام والسياسة الشرعية، كل ذلك عمل _____

(١) وهذا المعنى مبسوط في كتب العقيدة وكتب التفسير وشروح الحديث. راجع تعريف الإيمان في كتاب: (الإيمان هو الأساس) للمؤلف.

ويجب أن يعلم أن كل أعمال المسلم - سواء منها ما كان من العبادات أو من المعاملات هي من الإسلام، يثاب على فعلها أو تركها إذا قصد العبد بفعلها التقرب بما إلى الله، والأدلة متضاربة على ذلك، وقد بسط العلماء القول فيها ويكفي أن تعلم أن أعمال العبد كلها لا تخرج عن الأحكام التكليفية الخمسة، وهي: الواجب والمندوب والمباح والمحرم والمكروه، وهي الأحكام الشرعية التي بينها علماء أصول الفقه في كتبهم، فمن فعل الواجب أو المندوب أو المباح قاصدا بذلك التقرب إلى الله أتاه الله على ذلك، ومن ترك المحرم والمكروه قاصدا به وجه الله أتاه الله على ذلك، ومن فعل المحرم عاقبه الله على فعله، ومن ترك الواجب عاقبه الله على تركه. وهذا يدل على أن ذلك كله عبادة، وهو عمل وتطبيق... وتقسيم العلماء أبواب الشريعة إلى عقائد وعبادات ومعاملات، إنما فصدوا به تقريب أبواب هذه الشريعة لطالبي العلم، وإلا فكلمها دين وكلها إسلام، وإن اعتبر بعضها أصولا وبعضها فروعاً... فكيف يقال بعد هذا كله: إن العلوم الإسلامية نظرية غير تطبيقية؟! وإن الذين يطلقون هذا المصطلح على علوم الإسلام لا يخلون من إحدى طوائف ثلاث:

طائفة ماكرة من أهل الباطل الذين يتعمدون هذا الإطلاق، للتهوين من شأن الإسلام، وأنه من الأمور النظرية التي لا تتوقف حياة المسلمين وتقدمهم على تطبيقها، وهذا هو منهج من يسمون بالعلمانيين، بدليل أنهم يحاربون تطبيق الشريعة الإسلامية والدعاة إلى ذلك التطبيق. وإنما تعمدوا هذا الإطلاق ليغرسوا هذا المعنى - وهو تهوين شأن الإسلام - في عقول أبناء المسلمين.. وطائفة جاهلة تلقفت هذا المصطلح من الطائفة السابقة، وأطلقت دون وعي لمقاصد أهل الباطل في هذا الإطلاق وطائفة غافلة، أي إنما أطلقت هذا المصطلح عن غفلة - بسبب التضليل الإعلامي - وليس عن جهل، فإذا نهت على خطر هذا الإطلاق نبذته وحذرت منه ما رتبته أهل الباطل على هذا الإطلاق:

وقد رتب أهل الباطل على هذا الإطلاق نتيجتين خطيرتين:

النتيجة الأولى: تهوين شأن الإسلام كما مضى والنتيجة الثانية: أن تقدم الأمة إنما يتوقف على العناية بالعلوم العملية التطبيقية وهي التي تمس حياة الناس ويتوقف على إحرازها تقدم الشعوب، بخلاف العلوم النظرية، وعلى رأسها العلوم الإسلامية وما يخدمها.

ويكفي أن يذكر المسلم الحرب الشعواء على مدارس تحفيظ القرآن الكريم، ومعاهد الأئمة والخطباء والقضاة في بعض البلدان الإسلامية - ومنها تركيا -

أليس المسلمون في حاجة إلى مفتين وقضاة شرعيين وأئمة وخطباء وأساتذة لتعليم أبنائهم العلوم الإسلامية وما يخدمها كاللغة العربية بفروعها، والحضارة الإسلامية عبر التاريخ... كحاجتهم - بل أشد - إلى أطباء ومهندسين وصناع...!؟

وقل من تنبه لخطر هذا الإطلاق في وسائل الإعلام المضللة وحذر منه، بل أصبح كثير من الكتاب والأدباء والمؤلفين والإعلاميين يستعملونه، وصار عند عامة المسلمين من المسلمات التي لا تناقش. ولا شك أن هذا من تخطيط أهل الباطل في سباقهم بإطلهم إلى عقول أبناء المسلمين عبدة الشيطان!

ومن ذلك: مصطلح: (عبدة الشيطان) الذي اهتمت به وسائل الإعلام في هذه الحقبة من الزمن، حيث أطلق على من سموا أنفسهم بذلك، ممن ظهروا في بعض البلدان الإسلامية والغربية، ويوهمون كثيرا من الناس - ومنهم بعض المسلمين - أنه لا يطلق هذا اللفظ إلا على أمثال هؤلاء ممن يصرحون بأنهم يعبدون الشيطان، مع أن هذا اللفظ يطلق في القرآن وفي السنة على من اتبع سبل الشيطان مخالفا أمر الله وصراطه المستقيم شاملا لعدد كبير ممن ينتسبون إلى الإسلام بأسمائهم ويجارونه بسلوهم.

والذي يتبع بعض الآيات القرآنية يتبين له أن كثيرا من المنتسبين إلى الإسلام الذين لا يصرحون بأنهم من عبدة الشيطان، بل قد يستعيذون منه ويلعنونه، هم أشد عبادة للشيطان ممن يصرحون بأنهم يعبدونه، وبخاصة أولئك الطغاة الذين حرموا الشعوب الإسلامية من التمتع بحكم الله الذي أنزله في كتابه وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وأحلوا محله الحكم بالطاغوت، بل إن هؤلاء هم السبب الرئيس لظهور من يصرحون بعبادة الشيطان، لأنهم لو حكموا كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - في حياة الناس لأوجدوا المناخ الإسلامي الذي يقي المسلمين - وغيرهم - من اتباع خطوات الشيطان، وقضوا بذلك على الوسائل الداعية إلى عبادة الشيطان... ولكنهم - مع تمجيد وسائل الإعلام لهم - لم يدعوا خطوة من خطوات الشيطان إلا خطوها، ولا سيلا من سبله إلا سلكوها والله تعالى يقول: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ } (١)

(١) البقرة

ويقول: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ } (١) ويقول: { وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ كُلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ } (٢) ويقول: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } (٣)

(١) البقرة (٢) الأنعام (٣) التور

ومن أعظم خطوات الشيطان التحاكم إلى الطاغوت الذي فرضه الطغاة على الناس فرضاً في كل شأن من شؤون حياتهم، والقرآن الكريم يدل على تكذيب من يدعي الإيمان وهو يتحاكم إلى الطاغوت، ويدل على أن من أطاع غير الله في تحليل ما حرم أو تحريم ما أحل قد عبد غيره تعالى. فكيف بمن شرع للناس تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله وفرض ذلك فرضاً على الناس، وفرض عليهم التحاكم إلى الطاغوت بسطوته وسلطانه!؟

قال تعالى: { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَأِلهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } (١) وقال تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّحَكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا } (٢).

(١) التوبة (٢) النساء.

المظهر السابع: محاصرة كل وسيلة إعلامية تحمل الحق وكما تفتح أجهزة الإعلام الأبواب لأفكار أهل الباطل الفاسدة، لتصل إلى عقول الناس، فإنها تحاصر أفكار أهل الحق من أن تصل إلى تلك العقول. وذلك باتباع الأسلوبين الآتيين:

الأسلوب الأول: عدم الإذن بالمطبوعات التي تتضمن بيان الحق وفضح الباطل سواء كانت تلك المطبوعات كتباً أو جرائد ومجلات، أو منشورات، تمنع طبعا وبيعا وتوزيعا في داخل الشعوب الإسلامية التي يحارب حكامها الحق الأسلوب الثاني: استنفار جيش الجمارك لمنع وسائل الحق.

نعم يستنفر قادة الباطل جيشا كبيرا من الموظفين في إدارات البريد والجمارك الجوية والبرية والبحرية، لرصد المطبوعات وشرايط الكاسيت والفيديو التي ترد إلى الشعوب الإسلامية - ولو كانت من بلد إسلامي - وهي تحمل الحق، فتصادر وتمنع من الوصول إلى عقول الناس في داخل تلك الشعوب، مع تيسير دخول الوسائل المماثلة التي تحمل الباطل، بحيث تغرق بها المكتبات التجارية وتكون في متناول الأفراد والأسر، وكذلك تسهل سبل نشر الكتب والجرائد والمجلات وأشربة الكاسيت والفيديو التي تنشر الباطل سواء أكان عقدياً أو فكرياً أو أخلاقياً، يؤذن بطبعها وبيعها وتوزيعها، وقد تتولى إدارات الإعلام في تلك الشعوب الإسلامية توزيع تلك الوسائل مجاناً إمعاناً في نشر الباطل ومحاصرة الحق وتدعم محاصرة الحق والحجر على العقول منه، بمنع كل وسيلة إعلامية تحمله، ونشر الباطل وتسهيل كل وسيلة تحمله إلى عقول الناس، أنظمة إعلامية وأجهزة إدارية تنفيذية ظاهرة وخفية تسهر على تنفيذ المخطط الآثم الذي قصد به الحجر على العقول من أن يصل إليها الحق، وفتح الأبواب للباطل ليستقل بتلك العقول.

بل إن بعض محاربي الحق الداعمين للباطل في بعض البلدان الإسلامية، يحاربون من أعلن توبته إلى الله من الأعمال التي تصرف عقول الناس عن الحق إلى الباطل، ويمنعون كتبهم ومذكراتهم بسبب توبتهم، خشية من أن يكثر التائبون إلى الله ويقبل رواد الفتنة وناشرو الفواحش والداعون إلى المنكرات، كما قال تعالى: { وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا } (١)

(١) راجع جريدة: الاقتصادية السعودية. عدد: ١٦١٥ الثلاثاء: ٦ / ١٠ / ١٤١٨ هـ - - ٣ / ٢ / ١٩٩٨ م. صفحة: ١٤ بعنوان: (منع مذكرات القنوات الثابتة).

وهؤلاء الذين يجبرون على العقول من أن يصل إليها الحق في وسائل الإعلام، أو ييسرون السبل لوصول الباطل إلى تلك العقول عن طريق تلك الوسائل، هم في الحقيقة أشد خطراً على الإسلام والمسلمين من قطاع الطرق الذين يخيفون السبل ويسلبون الأموال ويزهقون الأرواح. ذلك أن قطاع الطرق يشعر الناس كلهم بخطورهم والضرر الذي ينزلونه بالناس، فيتداعى لدرء خطرهم الخاصة والعامة ويتعاون على حرهم الحكام والمحكومون، فلا يدوم خطرهم بل يزول في وقت قصير - نسبياً - أما أعداء الإسلام الذين يدأبون بالسباق إلى العقول بإبلاغ الباطل إليها وقطع الطريق على الحق من أن يصل إلى تلك العقول، فإن خطرهم لا يظهر - في أول وهلة - إلا لفئة قليلة من الناس، وهم المفكرون الإسلاميون من ذوي العلم والبصيرة، والحرص على مصالح الأمة، وهؤلاء يقف لهم أعداء الإسلام بالمرصاد مكتمين أفواههم من أن تصدع بالحق وتنبيه على الخطر، مكسرين أقلامهم من أن تحط كلمة تحذر الناس من شرهم وفسادهم، بل إنهم يُضايقونهم في رزقهم ووظائفهم وتقلاتهم، وقد يزوج بهم في السجون والمعتقلات، وينزل بهم من التعذيب والعقاب ما لا يطاق، وقد يقتلون في سجورهم غيلة أو يحكم عليهم بالقتل ظلماً وعدواناً، ويعلن للناس أنهم مجرمون، والناس لا يعلمون حقيقة الأمر؛ لأن عقولهم قد ضللتها أجهزة الإعلام التي هيئ لها أن تصل إلى تلك العقول ولا يعلم غالب الناس بخطر هؤلاء المفسدين للعقول، إلا بعد فوات الأوان، بفساد العقول وما يترتب عليه من آثار مدمرة لحياة الأمة، وهنا يكمن الخطر العظيم، كما هو واقع الأمة الإسلامية اليوم.

المظهر الثامن: قلب الحقائق التي تضلل بها الشعوب إن تلك الأجهزة تعتمد تضليل الشعوب الإسلامية بقلب الحقائق في كل مناهج حياتهم ومرافقها، في الشؤون السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية، والعلاقات الدولية، بحيث تظهر وسائل الإعلام لتلك الشعوب صواب تدبير قادة الباطل من الطغاة الخارئين للإسلام والحق والمؤيدين للباطل، في كل تلك المناهج والمرافق، وأن الغاية من تدبيرهم وتصرفاتهم إنما هي مصلحة تلك الشعوب وعزها وسؤدها.

مع أن الواقع بخلاف ذلك - في الأغلب الأعم - إذ تكون سياستهم لشعوبهم سياسة غش وخداع، يوسلون بها إلى ما يحقق مصالحهم الذاتية، ولو حطموا بذلك مصالح تلك الشعوب وجلبوا لها المفاسد المدمرة، من ظلم وغصب ونهب ونشر فساد وإذلال، كما يحطمون اقتصاد تلك الشعوب باستنزاف خيراتها وإنفاق أموالها فيما لا يعود عليها بفائدة، بل يعود عليها بالضرر، ويعود على أعداء الأمة الإسلامية بالفائدة، ويحملون تلك الشعوب بالديون الربوية التي تتضاعف عليها وترهقها وتجعلها خاضعة لأعدائها من اليهود والنصارى الذين يغرقونها بتلك الديون، وغالب تلك الأموال والديون يستأثر بها قادة الباطل الذين يضللون الناس بالدعايات الكاذبة التي تقلب الحقائق وتفسد العقول وهكذا يضللون عقول الشعوب الإسلامية بالثقافات الأجنبية التي تحارب الإسلام وتشوهه، كأفكار كثير من المستشرقين والمنصرين والمحدثين، ومن يسمون بالأدباء، وكثير منهم منحلون، والعلمانيين والحدائثيين والماسونيين وغيرهم من دعاة الفساد الذين تؤثرهم - غالباً - أجهزة الإعلام على من سواهم من دعاة الحق، حتى لا يسابقوهم بهذا الحق إلى عقول الناس، مع المدح المبالغ فيه لأولئك وغمز وذم هؤلاء.

أما التضليل الإعلامي للشعوب في الشؤون العسكرية فحدث عنه ولا حرج إن الشعوب الإسلامية عندما تسمع وترى وتقرأ الضجيج الإعلامي الذي يطري القوى العسكرية، سواء ما تعلق منها بالجنود أو المعدات، وما صرف في ذلك من أموال هائلة، يقدر في عقولهم أن لديهم قوة عسكرية قادرة على دفع عدوان أي عدو عليها، بل ربما ظنت أكثر من ذلك أن تلك القوة قادرة على إخافة العدو وإرهابه وهو في عقر داره، تحقيقاً لأمر الله تعالى بإعداد العدة التي ترهب العدو، ولكن إذا جد الجد وحان وقت العدوان على تلك الشعوب تبين لأهلها مدى تضليل عقولها من أجهزة إعلامها التي خدعتها بقلب الحقائق وكثرة الأكاذيب، وظهر لها أن الأموال الهائلة التي قيل: إنها أنفقت لتقوية جيوشها، قد ذهبت إلى خزائن أخرى لا صلة لها بتلك القوة الوهمية التي ظنوها ملجأ لهم - بعد الله - من أي عدوان خارجي، وقد لا يرون لتلك القوة من أثر إلا عندما تنزل شوارع مدنها لضرب المعارضين من أبناء الشعوب الذين ينادون بإصلاح الأمور وتقويم السياسة المعوجة، فيذكرون عندئذ قول الشاعر:

أسد عليّ وفي الحروب نعامة ... فتخاء تنفر من صفيير الصافر

والخلاصة أن وسائل الإعلام تضلل العقول، وتقلب الحقائق، وتصور الحق في صورة الباطل، وتصور الباطل في صورة الحق، وتوهم الناس بأن الكذب صدق، وأن الصدق كذب، وأن الشجاعة جبن وأن الجبن شجاعة، وأن الظلم عدل، وأن العدل ظلم، وأن المصلحين مفسدون، وأن المفسدين مصلحون: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ } { أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ } (١) هكذا استغل أعداء الحق من حكام الشعوب الإسلامية الخاربيين للإسلام وسيلة الإعلام، لتثبيت الباطل ونشره، ومطاردة الحق ومحاصرته وتشويهه

(١) البقرة: ١١ ، ١٢ .

الوسيلة التاسعة: إقامة محاكم ظالمة لحماية الباطل وأهله مقومات هذه الوسيلة:

ولهذه الوسيلة مقومات:

المقوم الأول: وضع قوانين ونظم تمكنها من نصر الباطل يصدر تلك القوانين طواغيت الظلم والاستبداد وأرباب المعاصي والشهوات، وذوي العقائد الفاسدة والأفكار الهدامة، ليكون ما يأتونه من الباطل وما يتركونه من الحق مشروعاً، ليس لأحد الاعتراض عليه كما يصدرون قوانين أخرى تحظر الحق وتعاقب أهل الحق والدعاة إليه، وتعتبرهم شذاذاً خارجين عن القانون الذي أوهموا الشعوب أنه إنما وضع لمصلحتها ولتثبيت الحق والعدل، وهو في حقيقة الأمر إنما وضع لمصلحة قادة الباطل ومحاربة الحق وأهله.

المقوم الثاني: محاربة الحكم بشرع الله ومحاربتهم بالحكم بشرع الله الذي أنزله في كتابه وفي سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - بحجة أنه غير صالح للتطبيق في هذا العصر، واعتبار الدعاة إليه مجرمين مرتكبين للخيانة. ولذلك يتعرضون للمحاكمة الظالمة التي قد يصل الحكم فيها إلى القتل، بعد أن ينال الداعية إلى حكم الله من الأذى في نفسه وأهله وكل من يمت إليه بصلة، ما يصعب تحمله والصبر عليه إلا من أولي العزم من المؤمنين.

المقوم الثالث: تنصيب قضاة يعادون الإسلام والدعاة إليه ومعاداتهم للإسلام قد يكون بسبب جهلهم بالحق الذي جاء به هذا الدين مبيناً في الكتاب والسنة، وقد يكون بسبب بغضهم لذلك الحق الذي يخالف أهواءهم وشهواتهم

ومعتقد انهم - مع علمهم بما فيه - وينبغي على هذا العداء إصدار الأحكام الظالمة على دعاة الحق، مناصرة لأهل الباطل ودعائه.

المقوم الرابع: حرمان الظلمة أهل الحق من إخماد العدالة وذلك بمنعهم من يتصدى للمحاماة عن أهل الحق المظلومين، إذا علم منهم الصدق والوقوف مع أهل الحق ضد الباطل، وتعيين أهل الباطل محامين موالين لهم ولباطلهم، معادين للحق وأهله، ويترتب على ذلك أن يكون المدعي والخامي والشاهد والقاضي كلهم من الخاربيين للحق المؤيدين للباطل، وبذلك لا يتوقع أن تصدر من هؤلاء القضاة أحكام عادلة، بل ظالمة آثمة (١) وقد تستيقظ ضمائر بعض القضاة عند المحاكمة وسماع حجج أهل الحق فيحاولون تخفيف الظلم عنهم، وعندئذ يلجأ الحكام الخاربيون للإسلام - وهو الحق - إلى تكوين محاكم خاصة عسكرية تصدر أحكاما متفقا عليها قبل إجراء المحاكمة، لا تستغرق إلا وقتا قصيرا ينفذ الحكم بعدها مباشرة _____

(١) ينطبق على هذه مثل بمشي يقول: المدعي من أسلم والشاهد من أسلم، والقاضي من أسلم، فكيف أسلم؟! وأسلم: اسم قبيلة.

المقوم الخامس: تضليل الرأي العام في الشعوب الإسلامية وتتولى هذا التضليل - كما هي العادة - وسائل الإعلام التي تدين أهل الحق قبل المحاكمة وفي أثنائها وبعدها، حيث تلفق قوما كاذبة على أهل الحق وتعلنها وتكررها حتى تصبح كأنها حقيقة واقعة، وأهل الحق لا يسمع لهم صوت، حتى عندما يجامون لا تنقل وسائل الإعلام ما دار في وقت المحاكمة، ولو نقل للناس ما دار في المحاكم الظالمة، لعلوا حجج وبراهين أهل الحق، وكذب وتزوير أهل الباطل، وتبين لهم ظلم قادة الباطل الذين صدرت منهم الأحكام الآثمة على أهل الحق.

المسلك الأول: إبعاد أهل الحق عن السبق به في المساجد نعم لقد أبعاد أهل الباطل أهل الحق والدعاة إليه من علماء الأمة الصادقين عن توجيه الشعوب الإسلامية من تلك المساجد، بالتعليم والدعوة والمواعظ والخطب، والتعاون على البر والتقوى، والتنبه على المخاطر المحيطة بالأمة من داخل بلدانهم أو من خارجها، كل ذلك من أجل إبقاء الباطل الذي استغلوا كل الوسائل السابقة وغيرها لإبصاله إلى عقول الناس، والحجر على تلك العقول التي ملأها بالباطل من أن يصل إليها الحق الذي يملكه أولئك العلماء والدعاة، الذين لا يخافون في الله لومة لائم ولا يبيعون دينهم بدنيا غيرهم من أهل الباطل.

المسلك الثاني: اصطناع أئمة وخطباء موالين للباطل وهؤلاء الأئمة والخطباء قسمان: القسم الأول: جاهل، وقد يكون حافظا للقرآن الكريم أو كثيرا منه وهو لا يفهم منه شيئا، وقد يكون عاجزا عن تلاوة بعض آيات القرآن تلاوة صحيحة، فإذا خطب الناس وجدته ذا عي يلوك لسانه غير قادر على نطق جملة من الخطب المنبرية التي يقرأ منها نطقا صحيحا، وغالب تلك الخطب يكون من الكلام المسجوع الميت الذي لا يمت إلى أوضاع الأمة الحاضرة بصلة.

القسم الثاني: عندهم علم بالقرآن والسنة - في الجملة - وعندهم مقدرة على تبصير الناس وتعليمهم وتبصير الأحداث التي تنزل بهم وما يعانونه من مشكلات، وبيان أسبابها وآثارها، والمخارج من مضيقها، ولكنهم - مع قدرتهم تلك - قد باعوا أنفسهم لأعداء الحق، ونصبوا أنفسهم أبواقا لباطلهم، وكثير منهم من ذوي التقعر في

الكلام والتفهيق فيه، تسمعهم يوم الجمعة وهم يجلبلون بأصوات مرتفعة في مكبرات الصوت على منابر جوامع كبيرة في غالب البلدان الإسلامية من شرق الدنيا إلى غربها، تنقل خطبهم في أجهزة الإعلام - المذياع والتلفاز وتنشرها الصحف والمجلات - الموالية لأهل الباطل، وإذا أصغى المصلون الذين ألزمهم الله حضور تلك الخطب وسماعها، إذا أصغوا إلى تلك الخطب، وجدوا أغلبها بعيدة كل البعد عن الموضوعات التي تمهم في حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية والتعليمية والإعلامية وغيرها، أو أنها تؤيد الأوضاع الفاسدة في كل تلك المجالات، وتنفي على صانعي الفساد من أهل الباطل، وتحرض على أهل الحق وتصفهم بأوصاف منفرة كاذبة جائرة، كل ذلك يقصد به تضليل عقول الناس واستغفالها وقلب الحقائق عليها.

والجيد من أولئك الخطباء من يحاول تنزيه لسانه عن غمط الحق والتحريش على أهله، ويحفف من الشناء على الباطل وأهله، ولكنه قد يبتعد عن الحديث عن مشكلات الأمة النازلة بها، التي هم في أمس الحاجة إلى بيانها توجيههم لحلها والخروج من مضايقتها فإذا نزلت بالناس مجاعة وفقر - فعم الضرر شعوبهم ما عدا قلة قليلة من ذوي اليسار والغنى، وبخاصة ذوي النفوذ والمناصب الذين اسولوا على مرافق الأمة وخيراتهم ونهبوها بوسائل وحيل شتى في أوقات سابقة، فأصبحوا يتنعمون بها والناس يموتون جوعاً - سمعتَ خطب أولئك الأئمة تشي على الفقر والصبر عليه، ولا تتعرض لترف المترفين وبذخ الظالمين وتحثهم على البذل والعطاء والتعاون والإيثار وإذا هجم العدو على بلاد المسلمين فاحتلها وعاث في الأرض فساداً، سمعت أولئك الخطباء وهم يشنون الغارة في خطبهم على غير الحدث الماثل خطره، فيسهبون في ذم بعض التصرفات السيئة التي يمكن تأجيلها - وإن كانت مهمة (١) - وتقديم ما هو أهم منها وأخطر

(١) كالتدخين مثلاً

وإذا استحلح الحرمت واطغيت المحصنات الغفلات المؤمنات في عقر دار المسلمين ضربوا عن ذلك صفحاً، وسمعتهم يتحدثون عن الحيض وأقسامه وكثير من أحكامه المعقدة أمام حشود الرجال الذين يستحل حرمتهم أعداؤهم في عقر دارهم، وهم في أمس الحاجة إلى سماع ما يحثهم على الجهاد في سبيل الله بالأفئس والأموال وإن أمثال هؤلاء كمثل طيب يرى مريضين: أحدهما عنده صداع خفيف، والآخر مصاب بإصابات خطيرة برصاصات قاتلة، تدعو الضرورة إلى الإسراع بمعالجته، فيتركه ويهتم بمعالجة صاحب الصداع !. (١)

وهكذا يجد المصلون أنفسهم أمام خطباء - كأجهزة الإعلام - يصفون الظلمة بالعدل، والجبناء بالشجاعة، والقساق بالطاعة، أو يجدون أنفسهم أمام خطباء يتحدثون عن موضوعات بعيدة عن حياتهم، أو هي من حياتهم ولكنهم يحتاجون إلى الحديث عما هو أهم وأولى، فلا يجدون ملجأً يلجئون إليه إلا أن يهربوا من أولئك الخطباء وخطبهم، إلى وضع رؤوسهم على أكفهم ليخللوا إلى النوم حتى تقام الصلاة!

(١) المقصود من هذا أن بعض أولئك الخطباء، وكذلك بعض المفتين والوعاظ، يهملون ما هو ضروري أو أولى بالاهتمام؛ لأنه حدث الساعة، وضرره على الأمة أشد من غيره، ويهتمون في نفس الوقت بما يمكن تأجيله أو تناوله بما يحقق معرفته دون إهمال الضروري أو الأهم، أي إنهم يهولون ما لا يحتاج إلى التهويل ويهملون ما هو مهول فعلاً، وليس المقصود إهمال الأحكام التي يحتاج إليها الناس في أي باب من أبواب الشريعة.

وبهذا جعل أهل الباطل منطلقات الحق منطلقات لباطلهم، تلك المنطلقات التي قال الله تعالى فيها: { إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ } { أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } (١) وقال تعالى: { فِي بُيُوتِ الَّذِينَ أُذِنَ لَهُمْ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ } { رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ } (٢) _____

(١) التوبة: ١٨ ، ١٩ (٢) النور: ٣٦ ، ٣٧ .

وليس المراد من ذكر الله وتسيحه مجرد قول بدون تطبيق لشرعه والدعوة إليه والأمر به والنهي عن الصد عنه، فقد قال تعالى - مبينا أن الجهاد في سبيل الله هو مما يدفع الله به الاعتداء على تلك المساجد التي يذكر فيها اسمه - : { أذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ } { الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَبْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ } (١) وإن الذين يجعلون مساجد الله التي هي - في الأصل - منطلقات للحق، منطلقات للباطل، لمن أحق الناس دخولا في قوله تعالى: { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ } (٢) _____

(١) الحج: ٣٩ ، ٤٠ (٢) البقرة: ١١٤ .

وجعل أعداء الحق وأنصار الباطل هذه المساجد - التي أعدت في الأصل لتكون منطلقات للحق - منطلقات للباطل هو نفس السيرة التي سار عليها المنافقون في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - باتخاذهم مسجد الضرار الذي اتخذوه معارضة ومضادة لمساجد المسلمين، وفي طليعتها مسجد الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومسجد قباء، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: { وَالَّذِينَ اتَّخَلَّوْا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَيَحْلِفُونَ إِنْ أُرْدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } (١) والفرق بين من نزلت فيهم الآية وبين أعداء الحق في هذا الزمان من وجهين:

الوجه الأول: أن الذين نزلت فيهم الآية لم يكونوا حكاما للمسلمين، وإنما كانوا يتآمرون في الخفاء؛ لأن قيادة المسلمين كانت بيد الرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولذلك أمر - صلى الله عليه وسلم - بإحراق ذلك المسجد وأراح المسلمين شر أعدائهم المتآمرين _____

(١) التوبة: ١٠٧ .

أما في هذا الزمان فإن الذين يتخذون مساجد المسلمين ضاررا للإسلام والمسلمين، هم حكام يجارون الله ورسوله ويفرضون على المسلمين الحكم بغير ما أنزل الله، وفي يدهم القوة والحكم، ولذلك تكون السيطرة على المساجد لهم، ولا يؤم الناس فيها ويقوم بالدعوة والتعليم والخطابة فيها - غالبا - إلا من يواليهم ويضلل عقول الناس أو يخدرها بالباطل، ولا يصدع بالحق الذي يجاربه أولئك الحكام.

الوجه الثاني: أن الذين نزلت فيهم الآية لم يستطيعوا أن يسيطروا على أكثر من مسجد واحد - وكان ذلك بمؤامرة خفية - لم تدم لهم طويلا. أما الذين اتخذوا المساجد منطلقات للباطل في هذا الزمان، فقد استطاعوا أن يسيطروا على غالب مساجد المسلمين، وبخاصة المساجد الكبيرة ذات الشأن في البلدان الإسلامية، لأنهم هم قادة المسلمين وحكامهم، وسيطرتهم عليها مبنية على حق مشروع بقوانين وأنظمة وأجهزة صنعوها لأنفسهم، بحيث تعد تصرفاتهم في تلك المساجد مشروعة وهي الأصل، حسب تلك القوانين والأنظمة، وتعد تصرفات غيرهم فيها - ولو كانت هي الشرعية في الحقيقة - خارجة عن القانون والنظام، يستحق أصحابها العقاب والمساءلة. وبهذا أصبحت مساجد المسلمين - في الغالب - ينطبق عليها قول الشاعر:

حرام على بلابله اللوح ... حلال للطير من كل جنس

(١)

اتقوا الله ما استطعتم _____

(١) ذكرت هنا مثلا واحدا لاتخاذ أهل الباطل منطلقات الحق منطلقات لباطلهم، وهي: المساجد، وهناك منطلقات كثيرة للحق يتخذها أهل الباطل منطلقات لباطلهم، كالقرآن الكريم (أساس جميع منطلقات الحق) الذي يحرفه أعداء الإسلام من المستشرقين والمنصرين، أو علماء السوء الذين اتبعوا علماء أهل الكتاب في اشتراطهم بآيات الله ثنا قليلا.... وقد يكون تحريفه عن طريق تفسير ألفاظه بغير معانيها المرادة، أو عن طريق ترجمته. وكذا سنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - التي يعتمد أهل الباطل إلى الطعن فيما صح منها، أو تحريف معناه، وإلى اختلاق أخبار كاذبة وإسنادها إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولكن الله تعالى هيا حفظ كتابه وسنة رسوله من يذب عنهما، ويرمي بشبه الحق كل باطل حاول أهله إيصاله إلى عقول الناس بتحريف الوحيين لفظا أو معنى...

ومع ذلك يجب على أهل الحق من العلماء والمفكرين والخطباء، أن يحرصوا على العمل في المساجد، وعدم التخلي عنها، ومحاولة القيام بما يقدرون عليه من إيصال الحق إلى عقول الناس، سواء بقراءة القرآن في الصلوات، أو بالخطب والمواعظ، أو بالتدريس والتعليم، والإمام الحكيم يستطيع أن يتحين القرص ويفيد الناس في الحدود المستطاعة، { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا } ولا ينبغي لمن عنده القدرة على إفادة المصلين - ولو قلت - التخلي عن القيام بما يقدر عليه.

الوسيلة الحادية عشرة: استغلال أهل الباطل اختلاف العلماء طرق الاستغلال ولهم في هذا الاستغلال طرق شتى، نذكر منها ما يأتي:

الطريق الأولى: إعداد عملاء يلبسون لباس التقوى والصدق.

ويظهرون الحماس للإسلام والغيرة عليه، والانخراط في بعض الجماعات الإسلامية، والتظاهر بالإعجاب بمنهجها وأفكارها ومظاهرها وحفظ مصطلحاتها وتكرارها، حتى تنثق تلك الجماعة في أولئك العملاء من باب حسن الظن بالمسلم، فإذا بلغوا هذا المبلغ، أخذوا يورون نار الحقد في نفوس أعضاء من يتلون بهم من الجماعات ضد الجماعات

الأخرى ومناهجها وأفكارها، وشن الهجوم عليها وتنفير الناس منها واتهامها بالتهمة الباطلة، فيكون من أثر ذلك نفور عامة الناس من تلك الجماعات التي اتخذتها تلك الجماعة والعملاء المندسون فيها هدفا للسب والشتيم والتحذير من مناهجها ودعوتها، مع أن لدى تلك الجماعات التي حصل التنفير منها كثيرا من الحق، وقد يكون غالب ما عندها هو الحق، وإذا كان عندها شيء من الخطأ فقد يكون ناشئا عن اجتهاد، وقد لا يكون خطأ في حقيقة الأمر - وإن كان خطأ عند جماعة أخرى - وبهذا يحصل حجر على عقول الناس من أن يصل الحق الذي عند تلك الجماعات إليها، مع أن تلك الجماعة التي اندس فيها العملاء، قد يكون ما عندها من الخطأ أو الباطل أكثر مما عند الجماعات الأخرى، فحاول تلك الجماعة والعملاء الذين اندسوا فيها أن يسبقوا بما عندهم من الخطأ أو

الباطل إلى عقول الناس الذين لا يفرق كثير منهم بين الخطأ والصواب ولا بين الحق والباطل.

الطريق الثانية: استغلال الحاجة للدعم المالي مع سوء تقدير بعض قادة تلك الجماعات لعواقب ذلك الاستغلال، أو مع ضعف إيمان بعض قادة تلك الجماعات، أو جهلهم بمقتاتق الشريعة الإسلامية ومقاصدها، والمصالح والمفاسد المترتبة على تصرفاتهم المبنية على ذلك الاستغلال، فإذا ما وجد أهل الباطل أنفسهم في حاجة إلى نصر باطلهم والسبق به إلى عقول بعض الناس أو عزوا لتلك الجماعة أو الجماعات بتأييد ذلك الباطل ولبس الحق به والتماس أدلة تسنده، إما بتأويل فاسد، أو رأي شاذ، أو غير ذلك، فتفعل ما طلب منها فتلبس الحق بالباطل على كثير من الناس.

الطريق الثالثة: استغلال عواطف بعض العلماء في المناسبات وذلك بتحريضهم للوقوف ضد خصم معين في ظرف خاص لغرض محدد، وقد يكون ذلك الخصم من ذوي الإحاد أو ممن يجارب حكم الله ويعادي دعاة الإسلام ويعذب علماءه، وهذه الأمور تقتضي كفره، ولكن أهل الباطل من أمثاله يوالونه ويعاونون معه على الحق وعلى الباطل، فإذا ما جرى بينهم وبينه نزاع وخصام يقتضيان حشد أهل الباطل أعوانا لهم عليه من رعاياهم أو غيرهم للوقوف ضده في حق أو باطل، استغلوا عواطف العلماء الذين يبغضون ذلك الخصم لجرمه وهيجوهم عليه، لإصدار الفتاوى والبيانات التي تدينه وتحكم عليه بما هو أهل له، من فسق أو ظلم أو كفر كان متصفا بما قبل هذه الفتاوى والبيانات، فيترتب على ذلك أضرار خطيرة في عقول عامة الناس:

الخطر الأول: أن يفهم كثير من الناس أن أهل الباطل الذين استغلوا العلماء ضد ذلك الخصم هم على الحق، وخصمهم على الباطل في ذلك الظرف الخاص وفي القضية التي كانت سببا للنزاع بينهم وبين ذلك الخصم، وقد يكون الواقع بخلاف ذلك، فقد يكون الخصم على الحق، ومستغلي العلماء على الباطل في تلك القضية، فيكون في فتاوى العلماء وبياناتهم في هذا الظرف تضليلا للعقول وتأييدا لظلم صاحب باطل على مثله.

الخطر الثاني: أن أهل الباطل الذين استغلوا بعض العلماء ضد ذلك الخصم، إذا زال سبب خلافهم مع خصمهم، عادوا إلى موالاته والتعاون معه - على الحق وعلى الباطل - وقد ينصرونه على خصم له بالحق وبالباطل، وقد يحاولون استغلال أولئك العلماء - أو غيرهم - للوقوف معهم في ذلك، وقد يستجيب لهم بعض العلماء لأسباب مشابهة للأسباب السابقة التي جعلتهم يقفون ضد ذلك الخصم أولا، فيحدث ذلك بلبلة في عقول الناس واضطرابا،

فيفقون موقف الريبة من العلماء، وقد لا يقبلون فتاواهم ولو كانت حقا، وفي ذلك حجر على عقول الناس من أن يصل إليها الحق، وسبق بالباطل إليها (١). وهذه الوسيلة من أخطر الوسائل التي يتخذها أهل الباطل للسبق بباطلهم إلى العقول، أو الحجر عليها من أن يصل إليها الحق. لذلك يجب أن يكون العلماء والجماعات الإسلامية على حذر شديد، من أن يكونوا أداة لأهل الباطل الذين يجيدون المكر والحيل والاستدراج والاستغلال

(١) ومما يضلل عقول الناس أن أهل الباطل لا يأذنون للعلماء الذين استغلواهم ضد ذلك الخصم في ظرف معين أن يبينوا للناس مفاصد ذلك الخصم وظلمه عندما ينتهي ظرف الخلاف بين أهل الباطل وخصمهم، بل قد يعاقبون من يذكره بسوء ولو كان حقا!

نتائج البحث

:

تمهيد وتلخيص

ذلك هو الحق، وهذا هو الباطل، وأولئك هم أهل الحق، وهؤلاء هم أهل الباطل، وتلك غايات أهل الحق الذي من أجله يسابقون إلى العقول، وتي وسائلهم التي يتخذونها لهذا السباق، وهذه هي غايات أهل الباطل التي من أجلها يسابقون إلى العقول، وذي هي وسائلهم التي يسابقون بها لإبلاغ باطلهم إلى العقول وبقي أن نبين بعض النتائج المترتبة على هذا السباق الأزلي الأبدي، لعل معرفة هذه النتائج تحفز أهل الحق على التشمير عن ساعد الحد، ليسبقوا أهل الباطل بما عندهم من الحق إلى عقول الناس، أداء للواجب الذي كلفهم الله إياه، وإيقاظا للعالم من آثار الباطل الذي جد أهله - ولا زالوا يجدون - للسبق به إلى العقول، والحجر عليها من أن يصل إليها الحق الذي لا نجاه لهذا العالم في الدارين إلا به.

ولعل معرفة هذه النتائج توقظ ضمائر بعض أهل الباطل، وتنفض غباره عن فطرهم، فيعزموا على الأوبة إلى الله والرجوع إلى الحق، ليكفروا عن سيئاتهم التي دمروا بها العالم بسبب سباقهم الشديد إلى عقول الناس بباطلهم، والدخول في صف أهل الحق ليصبحوا من رواد السباق به إلى العقول بدلا من السباق إليها بالباطل، ولعل كثيرا من سكان هذا الكوكب يدركون خطر تضليل عقولهم من قبل أهل الباطل، وما ترتب على هذا التضليل من مصائب ومحن دمرت العالم، وحرمتهم من الحق الذي ينير العقول، إذا وصل إليها فيخرجها من الظلمات إلى النور، فإذا أدركوا هذا الأمر أعملوا عقولهم ودربوها، لتقف موازنةً بين دعاة الحق ودعاة الباطل، سبّاقة إلى استقبال الحق ورفض الباطل.

يتضح مما سبق أن لكل أمة، أو جماعة، أو دولة غايات تسعى للوصول إلى تحقيقها بالوسائل الممكنة التي ترى في اتخاذها ما يحقق لها تلك الغايات، وأن من أعظم مجال تلك الغايات والوسائل، العقول البشرية التي تحاول كل أمة أو جماعة أو دولة استقطاب أصحابها بإقناعهم بصحة مبادئها أو رجحانها، لما تحقّقه - في زعمهم - تلك المبادئ من فوائد تعود إلى من يلتزم بها ويناضل من أجلها، لتكون لها الهيمنة على ما سواها من مبادئ ولهذا كان السباق إلى

العقول بالغايات والوسائل، دأب كل أمة وشغلها الشاغل وإذا تأمل الباحث أو الناظر في غايات المتسابقين إلى العقول ووسائلهم على مر الدهور، من يوم خلق الله الخلق وإلى أن تقوم الساعة، وجد المتسابقين - قسامين: القسم الأول: هم أهل الحق الذين يكون الحق محور سباقهم، لإيصاله إلى عقول البشر، ووقاية تلك العقول من أن يصل إليها الباطل، أو اجتناب ما وصل منه إليها وإزالته منها.

والقسم الثاني: هم أهل الباطل الذين يكون الباطل محور سباقهم، لإيصاله إلى عقول البشر، ووقاية تلك العقول من أن يصل إليها الحق، أو تضليل العقول التي وصل إليها شيء من الحق والتليس عليها، بأن ما وصل إليها باطل أو لا جلوى منه ولكل قسم غاياته التي يسعى لتحقيقها بالسباق إلى العقول، ووسائله التي يتخذها لذلك وبالمقارنة بين غايات أهل الحق ووسائلهم، وغايات أهل الباطل ووسائلهم تظهر النتائج الآتية:

النتيجة الأولى: غايات السباق إلى العقول بالحق ربانية إن غايات السباق إلى العقول بالحق كلها ربانية، بمعنى أن الذي حدد تلك الغايات وأمر بها، هو الله تعالى، وأن غايات السباق إلى العقول بالباطل كلها شيطانية، بمعنى أن الذي حدد تلك الغايات، ودعا إليها، هو الشيطان الرجيم.

وهذه النتيجة وحدها كافية للفرق بين غايات الفريقين، إذ مُحدّد غايات أهل الحق هو رب العالمين الرحمن الرحيم الذي يريد لعباده سلوك الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا: { يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } { وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهْوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا } { يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا } { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا } (١) _____
(١) النساء: ٢٦ ، ٢٩ .

وَمُحدّد غايات أهل الباطل هو الشيطان الرجيم، العدو المبين الذي يأمر بالفحشاء والمنكر ويدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ } { إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } (١) { إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ } (٢)

(١) البقرة: ١٦٨ ، ١٦٩ (٢) فاطر: ٦ .

النتيجة الثانية: تنتهي غايات أهل الحق رضا الله ورضاه إنما يكون باتباع منهجه، الذي أنزله في كتابه وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وهذه الغاية تتحقق بها سعادة البشرية كلها في الدنيا والآخرة، لأن تطبيق منهج الله تكمن فيه هذه السعادة، وإذا سعى أهل الحق سعيا يحقق رضا الله عنهم تحقق لهم هم أنفسهم الرضا والطمأنينة، ولذا تجدد أهل الحق دائما في سعي حثيث لتحقيق كل ما يرضي الله، والبعد عن كل ما يسخطه، ومن ذلك سباقهم إلى العقول بالحق لإسعاد أصحابها في الدارين.

أما منتهى غايات أهل الباطل فهي التمتع بكل ما في الحياة الدنيا من أكل وشرب وترف ومسكن ومركب ومنكح على أي حال من الأحوال، دون نظر إلى حلال أو حرام، ودون نظر إلى ما يرضي الله أو يسخطه، ولذا تجلبهم في سعي حثيث لما يشبع شهواتهم ويرضي أهواءهم ويحقق مآربهم، وإن كان في ذلك شقاؤهم وشقاء البشرية كلها في الأرض، اتباعا لمنهج الشيطان وبعدا عن منهج الله، كما قال تعالى: { قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى } { وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } { قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا } { قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمِ تُنْسَى } { وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْهَى } (١)

(١) طه: ١٢٣ ، ١٢٧ .

وقال تعالى: { ذَلِكَ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ } (١)
وقال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ } (٢)

(١) محمد: ٣ (٢) محمد: ١٢ .

النتيجة الثالثة الحق الإلهي منحصر في الإسلام

وهو الذي تضمنه كتاب الله وسنة رسوله، وكل ما خالف ذلك من الأديان السابقة سماوية أو غير سماوية، أو المذاهب والأفكار اللاحقة فهو الباطل ولذلك فإن المسلمين وحدهم هم الذين يملكون الحق والوسائل المشروعة المؤدية إلى تحقيق غايات السباق إلى العقول بالحق. وأما غير المسلمين فلا يملكون مما يخالف دين الله إلا الباطل، ولهذا فإن المكلفين السباق إلى العقول بالحق هم المسلمون الذين يملكون هذا الحق فقد بعث الله الأنبياء والرسل عليهم السلام يدعون إلى الحق ويحذرون من الباطل، كما قال تعالى: { وَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } (١) . وقد فصل الله تعالى قصص الرسل مع قومهم وما قاموا به من البلاغ المبين الذي دعوا فيه إلى الحق ونهوا عن الباطل، وختمهم برسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي قال عنه وعن أمته المتبعة منهجه: { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (٢)

(١) النحل: ٣٦ (٢) يوسف: ١٠٨ .

وقد قام أهل الحق من الأنبياء وأتباعهم، وآخرهم نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه الكرام ومن تبعهم بإحسان، فسابقوا أهل الباطل بالحق إلى العقول وحققوا كل الغايات التي حددت لهذا السباق، وانخسروا كل وسيلة متاحة مشروعة لهذا السباق، حتى رفرت راية الحق في كل أنحاء الأرض التي استطاعوا الوصول إليها، وسعد الناس بالحق سعادة شاملة في كل مناحي حياتهم: الإيمانية، والعبادية، والتشريعية، والسياسية، والاقتصادية، والتعليمية، والجهادية، والأسرية، والمالية وغيرها والواجب على الأمة الإسلامية اليوم أن تقوم بهذا الواجب الذي لا يملكه غيرها، وهو السباق إلى العقول بالحق ووقاية تلك العقول من وصول الباطل إليها، وتطهيرها مما وصل إليها منه

فأفسد حياتها، وكل قادر على القيام بهذا الواجب من المسلمين - كل في موقع مسؤوليته وقدرته - آثم إذا لم يقيم به.

النتيجة الرابعة: سبق الحق إلى العقول يحفظ ضرورات الحياة إن من ثمرات سبق الحق إلى العقول يحقق توحيد الله في الأرض وإقامة شريعة الله، ونشر العدل، وغرس الإيمان والأخلاق الحسنة في النفوس ومطاردة الشرك، ونبذ حكم الطاغوت، ومحاربة الظلم والقضاء عليه أو التخفيف منه، وبالجملة: حفظ الضرورات الخمس، التي هي الدين والنسل والعقل والنفوس والمال، وكل ما يخدم حفظها من الحاجيات والتحسينيات ومن ثمار سبق أهل الباطل بباطلهم إلى العقول، إهدار هذه الضرورات وما يخدمها أي إن البشرية تفسد حياتها إذا سبق أهل الباطل بباطلهم أهل الحق إلى العقول، وتستقيم حياتها وتسعد إذا سبق أهل الحق أهل الباطل بالحق إلى العقول وأنا لرى آثار هذه النتيجة اليوم واضحة في الأرض، فقد اعتدِي على ضرورات الحياة وما يخدمها، فأفسد أهل الباطل على الناس دينهم، واعتدوا على نسلهم، وعقلهم، ونفسهم، ومالهم، ونشروا الظلم والقحشاء والمنكر، وحكموا بالطاغوت وبنوا حكم الله، ولم يبق في الأرض صلاح إلا حورب، ولا فساد إلا نشر ودعم.

النتيجة الخامسة: في سبق الحق إلى العقول تكثير أنصاره إن سبق أهل الحق بحقهم إلى العقول، يكثر سواد المسلمين في الأرض فيكثر الأعوان والأنصار وينتشر الحق، ولهذا دخل الناس في دين الله أفواجا عندما قام الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه بالدعوة إلى الله، وتبعهم على ذلك التابعون بحق، فوصل الحق إلى عقول الناس في مشارق الأرض ومغاربها من بكين إلى لشبونة، ومن جاكرتا ومايلا إلى نواكشوط، ومن موسكو إلى الحبشة وعدن، وأصبح العلماء - في جميع العلوم والتخصصات - والأدباء والمفكرون والقواد والساسة في بلدان العالم كلها، من أنصار الحق وحماته وإن سبق أهل الباطل بباطلهم إلى العقول يكثر سواد أهل الكفر في الأرض، فيكثر بذلك أنصار الباطل وأعدائه فيتشر في الأرض ويطارِد الحق وأهله ويسلبهم مجدهم وعزهم، ويهجم عليهم في عقور دارهم.

وهذا ما نشاهده اليوم، حيث جد أهل الباطل في السباق به إلى العقول جدا لم يسبق له نظير، فحققوا بذلك غايتهم المدمرة، واتخذوا كل ما أتيح لهم من الوسائل لإبلاغ الباطل إلى عقول الناس، فكثرت بذلك سوادهم في بلاد الكفر وبلاد الإسلام، حتى فسدت عقول كثير من أبناء المسلمين الذين وقفوا محاربين لدينهم في صف أعدائه الذين سبقوا بباطلهم إلى عقولهم وخلاصة هذه النتيجة أن سباق أهل الحق به إلى العقول ينشره ويثبتته ويكثر أنصاره، ويجتث الباطل ويذل أهله ويجفف منابعه، وأن سباق أهل الباطل به إلى العقول ينشره ويثبتته ويكثر أنصاره ويضيق دائرة الحق ويفتن أهله فليبع ذلك أهل الحق وليجدوا في السباق به إلى العقول امتثالا لأمر الله وحفاظا على سعادتكم وسعادة البشرية بسعادتكم.

المثال الأول: الإيمان ورد الإيمان في الكتاب والسنة مرادا به الاعتقاد الجازم فيما أخبر الله به من الغيب، من الإيمان به إيمانا مبنيا على ما وصف به نفسه في القرآن والسنة من أنه الخالق المدبر الإله المعبود الموصوف بصفات الكمال والجلال.. والإيمان بكتبه وملائكته ورسوله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره، وأن كتابه هو المهيم على سائر الكتب التي نزلت فحرفت، وأن رسوله محمدا - صلى الله عليه وسلم - هو خاتم الأنبياء لا نبي بعده، وأن من مقتضى الإيمان به اتباعه، ومن مقتضى الإيمان بالقرآن تحكيم ما شرع الله فيه... وأن من الإيمان القول باللسان كالنطق بالشهادتين... ومنه العمل بالجوارح كالصلاة المفصلة صفتها في السنة النبوية... أي أن الإيمان اعتقاد

وقول عمل، وأن هذا الاعتقاد والقول والعمل لا بد أن يكون موافقا لما أراده الله، والذي أراده لا يوجد إلا في كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - هذا هو معنى الإيمان باختصار شديد (١)، وهو في غاية الوضوح لمن تتبع الكتاب والسنة وما فهمه علماء الأمة قديما وحديثا _____

(١) وقد فصلت القول فيه في مجلد مستقل بعنوان: ، الإيمان هو الأساس ، وقد طبع في هذا العام: ١٤١٨ هـ.

ولكن هذا المعنى التيسر على كثير من الناس - أعني المسلمين فضلا عن غيرهم - ولهذا ترى بعضهم يطلق لفظ "المؤمنين" على المسلمين واليهود والنصارى، بناء على أنهم كلهم أهل كتب سماوية يؤمنون بالله... مع أن القرآن الكريم قد وصف اليهود والنصارى بالكفار ووصفهم بالمشركين - وإن كانوا في الأصل أهل كتاب - كما وصفهم بأنهم حرفوا كتبهم وبدلوها، ووصف القرآن بأنه مهين على الكتب التي سبقته، فلا يصح إطلاق الإيمان الشرعي الذي يقبله الله ويثيب أصحابه بدخول جنته وينجيهم من عذابه، إلا على الإيمان الذي أراده الله وبينه في كتابه وسنة رسوله، ولا يصح إطلاق المؤمن إلا على المسلم الذي اتصف بذلك الإيمان الذي أراده الله، فليس اليهودي بمؤمن ولا النصراني - فضلا عن غيرهما - بمقتضى المصطلح الإسلامي بل هما كافران مشركان.

وهناك غيبش آخر عند كثير من المسلمين في معنى الإيمان فالإيمان إذا أطلق في الكتاب والسنة هو الإيمان الذي سبق التعريف به، وعلى وجوده بذلك المعنى تترتب آثاره، فإذا وعد الله المؤمنين بالنصر - مثلا - فالمراد بهم المؤمنون المتصفون بالإيمان الذي أراده، فقد قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ } (١) والمسلمون - اليوم - وقد ابتعد غالبهم عن معنى الإيمان الذي أراده الله إما بتركه كلية كحال الملحدين من أبناء المسلمين، أو بمحاربة كثير مقتضياته كتحكيم شرع الله الذي لا إيمان بدونه، أو بالإكثار من ارتكاب المعاصي كالزنا وشرب الخمر، أو بموالاتة أعداء الله من اليهود والنصارى والوثنيين والملحدين والمنافقين - ومنهم العلمانيون -

(١) محمد: ٧.

هؤلاء الذين يدعون الإسلام والإيمان وجلهم على هذه الصفة يتساءلون: أين نصر الله الذي وعدنا به على عدونا وقد أصبحوا سادة لنا يأمرونا وينهوننا، وتفوقوا علينا في الإدارة والصناعة والسياسة والاقتصاد وغيرها؟! ظنا منهم أن المؤمنين الذين أرادهم الله هم أمثالهم، وهذا خطأ فاحش أوقعهم فيه الجهل بالمصطلحات الشرعية الواردة في الكتاب والسنة ولقد تساءل المسلمون من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذين كانوا على نهج الله مطيعين لله ولرسوله محكمين شرعه، فأدال عليهم عدوهم من المشركين يوم أحد، بسبب مخالفة وقعت منهم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - في تلك الغزوة، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين أظهرهم، تساءلوا: كيف ينتصر علينا المشركون ونحن مسلمون نجاهد في سبيل الله؟ فأجابهم الله تعالى أن ذلك إنما كان بسبب من عند أنفسهم، كما قال تعالى: { أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدَّ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَلَيْسَ هَذَا قُلُّ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (١)

(١) آل عمران: ١٦٥.

وإذا كانت هذه هي إجابة الله للمسلمين من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتلك كانت حالهم، فكيف بنا اليوم وهذه هي حالنا؟!

إن سبب هذا الغبش هو عدم وضوح حقائق الأمور وسوء تصورنا؛ لأن أهل الحق قصروا في السباق بما إلى العقول، وجد أهل الباطل فسبقوا إلى تلك العقول بباطلهم، فالتبس الحق بالباطل وقل مثل ما عرفت عن معنى الإيمان في المعاني الأخرى كالشهادة (١) التي يوصف بها الشيعي الملحد والعلماي الخارب لشريعة الله. والرشد الذي يوصف به السفیه. والصلاح الذي يوصف به الفاسد، وهكذا.. ويتحمل وزر ذلك كل قادر على بيان الحق والباطل للناس والسبق بذلك إلى عقول الناس فلم يفعل، ومن باب أولى من كان كذلك فليس الحق بالباطل مشتريا بآيات الله ثنا قليلا، كما قال تعالى: { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّسَ مَا يَشْتَرُونَ } (٢) _____

(١) أي إطلاق لفظ الشهيد على من قتل في معركة ما (٢) آل عمران: ١٨٧.

الأسس التي يتحقق بها الأمن في الدارين

ويتحقق الأمن في الإسلام بثلاثة أسس رئيسية:

الأساس الأول: فقه كل مسلم بدين الله في ما يزاوله من عمل سواء منه ما، تعلق بالله، أو ما تعلق بنفسه، أو ما تعلق بغيره من المخلوقين الأساس الثاني: العمل بما علم من دين الله. عمل الفرد، وعمل الأسرة، وعمل الأمة مجتمعة.. الأساس الثالث: إقامة ولي الأمر أحكام الله الواردة في القرآن والسنة، بحيث يلزم من شد عن تطبيق شرع الله به بالوسائل الشرعية التي قررها الإسلام.. هذا المفهوم الشامل للأمن في الإسلام، لم يعد هو المفهوم عند عامة المسلمين، بل أصبح مصطلح: "الأمن" يعني في قواميس الكتاب، والإعلاميين، والعسكريين، والساسة، وكثير من المفكرين والمؤرخين والأدباء والفنانيين... يعني الوقاية من الجريمة - المحددة عند هؤلاء - قبل وقوعها، وضبط المجرم - بالمفهوم المحدد عندهم كذلك - وعقابه بعد وقوعها وأكثر ما تعني أمن الدولة ورجالها من الاعتداء. ويدخل في ذلك - تبعا - حماية نفوس الرعايا وأمواهم، وما يخل بالأمن - في مفهومهم - من الأعراس. (١)

(١) الاعتداء على الأعراس - كالزنا - ليس جريمة في قوانين أكثر الحكومات في الشعوب الإسلامية، إلا في حالات نادرة، كأن تزني المرأة على فراش الزوجية...!

منهجان ونتيجتان:

ابنى على المفهوم الشرعي للأمن العناية - تعبدا - بالإنسان من وقت ولادته إلى أن يلقي ربه عناية شرعية: العناية بجسمه، والعناية بعقله، والعناية بروحه وعاطفته، وتوجيهه تعليما وتربيا على أن يؤدي إلى غيره من الناس حقوقهم، وألا يأخذ منهم ما لاحق له فيه، وأن يأتي إليهم بما يجب أن يأتوا هم إليه. أي أن يطبق في صلته بالله وبالناس شريعة الله التي لا يتحقق الأمن بدونها فكانت النتيجة أمن الناس على دينهم، وعقلهم، ونفسهم، ونسلهم، وما لهم، بحيث يلتزم كل منهم بحفظ ذلك للآخرين كما يحفظها لنفسه، فإن خرج أحد عن هذا الالتزام الذاتي واعتدى على غيره ردعته الأمة - عن طريق ولي أمرها - بالزواج الشرعية من حد أو قصاص أو تعزير... وأصبح كل واحد من الأمة: حاكما أو محكوما، سييدا أو مسودا، خادما أو مخدوما، متمتعا بالأمن الذي كفله له دين الله

وانبنى على مفهوم الأمن غير الشرعي (١) عنايةً أهله بالوقاية من الجرائم التي أبتوها في قواميسهم، أو العقوبة عليها، وقد يكون كثير مما سموه جرائم طاعات وعبادات ومصالح للأمة، وليست جرائم في حقيقة الأمر

(١) أعني الأمن الوضعي الذي سبق التعريف به.

فكانت النتيجة جعل ما هو صلاح وبر وإحسان جريمة، وجعل من هو صالح وبار ومحسن مجرماً، وجعل ما هو جريمة حقيقة خيراً وبراً وإحساناً، وجعل من هو مجرم فعلاً، صالحاً وباراً ومحسناً. فَحَرَمُوا كثيراً من الواجبات والمنوبات والمباحات، وأحلوا كثيراً من المحرمات والمكروهات.. الأمثلة على المفهوم الأول تجسدها أبواب الشريعة الإسلامية التي تضمنها القرآن والسنة، وعلامتها تطبيقها، فما طبقت الشريعة في زمان أو مكان إلا تمتع جيلهما بالأمن... وفي تاريخ الإسلام في عصوره المفضلة خير شاهد وإنما نرى في زمننا هذا فرقا شاسعا بين الأمن في دولة تطبق كثيراً من شرع الله، وأخرى تحارب تلك الشريعة!.. (١)

والأمثلة على المفهوم الثاني لا تخفى على من يتتبع تاريخ المسلمين الطويل، فما ابتعد المسلمون عن الإسلام، إلا نزل بهم من الخوف وارتفع عنهم من الأمن ما يناسب ابتعادهم، والذي يعيش في عصرنا هذا يرى ذلك عياناً

(١) راجع التشريع الجنائي الإسلامي (٢ / ٧٠٨ - ٧١٦) لعبد القادر عودة رحمه الله.

فقد حَرَمَتِ الدول العلمانية المحاربة لشرع الله رعاياها من الحكم بما أنزل الله، وقتلت وسجنت وشردت آلاف العلماء والدعاة إلى الله، بسبب دعوتهم إلى تطبيق هذه الشريعة، وعطلت حد الردة الذي يحمي كيان الأمة الإسلامية من الانهيار، وعطلت فريضة الجهاد في سبيل الله، وهو الدرع الواقى للدعوة إلى الله، والسد المييع من اعتداء أعداء الله على بلدان المسلمين وأعراضهم وأمواهم التي أصبح يسيطر عليها أراذل خلق الله من اليهود، وفي ذلك اعتداء على إحدى ضرورات الحياة، وهي دين الأمة وعطلت الحدود، ومنها حد القصاص، وفي ذلك إهدار لإحدى ضرورات الحياة، وهي النفس.. وأحلت الزنا والوسائل المؤدية إليه، وحاربت وسائل الوقاية منه كالحجاب، وعطلت عقوبة الزنا، وفي ذلك إهدار لإحدى ضرورات الحياة، وهي النسل والعرض وأحلت الخمر الذي يفقد العقول وظيفتها، وفي ذلك إهدار لإحدى ضرورات الحياة، وهي العقل وبنيت اقتصاد الأمة على مبادئ تخالف مبادئ الاقتصاد الإسلامي، ومن أخطر تلك المبادئ المعاملات الربوية التي حرمها الله وجعل متعاطيها محارباً له تعالى... وعطلت حد السرقة، وفي ذلك إهدار لإحدى ضرورات الحياة، وهي المال.

وإذا كانت النتيجة هي إهدار ضرورات الحياة، فما بالك بما يخدمها من الحاجيات والتكميليات؟! لذلك ترى من الفسق والمنكر والعلوان على كل شعائر الله وحقوق عباده في البلدان الإسلامية، ما يشبه لك اعوجاج مفهوم الأمن لدى قادة الباطل...

المثال الثالث: الإجرام والمجرمون إن المراد بالإجرام في المصطلح الإسلامي هو كسب الإنسان السوء والمعصية والمنكر والاعتداء على حقوق الله وحقوق عباده، يشمل ذلك الكسب الاعتقادي كالشرك، والعملي كالسرقة والزنا وقتل النفس التي حرم الله بغير الحق والظلم بكل أنواعه، ومنه أكل أموال الناس بالباطل والمراد بالسوء والمعصية والمنكر والحقوق المعتدى عليها هنا، ما اعتبر عند الله في دينه كذلك، لا ما اعتبره البشر كذلك وهو عند

الله غير معتبر، والإنسان الذي يكسب هذه الأمور المعتبرة عند الله جريمة، هو الجرم ولا يستوي عند الله الإجماع والإسلام، والإفساد والإصلاح، ولا المسلم والجرم، ولا المفسد والمصلح وإذا تأمل الباحث إطلاق لفظ: الجرمين في كتاب الله تعالى ألفاه - غالباً - يقابل المسلمين، وهو يشمل الكافر والمنافق من ذلك قول الله تعالى: { لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ } (١) وقوله: { فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ } (٢) _____

(١) الأنفال: ٨ (٢) يونس: ١٧.

وقوله تعالى: { وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا } { وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا } (١) وقوله تعالى: { تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَقِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } { إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ } { وَمَا أَصَلْنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ } (٢) وقوله تعالى: { يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَفْئَادِمِ } { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } { هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ } (٣) وقوله تعالى: { أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ } (٤) هذا هو المصطلح الإسلامي للمجرم، ولكن أعداء الحق وأنصار الباطل كثيراً ما يطلقون هذا المصطلح اليوم على علماء الإسلام ودعاته، الذين ينادون بتحكيم شرع الله في الشعوب الإسلامية _____

(١) الكهف: ٥٢ ، ٥٣ (٢) الشعراء: ٩٧ ، ٩٩ (٣) الرحمن: ٤١ ، ٤٣ (٤) القلم: ٣٥.

ولما كان الحكام الذين يجارون شرع الله يعلمون أن لأولئك العلماء والدعاة، تأثيراً على نفوس تلك الشعوب، وأن نتيجة هذا التأثير هي الاستجابة لدعوة العلماء ونصرة الحق الذين يدعون إليه، فقد اعتبروا دعاة الإسلام وحدادة الحق مجرمين، لأنهم يريدون - في زعمهم - قلب أنظمة الحكم الطاغوتية لذا سلطوا عليهم أجهزة إعلامهم لتكرار وصفهم بالإجماع، وأنشؤا لهم محاكم عسكرية أو مدنية طاغوتية تعتبرهم - قبل إعلان الحكم عليهم - مجرمين، إجراماً يرقى إلى درجة الخيانة العظمى التي يستحق صاحبها القتل، وإذا فر العالم الداعية إلى الحق وإقامة شرع الله، إلى بلد يحكمه طاغوت آخر تعاون طاغوتا البلدين بناء على اتفاقات تسمى تبادل تسليم الجرمين، مع أن الجرم الحقيقي هو أولئك الطغاة الذين يجارون شرع الله ويسومون أولياء الله سوء العذاب باعتبارهم مجرمين ولذلك يجب على كل قادر على بيان الحق أن يكون سابقاً بذلك البيان إلى عقول الناس، ليكونوا على بصيرة بحقيقة الإجماع والجرمين، فلا تحدد عقولهم دعايات الضلال والمضللين، فيسوء بذلك تصورهم ويؤيدون بسببه أهل الباطل الجرمين على أهل الحق المسلمين.

المثال الرابع: معنى الدين الدين في المصطلح الإسلامي يعني الإسلام الشامل، الذي يدخل فيه الإيمان بالقلب والقول باللسان والعمل بالأركان، وتدخل فيه الشعائر الدينية والشرائع العملية، من معاملات مالية واقتصادية وقضائية وسياسية واجتماعية، وبالجملة يدخل فيه كل ما ورد في كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وهو ما قال الله عنه: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } (١) ولكن أنصار الباطل، وأعداء الحق الخارئين لشريعة الله، خططوا لإزالة هذا المفهوم من عقول أبناء المسلمين، بحيث جعلوا الدين لا يتجاوز معنى العبادة بمفهومها الضيق، وهو أنها صلة بين العبد وربّه فقط، وكل إنسان حر في أداء تلك العبادة واعتقادها أو عدم ذلك، فمن أراد أن يتطهر ويصلي فليفعل ومن لم يرد فهو أمير نفسه أما شؤون

الحياة الاجتماعية - عدا بعض أحكام الأسرة - والاقتصادية والسياسية والتعليمية والإعلامية والعسكرية وغيرها، فلا تدخل في الدين ولا للدين فيها حل ولا ربط _____
(١) المائدة: ٣.

ولهذا حُصِر الدين في مناهج التعليم والإعلام والفتوى ونحوها، في أبواب الطهارة والصلاة والحج والصوم، وخصصت له ورقيات في المدارس الابتدائية يدرسها الطالب الصغير دراسة ممسوخة، وتسمى مادة: "الدين" التي تجعل الطالب وأسرته ومجتمعه لا تفهم من الدين إلا ذلك. (١)

وهكذا شأن الإعلام الذي تقدم فيه فتاوى مشابهة لما في مناهج التعليم، إذ الغالب أن تكون الفتاوى تتعلق ببعض أبواب الفقه الإسلامي، كالطهارة من وضوء وغسل وحوض ومسح على الخفين، وصلاة وحج وصوم، ونحو ذلك مما هو جزء من الدين، وبشره يأذن قادة الباطل لوسائل الإعلام، مما لا يعارض مصالحهم معارضة مباشرة كبعض أحكام الأسرة... أما ما يعتبره قادة الباطل متعارضا مع مصالحهم، كأبواب الاقتصاد والسياسة الشرعية، والولاء والبراء، والجهاد في سبيل الله، والشورى، والعلاقات الدولية ونحوها، فلا تكاد تذكر في أجهزة إعلام أعداء الحق الخاربيين للإسلام، خشية من أن يسبق الحق الباطل إلى عقول الناس. والذي قُتِم به وسائل الإعلام من هذه الأبواب هو ما يجدم مصالح قادة الباطل مما يخالف كثير منه دين الله وشريعته. _____
(١) هذا في غالب البلدان الإسلامية.

وبسبب ذلك أصبحت عقول كثير من أبناء المسلمين غير إسلامية على الحقيقة، لأنهما لم تفقه حقيقة الإسلام الشامل، بل صورهم أن دين الإسلام يعني التأخر والرجعية، وأنه يخالف روح العصر والتقدم، وأنه شبيه بالحكومة الإلهية التي حاربها الغرب عندما كانت الكنيسة تدخل في كل شيء، وتزعم أنها تمارس نشاطها نيابة عن الله، وأنه لا يمكن أن يتقدم المسلمون ويتحضروا إلا إذا حاربوا دينهم من الناحية التشريعية، كما فعل الأوروبيون مع الكنيسة ومنعوا من التدخل في حياتهم ولهذا تجد أجهزة أعداء الحق تشن غارتها على أي بلد يطبق شيئا من أحكام هذا الدين (١)، كالتصاوص والحدود.. ومن هنا لبسوا عقول أبناء المسلمين مناظير مضللة غير مناظير الإسلام، فأصبح بذلك الحق عندهم باطلا والباطل حقا، وانقلبت عليهم الموازين، وتغيرت الجهات، فأصبح العلو سفلا والسفل علوا، والأمم وراء وراء وأمام، فاحتاجوا إلى من يشمر عن ساعد الجد وينبهم على هذا الخطر الذي أحاط بهم وهم لا يعلمون، لأن أعداء الحق سبقوا بباطلهم إلى عقولهم وحالوا بينهم وبين وصول الحق إليها _____
(١) مثل المملكة العربية السعودية.

فليحُدْ حادي الحق تلك العقول المضللة، ليربأوا بأنفسهم عن البقرة التي لبسها صاحبها نظارة خضراء، لترى العشب اليابس أخضر، فيكثر درها، وليقل لأصحاب تلك العقول ناصحا:

فتح عينيك يا راجي ... تبصر في الليل الساجي
والبس دوما منظارك ... يهدي فيه (١) أبصارك
هل تدري ما المنظار ... وحي الله تختار
واسلك نمجا يرضاه ... للمخلوقين الله
وافتح أذنك يا راجي ... واتبع من يحدو الناجي

نحو الفردوس العالي ... والزم خير الأعمال
حرّك عقلك يا راجي ... تفقه قصد المنهاج
واحذر شؤم التقليد ... فمخ الأعمى المنكود
واصحب قوما صالحا ... منهم مسكّ قد فاحا
أهل التقوى والسنة ... والرضوان والجنة

(١) في الليل، والمقصود ظلمة الجهل.

وإن من أعظم المصائب أن يقع في هذا التقليد من يزعم أنه مجتهد يحارب التقليد، بحيث إذا خالف بعض كبار الأئمة - كالأئمة الأربعة - بدون تمحيص في مسألة شرعية، وإذا طلب منه التأمل في آرائهم وأوجه استدلالهم، صعر خده وأشار بيده إلى صدره قائلاً: نحن رجال وهم رجال! وإذا سمع قولاً يهواه من زميل له أو متعالم صغير، أسرع في الأخذ به ونشره والدفاع عنه، دون تمحيص - أيضاً - ولم يشعر بأنه قلد من لا يستحق التقليد، ونسي أن يقول: نحن رجال وهم رجال!

وإذا لم يتدارك دعاة الحق عقول الناس بسبق الحق إليها، فإن أهل الباطل يتربصون بها، وقد أحاطوا بها من كل جانب ليضلوها، ويقودها إلى دمارها أو غاد جهلة لا يألون جهداً في إهدار ضرورات حياتها:

هل قد علمت بما جرى ... أو أنت سائل من درى
أرباب أحلام صغار ... صاروا رؤوساً للورى
وإذا سبرت عقولهم ... بانت أقل وأحقرا
وهي التي ألفت بهم ... في قعر بحر لا يرى
وهناك في ظلماته ... ظنوا الأمام هو الورى
وبنوا على الظن الردي ... سيرا حثيثاً منكرا

النتيجة السابعة: وفرة إمكانات سباق أهل الحق المعنوية لقد منح الله تعالى أهل الحق من الإمكانات المعنوية، ما يستطيعون بها سبق أهل الباطل بحقهم إلى عقول الناس من تلك الإمكانات توافق منهاج هذا الدين، الذي هو الحق والذي لا يملكه إلا المسلمون، مع الفطرة، ولو تراكمت عليها أترية الباطل ردحا من الزمن فأصول منهاج هذا الدين من الإيمان والرسالة والوحي تُقرُّها الفطر وتتجاوز معها، كما تخضع لها العقول وتستقبلها، مُسلمةً بالحجج والبراهين التي تكمن فيها من جهة ويتضافر معها الكون كله علويه وسفليه من جهة، وبخاصة إذا اجتهد أهل الحق فسبقوا أهل الباطل بتلك الأصول - مع الحجج والبراهين - إلى عقول الناس يتضح ذلك بالمقارنة بين أصول هذا الدين وبين العقائد الأخرى، كاليهودية والنصرانية الخرفيتين، والوثنيات المنتشرة في الأرض، كالمندوسية والبوذية وغيرهما وعلى سبيل المثال، فإن الإله المعبود في دين الإسلام قد حسم معناه حسماً لا يتطرق إليه الشك في قاعدة قواعد الإسلام: [لا إله إلا الله] وجميع نصوص القرآن تدل عليه.

مثل قوله تعالى: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } { اللَّهُ الصَّمَدُ } { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ } { وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } . (١)

ومثل قوله تعالى: { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ } (٢)

وقوله تعالى: { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ } (٣)

فهو خالق الكون وحده وهو المعبود وحده، وهو منزه عن صفات المخلوقين: { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } . وكل مخلوقات الله تدل على ذلك فإذا رجع الباحث إلى عقيدة اليهود وتصورهم للإله، وجدهم يصفونه بأوصاف ينزهون أنفسهم عنها كقولهم - تعالى الله عنه - : { إِنَّ اللَّهَ فَكِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ } . وقولهم: { يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا } . وما يصفونه تعالى به في التوراة الموجودة بين أيدي الناس اليوم، يصعب على الباحث إيراد تزييهام لمداد قلمه من أن يسطره في جناب الله سبحانه وتعالى أما النصراني فقد جعلوا الإله الواحد ثلاثة، والثلاثة واحدا وأما الوثنيون فكل حجر عندهم إله وكل شجرة إله وكل حيوان إله _____

(١) الإخلاص (٢) البقرة: ٢٥٥ (٣) النساء: ٨٧.

فإذا قارن العاقل بين ما جاء في قاعدة قواعد الإسلام: [لا إله إلا الله] وما يفسرها من نصوص الكتاب والسنة، وبين هذه العقائد الفاسدة، مالت فطرته السليمة إلى تلك القاعدة، ونفرت من هذه العقائد الفاسدة، مقتديا بخليل الله إبراهيم - عليه السلام - الذي حاول اليهود والنصارى وغيرهم صرف الناس عن ملته، فأبى الله لهم إلا ملته، كما قال تعالى: { وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (١) وقال تعالى: { مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (٢) وتلك هي فطرة الله التي أمر بها رسوله محمدا - صلى الله عليه وسلم - ودعا إليها الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: { فَاقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } (٣)

(١) البقرة: ١٣٥ (٢) آل عمران: ٦٧ (٣) الروم: ٣٠.

فما تضمنته أصول هذا الدين من حق وما أودعه الله في نفوس الخلق من الفطرة، يرجحان كفة سبق أهل الحق بحقهم إلى عقول الناس، إذا جدوا في ذلك واجتهدوا فإذا انتقلنا إلى فروع هذا الدين من شريعة الله الشاملة، وجدناها كذلك تناسب الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وتحقق لهم مصالحهم في الحياة الدنيا والآخرة، بخلاف القوانين البشرية التي يكتنف واضعها الجهل والظلم والغفلة، والتي تغلب مفاستها ما قد يوجد فيها من مصالح، لأن مصدر شريعة هذا الدين هو الله المتصف بالعلم المحيط بكل شيء، والعدل الثابت الذي لا يتغير، المنزه عن الجهل والظلم والغفلة { لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ } فتوافق منهاج هذا الدين وفطرة الناس من أهم ما يعين دعاة الحق على السبق بحقهم إلى عقول الناس، بخلاف أهل الباطل، فإن باطلهم يحمل في ذاته ما يعطل سيره، أو يبطله، كما أن الفطرة السليمة تنفر منه، والفطر التي فسدت باجتياح الشياطين، تتيقظ لخطره إذا انفض عنها غباره، بدعوة أهل الحق وسبقهم إلى عقول أصحابها به.

ومناهج التعليم - لو بنيت على أساس المنهج الرباني - في بلدان المسلمين، لكان لها أثر عظيم في السباق إلى عقول الناس الوافدين إلى هذه البلدان من بلدان غير المسلمين، وهم يمثلون كل المستويات التعليمية، ومن أهل الديانات

المتنوعة من مشارق الأرض ومغاربها، من يهود ونصارى ووثنيين وملحدين، إضافة إلى تحصين تلك المناهج عقول أبناء المسلمين من سبق أهل الباطل بباطلهم إليها، كما هو الحال اليوم، حيث يؤثر الوافد من أهل الباطل بباطله في ذرية أهل الحق! هذه إشارة عابرة إلى ما منح الله به أهل الحق من الإمكانيات المعنوية التي تمكنهم من غلبة أهل الباطل في سباقهم إلى العقول وهي لا توجد عند غير أهل الحق من المسلمين، وهي أساس الإمكانيات وأعظمها تأثيرا في النفوس يضاف إلى ذلك أن منهاج الحق الذي لا يملكه إلا المسلمون، وهو: الكتاب والسنة، محفوظ من التغيير والتبديل بإذن الله إلى يوم القيامة، فهو ثابت دائم لا ينقطع تأثيره في الخلق ما اجتهد المسلمون في تطبيقه ودعوة الناس إليه: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } . (١)

(١) الحجر: ٩.

الامتداد المكاني فالرقعة الأرضية التي يسكنها المسلمون تمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى حدود الصين شرقا، ومن المحيط الهندي إلى حدود روسيا شمالا، ولا يوجد بلد غير إسلامي إلا وقد وجد فيه مسلمون قلوا أم كثروا وهذا

الامتداد المكاني

يوفر لهم فرصة عظيمة للوصول إلى عقول الناس الذين يعيشون فيه، كل منهم في موقعه بدون اضطراب إلى الانتقال من مكان إلى مكان آخر بعيد فكل صاحب باطل يعيش بين غالبية من أهل الحق سيكون المسلمون أكثر سبقا إلى عقله بالقدوة الحسنة - لو وجدت فيهم - ، ثم بالدعوة والبلاغ المبين، وكل صاحب حق وجد من المسلمين بين غالبية من أهل الباطل، سيؤثر فيهم ويسبق إلى عقولهم بمقدار القدوة الحسنة التي يحملها بمقدار قيامه بالدعوة إلى الله بالوسائل الشرعية المتاحة المناسبة لكل بلد.

الكثرة العددية و

الكثرة العددية

للمسلمين، وهم فقط الذين يملكون الحق الإلهي الرباني، تؤهلهم، لو استقاموا على نهج الله وتخذوا الوسائل المتاحة الشرعية للسباق إلى العقول، من سبق غيرهم من أهل الباطل إلى تلك العقول.

الثروات الكثيرة المتنوعة

والثروات الهائلة التي تحتوي عليها أراضيهم، من طاقات ومعادن وزراعة وحيوان وغيرها تعينهم - لو استغلوها استغلالا سليما - على إيجاد وسائل لا حصر لها للسباق بالحق إلى العقول.

العلاقات العالمية

وصيلاؤهم بالعالم: الاقتصادية، والثقافية، والدبلوماسية، والإعلامية، وغيرها، تسهل عليهم اقتحام الحواجز التي تحول بين الحق وبين وعقول الناس في العالم كله، لو كان المسلمون جادين في سباقهم بالحق إلى تلك العقول.

المواصلات والاتصالات ووسائل

المواصلات والاتصالات

التي يملكها المسلمون - سواء كانت برية أو بحرية أو جوية، هاتفية أو إعلامية - تخدمهم خدمة عظيمة في السباق إلى العقول بالحق الذي يملكونه. (١)

(١) ولا تزال هذه الوسائل التي تعين المسلمين على سبقهم بالحق إلى العقول تزداد يوما بعد يوم، ومنها: وسيلة (الإنترنت) التي استغلها أهل الباطل أعظم استغلال في سبقهم بباطلهم إلى العقول...

التيبة التاسعة: تعاون أهل الحق يحقق لهم السبق إلى العقول إن المسلمين - وهم أهل الحق - لجد يرون بالسبق بالحق إلى عقول الناس، ولو تعاونوا فيما بينهم وبذل كل منهم - أفرادا وجماعات - وسعه في حدود تخصصه للسباق بالحق إلى العقول، لكانت لهم الغلبة على أهل الباطل فقهاء الإسلام فالقهاء في الدين عندهم القدرة على إبلاغ الحق الرباني، إلى عقول الناس بالدعوة والتعليم بكل وسيلة تتاح لهم من الوسائل الكثيرة أغنياء الأمة الإسلامية وأغنياء الأمة الإسلامية - وقد لا يكونون علماء - قادرين على تمويل مشروعات سبق إلى العقول التي يقوم بها فقهاء الإسلام ودعاته، من الدعوة، والتعليم في المساجد والمدارس أو الجامعات أو التجمعات، أيا كان نوعها، كما أنهم قادرين على إنشاء مطابع وطبع نشرات أو كتب أو مصاحف، أو إقامة مؤتمرات أو ندوات متنوعة، هدفها كلها السبق بالحق إلى العقول ولاة أمور المسلمين.

وولاية المسلمين وحكامهم قادرين على تسخير كل ما يملكون من وسائل، للسباق إلى العقول بالحق - مع تحقيق تلك الوسائل لما وضعت له من مصالح الدول - والحكام أكثر قدرة من غيرهم في هذا المجال، لأنهم يملكون إمكانات الشعوب وطاقتها ومواقفها وما يؤسف له أن غالب حكام الشعوب الإسلامية قد نصبوا أنفسهم لدعم سباق أهل الباطل بباطلهم إلى عقول الناس، وللحجر على تلك العقول من أن يصل إليها الحق! جيوش الأمة الإسلامية وجيوش المسلمين قادرة على ردع من وقف في صف الباطل، ليسبق به إلى عقول الناس، ولإعانة أهل الحق في أن يسبقوا بالحق إلى عقول الناس وهكذا كل صنف من أصناف المسلمين يعين أهل الحق في سباقهم به إلى عقول الناس بما يقدر عليه بحسب موقعه، تحقيقا للتعاون على البر والتقوى الذين أمر الله بهما النتيجة العاشرة: دور الجماهير في سبق الباطل إلى العقول إن قادة الباطل وطغاته لا يحققون السباق بالباطل إلى عقول الناس إلا بحشد الجماهير المؤيدة لهم، جاهلة كانت أو مؤثرة لمصالح مادية زائلة، ولو لم تستجب لهم تلك الجماهير لما استطاعوا أن يحققوا غاياتهم الفاسدة المشرعون والمنفذون.

فمن تلك الجماهير من يُشرِّع لقادة الباطل وطغاته القوانين التي تحارب الحق وتؤيد الباطل، كعلماء القانون ومن تلك الجماهير من يقر تلك التشريعات والقوانين، كأعضاء البرلمان ومن تلك الجماهير من ينفذ تلك القوانين

كالوزراء والمحافظين والشرطة رجال القضاء ومن تلك الجماهير من يحكم بتلك القوانين كالقضاة الإعلاميون ومن تلك الجماهير من يضل عقول الناس بالثناء على تلك القوانين كالإعلاميين أساتذة الجامعات ومن تلك الجماهير من يدرس تلك القوانين ويوصلها في عقول الناس، كأساتذة الجامعات الجيوش ومن تلك الجماهير من يرغم الناس على قبول تلك القوانين كالجيوش. (١)

اللاهون وأهل الجون ومن تلك الجماهير من يفسد أخلاق الناس ومجتمعهم بما يشغل عقولهم عن التفكير في الحق والباطل وترجيح الحق على الباطل، كالمغنين والرقاصين والمبالغين في بعض أنواع الرياضة.. وهكذا كل فئة من جماهير الشعوب الإسلامية، يستغلها دعاة الباطل وقادته وطغاته في الحجر على عقول الناس من أن يصل إليها الحق، أو في سبق الباطل إليها _____

(١) وفي الجيش التركي مثال!.

ولو أن تلك الجماهير عرفت حقيقة مقاصد قادة الباطل، والأضرار المترتبة على استغلالها لتحقيق تلك المقاصد، لوقف عقلاؤهم في صف أهل الحق لوقاية العقول من الباطل وإمدادها بالحق فلو فكر مشرعو القوانين الوضعية المخالفة لحكم الله وشرعه في المظالم المترتبة على قوانينهم، وأن ذلك محاربة لله تعالى ولتطبيق شريعته، وأنهم سيقفون بين يدي الله يوم الحساب، ليجازيهم على محادتهم له، لما شرعوا تلك القوانين التي أعانوا بتشريعاتها أنصار الباطل على أنصار الحق ولو فكر من يسمون بالنواب، الذين أرادت تلك الأمة منهم تحقيق مصالحها التي تسعدهم في الدنيا والآخرة، لما وافقوا على قوانين الطواغيت التي تستغل هدم الضرورات التي يجب حفظها ولو فكرت السلطات التنفيذية، من وزراء الأمة ومحافظيها وأجهزة أمنها من شرطة وغيرها، في الوزر الذي يتحملونه أمام الأمة وأمام الله، لما كانوا أداة قهر وإذلال للأمة بتنفيذ تلك القوانين الظالمة.

ولو فكر الإعلاميون، بكل فئاتهم في تلك العقول التي خلقها الله، لتفوق بين الحق لتتبعه، وبين الباطل لتتجنبه، فكانوا سببا في تضليلها حتى غدا الحق عندها باطلا والباطل حقا، لما وقفوا في صف قادة الباطل ضد الحق وأهله إلا من أضله الله على علم ولو فكر نجوم الفن والرياضة - كما يسمون! - في شغل عقول الناس عن الحق، وقارنوا بين فعلهم الذي شغلوا به عقول الجماهير - مباحا كان أو محرما - عن أهداف الأمة الإسلامية العليا، كالجهاد في سبيل الله الذي هي أحوج إليه في هذا الزمن من غيره، لما يلقاه المسلمون من الإذلال والقهر والقتل، والإخراج من بيوتهم وتشريدهم في الأرض، وانتهاك أعراضهم، لو فكروا فيما يفعلون وفي هذه المآسي لتخلوا عن قادة الباطل، وانضموا إلى صفوف أهل الحق، لإنقاذ أمتهم مما حل بها من مصائب وفتن، ولسخر الفنانين فيهم في السباق إلى العقول بالحق، وسخر الرياضيون رياضتهم إلى فروسية للجهاد في سبيل الله ولو فكرت جيوش المسلمين في ذلك كله، وتذكروا الواجب الملقى على أكتافهم وهو رفع راية الإسلام في الأرض، لكان لهم شأن آخر مع الباطل وقادته!

النتيجة الحادية عشرة: أثر التنازع في السباق إلى العقول إن من أهم العقبات التي وقفت في طريق سباق أهل الحق به إلى العقول تنازعهم فيما بينهم، التنازع الذي مزقهم شر مرق وجعل بعضهم يشغل نفسه ببعض، بسبب من الجهل والهوى وتقديم حظوظ النفس على المصالح العامة، وإرضاء أعداء الحق الذين استغلوا تنازع أهله، ليكون السبق إلى العقول بالباطل أسرع من السبق إليها بالحق!

تنازع بين الدول فأصبحت كل دويلة من دويلات المسلمين، تكيد لجارتها سرا وعلنا، وتنفق وقتها ومالها وطاقت أبنائها للكيد المذكور، وبذلك ضللت كل دويلة عقول أبناء شعبها، حتى من يُظن أن لديهم حظا من الثقافة الدينية وغير الدينية، تجدهم منساقين لمعاداة الدويلة الأخرى والحد على حكامها ومحكوميها على السواء، بدون دليل واضح - غالبا - لمشروعية تلك المعاداة وذلك الحد، إلا التضليل الإعلامي الذي تتعمده دويلتهم تنازع بين الأحزاب في كل دولة.

ومن جهة أخرى فقد تصدع كل شعب على حدة، بسبب كثرة الأحزاب التي زرعها أعداء الحق من المستعمرين وملئوا أدمغتهم وعقولهم، بأفكار ومذاهب أجنبية كلها باطلة، فشغل كل حزب نفسه بما معه من الباطل، ليسبق باطل غيره من الأحزاب الأخرى إلى عقول الناس، وليقي أعضائه من أن يصل إليها باطل الأحزاب الأخرى، فأصبحت الأحزاب تتصارع بالباطل ضد الباطل تعاون قادة أحزاب الباطل ضد الحق وأهله ومن جهة ثالثة فإن أحزاب الباطل المتصارعة فيما بينها تجتمع كلها، لتسابق باطلها أهل الحق إلى عقول الناس تنازع أهل الحق فيما بينهم ثم من جهة رابعة تجد أهل الحق يتنازعون فيما بينهم تنازعا يندى له الجبين، إذ يصل إلى أن تشغل كل جماعة نفسها بالجماعة الأخرى، وقد تكون الجماعتان متفقتين في الأهداف والوسائل - إلا فيما فيه متسع للاجتهاد - وقد تكونان - في الأصل جماعة واحدة، ولكن الهوى وحظوظ النفس والشيطان، زينت لبعض قادتها سلوك السبل المؤدية إلى التنازع والخلاف.

وبذلك تشغل كل جماعة نفسها بالأخرى وتسابق كل جماعة أختها بما تزعم أنه الحق عندها، لاستقطاب عقول أكبر عدد من الناس لتقوية جماعتها، فإذا رأى الناس هذا السلوك نفروا من الطائفتين معا، اتقاء للفتنة وشكا في النوايا التي تكمن وراء ذلك التمزق والفرق ولو سلم المسلمون من هذا التمزق والتنازع ومن شغل بعضهم نفسه ببعض، لاجتمعت طاقتهم كلها لسبق ما عندهم من الحق، إلى عقول الناس بدلا من سبق أهل الباطل باطلهم قدوة سيئة منفرة ولقد كان هذا السلوك المشين من المسلمين من أهم الأسباب التي حجبت عقول غير المسلمين عن البحث عن الحق والالتفات إليه، فكان ذلك فتنة لغير المسلمين الذين يصرحون بأن المسلمين لو كان ما عندهم حق قابل للتطبيق، لطبقوه في مجتمعاتهم قبل أن يدعوا غيرهم إليه، وهذه هي القدوة السيئة التي تنفر الناس من الحق الذي يملكه المسلمون!

النتيجة الثانية عشرة: أثر العنف في سبق الحق إلى العقول إن إصرار أهل الباطل على تثبيتته بالقوة، ترتب عليه رد فعل عرقل سبق أهل الحق بالحق إلى العقول كثير من دعاة الإسلام الذين حرصوا على السبق بالحق إلى العقول، اجتهدوا في سباقهم إلى العقول، أن يصلوا إلى هدفهم بالتعليم والتركية، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، واتخذوا ما يقدره عليه من الوسائل البعيدة عن الشدة والعنف ولكن أنصار الباطل صدوا عن الحق بأنفسهم، وصلوا عنه غيرهم، واتخذوا كل الوسائل للسباق إلى الباطل، بما في ذلك وسائل العنف، من سجن وتعذيب وتشريد وتقتيل.

وترتب على شدة أهل الباطل في سباقهم إلى العقول باطلهم، والحجر على العقول من وصول الحق إليها، رد فعل عنيف من قبل بعض شباب المسلمين فقابلوا الشدة والعنف بمثلها، فحملوا السلاح، ضد الحكومات العلمانية التي حاربت تطبيق الشريعة الإسلامية في شعوبها، وقاموا باغتيالات أنصار تلك الحكومات من العسكريين وغيرهم، بل

بلغ الأمر ببعض أولئك الشباب، أن قتلوا الأبرياء، من الأطفال والنساء والعزّل من الرجال، بزعم أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وهو تصرف منكر لا يقره شرع الله، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يشترط فيهما العلم بأن هذا معروف يؤمر به، وذاك منكر ينهى عنه، وأن لا يترتب على الأمر والنهي مفسد أعظم.

وكثير من الشباب الذين يتصرفون تلك التصرفات العنيفة لا يتوافر فيهم هذا الشرط، لأن الطريقة التي سلكوها في أمرهم ونهيهم، ترتبت عليها مفسد أعظم من المفسد التي زعموا أنهم أرادوا إنكارها، إذ ازداد أهل الباطل عنادا وإصرارا على محاربة الإسلام، بل أعطتهم تلك التصرفات مسوغا لمحاربة الدعوة الإسلامية، حيث كمموا أفواه دعاة الحق من علماء المسلمين ومفكريهم، الذين لو تمكروا من الاتصال بمجاهير الشعوب - وبخاصة شبابهم - لفقهوهم في الدين، ولتمسك هؤلاء الشباب بدينهم وطبقوا ما أمكنهم تطبيقه بهدوء، وبدون استعمال عنف ولا شدة، ولما أطلقوا رصاصهم على أنصار الباطل، بل سيسلكون سبيل التربية على هذا الدين والدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، حتى تتمكن دعوتهم من الوصول إلى عقول الناس، فمن استجاب لها حمدوا الله على هدايته، ومن أبي فعلية ذنب إياه ولو أن قادة الباطل أعطوا دعاة الحق من علماء الإسلام، فرصة للدعوة إلى ما عندهم من الحق بالوسائل المتاحة لهم سلميا، لما حصل هذا العنف الذي قام به هذا الشباب.

فإذا أصبح أي شعب من الشعوب الإسلامية قابلا لتطبيق الإسلام بمعناه الشامل، واختار أن يحكم بهذا الدين، فهذا هو ما يسعى إليه دعاة الحق في سباقهم إلى العقول، وهذا حق للشعوب الإسلامية لا يجوز لأحد أن يجرمها منه وإذا تاب أهل الباطل من باطلهم واستجابوا لرغبة هذه الشعوب، فطبّقوا حكم الله فيها، فإن دعاة الحق الذين اجتهلوا في السبق به إلى العقول سيكونون هم وأتباعهم من شباب الأمة الإسلامية، سباقين إلى طاعتهم في المعروف، وأعدوانا وأنصارا لهم في تنفيذ شرع الله الخفيف وإن تولى أولئك الحكام وأعرضوا عن الحكم بشريعة الله ولم يرضوا حكم الله، فليكن الحكم بينهم وبين دعاة الحق أهل الحل والعقد من تلك الشعوب المسلمة، وسينتقل الحكم من الطغاة إلى الصالحين عن طريق السلم والاختيار دون عنف ولا شدة.

ولكن قادة الباطل فتحوا الأبواب لأحزاب الباطل كلها، أن تنشر باطلها وتسابق به إلى عقول الناس، وحرمت على دعاة الحق ومفكري الإسلام أن يوصلوا الحق إلى عقول الناس، بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والتعليم والتربية، وزجوا بكثير من علماء الإسلام ودعاة الحق ومفكريه في السجون والمعقلات، بل أذاقوهم أشد العذاب وأزهقوا أرواحهم بدون حق.

وتلفت شباب الإسلام ليجدوا من يرشدهم ويفقههم في الدين، من العلماء والمفكرين تفقيها صحيحا ليس فيه تحريف ولا كتمان للحق، فلم يجدوا - في الغالب - إلا موظفين لدى قادة الباطل وطغاته الذين يجارون شرع الله والدعاة إليه، وكثيرا ما يفتي بعض أولئك العلماء بفتاوى تروى أنصار الباطل، بالحق وبالباطل متبعين في ذلك أساليب متنوعة من التأويلات الفاسدة، ووجدوا - أي الشباب - العلماء والمفكرين الذين يصدعون بكلمة الحق ويبلغون دين الله للناس على حقيقته، في السجون وعلى أعواد المشاقق، والذي لا زال في منزله محجور عليه لا يتصل بالناس ولا يتصلون به إلا نادرا وخفية، فأخذت أولئك الشباب الغيرةُ وذهبوا يقلبون الكتب القديمة والحديثة ويقرءون تلك الكتب بأنفسهم، وبخاصة آيات القرآن والسنة، وليس عندهم قواعد التفقه في الدين، لا من أصول

الفقه، ولا من أصول الحديث، ولا من أصول التفسير، ولا إمام بقواعد اللغة العربية وأساليبها، ولا اطلاع على أقوال علماء الأمة المعترين...

وعندما يقرءون النصوص، يقرؤونها وهم يبحثون عن أدلة تؤيد ما قد قرء في أذهانهم سابقا، من أن هؤلاء الحكام ظلمة، وأنهم يجارون دعاة الحق ويجارون تطبيق الشريعة، وأن من يجارب ذلك فهو كافر، والكافر لا يجوز أن يحكم المسلمين، بل يجب الخروج عليه، تحقيقا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن من يعين الكافر على كفره فهو مثله، وأن نصر المظلوم واجب، وإقامة شرع الله فرض، فيجدون في النصوص التي يقرؤونها من الكتاب والسنة، ما يؤيد فهمهم في الظاهر، ولا يتقون في العلماء الذين هم موظفون مع قادة الباطل - وليس كل عالم توظف مع قادة الباطل مؤيدا لباطلهم - حتى يصححوا لهم بعض تصوراتهم، ويبينوا لهم المصالح الراجحة من المرجوحة، أو المفاسد الراجحة من المرجوحة.

لذلك انطلقوا حاملين السلاح موجّهين رصاصهم إلى صدور كل متعاون مع أهل الباطل، من جنود وعلماء وأدباء وغيرهم، من أهل البلد أو الأجنبي، فأحدثوا في تلك البلدان فتنة واضطرابا، وشل بذلك الاقتصاد وتعطلت المصالح، بل إنهم قد قتلوا بعض دعاة الحق الذين يظنون أنهم يؤيدون قادة الباطل، وقد ينال قتلهم النساء، وهم يعتقدون أن ذلك كله مشروع لهم حسب فهمهم، كما فهم بعض الخوارج ذلك في السابق هذه التصرفات من بعض شباب المسلمين، التي كان السبب الأساسي لوجودها تصرفات قادة الباطل الذين كتموا أفواه العلماء والدعاة والمفكرين، كانت سببا في تشويه الإسلام والنفور من سماعه أو البحث عن حقائقه ومحاسنه واستغل ذلك أعداء الإسلام من اليهود والنصارى والعلمانيين وأخذوا ينفرون من الجماعات الإسلامية ودعاة الإسلام عامة، فكان ذلك من أهم العقبان التي بطأت بالسباق بالحق إلى العقول!

ولذا ينبغي للشباب المسلم الذي يريد رفع راية الإسلام في الأرض، أن يهتم بالتفقه في الدين، ويأخذ الحق ممن وجده من العلماء، فليس كل العلماء الموظفين في الحكومات من المؤيدين للباطل، بل يوجد فيهم من يبين الحق في حدود طاقته، وعلى هذا الشباب أن يتجه - بعد أن يتربى ويتعلم على أيدي العلماء - إلى تربية نفسه وتربية غيره على حقائق الإسلام، حتى تصبح الشعوب الإسلامية قادرة على إيجاد من يحكمها بالإسلام إما بالطرق السلمية، وإما بتحتية من يجارب الإسلام بأسهل الطرق وأخفها ضررا.

النتيجة الثالثة عشرة: دور القوة في السباق إلى العقول إن من أهم وسائل السباق بالحق إلى العقول القوة العسكرية الجهادية التي تقتضي توفير الجيش المسلم - الجيش بمختلف فئاته - الكافي الذي يستطيع أن يحمي بلاد المسلمين، ودينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، وماضهم، في داخل بلادهم، من الاعتداء عليها ممن انحرفوا من أبناء المسلمين، كالشيوعيين وكل فئات العلمانيين الذين يتربصون بالإسلام والمسلمين شرا، ويتخذون كل الوسائل السلمية لتضليل عقول أبنائهم والسبق إليها بما عندهم من الباطل، فإذا لم يتجحوا في تحقيق أهدافهم بتلك الوسائل السلمية، تأمروا فيما بينهم ليجهزوا على الحق بالقوة العسكرية التي منها الانقلابات، ومنها إزال الجيش لضرب دعاة الحق إذ انجحت دعوتهم ورأوا بدو ثمارها، وفي هذه الحالة لا بد للمسلمين من قوة رادعة تقف أمام قوة أعداء الحق، فلا يفل الحديد إلا الحديد.

ولا بد من إعداد جيش إسلامي قوي كذلك يحمي بلدان المسلمين وضرورات حياتهم، من اعتداء أعداء الحق وقادة الباطل من غير المسلمين الذين يتربصون الدوائر بالإسلام والمسلمين من خارج بلدانهم، حيث يتعاونون هم وأعداء الإسلام من المنتسبين إلى الإسلام في بلاده، لضرب قادة الحق ودعاته بالقوة، فإذا لم يكن لقادة الحق ودعاته قوة أعظم من قوة العدو أو مساوية لها، فإن أعداء الحق سوف يسحقونه ويسحقون قاداته ودعاته، وهذا ما نشاهده اليوم في كل بلدان المسلمين، وبخاصة فلسطين التي استولى عليها اليهود واستولوا على أجزاء أخرى من بلدان المسلمين، ولا زالوا يطمحون إلى المزيد من بلداننا ولما كان هدف اليهود من إعداد جيوشهم هو ضرب الحق ودعاته في داخل فلسطين وخارجها، فقد أعدوا جيشاً هجومياً أخافوا به قادة البلدان الإسلامية، وجعلوهم يستسلمون لهم واحداً بعد الآخر.

ولما كان هدف غالب حكام الشعوب الإسلامية من إعداد جيوشهم هو حماية كراسيهم، فقد اقتصرنا على إعداد جيوشهم لهذه المهمة، ولذلك ترى أعداد المسلمين في البلدان العربية (١) وحلها تريد عن مائتي مليون، وعدد اليهود قد لا يصل إلى أربعة ملايين، ومع ذلك ترتعد فرائص كثير من الحكام العرب من الجيش اليهودي الذي أربهه وزلزل أقدامه أطفال الحجارة الذين صدقوا الله ما عاهدوا عليه!

وتقتضي القوة الجهادية توفير السلاح وما يخدمه، بحيث يكون عند دعاة الحق من السلاح ما يماثل سلاح قادة الباطل أو يزيد في الكم والنوع. ويجب ان تكون عندهم وسائل تغنيهم عن الحاجة إلى عدوهم في كل شيء من أنواع السلاح وتوابعه، وهذا يستلزم إقامة مصانع للسلاح بالتعاون بين قادة الحق من المسلمين، كل يؤدي ما يملكه لإقامة تلك المصانع من مال وخبراء وغير ذلك ومما لا شك فيه أن صاحب القوة أقدر على سبق من لا قوة عنده إلى العقول، من حيث إنه يمنع الضعيف من الوصول بمبدئه إلى عقول الناس بالقوة، وهو قادر على الوصول بمبدئه إلى العقول بالقوة، كما أنه قادر على حماية عقول الناس من وصول مبدأ غيره إليها ليس الهدف من إعداد القوة الإكراه على الدخول في الإسلام _____

(١) أما عدد المسلمين في العالم فقد تجاوز المليار!

وليس المراد من هذه النتيجة أن يستعمل أهل الحق القوة لإكراه الناس على قبول الحق الذي عندهم واعتقاده بدون اختيار منهم، وإنما المراد اتخاذ قادة الحق وأتباعهم هذه القوة لإزالة السلود التي تعترض وصول الحق إلى عقول الناس، فإذا وصل الحق بحججه وبراهينه إلى تلك العقول، فأهلها بالخيار بين أن يستجيبوا لذلك الحق فيقبلوه، أو يرفضوه ويتحملوا نتائج رفضهم التي منها عذاب الله الأليم لهم، لرفضهم الحق بعد أن قامت عليهم الحجة به وكذلك يتخذ أهل الحق القوة لوقاية عقول الناس من إكراه أهل الباطل لأهلها، بقول باطلهم بدون اقتناع منهم بذلك (١) _____

(١) يراجع في هذه النتيجة كتاب: (الجهاد في سبيل الله حقيقته وغاياته).

النتيجة الرابعة عشرة: تدريب من يسابق بالحق إلى العقول

أهداف التدريب إن الواجب على أهل الحق أن يقيموا مؤسسات تدريب تمكن المتدربين منهم من ثلاثة أهداف: الهدف الأول: فقه الغايات يجب على من يريد القيام بالسباق بالحق إلى العقول، أن يفقه الغايات التي يسابق بالحق من أجلها، حتى يسعوا إلى تحقيقها وهم على علم بحقيقتها وأولويات تلك الغايات، فإن فقه صاحب المبدأ المبدئ

إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ { وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ } (١) { هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَخُلُ وَمَنْ يَخُلُ فَإِنَّمَا يَخُلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ } (٢)

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا وحبينا محمد وعلى آله وصحبه وسبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت نستغفرك وتوب إليك. (٣)

(١) هود: ١١٦ ، ١١٧ (٢) محمد: ٣٨ (٣) كان الفراغ من كتابة هذا السفر في اليوم الثاني من شهر ربيع الأول من عام ١٤١٥هـ للهجرة في الساعة الثالثة إلا عشرين دقيقة بعد منتصف ليلة الثلاثاء في المدينة المنورة في حي الأزهرى. وكان الفراغ من تصحيحه الأول ، في: اليوم السابع والعشرين من شهر جمادى الأولى ، لعام: ١٤١٨هـ - في نفس الحي. وكان الفراغ من تصحيحه الثاني في الساعة الثالثة بعد منتصف ليلة الاثنين السابع من شهر رمضان المبارك من نفس العام المذكور. وكان الفراغ من تصحيحه الثالث وتنسيقه في الكمبيوتر في: ٢٢ / ٢ / ١٤١٩هـ في الساعة السابعة من صباح يوم الثلاثاء. والحمد لله على توفيقه. وكان الفراغ من تصحيحه الرابع في الساعة الرابعة والنصف عصرا من يوم الخميس الموافق للثاني عشر من شهر ربيع الأول من نفس السنة ، في مدينة: «جاكرتا» عاصمة إندونيسيا ، في فندق: (GRAN MELIA).